



الصَّحُفَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ

منطلق الأضالة وإعادة بناء الأئمة على طريق الله

دار الإحياء

أنور المجتدي

الصَّحْوَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ

مناطق الأصالة وإعادة بناء الأمة على طرق الله

دار الاعتصام

أفاق البحث

صفحة

٢	مدخل
١٧	<u>الباب الأول : الدعوة الإسلامية</u>
١٩	الفصل الأول : هل الدعوة الإسلامية أصيلة الوجهة
٢٤	الفصل الثاني : عالم الإسلام في مطلع القرن
٢٩	الفصل الثالث : حوار الإسلام والغرب
٢٣	الفصل الرابع : تطور التكيف مع حاجات العصر
٢٨	الفصل الخامس : على طريق الأمارة والرشد الفكري
٤٣	الفصل السادس : إعداد الجيل الرائد
٤٧	الفصل السابع : حقائق ثلاث أمام الشاب المسلم
٥١	<u>الباب الثاني : آفاق مضيئة للدعوة الإسلامية</u>
٥٣	الفصل الأول : ألف مليون مسلم على أبواب القرن ٢٠
٧١	الفصل الثاني : الدعوة الإسلامية : أفاقها وسماتها
٨٧	الفصل الثالث : فجر جديد للدعوة الإسلامية
٩١	الفصل الرابع : مواجهة التحديات ومقاومة الشبهات
٩٨	الفصل الخامس : رحلة الإسلام في قبة أفريقيا
١٠٢	الفصل السادس : على طريق الأمارة والرشد الفكري
١٠٧	الفصل السابع : المسلمون في فجر القرن الجديد
١١٦	(٢) رد الشبهات ومواجهة التحديات
١٢٠	الفصل الثامن : أيولوجية جديدة وليس غير الإسلام
١٢٧	<u>الباب الثالث : آفاق جديدة للدعوة الإسلامية في المغرب</u>
١٢٩	الفصل الأول : الدعوة الإسلامية في المغرب
١٣٤	الفصل الثاني : ليظهره على الدين كله
١٤٧	الفصل الثالث : الإسلام يزحف إلى أسبانيا وبرنغال
١٤٦	الفصل الرابع : هل أصبح الفكر الغربي على طريق الإسلام اليوم
١٥١	الفصل الخامس : تبليغ الإسلام

صفحة

أفان البحث

١٦٠	الفصل السادس : تحديات خطيرة تواجه السنة
١٦٥	الباب الرابع : حركة اليقظة وما حقته
١٦٧	الفصل الأول : حركة اليقظة وما حقته في القرن الرابع عشر
١٧٢	الفصل الثاني : جاء الغزو بعدما غفلوا
١٧٦	الفصل الثالث : تطبيق الشريعة في العالم الإسلامي
١٨٦	الباب الخامس : الأخطار التي تواجه العالم الإسلامي
١٨٨	الفصل الأول : أخطار ثلاثة : قانون نابليون منهج دنلوب، الدارونية
١٩٢	الفصل الثاني : معركة المحافظة على الذات
١٩٦	الفصل الثالث : محاذير مؤامرة التسمية الغربية
٢٠٠	الفصل الرابع : نظريات مسمومة
٢٠٤	الفصل الخامس : بين المنهج الرباني والمنهج الفلسفي
٢١١	الفصل السادس : بعد تهويد الفكر البشري
٢١٥	الفصل السابع : يا قومنا إن ما عندكم هو الحق
٢٢١	الفصل الثامن : الأخطار التي تواجه الأمة الإسلامية
٢٢٥	الفصل التاسع : محاولات تحريك الفكر والمثاعر في دائرة التفاهات
٢٣٠	الفصل العاشر : المعلومة والفكرة والخبر
٢٣٤	الفصل الحادي عشر : المأسوية تكشف وجهها
٢٣٨	الفصل الثاني عشر : إعادة صياغة المجتمع الإسلامي
٢٤٣	الفصل الثالث عشر : دعوة إلى الأصالة العربية والفقهية
٢٤٩	الفصل الرابع عشر : لا بد من عودة منهج الدين الإسلام الأصيل
٢٥٥	الباب السادس : بناء المجتمع الإسلامي الجديد
٢٥٦	الفصل الأول : المجتمع الإسلامي والحضارة الغربية المتناهية
٢٦٢	الفصل الثاني : العودة إلى منهج السنة والجماعة
٢٦٩	الفصل الثالث : جلاء الشبليب المسلم وفي منهج الإسلام
٢٧٥	الفصل الرابع : الطفل المسلم
٢٨٢	الفصل الخامس : فجر جديد لعلم اجتماع إسلامي

الباب السابع : التغريب والأدب العربي	٢٩٤
الفصل الأول : تحديات التغريب في مواجهة أصالة الأدب العربي	٢٩٥
الباب الثامن : عالمية الدعوة الإسلامية	٣١١
الفصل الأول : أفاق جديدة أمام الدعوة	٣٥٣
الفصل الثاني : الفقه الإسلامي معجزة الإسلام الكبرى	٣١٩
الفصل الثالث : دور مصر في بناء الحضارة الإسلامية	٣٢٤
الفصل الرابع : العقيدة الفكرية للطالب المصلح	٣٣٠
الفصل الخامس : حقيقة الإسلام	٣٣٦
الفصل السادس : على المحجة البيضاء	٣٤١
الفصل السابع : أمانة المستقبل لجيل شباب الإسلام	٣٤٧
الفصل الثامن : على طريق الله	٣٥١
الفصل التاسع : البحث عن الحقيقة	٣٥٦
الباب التاسع : الفكر الإسلامي في مواجهة الشبهات	٣٦١
الفصل الأول : مواجهة مع الفكر الوتقي المادي الماركسي الوافد	٣٦٣
الفصل الثاني : وسقطت مدرسة التبعية للحضارة الغربية	٣٦٧
الفصل الثالث : فلتر اجمع تراكمات الفكر البشري وزبوفه	٣٧٢
الفصل الرابع : ملامح من أخبار التغريب في الوطن العربي	٣٧٧
الفصل الخامس : مواجهة القائمة مع الفكر الوافد	٣٨٢
الفصل السادس : عقبات على طريق النهضة	٣٨٨
الفصل السابع : من التبعية إلى الأصالة	٣٩٢
الفصل الثامن : في مواجهة النفوذ الاجنبي	٣٩٦
الفصل التاسع : مواجهة صريحة لتحرير الفكر الإسلامي	٤٠٠
خاتمة : الغزو الفكري : مدخل إلى تغريب الإسلام	٤٠٤



مدخل

نظرة عامة إلى الصحوة الإسلامية

(١)

إن الصحوة الإسلامية تضع كل المطروحات والمذاهب والفلسفات الوافدة موضع النظر والنقد في ضوء الإسلام نفسه بمفهومه للأصيل الجامع : التوحيد والعدل الاجتماعي والأخاء البشري وبمضمونه الرباني والإنساني والعلوي .

بل أنه يمكن القول أن الصحوة الإسلامية تعني النظر في الفكر البشري في ضوء الإسلام ، دون متابعة له أو تبعية أو ولاء كما كان في المرحلة السابقة فالصحوة الإسلامية هي بمثابة إرتقاء إلى مرحلة الأصالة والرشد الفكري وتطور من خلال حركة اليقظة الإسلامية ، التي بدأت منذ وقت طويل خلال القرن الرابع عشر وما قبله ، وأن هذه علامة أساسية وصحيحة لفهم محرر من الولاة أو التبعية أو الخضوع لفكر يختلف ويتعارض مع قيم الإسلام ، وأنه عودة إلى المنابع والأصالة .

ومن رؤيا كثير من الباحثين المسلمين نجد وضوح النظرة وسلامة الواجهة .

أولا : الإسلام هو البديل الحضارة بلا قلب ، يقول الدكتور رشدي فكار :

لقد اتبعت الإسلام كيتار كوفى فرض عليه أن يواجه نظريات وضعيه تسود العالم الآن والذي لا شك فيه أن الغلبة ستكون للإسلام بمثله وقيمه ونظرياته ، أننا نعيش فى ظل حضارة مادية بلا قلب ولا عاطفة أو مشاعر أو روح ولا بد من بديل لهذه الحضارة ولا يدبل لها يأخذ بطياتها ويستبعد سيئاتها ويستكمل ما فيها من نقص سوى الإسلام .

وقد جاءت حضارة الغرب يشقيها الليبرالى والماركسى المتسلطه حاليا على الكون كرد فعل انطلق فى البداية كتحفظ للحد من التيار الروحى ليتحول إلى نقد لها وتحول النقد إلى تفنيد وأعراض ورفض لتطرح فى القرن التاسع عشر البدائل فى شكل مدارس (وضعية تطورية ودارويه وماركسية) واستمر المسلسل حتى البنىة الوضعية وكلها مدارس جاءت كبدائل متمركزة حول حوار الإنسان بدلا من حوار السماء ، ولا يمكن أن تنكر ما أعطته الحضارة الغربية بشقيها أزاء مظهر الإنسان الغربى ورفاهيته وإذا كان الغرب خلال ألف سنة قد جسد الخطيئة فى شكل واع أو غير واع فى التيار الروحى اللاهوتى وتفجرت فى حضارة الغرب الحديثة من خلال مواجهته فالعكس صحيح بالنسبة لنا فى الإسلام .

ألف عام من الظلمات لديهم يقابلها ألف عام من الإشراق لدينا ، عندما كانت رؤية الإسلام خفاقة عبر هذه العصور كان إشراق العلم وتحرك العقل وإبداع الفنون من أجل ذلك يتحرك الإسلام يلا عقد تاريخية ، أو تجسيد لإدانة أو خطيئة — أن نجاح الصحو الإسلامية مرتبطة ببناء الإنسان القادر على تطبيق مبادئ الإسلام — أن ربط القول بالعمل أساس قوة الإسلام والتخلى عنه هو أساس هزيمة الحضارة الغربية (كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون) والسؤال الآن : هل يستطيع الإسلام بمبادئه ونظرياته إستيعاب متطلبات السلم المتطلع ، أن ذلك يتوقف على سلوك المسلم تجاه هذه المبادئ السياسية الخالدة ، ذلك أن المبادئ الأساسية التى جاء بها الإسلام لإنقاذ الإنسان وتحقيق التعامل والتوازن له فى داخل ذاته بين هو جسد ونفس وروح والتعامل مع عالمه الخارجى كأسرة وجماعات وطبقات مجتمع وبين ما هو تطبيقى بشرى — أن تصور التطبيق هو من

البشر ، أما المبادئ الإسلامية فهي مبادئ وأسس خالدة لا تذهب فقط إلى حد القول بأنه بمجرد الصلاحية يل يذهب إلى أبعد من ذلك فنقول : أنه لا صلاحية بدونها لإتخاذ الكون .

ويؤكد الأستاذ محمود فطام : أن المستقبل للإسلام على الصعيد الداخلي والعالمي ويؤكد أن فساد الحضارة الغربية هو العامل الأكبر، أن إفلاس الحضارة الغربية القائمة على الرأسمالية الليبرالية التي تضحي بالجماعة والمجتمع مقابل الفرد والتي قسمت المجتمع إلى طبقتين متميزتين لا ثالث لهما : البرجوازية والفقيرة . وما ترتب على ذلك من صراع طبقي وحقد إجتماعي ترسب على الأيام نتيجة احتكارية البرجوازية لكافة المقدرات الحياتية لجميع أبناء الشعب بما فيهم الفقراء وما يخوض فيها من قيم مادية متعفنة وملتصقات مادية إتخذت الإجرام والإدمان على المخدرات والهوس والشذوذ الجنسي طريقا لها تحت ستار جماعات متعددة الأسماء والمسميات للجماعة الهيئية والباكر وهاري كريشنا وجماعات السلاسل الحديدية والبتلوما أدى بالتالي إلى أزمة قيم وأزمة ضمير حارهن تنتهي قبل أن تفلح الأخضر واليابس في المجتمع الغربي .

(ثانيا) الشيوعية والإلحاد تراجع حتى في أقوى معاقلها عن العديد من المبادئ والمنطلقات التي إعتبرت أساسية في فلسفتها كما حصل في روسيا حين تحول شعار ديكتاتورية البروليتاريا إلى شعار ديكتاتورية الحزب والرجل الواحد منذ عهد ستالين إلى عهد برجنيف وديكتاتورية العشرة والعائلة الواحدة ، أما الثورات المضادة في كل من تشكو سلوفاكيا والمجر فقد قمت بالحديد والنار والعنف الدموي .

(ثا) زيف وتراجع المذاهب والتيارات القومية التي روج لها الأعداء والاستعمار بشكليه القديم والحديث ، فالقومية التي نوه المروجون لها أنها توحد العرب وتجعلهم أمة واحدة وتعيد للعرب مجدهم التليد فإذا بها تنكسر الإقليمية وتتجزئة التي خلقها الاستعمار وما برح دعاة القومية يقصرون نضالهم وكفاحهم ضد الاستعمار والامبريالية والصهيونية من خلال التمسك بكراسي الحكم حتى الرمح الأخير في حياهم .

(رابعاً) صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان ونظرة الدائمة الشاملة لكافة المناحي الحياتية وثباته في نهاية المطاف كدين ومنهج حياة متكامل من خلال الصراع الطويل مع المذاهب والأيديولوجيات الأخرى من خلال مسيرة التطور الاجتماعي التي ستفرض البقاء للأصلح والأقوى والأنسب والأقدر على التكيف وقد جرب المسلمون الديمقراطية الغربية فأخفقوا في الوصول إلى استقرار سياسي وسلام اجتماعي ورخاء اقتصادي ، ثم لجأوا إلى الاشتراكية تعويضاً عن فشلهم في تجربة الديمقراطية الغربية دون أن ينتهوا إلى نتيجة تضمن لهم ما يتطلعون إليه من كفاية وعدالة ومساواة وتكافؤ الفرص وقضاء على الفوارق ومحو الطبقات كما كانت في البلاد الإسلامية تجارب شتى شرقية وغربية ، مدنية وعسكرية متطرفة ومعتدلة يسارية ويمينية ، فلم يبلغوا شأواً ولم ينالوا حظاً من التفوق ولم يزدادوا إلا انحرافاً وزياعاً عن الصراط المستقيم .

(خامساً) عودة الناس إلى الله عز وجل بعد خوضهم غمار تجارب عديدة في الإلحاد والإباحة والفوضى وإفئاع البشرية الراسخ أن السبيل الوحيد للقضاء بالفراغ والعلاج الناجح لأمراض العصر تكون من خلال الإيمان بالله الذي يؤدي إلى السكينة والطمأنينة .

(سادساً) الحتمية التاريخية والجدلية للإسلام ، وذلك قوله صلى الله عليه وسلم : ليلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين يعز عزيراً ويذل ذليلاً ، عزاً يعز الله به الإسلام وذللاً يذل به الكفر .

(٢)

لا بد من تأصيل ، الصحوة الإسلامية ، وترشيدها

لنمضي على طريق الله تبارك وتعالى

لم تعد ظاهرة ، الصحوة الإسلامية ، موضع الشك أو الارتياب ، فقد أكدت الأبحاث التي جرت سواء من المنصفين أو غيرهم أنها حقيقة واقعة لها وجودها القائم والثابت ، ولها حركيتها المستمرة للانتقال من مرحلة اليقظة إلى مرحلة النهضة . وأن تستطيع أن تؤثر فعلا في بنية المجتمع الإسلامى بالتغيير نحو الاصاله والرشد الفكرى والخروج من دائرة التنظير ومواجهة الشبهات بعد الكشف عنها وهذه مرحلة استغرقت من عمر المجتمع الإسلامى العقود الأخيرة من القرن الرابع عشر ، والمعتقد أنها وصلت إلى غايتها وأن هناك (رأى إسلامى عام) قد تنور وتفهم مؤامرة التغريب ومخططاتها من الغزو النقاى إلى الشعوبية عن طريق الاستشراق والتبشير .

(٢) ولقد تبين بما كشفت عنه حركة اليقظة الإسلامية أن هناك خطة مدبرة لتأخير إمتلاك المسلمين لإرادتهم واستئناف حضارتهم واقتعاد مكانهم الحقيقى فى العالم المعاصر فى وقت هم يمتلكون فيه عوامل القوة القادرة على انبعاث وجودهم وتحورهم الكامل وهى الطاقة والثروة والنفوق البشرى .

ولقد بدأت محاولة حجب المسلمين عن إمتلاك إرادتهم منذ وقت بعيد ، منذ تبين للغرب أن حضارته القائمة الآن هى على طريق الانهيار وأن مصيرها سوف يكون أشبه بمصير الحضارة الرومانية التى دمرها الترف والانحلال والفساد

الأخلاق والاعراف عن طريق الله والاستعلاء المغرور بامتلاك القوة ومن ثم عهد دهاقنة النفوذ الغربي إلى العمل على تأخير تسليم أمانة القيادة العالمية إلى أصحاب الحق فيها ، الذين يمثلون منهاج رابانيا أصيلا ، قدم للبشرية خلال ألف سنة أشواق الروح ومطالب المادة في توازن واعتدال وتكامل في دورة حضارية لا تزال آثارها قائمة وواضحة بالرغم من كل محاولات المغالطة والتزييف التي تحاول أن تنكر دور الإسلام في بناء مناهج الحضارة الإنسانية والمنهج التجريبي ومنهج المعرفة ذي الجناحين والكشف عن نواميس الكون والمجتمعات والحضارات على النحو الذي إنطلق لأول مرة من آيات القرآن الكريم الذي دعا إلى النظر والبرهان .

• قل انظروا ماذا في السموات والأرض ، .

• قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ، .

(٣) ولقد تبينت اليوم في شأن الإسلام وحضارته حقيقتان لا يستطيع أن ينكرهما إلا جاهل أو خافل :

الحقيقة الأولى : أن الإسلام هو الذي قدم للبشرية (منهج العلم والمعرفة) على أصوله الأصلية التي تؤمن بأن الله تبارك وتعالى هو مالك هذا الكون ومسيره وواضع نواميسه وأنه جل شأنه هو القادر على خرق هذه النواميس متى شاءت إرادته وأن هذا المنهج الرباني جامع بين الروح والجسد والعلم والدين وبين الدين والدولة وبين عالم الغيب وعالم الشهادة وبين الدنيا والآخرة ، وهو الذي أعطى الإنسان إرادته الحرة والمسئولية والتزامه الأخلاقي ومنطقه للسعى في الأرض وتعميرها لحساب الله ابارك وتعالى وليس لحسابه الخاص وهو الذي وجهه إلى أن هناك بعثا وجزاء أخرويا بعد البعث على هذا العمل الذي تم في الحياة الدنيا وأن كل إنسان آت يوم القيامة فردا مسئولاً عن عمله وحده وأنه ليس هناك جبرية تضع المسئولية على المجتمع ككل .

الحقيقة الثانية : أن الإسلام هو الذي نقل الغرب من الرهبانية والاساطير

والخرافات إلى التوحيد ونقل الأمم من عبادة القيصر الإله أو الفرعون الإله ،
أو عبادة الفرد بسرفة عامة إلى عبادة الله الواحد القهار ، وأن الحضارة الإسلامية
إنما هي إرتفاع بالإنسان عن عبادة غير الله أو الخضوع لأي مخلوق كان ، وأن
البشرية كلها تدخل في أخوة حقيقية ، وأن ثروتها ملك لها جميعها ، وأنه ليس
لأمة أن تستعمل بالجنس أو الدم أو العرق . فقد دعا الإسلام العنصرية والتفاخر
بالآباء والمغالاة في التعصب للقوم أو الدين ، وأن الله تبارك وتعالى خلق الناس
أعما وقبائل ليتعارفوا ، ويجرى هذا كله في إطار حرية الرأي والعقيدة (لا إكراه
في الدين) ومساواة الناس جميعا أسودهم وأبيضهم وقيام العدل الاجتماعي الذي
يشمل المسلم وغير المسلم .

(٤) وبذلك وضع الإسلام تاريخ البشرية كله قبل الإسلام في خانة التمهيد
للدعوة الخاتمة إلى أخرجت البشرية من طفولتها وهدتها إلى طريق الرشده ، ولقد
جاءت هذه الرسالة للبشرية كافة ، لينقلها إلى الإنسانية وتحررها من كل عوامل
الوثنية والمادية والإباحية والعصية .

ومن ثم فإن هذه الدعوة التي أشرق نورها منذ أربعة عشر قرنا ما تزال
تشكل طريقها لتحرر البشرية من قيودها وأغلالها وقد استطاعت أن تحقق
خطوات واسعة منذ سطع نور الإسلام في كل أرض ودخل كل حي ، وعلا اسم
الله تبارك وتعالى في كل أفق .

(٥) وما تزال هذه القوى المأمرة التي تحمل لواء الأيدلوجيات تحاول أن
تثبت وجودها وتأخر الإسلام ، عن سعيه وتقف في وجه طريقه ، بأن تفقد
مفاهيم الإسلام نفسها في نظر أهلها وذلك بعزلهم عنها واحتوائهم في نظم
ومذاهب لا تحق لهم إلا العبودية ، وتحجب عنهم شريعتهم وتفرض عليهم نظاما
اقتصاديا ريويا ومنهجا تعليميا علمانيا ونحول بينهم وبين النظام الذي عرفوه
وطبقوه خلال تلك القرون لم يتقطعوا عنه إلا منذ فرض النفوذ الاجنبي نفوذه
على العالم الإسلامي منذ مائة وخمسين عاما ، وهم حين يحولون بين المسلمين وبين
منهجهم الأصلي إنما يؤخرون المرحلة التالية لإقامة المجتمع الإسلامي ، وهي

مرحلة تبليغ الإسلام للعالمين ، وهم يسدون الطريق أمام وصول مفهوم الإسلام إلى البشرية بدعوى أن المسلمين شهود اليوم على الإسلام وأن تخلفهم وضعفهم وتمرفهم ، مما يرجع إلى الإسلام وهي دعوى باطلة فإن الإسلام محجوب في هذا العصر بالمسلمين ، وأن التجارب التي يعيشها المسلمون على مدى تاريخهم هي شيء يختلف عن منهج الإسلام الرباني الصحيح ، وقد يسعى المسلمون إلى تطبيقه فينجحون في ذلك أو يفشلون ، ولكن وجودهم المعاصر لا يمثل حقيقة الإسلام ، ومن ثم فهم يحددون النفوس الغربية المشوقة إلى التماس منهج الإسلام بادعاء أن واقع المسلمين الآن هو من الإسلام ، وهم يراوغون في رد هذه الاشواق المطلقة في نفوس الغربيين إلى تجربة جديدة بعد فشل تجربتهم خلال ثلاثة قرون بين ديمقراطية وإمبريالية وإشراكية وماركسية ، دون أن يتحقق لهم ذلك المثل الذي يقدم سعادة المجتمع ، فإنهم يسعون إلى تزييف مفهوم الإسلام ، على النحو الذي يقوم به دعاة الحوار الذين يحارلون خداع الأمم بالقول بأنه لا توجد بين الإسلام والأديان الأخرى خلافات عميقة ، بينما الحقيقة غير ذلك وأن الإسلام بمفهومه الاصيل من التوحيد والعدل الاجتماعي والأخاء الإنساني يختلف كثيراً عن مفهوم التعدد والظلم الاجتماعي والاستعلاء بالعنصر واللون في مجتمع الغرب .

(٦) لقد عرف أساطين الغرب منذ وقت بعيد أن البشرية لن نجد طريقها الصحيح إلا باعتماد الإسلام ، وهذه صيحة رناردشو منذ أكثر من سبعين سنة وهو الذي تنبأ أن أوروبا سوف تقتن الإسلام خلال مائة عام ولو بغير اسمه . وحين ننظر الآن نجد أمثال جارودي وبوكاي وهم من أعلام الفكر الغربي يسلمون ويتركون دينهم وبما لهم الحيوى السياسى والاجتماعى فى الأيدولوجيتين الغربية والماركسية تعرف بح كيف أن الإسلام هو المفناح الذى لا يستطيع غيره حل هذه المعضلات لمعة المتشابكة والمضطربة فى الحضارة الغربية بوثيقتها وربوبيتها وعدانيها وانحلالها وخروجها عن حكم الله وطريق الله واندفاعها فى طريق الخطأ والانحراف وانزلق الذى أوصلها إلى حافة الهاوية .

ولقد كان إيمان جارودي وبوكاي صفقة شديدة لؤلاء الغربيين من المسلمين الذين مازالوا متأدريين فى غيهم وباطلهم وخداعهم بالدفاع عن الفكر الغربى

والحضارة الغربية ، بينما يخادر السفينة الغارقة أولئك الذين أضاء لهم الإيمان طريق التحرر بينما يجب هؤلاء المسلمون اسما ويسقطون في دائرة الاختواء ، ويشككون أهليهم المسلمين في حقيقة عقيدتهم ويفشونهم بالنصح لهم بالتفر إلى السفينة الغارقة .

(٧) أن النقطة الحقيقية التي يجب أن تواجهها الصحوة الإسلامية هي إفلاس الحضارة الغربية وتطلع الغربيين أنفسهم إلى نظام جديد غير النظام الرأسمالي والربوي والماركسي ، وأن هذا النظام الجديد لن يكون في الحقيقة إذا سلت النوايا غير الإسلام فهو وحده القادر على إعادة البشرية إلى طريق الله ، ولكن هناك (التلودية) التي تحاول أن تشكك الغرب في الإسلام وأهل الإسلام ، بشبهات وشكوك ، هي بعيدة تماما عن تاريخ الإسلام عن جوهر عقيدته فما كان الإسلام يوما دين انتقام أو هدم أو تدمير أو سيطرة ولكنه هو دين الرحمة والاخاء ، ولو تكشف الحقائق أمام أهل الغرب كما تكشف لبوكاي وجارودي لاشرق الأفق بالضياء وأشرقت شمس الله على الغرب ، وعرف المصلحون أن هذا هو الطريق . ونحن هنا في عالم الإسلام في حاجة لأن مهد لهذا الآفاق الجديدة لأن نتحرر تماما من التبعية للحضارة الغربية والتفوذ الغربي بشقيه وأن توجه نمار ثرواتنا إلى بناء الحضارة الإسلامية الجديدة ، وبناء قوتنا الذاتية في مجال التجارة والاقتصاد والصناعات الكبرى وأن نتحرر من حاجتنا إلى إستيراد الطعام من الغرب وأن نملك القدرة على الاكتفاء الذاتي في هذا المجال . وأن نقيم المجتمع الإسلامي على الشريعة الإسلامية والاقتصاد الإسلامي غير الربوي وأن تكون نقطة البداية الحقيقية هي : إقامة نظام التربية الإسلامية بدلا لنظام التسليم الطائفي الوافد وأن يتطهر المجتمع الإسلامي من ويلات الشهوات الفارقة عليه والتي يراد بها تدمير الأجيال حتى لا تكون قادرة على حمل أمانة الحضارة أو حماية الوجود الإسلامي نفسه في أرض الإسلام ، ولابد من بناء الشخصية الإسلامية على القوة والاستعداد لمواجهة الأخطار والتحرر من النفوذ الصهيوني وتحرير القدس وفلسطين بالأساس منهج الإسلام في العمل السياسي فهو الطريق الوحيد بدد تعمر الجتارب التي تمت حتى الآن والتي أخرجت قضية فلسطين من نظامها

الإسلامي الأصيل وحصرها في المجال السياسي العربي المحدود .

ولا بد أن يفتح المسلمون للوحدة الإسلامية جغرافيا كما يفتحون للنهج الإسلامي اجتماعيا ، فقد كانت دعاوى القومية والإقليمية هي السكين الذي ذبح به العالم الإسلامي ومزق إلى عتصريات تستشرف تاريخها القديم الجاهل السابق للإسلام كالفرعونية والفينيقية والبابلية مما قصو عليها الإسلام من بعد ، لقد كانت مؤامرة ، القومية ، محارلة إستراتيجية صهيونية لإشاعة روح التمزق في العالم الإسلامي الموحد . وكان إسقاط الخلافة الإسلامية منطلقا لهذا العمل الخطير الذي لم يدين المسلمون مدى خطورته إلا بعد وقت طويل .

كذلك فقد آن الأوان للعقيدة الإسلامية أن تتحرر من إستعباد الثقافات الغربية وتصبح مادسته الشعبية في تاريخ للعرب والإسلام من سموم ، وتصبح مفاهيم الأخلاق والنفس والاجتماع التي طرحتها نظريات دارون وفرويد وماركس ، لقد كشفت أبحاث الغرب نفسه عن سقوط هذه النظريات التي لم تكن حقائق علمية وإنما كانت فروضا معرضة للخطأ والصواب ، وقد اعتورهما النقص والفساد وامتزق بعد سنوات قليلة من وضعها موضع التجربة والتطبيق في الغرب ، فمن الخطأ أن تدرسها مدارسنا على أنها حقائق علمية ، ولا بد من أن يعرف جيدا أن للإسلام في كل هذه المجالات والعلوم نظرة ومنهج ومفهوم أصيلا لسانمه في حاجة إلى أن نستعير أو نقتبس تجربة الغير التي تبين أنها ليست صالحة له فكيف نغيره من المجتمعات .

أن للإسلام مفاهيم أصيلة في النفس والأخلاق والاجتماع والتربية ، وله مفاهيم في الفن والأدب وله مفاهيم في المرأة والأسرة والعادات والملابس .

كذلك فإن علينا أن ننظر في حذر إلى المصطلحات الغربية ، هذه الكلمات التي لا يمكن فصلها عن ملابسها العسكرية التي ترمي إليها ولا يمكن نقلها كما نقل ألفاظ المخترعات والعلوم ، كذلك فإننا لا نقبل الاتجاه العسكري الواهب الخطير الذي يريد أن يخضع نصوص القرآن ونصوص السنة إلى النظريات العلمية التي يتكشّف أمام المحاولات الإنسانية بين الحين والحين .

كذلك فإننا يجب أن نقاوم تلك الدعوة الموجبة للمسلمين في هذه المرحلة ،
وعلى الدعوة إلى بث روح الاستسلام والسلبية والهروب من تكاليف السعى
في الحياة ، لا تقبل الدعوة المسمومة إلى التراخي والتحلل والبحث عن النجاة
الكاذبة في برامج وافسدة كبرامج اليوجا والمسرحيات المنحرفة ، أو الأفلام
الجنسية وأفلام الجريمة .

كذلك فتح ندعو إلى النظر إلى ما وراء النصوص والكتابات ، ندعو إلى
التفكير مع الأصالة ، ونطالب بتأصيل كل شيء ، تأصيل للفنون ، الآداب ، العلوم ،
الدراسات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وذلك حتى تتحرر الشخصية
الإسلامية من التبعية بكل صورها وألوانها وأشكالها وحتى تعبر إلى الرشد الفكري
والأصالة وتكون قادرة على إمتلاك الإرادة وإقامة المجتمع الرباني مقدمة لتبليغ
رسالة الإسلام إلى العالمين ، وهذا في نظري هو المدخل إلى دراسة الصحوة
الإسلامية .

الصَّحْوَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ

أولاً : هل الصحوة الإسلامية أصيلة الوجه عميقة الجذور .

ثانياً : عالم الإسلام في مطلع القرن .

ثالثاً : حوار الإسلام والغرب .

رابعاً : نظرية التكيف مع حاجات العصر .

خامساً : على طريق الأصالة والرشد الفكري .

سادساً : إعداد الجيل الرائد .

سابعاً : حقائق ثلاث أمام الشباب المسلم .

Handwritten text, likely bleed-through from the reverse side of the page. The text is arranged in several lines and is mostly illegible due to fading and the quality of the scan. Some faint words like "The" and "and" are visible.

أولا

هل الصحوة الإسلامية : أصيلة الترجمة عميقة الجذور

عوامل كثيرة دفعت المفكرين والخبراء السياسيين في العالم كله إلى إعادة النظر في حضارة العالم الاسلامي ودراسة جوانبه المختلفة : الاجتماعية او السياسية والاقتصادية ، وذلك على اساس البحث عما إذا كانت الصوة الاسلامية التي يمر بها المسلمون الآن هي صحوة حقيقة أصلية الجذور ام انها وهم من الاوهام وتزعم هذه المحاولة إلى التعرف على (١) الجوانب التي يستطيع الغرب منها مواجهة هذه الصحوة والنفوذ إليها وتعرف الوسائل التي يتخذها للحيلولة دون امتلاكها ارادتها وضربها في الصميم (٢) الوسائل التي يتخذها الغرب كله (ديمقراطييه وماركسية وصهيونية) لمواجهة هذه الصحوة والقضاء عليها قبل أن تكتمل باجهاضا .

ومنذ قديم تحاول هذه القوى النظر بعين القلق إلى يقظة العالم الاسلامي والعمل على تعويقها ومحاصرتها ، وإشاعة الأكاذيب حول أصالتها والادعاء بأنها يريق خاطف لا يثبت امام الامتحان ، بل لقد بلغ الأمر ببعض المستشرقين في أواخر القرن التاسع عشر إلى القول بأن الاسلام لا يستطيع أن يعيش قرنا آخر وأنه مفكك منهار وعلى وشك السقوط ، وأن الحضارة الغربية والتبشير المسيحي قادران على إشاعة روح التحلل فيه وتمزيقه .

ولقد فكر النفوذ الغربي منذ وقت طويل في وضع البدائل التي تحول دون الأصالة وإقامة الحقيقت امام الخطوات المتصلة ، وكانت دراسته التحليلية العميقة قد كشفت له أن الاسلام لا بد أن يتحقق وجوده وإرادته في مجتمعه بعد أن سقطت التجربة الغربية ، ولذلك فقد تصافرت جهود خصوم الاسلام على وضع الخطط التي تعرفل هذه اليقظة ، وتحول منها وبين استكمال طريقها

ولقد كانت تحركات النفوذ الاجنبى فى السنوات الاخيرة بالغة العنف من أجل القضاء على بعض مظاهر القطة التى أخذت طريقها إلى تأكيد وجودها .

إن الغرب يحاول أن يفرض مفهوماً للإسلام مختلفاً عن مفهومها الحقيقى ، أن هناك محاولات يهودها جماعة من الكتاب المتغربين كلها تدور حول تزييف مفهوم الاسلام الاصيل الجامع ، بالاعتماد على نصوص مبتورة من هنا وهناك ، ترمى إلى إعادة الفكرة المسحوفة التى قدمها الشيخ على عبد الرازق فى القرن الماضى وكانت من صنع المستشرق اليهودى مرجليوث ، والتى استخدمت فى مؤامره اسقاط الخلافة الاسلامية وذلك بتزييف مفهوم الاسلام الاصيل الجامع بوصفه منهاج حياة ونظام مجتمع ، عودة إلى مفهوم الاسلام على أنه دين لاهوتى على النحو الذى عرفه الغرب عن المسيحية . ولقد قام الاستشراق الغربى أساساً على هذه الفكرة المسمومة ، ولا شك أنها من أهداف الاستشراق اليهودى والماركسى أيضاً ، ومن هنا نجى محاولات تعويق الخطوات التى تتمكن المسلمين من امتلاك ارادتهم واقامة المجتمع الامثل الذى لا يمكن أن يكون سليماً الا إذا قام على ضوابط الاسلام وحدوده وهى الخوف من الله تبارك وتعالى والالتزام بأوامره ، واجتناب نواهيه ، فهى الروادع الحقيقية التى تحول دون تقبل الحرام وهى الحوافز الحقيقية التى تدفع إلى تمحيص الحلال .

ولكن الغرب يعلم أن فى إقامة النظام الاسلامى خطر عليه ، كما أن إقامة هذا النظام من شأنه أن يعارض الاتجاه الرئوى الاستهلاكى المسرف المتدفع نحو الترف والامحلال وفى ذلك بوار للحضارة المادية التى تقوم على الكماليات ، والاباحيات والاتفاق فى مجالات الرزيلة والنفوذ الغربى يصير على أن يخضع المسلمون للحضارة الغربية ، وإن قبلوها على هذا الوضع المتحل الذى تمر به وأن يجعلوا من الفكر الاسلامى مبرراً لها تحت اسم المرونة وتبوير الواقع ، وقبول الرخص ومعنى هذا أن ينصهر المسلمون فى حضارة مادية إباحية وثنية ، وأن لا تقوم حضارتهم أبداً ، فهم إذا قبلوا النظام الاقتصادى الغربى من حيث الرأى والحضارة الاستهلاكية والاستعلاء بالثروة والعصر والنفوذ ، فإن

مفهومهم الاصيل للحضارة القائمة على وحدة البشرية والاعتراف الانسانية والعدل والرحمة تنتهي تماماً .
ولا ريب أن فكرة احتواء الفكر الاسلامي وصره في بوقه الانمي
والعالمية انما تهدف الى اسقاط ذلك التميز الخاص للحضارة الاسلامية الذي يقوم
على قواعد اساسية تختلف عن القواعد التي يعتمد عليها الغرب في بناء حضارته
ولذلك فان دعاوى الاقتباس من الغرب ودعاوى التحديث والمعاصرة والتجديد
انما ترمي في حقيقتها وفي أعماقها البعيدة الى ازالة ذلك التميز الواضح للفكر
الاسلامي والحضارة الاسلامية ، وارغام المسلمين وتذليلهم لقبول الواقع الان
والذي لا يمثل في الحقيقة طريقا اسلاميا صحيحا وانما يمثل استمرارا للتبعية الى
فرضها التفوز الغربي منذ سيطرته حين حطم الدعائم الثلاث التي كانت قائمة في
المجتمع الاسلامي قبل الاحتلال والسيطرة الغربية وهو حين حجب الشريعة
الاسلامية بفرض القانون الوضعي وحين فرض العلية بديلا للعقيدة الاسلامية
وحين فرض النظام الربوي بديلا للنظام الاقتصادي الاسلامي ، هذ الروايف
الثلاثة التي مازلت مستمرة ولم يتخلص منها المسلمون حتى اليوم ، والتي مازال
الغرب يعتبرها اساسا يبنى عليها المواقف المتجددة ، ومعنى قبول المسلمين لهذا
الواقع هو اقرار بالتبعية وكل ما يتصل بها في المجتمع وخاصة في المسائل المتصلة
بعلاقات الاسرة والمزاة وقضايا الشباب وعلاقات الزوجية وما يتصل بالجنس
والثقافة حيث تسيطر مفاهيم الانحلال والفرويدية والماركسية والوجودية
وغيرها فتخضع لها جماعات الشباب من الاجيال الجديدة التي يخشى أن تحط في
أتون التحلل والاستسلام للاباحيات الغربية والغرب يسعى الى احتواء هذه
الاجيال حتى تنصهر المجتمعات الاسلامية في بوتقة وتهاون بذلك يفقد المسلمون تميزهم
لواضع الذي أقامه الاسلام ومن ثم تعجز الاجيال الجديدة عن حمل رسالة
الاسلام الى العالمين وتبليغه الى الامم ، وهي الرسالة التي يكون المسلمون آمنون
جميعاً اذا لم يقوموا بها .

وان الحقيقة الوحيدة التي يمكن أن نقول باننا كسبناها نتيجة لما قامت به

بحركة اليقظة خلال القرون الرابع عشر هي سقوط الفكرة التي خدعنا بها في الماضي وهي القول بأننا كي نحارب الغرب يجب أن نسلح بأسلحته ، وأن السبيل الى الوصول الى حضارة الغرب وحرية هي اعتماد اسلوب العيش الغربي ومنهج السيامي والاجتماعي والاقتصادي. هذه الدعوى التي بثها طه حسين وسلامة موسى وحسين فوزي ، ومحمود عزمي وعلى عبدالرازق وعشرات من السفوديين المضللين ، هذه الدعوى قد سقطت الآن وتبين للمسلمين : عامة ومتقنين أنها كانت غشاشديد الخطورة ، خدع المسلمين حتى وقعوا في أسر الهزيمة والنكبة والنكسة خلال أكثر من خمسين عاما حتى أفاقوا على ضياع القدس ، وعندئذ علت الصيحة التي تقول : نكون أو لا نكون وبما يتصل بهذه الحقيقة أن التجربة الغربية التي أجراها المسلمون بتطبيق النظام اللبيري لم تحقق من النتائج الا قيام اسرائيل ، وأن التجربة المار كسيه قد أنهت بسقوط القدس ومن ثم فقد أعاد المسلمون حساباتهم من جديد ، وعلت صيحة العودة الى الله ، وتبين للمسلمين أن لا ملجأ من الله الا اليه ، وأن المقاييس الإسلامية وحدها هي التي تحقق النصر الإسلامي وان القيم الإسلامية وحدها هي التي تمكن المسلمين من استعادة مكانهم في الأرض وأن المبادئ الإسلامية هي وحدها بفتاح نصرهم وأقطابهم وتمكينهم ، وأن المبادئ الوافدة لا تستطيع أن تحقق لهم شيئا الا الهزيمة ، وأن الايمان بالله وحده والتسليم لله ببناء المجتمع الإسلامي القرافي هي التي تمكن المسلمين من امتلاك ارادتهم ، ولأن عليهم وقد أتاها الله تبارك وتعالى الطاقة والقوة المادية والتفوق البشري أن يقيموا مجتمعاً وفاقاً المعندر ، يقوم على أحدث وسائل العلم والتكنولوجيا ، وأن تكون وجهة الله ، حتى ترى البشرية ذلك النموذج الاصيل من الحضارة الإنسانية الوحيدة التي تسوى بين الناس وتجعل خيرات الأرض لكل أهلها .

لقد أصبح الافق اليوم أكثر وضوحاً ، والرؤية أعمق ظهوراً :

فقد كشفت كل الزيف التي خدعنا بها أطروحات اليهودية التلمودية في مجال علوم النفس والاجتماع والأخلاق وأطروحات المار كسية

في مجال الاقتصاد والاجتماع ، وأطروحات الغرب الرسالية والبرالية ، وتكشفت سموم العلانية والأفلية والقوميات ، وكلها ترمى الى القضاء على الوحدة الإسلامية الفكرية التي بناها القرآن الكريم ، والتي هي مقدمة للوحدة الإسلامية الجامعة .

لقد قدم التغريب سموماً كثيرة لمجتمعنا وأبنائنا سرت في صميم الفكر الإسلامي المعروضة الآن تحت أسم الفكر القومي والوطني والسياسي والاجتماعي واصبحت كالمسلمات من طول ترديدها وخفي على الكثيرين كشف زيفها بل أصبحت هناك مجموعة من التغريبيين تحت اسم الإسلام نفسه تدافع عنها وتتصدى لمن يعارضها ونحن الآن في حاجة الى تخلص الجوهر الحر من هذا الركام الأسود وتنقية الأديم الكريم من الظلمات الداجيات وهذه هي مهمة الدماء إلى الله في هذا العصر ، ان يعيدوا للإسلام مفهومه الاصيل المستمد من القرآن والسنة : والمفهوم الرباني الذي بناه أولئك الذي حلوا الأمانة على مدى العصور ، لم يتخلفوا ولم يتوقفوا ولم يتراجعوا أولئك صبروا ورابطوا وإثقوا الله .

وانها لمهمة صعبة بالغة الصعوبة ولكنها ضرورة ملحة ، حتى يبرز الجوهر النضير صافيا براقا متألعا ، وحتى تستمر الرسالة الخالدة قائمة ومتمدة الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ثانياً

عالم الإسلام في مطلع القرن

يقسم العالم الإسلامي في مطلع القرن الخامس عشر بمظاهر حيوية متعددة تلتقي الضوء على الطريق الذي سوف يسلكه في القرن الجديد وهي في مجموعها ظواهر تختلف اختلافاً واضحاً عن مثلها في مطلع القرن الرابع عشر فقد تكشفت سحب كثيرة عن سمائه ، ونمت مجموعات كثيرة وخرجت القافلة من تلك الظلمات السكينة التي كانت تلفها ، فقد تحررت من كثير من الطواغيع التي كانت تدفعها معصومة العينين وراء بريق الحضارة الغربية وخلف تبعيه حافدة ظالمه ، لقد تكشفت غشاوات كثيرة وبدأ طابع جديد من الرشد والأصالة والتماس المنابع .. فقد كانت تلك أمانة الدعوة إلى الله خلال القرن الماضي ، ويطلع هذا القرن والمسلمون هم ألف مليون بمعدل ربع سكان السكوكب وفهم ثمان وأربعون دولة مستقلة تضم نحواً من ٦٠٠ مليون نسمة ، مع اثنتي عشرة دولة أخرى يبلغ عدد المسلمين فيها نحو ٧٧ مليوناً إلى جانب المسلمين المنتشرين في قارات العالم الخمس على هيئة أقليات تبلغ زهاء ٣٠٠ مليون منها ٩٣ مليوناً يعيشون في الصين الشيوعية ، ٦٩ مليوناً في الهند ، ٦٧ مليوناً في جمهوريات الاتحاد السوفيتي .

ويشكل العالم الإسلامي في معظمة كتلة متصلة البنيان تمثل قارة وسطى بين أفريقيا وآسيا وتحتل أمة وسطى من حيث الجغرافيا والمناخ والثروات وقد جمع الحق تبارك وتعالى للمسلمين ثلاث ميزات واضحة الآن وضوحاً كبيراً أو ستكون بعيدة الأثر في حركة النمو والتطور خلال القرن الخامس عشر وهي : الثروة ، والطاقة ، التفوق البشري .

وهناك اهتمام الإسلام السلمي في أوروبا وأمريكا وتوسع الإسلام في أفريقيا التي ينتظر أن تكون قارة إسلامية في وقت قريب ، وفي عشرات المواقع في العالم يتمدد الإسلام وينتشر في الأمريكتين وأستراليا وفي عديد من الجزر والحلجان .

ولا يزال الإسلام محاصراً بقوتين خطيرتين هي قوة الغرب الرأسمالية المسيحية وقوة السوفيت الماركسية . وهناك محاصرات أخرى منها محاصرة الهندوكية والبوذية في الشرق .

ويجوز العالم الإسلامي عملية تصفية واسعة للتحرر من الأيدولوجيتين الرأسمالية والماركسية ، بعد أن حطت تجربة التطبيق خلال القرن الرابع عشر نتيجة ناصعه ، هي عدم موافقة هذه المذاهب الروح الإسلامية التي صنعها الإسلام خلال أربع عشر قرناً ، وإن هذه التجربة تدفع المسلمين اليوم نحو وجهة واضحة واحدة هي التماس منهج القرآن الذي يستطيع الإسعاجاة للأشواق النفسية للمسلمين .

كما تتقارب المجموعات الإسلامية وتحرر حيثاً من خلافاتها السياسية لتلتقي على الأصول الإسلامية وتلتاق في مواجهة أخطار النفوذ الأجنبي .

وتعد قضية تحرير فلسطين هي القضية الأولى والأساسية المقدمة على كل القضايا ويتجه العالم الإسلامي نحو أسلة هذه القضية وعدم حصرها في العرب ، وإحياء روح الجهاد في سبيل الله لاسترداد القدس وبناء المجتمع الإسلامي على أساس النظام الإسلامي وتطبيق الشريعة الإسلامية وإقامة نظاماً اقتصادياً إسلامياً ولاتزال خطوات في سبيل أنفاذ منهج التربية الإسلامية بديلاً للنظام العلماني السائد في كثير من البلاد الإسلامية .

وهناك قضايا متعددة تتعلق بالمسلمين في مناطق كثيرة كالجولا والفلبين وتايلاند .

وتتجه الجهود نحو تحقيق الهدف الإسلامي الأكبر وهو التضامن الإسلامي الذي لا شك أنه خطا خطوات واسعة ، وبقي أن تقوم الجامعة الإسلامية التي تلتق في بناء الحضارة الإسلامية في إطار علمي وتكنولوجي جديد يمثل مفهوم الإسلام في إقامة الحضارة على أساس الرحمة والعدل والإخاء الانساني .

وبذلك تقدم للعالم الإسلامي نموذجاً جديداً للبشرية يمثل مجتمعاً ربابياً أصيلاً ويتطلب هذا التماس مفهوم الإسلام الأصيل ، وأن تكون اللغة العربية هي اللغة

لجامعه بين المسلمين في أنحاء العالم وأقام اقتصاد إسلامي صحيح ، وسوق إسلامية مشتركة وصناعه عسكرية ثقيلة لحماية ثغور الإسلام .

وما يزال الإسلام بافتحامه السلبى مؤملاً فى توسيع دائرته فى أجزاء أخرى من الكوكب وفى إعلاء كلمة الله لا اله الا الله فى مناطق مجهولة بعيدة من الحواضر المعروفة ، ويرجع ذلك الى طبيعة الإسلام المتصلة بالفطرة الانسانية والبعيدة عن تعقيدات الفلسفات وشروح اللاهوت ومفاهيم التعدد والتثليث وما تزال كشاف العلم الحديث تقدم للإسلام مدداً جديداً من القوة وتحطيم حواجز جديدة كانت ولا تزال تحول بين كثير من العقول القلوب فى عالم الغرب وبين الإسلام ، فإن مفهوم العلم قد هاجم بشدة نظرية (اطفأ مصباح عقلك وآمن) أو (إعتقد ثم أبحث) وقد كان المنهج الإسلامى للمعرفة التى صنعها أهل الحديث وطبقة الغريبيون وما زالوا هو المنهج الذى يتحكم فى فحص الكتب القديمة والكشف عن مصادرها الحقيقية وعما اذا كانت هى حقيقة منزلة من السماء أم مكتوبة بايدى الأحبار والرهبان والعلم الحديث الآن فى عشرات من أبحاث العلماء المتخصصين غير المنحازين أعلن أن الكتب القديمة متعارضة مع توأميس الكون التى أكتشفت وأن ما تجوبه من نصوص يختلف تماماً مع ما يثبتته العلم : بعكس القرآن الكريم الذى يكشف العلم كل يوم حقيقة جديدة لا تتعارض مع القرآن بل يؤيدها الإسلام .

ولا تزال ظاهرة المد الإسلامى المتصاعد : عددياً فى قارات مختلفة متوازياً مع مد آخر معنوياً فى البحث عن الإسلام بوصفه منقذ البشرية اليوم من هذه الأيدولوجيات التى لم تستطع خلال أكثر من أربعة قرون أن تمنح الإنسان أشواقه الروحية ، وأن أمده بشئ كثير من الترف المادى الذى لم يحقق له التوازن الحقيقى بين الروح والمادة ، والذى دفعه الى التدمير والغربة والتحلل عندما تجد النفس الانسانية قدرتها المادية بعد أوقت على الغاية فيما يجد الفكر والظلمة فى مخبراتها الروحية

ولقد فشلت الحضارة الغربية خلال تطبيقاتها فى القرون الماضية وحتى اليوم ، حين أسرفت أسرافاً شديداً فى تبديد الثروة البشرية فى سبيل الاستهلاك والترف وخين وجهت انتاجها الصناعى الى القنبلة الذرية والقنبلة الهدروجية فأعلنت

مشاعر الخوف والاضطراب وحين جعلت الثروات العالمية في يد فئة قليلة حيث أسرفت بغض الأمم في الحصول على الجانب الأكبر منها بينما عاش أغلب العالم على الفتات .

ومن شأن حضارة على هذا النحو ، أن تغلب الاباحة على الاخلاق ، والشر على الخير ، والظلم على العدل ، أن تنهار وتنطوى وأن طال بها زمن ، ولا بد أن يكون بديلها حضارة التوحيد التي تقم موازين العدل والخلق والرحمة والاخاء البشرى .

هذه هي مطالع القرن الخامس عشر التي ستفصل المحيط الأبيض من المحيط الأسود من الفجر وستكشف فيه الحضارة الاسلامية عن أصالتها وربانيتها وأنها ليست عدوانية أو ظالمة أو طاغية ، وأن كل تلك الحملات التي توجه الى المد الاسلامي اليوم هي حملات مغرضه تدفع اليها الصهيونية التي تعرص الغرب على النهضة الاسلامية ، لتحول دون قيام كفة الاسلام في أرضه .

ولقد قرأنا أخبرنا من كتابات المنصفين في الغرب من يتطلعون الى افاق جديدة ومن يرون أن الاسلام يستطيع أن يقدم للبشرية هذه الآفاق ، ومن يؤمنون بأن الاسلام ليس عدوآسيا ولاطاغيا وأنه رحمة مهداة وأصدق دليل على ذلك ما زاه من أقبال ملايين الأوروبيين المثقفين ، — فضلا عن الآفارقة والاسيويين — على اعتناق الاسلام وأنه مما حاولت حملات الغرب المغرضه تشويه صورة الاسلام فإن الاسلام ما يزال صفحة بيضاء ، وما يزال تاريخه ناصعا ، وما تزال مواضع مع الصليبيين الغزاة الذين عبروا خلال مائتي عام لم يتوقفوا عن الغزو ، ما تزال مواضع الرحمة والكرامة والفضل ، تلك الصور التي عرفها الغرب عن صلاح الدين ما تزال مبشورة في كتيبه .

وقد أصبح العالم يعرف أن تلك الحملات التي بشنها الفكر الاستشراقى سواء اليهودى أو الماركسى أو الغربي المسيحي إنما يستمد أخطائه وأغاليطه من الأهواء والتعصب والحقن المبيت المدفون ، ومن مطامع الاستعمار والغزو الغربى لإدانته السيطرة على المسلمين والحيلولة دون تمكينهم من امتلاك أرادتهم ، وأقامة مجتمعهم الربانى ، وتأخير جولاتهم الظافرة لتحقيق الخير للبشرية جمعاء .

أن جميع التحديات التي تواجه العالم الاسلامي إنما تهدف دون تمكنه من إعادة بناء الحضارة الاسلامية قد باتت واضحة الدلالة أمام المسلمين جميعا وقد كشفت حركة اليقظة الاسلامية خلال القرن الرابع عشر فسادها ، حيث تبين فساد العلانية والقومية والافليمية ، وفساد الوجودية والفرويديه والبراغونية ، وتكشف فساد منهج التفسير المادى التاريخي ، ونظرية الرأسمالية الربوية ، والماركسية الجماعية ، ولم يبق أمام المسلمين الا طريق واحد هو طريق الاسلاميه: وحسب الحل الاسلامي الاسلامي الذي يأخذ فعلا اليوم طريقه حثيثا من ثلاث شعب من خطوات التضامن الاسلامي التي يتسع نطاقها ويعمق مجراها ، ومن خطوات المصروف الاسلامي وبناء الاقتصاد الاسلامي ، ومن تقنين الشريعة الاسلاميه وتقدمها نحو التطبيق خطوة أخرى مازلنا نتطلع الى أن تبدأ هي الترييه الاسلاميه التي تكشف زيف العلانيه والماديه الوثنيه في مجالات الفكر والثقافه والتعليم والصحافه ووسائل القسليه.

ومستظل « القدس » هي محور الباترة ونقطه الالتقاء الحقيقه لبناء المجتمع الاسلامي الجديد .

حوار الإسلام والغرب

عشرات الكتب ظهرت في الأعوام الأخيرة في ختام القرن الرابع عشر ومفتتح القرن الخامس عشر ، وعديد من المؤتمرات في عواصم عالمية مختلفة ، عقدت وقدم هذه الكتب وتلك الأبحاث عديد من الباحثين على اختلاف جنسياتهم وأديانهم وعقائدهم السياسية والاجتماعية فهل يمكن أن يقال أن هناك حصيلة أو عصارة أو مردود يمكن أن تستفيد به الدعوة الإسلامية بما يعينها في أندفاعها بما يصح مسارها أو يزيكي خطوها أو يرشد طريقها .

نحن نعرف أن الفكر العالمي ليس فكراً إنسانياً خالصاً ولكنه فكر ذاتي يتحرك في اتجاه واضح هو حمايه الواقع السياسي والاقتصادي القائم في العالم بحيث لا ينتقص من قدرات القوى المسيطرة ، على ثروات العالم وعلى مناطق النفوذ فيه ، وإن كان قد ظهر عنصر جديد أصبح موضع التقدير فهو حق العالم الإسلامي في امتلاك ارادته وقيام منهجه الإسلامي الاصيل على مجتمعه .

وقد أصبح واضحاً للقوى العالمية المسيطرة بروز هذه الظاهرة الواضحة الآن في كل أجزاء العالم الإسلامي الذي يمتلك الطاقة والثروة والتفوق البشري ، والذي يتعامل مع الحضارة الغربية في حكمة ومرونة فهو يمدّها بما يحقق لها استمرار نموها وإن يحافظ على حقه في أن يأخذ منها ما يصلح له وما ينتفع مع عقائده وقيمه ، من الجوانب البناءة والإيجابية والعليه . دون الجوانب الأخرى الأخرى السلبية والمنحرفة التي هي من شأن الغرب نفسه ومجتمعه وحضارته ، فقد أصبح العالم الإسلامي اليوم قادراً على أن يؤكد شخصيته الخاصة وذاتيته التي لا تنصهر ولا تختلج ولا تذوب في المجتمع العالمي ، وقد مضت المرحلة التي كان فيها تابعاً أو منبراً على نحو كبير ، ويرى كبير من الباحثين أن من حق العالم الإسلامي اليوم أن يعيد النظر في تبعيته للغرب خلال أكثر من قرن من الزمان

بعد أن رأى فشل التجربة التي كانت ترمى إلى التحرر من الغرب نفوذ باعتراف مفاهيمه
وقد وجد العالم الإسلامي أن الفكرة قد طوحت به بعيداً وكادت أن تقضى على
وجوده السياسي ، بعد أن دمرت كيانه النفسى ، ولذلك فقد كانت ضربات الهزيمة
والنكبة والنكسة من العواجل التي دفعت به إلى إعادة النظر في طريقة كفه . وبالرغم
من أن العالم الإسلامي كان يتطلع أبان الاحتلال الفرنسى والإنجليزى والهولندى
لأغلب مقاطعة ، إلى أن حركة الوطنية قادره على أن تحرره من النفوذ العسكرى
والسياسى للغرب إلا أنه وجد بعد الحرب العالمية الثانية أن هذا النفوذ قد تضخم
فأصبح نفوذاً رأسمالياً وماركسياً وصهيونياً ، بالإضافة إلى قيام إسرائيل على
رأس جسر في قلب الوطن الإسلامى ، وكما جاز يحول بين وحدة آسيا وأفريقيا
تحت لواء الأخوة الإسلامية ، غير أنه مع هذا الجزر الشديد في الناحية السياسية
والاقتصادية فإن الإسلام نفسه بذاته السمحة المنطلقة قد كسب أرضاً جديدة
في أجزاء كبيرة من العالم ودخل أقطاراً عديدة في قلب العالم المتمدن ، ونما في
قلب أوزيا وأمريكا ، وثبت في المناطق الإسلامية المحتلة من الاتحاد السوفيتى .

وقد وجد هذا النفوذ الغربى (بأطرافه الثلاثة) مقاومة حقيقية غير أن آثار
الفكر المادى والفكر الوثنى والتأثير أسلوب العيش الغربى لازال لها آثار كبيرة
فقد فقد المسلمون عامل القلق والتحدى والمرابطة بالرغم من وجود الخطر في
قلب عالمهم الإسلامى ، فهناك روح واضحة من الأمن والاستسلام للترف وعدم
متابعة مصادر الخطر وغلبة طابع من التخدير والاستغراق في مملكات الحياة
والاستسلام لمواقع الذى لم يتحرر بعد من التبعية الوافدة .

وهي روح دخيلة خطيرة فإن الغربى الذى تحرر من جميع أوضاع السيطرة
مازال حذراً لا يستسلم حتى للعالم الإسلامى نفسه في امتلاك إرادته .

ولا ريب أن هناك إحساس عام في الغرب بأن الإسلام هو البديل القادم
في العالم العربى (كما يقول خالد الحسن في ندوة البديل الإسلامى التي عقدت في معهد
الدراسات العربية في بوسطن) لأنه الفسك الذى لا يقاوم الحضارة العربية والفهم
الحضارى للإسلام العربى ، ولأن الحضارة العربية هي الإسلام والاتجاه العربى .
الإسلام ، وكيف أن مجالات التحديث والعصرية لم تلق تجاوب شعبياً على امتداد

الوطن العربي وكيف استمر الاسلام في وجدان الشعب حيا ، ومحاولات العودة الى تطبيقه لم تنقطع ، كما أن تحول الغالبية الجماهيرية عنه ، لم يتحقق ، كذلك فإن الاسلام لم يهزم في أى بلد دخله أمام أى فكر ، وخروجه من الأندلس مثلا كان من خلال مذابح محاكم التفتيش . ويقول : أن الصحوة الاسلامية في بدايتها لكنها تأخذ شكل التحدى الجغرافى على مستوى العالم الاسلامى كمبرغم محاولات القمع والاستيعاب المستمرة في البيت والشارع والمدرسة والجامعة والمكتبة هى الدليل على أن الاسلام لا يزال يحمل في طياته عوامل الاستمرار ليكون البديل القادم .

* * *

ومن ناحية أخرى نرى أن بعض الباحثين الغربيين يحاول أن يدرس علاقة الغرب مع الاسلام ، ففي بحث نشرته جامعه جورج تاون في واشنطن أعده البروفسور ويلارد أو كستوبى أستاذ الدين المعاصر قال : إن مشكلة الغرب مع الاسلام هى الجهل ، وإن أوروبا في نظرتها الى الاسلام تلك النظرة المتعصبة ، كانت تعيش القرون الوسطى وأن الأوروبيين خلطوا بين الاسلام وبين نزاعاتهم مع الدولة العثمانية واعتبروا الاسلام عدواً يحارب ويقاوم ، ورغم أن أوروبا استفادت من الانجازات الاسلامية في مجال العلوم والآداب التى انتقلت في معظمها عن طريق العهد الاسلامى في أسبانيا إلا أن عداها للإسلام كان عنيفا .

وقد انتقد الأوروبيون في ذلك الوقت الاسلام بالقول أنه يدعو إلى الحروب ويسبب إلى المرأة ويضطهد الأقليات الدينية ، فعلوا هذا في نفس الوقت الذى كانت فيه أوروبا تعاني من الحروب والاضطهاد على أيدي الحكم المسيحيين .

أما في مرحلة الاستعمار الأوروبى لدول آسيا وأفريقيا فقد كان الغرب ينظر الى المسلمين على أنهم شعوب بدائية ذات حضارة بدائية وهكذا بدأ الغرب يعترف بأن نظرتهم لم تكن منصفة ولا عليه ولكنها كانت من وراء أهواء التعصب والسيطرة الاستعمارية .

أما اليوم فهم يتحدثون عن صحوة اسلامية دفعتهم لاعادة النظر في الاسلام .

من جديد، لقد حاول الغربيون دراسة الاسلام لمعرفة مصادر قوته وكيفية الانتصار على أهله بحرفي اطار هذه المحاولات كانت الدراسات الاستشراقية وظهر المسيشرقون الذين انجرفوا مع أيديولوجياتهم يهودية وماركسيه وبراغماتيه وأن كانت كلها تذكره الاسلام قال جود فرى جانس في كتابه (الاسلام والعالم الغربي) هناك تهميم ومولججه بين الاسلام والعالم المعاصر ، ليس هناك دين غير الاسلام يشكل هذا التحدي للغرب . أن المسيحية عدا أنها جزء من العالم الغربي فقد آكلت من الداخل بفعل التحديث والبوذية والهندوسية في نظر الغرب أقرب إلى الخرافة واليهودية ديانة مغلقه ، واتباعها قلة ، ولا يمكن مقارنة الأثر الذي يحدثه لقب (رابي ولاما) في الغرب بالأثر الذي يحدثه لقب (خليفة) الذي يرتبط في ذهن الغربيين بالجهاد ولعل السبب في ذلك أن الإسلام واجه الغرب عسكريا على مدى ألف وأربعمائة سنة ولا تزال المواجهة قائمة وهي تتضمن أيضا مواجهة اقتصادية وسياسية .

ولماذا يرفض الاسلام الغرب ، هناك الكثير في الحضارة الغربية مما يرفضه الاسلام ، هناك ضعف العقيدة الدينية وانتشار الافكار العدمية والاحادية ، وهناك التطالب الغربي على السلع والاستهلاك ، حتى أن بعض المسلمين يرون في انتشار الروج الاستهلاكية خطر أكبر من خطر الشيوعية التي هي في النهاية وجه آخر للحضارة الغربية المادية (والكلام مازال الباحث الغربي) وهناك اختلاف بين الاسلام والعالم الغربي يتعلق في نظرة كل منهما الى الانسان . لقد أصل الغربيون في العصر الحديث فكرة استعلاء الانسان حتى وضعوه موضع التذية للذات الالهية ، أما الاسلام فزعم أن الانسان له قيمة كبيرة الا أنه يبقى خاضعا لله ، والاسلام نفسه من الناحية اللغوية يعني الاسلام لله . لذلك كثيرا ما يعجب الغربيون على المسلمين هذ الخضوع وكثيرا ما تنشر الصحافه الغربية صور المسلمين الساجدين بشكل يوحى بأنهم أذلاء ، هناك أمر آخر يفصل بين الاسلام والغرب أن الاسلام تركيزه على الأمة والجماعة يستنكر الفردية والانانية في الغرب والتي قادت في النهاية الى تمطيم الأسرة وربما تعود لتعطيم الأمة وكان من نتائج هذا : ذلك التساهل في القضايا الجنسية .

وبعد فاذا ينكر الغرب على الاسلام مقابل تلك التي ينكرها الاسلام على الغرب (١) نظرة الاسلام للمرأة (٢) العقوبات : القطع والرجم (٣) الزنا

رابعاً

نظريّة التكيف مع حاجات العصر الحديث

في حوار بين الاسلام والغرب ينكر الغرب على الاسلام نظريته إلى المرأة وعقوبات القطع ، والرجم ، والربا ، ويرى أن الاسلام إذا استطاع التكيف مع الغرب في هذه الأمور فإن ذلك يؤذن إلى طلوع عصر جديد من الألفية بعد ذلك الخصام الذي امتد أربع عشر قرناً ، هكذا يقول (جود فري جانس) في كتابه (الإسلام والعالم الغربي) ويقول : هل هناك أية امكانية لتفاهم بين الطرفين - في نظر الغربيين هناك امكانيات في حالة واحدة هي (عصرنة الاسلام) حتى يستطيع التكيف مع حاجات العصر الحديث ومعنى ذلك إن على المسلمين أن يسيروا على المنهج الأوربي . وعنده إن بعض المسلمين وقفوا هذا الموقف عند مبدأ الاحتكاك الحديث بين أوروبا والعالم الاسلامي وقد رأى المسلمون في قوة أوروبا السياسية والعسكرية والاقتصادية امتداداً ونتيجة لقوتها الروحية والثقافية . ومن ثم رأى هؤلاء المتعلون في مجتمعاتهم التي هزمها الغرب رجعة وتخلفاً عن الركب الحضاري .

وهذا الذي يعرضه الكاتب الغربي يكشف بوضوح عن خلاصة المعرفة التي دارت بين التغريب والاسلام خلال هذه الفترة الممتدة منذ جاء شباب المسلمين من أوروبا مخدوعين بهذه النظرية المسمومة ، وقد سقطت هذه النظرية تماماً وسقط معها هذا الجيل من أمثال طه حسن وسلامة موسى وعلى عبدالرازق ومن تابعه من بعد من التغريبيين والسفوريين الذين مازالوا يتفنون سبهم حتى اليوم تحت أسماء التحديث والعصرنة والحضارة والاشتراكية ، والعلمانية والتحليل والاجتماعي من اتباع المدرسة الاجتماعية الفرنسية والماركسية وغيرها وغيرها من مدارس ودعوات ومن يحاولون تبرير الواقع الاجتماعي وتأويل المفاهيم الواضحة والدعوة إلى قبول الرخص ، من أجل إفراار الواقع الاجتماعي الحضاري الغربي بكل مفاسدة وسوماته وليس شك أن اسلام بقيمه الأساسية

ومفاهيمه الثابتة التي تجرم الربا والزنا وتدعو إلى إقامة الحدود داخل مجتمع مسلم يقوم على منهج الاسلام الكامل لا يمكن أن يقبل هذه العروض التي تتمثل في الأمور التي حرمها الدين الحق وحرمتها كل الأديان المنزلة على البشر، وما هذه الدعاوى في التحرر من الحدود والعقوبات وما دعوة إطلاق المرأة من وظيفتها زوجة وأما ورثة منزل إلا دعاوى أصحاب أمراطوريه الربا والقوامين عليها، والذين استطاعوا السيطرة على المجتمعات الغربية وتهديم قيمها الاخلاقية وإفساد منهاجها التربوي ودفعها إلى الاباحيات والتحلل. ولن يقبل المسلمون التنازل عن ثوابتهم الأصلية واخذن فينصهروا في حضارة الغرب وتصنيع ذاتيتهم وتسقط رسالتهم ويكونوا شيئاً باهتاً ضائعاً في كيان مهمل أوشك على الانهيار وهل سيجري الغرب على المسلمين إذا سلخوا في هذه الأمور، ما ظن، وإنما سيطلب منهم تنازلات أخرى وصدق الله العظيم حيث يقول: ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) وكيف يقبل المسلمون التنازل عن عقيدتهم أو تقاليدهم وأخلاقهم وقيمهم واسلوب عيشهم راضين في سبيل كسب رضا الغرب السادر في كبرياته وغفلته وطغيانه، وقد كان أولى بالغرب أو يصح مسار حضارته على نحو اخلاقي صاغته المسيحية وكل الأديان ولماذا لا يتخلص الغرب من جسده وحده وتعصبه، ولماذا لا يتخفف من محاذير الإنهيار والفناء في اعلاء الفردية والانانية التي حطمت الاسرة وقادت إلى تحطيم الامة كما أثار هذا الكاتب نفسه، اننا نعلم ان الغرب قد انطلق في طريق السقوط والإنهيار منذ وقت بعيد وقد أشار إلى ذلك فيلسوفهم شينجلر منذ الثلاثينات ولكن لماذا يجذعون المسلمين بدعاوى التحديث والتكيف، من أجل جبرهم إلى تلك النهايه الحتميه القريبه.

إن الغرب يعرف ان الاسلام هو وريث هذه الحضارة لان تعاليمه هي تعاليم الفطرة التي لا يقوم أى مجتمع صحيح إلا على، قاعدتها، ومن أجل ذلك هم يريدون إما أن يفرقوا العالم الاسلامى معهم حتى لا يكون قادراً على حمل أمانته الحضارة الإنسانية من بعد، أو ان يعوقون مجتمعه على امتلاك ارادته حتى يمتد هذا العصر من الانهيار قبل الدمار الشامل.

إن التحديث المادى والتقنى أمر ممكن للعالم الإسلامى دون أن يفنى المسلمون
فى الحضارة المادية أو الفلسفات المادية الاباحية التى يريدون فرضها عليه والتى
يدعون أن التحديث لا يتم إلا بها ومن قبل أخذ الغربيون الحضارة الاسلامية
والعلم التجريبي دون أن يأخذوا عقائد المسلمين ولا مثلهم الاعلى ولا اسلوب
عيشهم ، والحضارات كلها تلتقى فى مجال العلوم والمعارف والتكنولوجيا ولكنها
تختلف وتتمايز بأسلوب عيشها وعقائدها ووجهتها ولقد أثبتت تجربة أربعة
قرون كاملة للحضارة الغربية أنها لم تستطع أن تقدم للنفس الانسانية اشواقها ولا
لروح ولا للقلب ولا للوجدان ولا للمعنويات أى عطاء بل حرقت ودمرت
كيان الإنسان الروحي وفتح العطاء المادى الطريق إلى الإلتحار والتمزق والفساد
الاباحى الجامح ، فضلا عن التهديد الخطير بانفجارات حروب الذرة التى تهدد
بالتهام العالم كله .

إن فرض المنهج الغربى على المسلمين يحرق تحت أى نظرية ، سواء بخداعهم لاسقاط
منهجهم أو بدعوى أن التحديث لا يتحقق إلا عن طريق ذلك ، وقد ثالت
هذه الصيحات منذ خمسين عاما ثم تبين ضلالها وكذبها ، فان متابعة المنهج الغربى
قد فتحت على المسلمين باب الانهيار والتدهور ، وتبين أن المنهج الغربى لا يطابق
الروح الاسلامية ولا يستطيع إعطاها أشواقها ومطامعها . لقد مر المسلمون
بمراحل عدة أولها : الانهيار بالحضارة ، وثانيها : الخداع لاسلوب العيش الغربى
وثالثها : محاولة الالتقاء بين مفاهيم الغرب ومفاهيم الاسلام ، وكل هذه المراحل
قد انتهت بالفشل ولم تحقق شيئا لأنها كانت بعيدة عن الأصالة وخالية من الترشيد ،
هذه الأصالة وهذا الترشيد الذى استطاعت حركة البقطة الاسلامية ان تبثه فى
الوجدان المسلم فنشأ عنه ذلك الاحساس القوى بالمداغة عن الذاتية الاسلامية
وحايتها من الانهيار أو التحلل أو الاحتواء أرا الاستقطاب تحب لواء التبعية الذى
قدمته لمناهج الوافدة ، وقد اجتمعت الامة الاسلامية اليوم تحت لواء الأصالة
وحاية الذات الاسلامية ودخلت مرحلة الترشيد حين اعتنقت المفهوم القرآنى
للاسلام بديلا عن مفاهيم الفلسفات والكلام والمنطق ذات مداخل التأويل
والتعطيل والرخس ، ولقد تبين بوضوح أن العالم الإسلامى لا يواجه الحضارة

الغربية ولا يحاربها ولا يمتنع عن تقديم خاماتها ومعطياتها لاستمرارها ولسكنة تحتفظ لنفسه بأسلوب عيش إسلامي خالص وفق منهجه وعقيدته ومن ثم يمكن أن تقوم حضارة إسلامية متجددة ، إلى جوار حضارة الغرب ولكن ليس هناك من سبيل أن يفرض الغرب على المسلمين الاستسلام لمناهجه وثقافته وأسلوب عيشه وعقائده لأنها تختلف اختلافا واضحا مع مفاهيم الإسلام في الأسس وفي تفاصيل ، وقد تستطيع الحضارة الإسلامية أن تقبل من الغرب تنظيمات ولكنها لا تقبل نظما ، وقد تستفيد بالأساليب ولكنها لا تخضع للايدولوجيات .

وسوف يجد الغرب أن تحريم الربا وعقوبات الإسلام ووضع المرأة الإسلامي هو من الركائز الحقيقية لتكريم الإنسانية ورفع مستوى البشرية ونقلها من طور المادية الوثنية والاباحية إلى طور المفهوم الجامع بين الروح والمادة ، والمستعلى خلقيا والمؤمن بالبعث والجزاء . ولا ريب أن الإسلام يستطيع بعد ذلك أن يرضى النفس الغربية إذا هي تحررت من تعصبها وإذا ما التمس الطريق الحق للفطرة : يقول الدكتور كيلول (جامعة لندن) في كتابه (المستقبل للإسلام) : « بالرغم من أننا نعيش عصر الاتحاد والادينية فإن الشيء الذي حير العالم هو أن الإسلام لا يزال ينال قبولاً عاماً إلى حد مدهش بدون أن يبذل محاولات ضخمة في سبيل نشر الإسلام في هذا العصر اللاديني ، نظراً إلى هذا القبول العام المتقطع النظير . مما يوحي بأن تأثير الديانات المختلفة سيمضي رويدا وسيمضي الإسلام كدين من الديانات العالمية وذلك لأن للإسلام من الجاذبية قدر أن الإنسان الذي هو في حاجة إلى دين يجذب إليه .

ويقول : إن المسيحيين لم يتقدموا في مضمار الحياة إلا بعد رفض المسيحية فقد كان دينهم يدعو إلى العزلة . وثانياً لأن المسيحيين لم يرفضوا دينهم إلا لأن المسيحية ما كان في وسعها أن تسير الزمان وثالثاً : أن الدين الذي يستطيع أن يسير مقتضيات العصر لا يمكن له أن يكون وسيلة النجاة للإنسان لذلك فإن هذا النوع من الناس قد يضطر إلى رفض تعاليم الدين ، وعلى عكس ذلك نرى الإسلام ، إنه لا يقر حياة الانعزال وترك الدنيا بل يعارضه ، وقد عبد الدنيا مزرعة للآخرة ولقن معتنقيه أن يساهموا في المجالات الدنيوية مع الأعمال الدينية

أن من أسباب ازدهار الإسلام ونموه مسيرته لمقتضيات كل عصر ومصر ، وأن
تعاليمه تأخذ بمجامع القلوب وتوافق الفطرة البشرية ومن ميزاته أنه لا يمنع
الإنسان من التقدم والرفاهية المادية بل يشجع الإنسان على ذلك والمسلمون يقيمون
وزناً للأديان كلها مع تبجيل علمائها وزعمائها ويحذرون من المخالفات المذهبية
وغاية القول أن الإسلام يقود الإنسانية إلى الرقى الدينى مع الطمأنينة الروحية وأن
الازدهار الراهن هو آكد دليل على أن هذا الدين سيسود العالم كله ، آم .

وليس لنا بعد هذا أى تعليق

خامساً

على طريق الأصالة والرشد الفكري

كشفت الدراسات التي أجراها الباحثون عن الصحو الإسلامية مجموعة من الحقائق تحتاج إلى المراجعة والتأمل، وذلك حتى يمكن ترشيدهم هذه الصحو وتحريرها من الزيغ ومن العوامل الطارئة التي قد يدخلها بعض المغرضين في محاولة لاجهاضها أو إفساد مسيرتها، وأهم ذلك البعد عن التطرف أو الانحراف أو التعصب فإن طريق الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة هو الطريق لتوحيد الذي يحقق السلامة شريطة أن يتمسك المسلمون بالمنهج الإسلامي وقيمهم فريضة الجهاد وأن تكون المعطيات التي حققها القرن الرابع عشر نبأاً للخطوات القادمة وأهمها :

أولاً : تقدير الأثر الواضح الذي توصلت إليه تجربة المسلمين خلال القرن الرابع عشر بالكشف عن « فشل الفلسفات والمذاهب الغربية والشرقية في حل مشأ كل الإنسان المعاصر لتركيزها على الناحية المادية دون الجانب الروحي مما يسبب اختلالاً في وجدان الإنسان ، وقد ظهرت آثار ذلك في البلدان المتقدمة مادياً (جرائم وحشية وانحلال خلق وانتحارات ومذابح) وكذلك فشل الابدولوجيات الوضعية في التطبيق وعجزها بالتالي عن إسعاد الإنسان المعاصر ، وأنه قد ثبت لدى كثير من المفكرين العالمين بأن الإسلام هو الوحيد القادر على الأخذ بيد الإنسانية عبر هذه الأمواج المتلاطمة إلى شاطئ السلام لما يشتمل عليه من قيم نبيلة وأفكار سامية ، هذا على حد تعبير الأستاذ فوزي سورياكار .

ثانياً : الاعلان عن مجموعة الحقائق التي تبينت للعالم كله من صلاحية الإسلام للتطبيق في كل زمان ومكان بوصفه منهجاً ربانياً يحقق حاجات الإنسانية ويوازن بين المادى والمعنوى منها ويملك اسعاده في كل بيئة وعصر ، وأتأنا لابد من أن تقدمه للبشرية الحائرة اليوم التي تبحث عن نور يضيء لها ظلام المادية التي طغت

فقطت على كل القيم الإنسانية وعلينا أن تقدم الإسلام لهؤلاء الحيارى ، فيجدون فيه الإجابة عن كل تساؤلاتهم كما يجدون فيه الحلول الواضحة لكل مشاكهم .

ثالثاً : الإشارة إلى جهود رواد حركة اليقظة الإسلامية في تعميق المفاهيم الإسلامية وبعث الوعي الحاضر الذي ينتقل به المسلمون من الإسلام إلى الإيمان في نفوس الأجيال ، وغرس بذور الأمل في قلوب الشبية بأن المستقبل لهذا الدين مهما دجى الليل واحلكت الأيام .

وأن يكون مطلوباً من الأجيال الجديدة أن تعتصم بالثبات في وجه الأعاصير فإن نصر الله قريب .

رابعاً : التأكيد بأن المسلمين لن ينتصروا في حاضرم إلا بفص العوامل التي انتصروا بها خلال تاريخهم المجيد كله ، وهي المفاهيم الإسلامية والمقائيس الإسلامية وأسلوب العيش الإسلامي ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإحياء فريضة الجهاد وتقبل أسلوب العيش البعيد عن الترف والتحلل ، وتربية الأجيال على الصمود والاختشاش وحماية الثروة الطبيعية في العالم الإسلامي .

خامساً : التأكيد من أن الصحوة الإسلامية ليست انفعالا طارئا ولا حدثا ظاهرا وإنما هي نتيجة حقيقيه لجهاد الصفوة المختارة من رجال الدعوة الإسلامية على مدى العصور ، وأنها ثمرة حقيقة لحركة اليقظة الإسلامية ، بدليل أنها لم تقتصر على فطن واحد ، بل عمت جميع الإفطار واستعملت في صدق وصمت ومضت في خطوات ثابته عميقة ، واستأنمت أسلوب الدعوة الأولى وأخذت قدوتها وأسلوبها من النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم ، وهي تقوم على صفاء عقيدة التوحيد واستأنام مفهوم السنة الجامعة ، ودعم الترابط بين الفرق المختلفة واعتبار خلفاء في الفروعيات عما لا يحول دون وحدتها وتماسكها في مواجهة العدو المشترك .

سادساً : الانتفاع بالدراسات الحديثة التي قدمها بعض الكتاب الغربيين المنصفين في الاعتراف بعظمة الشريعة الإسلامية وقدرتها على العطاء وفي التقييم الصحيح المسلم للإقتصاد الإسلامي وقدرته على تحقيق مجتمع أفضل ، وفي تقدير أسلوب التربية الإسلامي الجامع بين الروح والنفس والجسم .

سابعاً : تقدير مكانة الأمة الإسلامية اليوم من حيث موقعها الجغرافي العالمي ومن حيث امتلاكها للثروة والطاقة والتفوق البشري وأن معطيات العالم الإسلامي المادية والاقتصادية تستطيع أن تمكنه من الاكتفاء الذاتي ومن بناء اقتصاده العالمي الخاص . وأن على المسلمين اليوم العمل على أسلمة العلوم ، وتعريب المنهج العلمي بعد تنقيته من الشوائب الالحادية ، ومن التبعية للرأسمالية أو للماركسية على السواء ، وإقامة المنهج العلمي الإسلامي بمفاهيمه وفلسفته ولغته العربية في إطار روح التوحيد الخالص .

ثامناً : على المسلمين الصمود أمام التحدي الذي يسمونه « تحدي العصر » على حد تعبير الأستاذ جعفر ادريس الذي يقول : إنه في مواجهة تحديات العصر يجب أن نقف قوين بإسلامنا الشامل الذي تقدمه بدلاً عن التصور المادي والالحادي السائد الآن في العالم ونربي النشء تربية صحيحة ، ونعده به الشباب الاعداد الصحيح الذي يجعلهم أهلاً لحل راية الدعوة الإسلامية فالصيحة الحقيقية هي الثبات لتحديات العصر ، هذه التحديات التي تحتاج إلى الصبر اليقين ذلك أن أشد المخاطر هو التصور الإلحادي للوجود الذي كاد أن يصبح سمة العصر والذي لا يكاد يخلو منه جانب من جوانب الحياة المعاصرة العلمية والفنية ، وهو أكبر تحد يواجه الدعوة الإسلامية والمفكرين الإسلاميين ، فإذا نجحنا في التصدي له بالنقد الفعلي العلمي المستنير وأمكن أن تقدم تصوراتنا الإسلامية أطواراً بدلاً لهذا الإطار الإلحادي ، وأقننا الحجة العلمية والشواهد الواقعية على أنه الإطار المناسب نكسر قد أسدينا خدمة كبيرة ليس لامتنا لحسب بل للمجتمع الإنساني كله ولا بد من اليقين بأن تصوراتنا هو الحق الذي لا ريب فيه .

وضرورة التصدي للتصور المغلوط وعدم مسالته أو مداهنته بحجة المعاصرة أو الحضارة أو التجديد مهما طال الزمن وضجت الدعايات وسقط المزمومون : الصبر واليقين ، هما الشرطان اللذان لكل من يريد أن ينال شرف القيادة الفكرية المقتضية بهدي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :

فاسعاً : علينا دراسة تاريخ الغرب وإقامة الاقتصاد والاجتماعي والسياسي والديني من وجهة نظر إسلامية والكشف عن فساد التصور المادي ومخاذه

وأخطاره التي حطمت المجتمع الغربي ودراسة ومناقشة أسباب السيطرة والمخاطبات
العالم الإسلامي .

عاشراً : علينا أن نقضى على الفجوة بين المفهوم الإسلامي وبين التطبيق ، وأن
يكون القرن الخامس عشر هو علامة الانتقال من الفكرة إلى العمل والممارسة
 وإقامة الحياة الإسلامية وبناء الإرادة القادرة على هذا الانتقال بعد أن تم أعداد
 التشريعات والقوانين والتنظيمات وبذلك يمكن الانتقال بالمسلمين من صورة
 الإسلام إلى حقيقة الإسلام والتركيز على التربية الأخلاقية الإسلامية وإعطائها
 القدر الكافي من الأهمية في المناهج هذه المعاني وغيرها مما تناولته ندوة اليونسكو
 في باريس والمؤتمر العالمي للدعوة الإسلامية في السودان ومؤتمر علماء المسلمين
 في اسلام آباد .

وقد تكهن برناردشو منذ الثلاثينات للميلاد أن المد الديناميكي للإسلام
 سوف يصل حتما في وقت من الأوقات إلى أوروبا وذلك في قوله : « إذا كان هناك
 دين يمتلك التميز على إنجلترا بل على قارة أوروبا خلال المائة سنة القادمة فذلك
 الدين هو الدين الإسلامي فقط ، أن لدى تقيينا عالميا لدين محمد ، بسبب ما يملك
 من فعالية غير عادية وفي رأي أن لهذا الدين قدره فريدة على التكيف مع متغيرات
 الحياة ومستوياتها المختلفة ، وفي تبليغ دعوته في كل عصر ، وأنتى واثق لو وجد
 شخص مثل محمد وأعطى سلطة عامة في مثل هذا العصر الحديث فإن باستطاعة أن
 يسوى كافة مشاكل العالم بأسلوب يمكن العالم من التمتع بالسلامة والرخاء
 الذي هو في أشد الحاجة إليهما .

ومن الحق أن يقال أن الإسلام قد بدأ يعيش في أوروبا اليوم وقبل أن
 يكتمل القرن الذي تنبأ به برناردشو ، وأنه يزحف بقوة في عالم الغرب كله ويكني
 ما يقوله الدكتور عبد الرحمن أر نور جومستان الذي اسلم حديثا : لا أعتقد أن
 للمسيحية جذوراً في المجتمع الأوربي ، ولو بذل المسلمون جهوداً مكثفة ، فإن
 الإسلام سبلاقي رواجاً في المجتمعات الأوربية ومن المحتمل أن تشهد المسيحية نهضة
 جديدة كما هو الحال بالنسبة للإسلام أن معظم الأوربيين ، أي حوالي ٩٠ في المائة
 يعيرون الدين اهتماما ولكن المنقد لو أنهم فهموا ما هو الإسلام لها ترددوا في

اعتناقه وهذا هو ما أحاوله : « إيصال للإسلام إلى الغرب » ، ولا سيما بني جلدتنا
من الألمان .

ويسير الدكتور كيلول في كتابه المستقبل للإسلام إلى تقصير المسلمين
في نشر الإسلام في الغرب على عكس ما تفعل المسيحية فيما يقوم به من وسائل
وإرساليات في كل جزء من أجزاء العالم وما ينفق المسيحيون من الأموال الطائلة
في تدعيم هذه المحاولات التبشيرية ، أما الإسلام فإنه ينتشر انتشاراً عظيماً بدون
أى محاولات ضخمة فقد وصل الإسلام إلى الاصقاع التي لم يكن لسكانها أى عهد
بالإسلام من قبل ويرجع ذلك إلى مسابرة الطبيعة الإنسانية ولتقتضيات العصر
وموافقة الفطرة والحقيقة أن الإسلام في حاجة إلى جهود أبنائه جميعاً في هذه المرحلة
لأنه قال إلى مكانة الاصاله والرشد الحقيقي .

والدكتور كيلول في كتابه المستقبل للإسلام إلى تقصير المسلمين
في نشر الإسلام في الغرب على عكس ما تفعل المسيحية فيما يقوم به من وسائل
وإرساليات في كل جزء من أجزاء العالم وما ينفق المسيحيون من الأموال الطائلة
في تدعيم هذه المحاولات التبشيرية ، أما الإسلام فإنه ينتشر انتشاراً عظيماً بدون
أى محاولات ضخمة فقد وصل الإسلام إلى الاصقاع التي لم يكن لسكانها أى عهد
بالإسلام من قبل ويرجع ذلك إلى مسابرة الطبيعة الإنسانية ولتقتضيات العصر
وموافقة الفطرة والحقيقة أن الإسلام في حاجة إلى جهود أبنائه جميعاً في هذه المرحلة
لأنه قال إلى مكانة الاصاله والرشد الحقيقي .

والدكتور كيلول في كتابه المستقبل للإسلام إلى تقصير المسلمين
في نشر الإسلام في الغرب على عكس ما تفعل المسيحية فيما يقوم به من وسائل
وإرساليات في كل جزء من أجزاء العالم وما ينفق المسيحيون من الأموال الطائلة
في تدعيم هذه المحاولات التبشيرية ، أما الإسلام فإنه ينتشر انتشاراً عظيماً بدون
أى محاولات ضخمة فقد وصل الإسلام إلى الاصقاع التي لم يكن لسكانها أى عهد
بالإسلام من قبل ويرجع ذلك إلى مسابرة الطبيعة الإنسانية ولتقتضيات العصر
وموافقة الفطرة والحقيقة أن الإسلام في حاجة إلى جهود أبنائه جميعاً في هذه المرحلة
لأنه قال إلى مكانة الاصاله والرشد الحقيقي .

سادساً

إعداد الجيل الراشد

إن مطالع القرن الخامس عشر الهجري تبعث في نفس المسلم عدة مشاعر متباينة اعل أبرزها أن تستقبل البشرية قرناً جديداً في ظل دعوة الحق تزيد مساحة الإيمان والرحمة والعدل والاخاء البشري ويتغلغل فيها اسم الله تبارك وتعالى إلى أقطار جديدة وبلاد وقارات وتجدد كلمة الله من يستمع إليها ويذعن لها وبها يزداد عدد المسلمين وينادي باسم الله على المنابر وتضاء المساجد وتزداد الأيدي المتوضئة ويرضى الله تبارك وتعالى على العائدين إليه المستمسكين بكتابه وشريعته المطبقين لأحكامه البائعين أنفسهم في سبيله والمقرضين له قرصاً حسناً وإذا نظرنا إلى وقائع القرن الرابع عشر لوجدنا مكاسب كثيرة وخسائر كثيرة ولكننا نجد أن الإسلام قد جاوز مرحلة التبعية ودخل مرحلة الرشد والإصالة وأنه قد عرف مداخل عدوه وخطط تأمره ، وأنه قد استطاع أن يكشف عن جوهر الشريعة الإسلامية وعظمتها وفخارها وأن يضيء في مفرق الطريق وأن يدعو إليها أولاً ويجد أنه قد خرج من التجربتين : تجربة الاحتواء الغربي الليبرالي والاحتواء الماركسي سالماً عارفاً أن كلا الوجهتين لم تستطع أن تحقق نه كينته النفس أو سعادة الدارين وأنه قد تبين له أن هناك طريق واحد لا خيار فيه هو طريق الله .

وإن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله .
ولست تستطيع حين تريد أن توجه المسلمين في مطالع القرن الخامس عشر الكلمة واحدة :

أيها المسلمون: عودوا إلى القرآن واستمسكوا به وطبقوه على أنفسكم وأقربكم المجتمع الرباني في بلادكم وبيوتكم وأنفسكم قبل أن تمسكم نار امتحان شديد وإبلاء خطير .

لقد أعطاكم الله تبارك وتعالى إمتحاناً خطيراً وأعطاكم التغلب عليه عطاء كبرياً. أن الامتحان هو استئراء خطر الصهيونية والماركسية والنفوذ الاجنبى ، وذلك بعد أن أقامت اليهودية العالمية رأس جسر فى فلسطين وبيت المقدس وأمدكم لمقاومة ذلك، ذلك العطاء الوافز : أعطاكم الطاقة والثروة والتفوق البشرى فليس لكم حجة أمام الله فى أن تنكصوا على الأعقاب ولا تواجهوا عدوكم من أجل حماية العرض والارض والعقيدة .

والطريق هو إعداد ذلك الجيل الذى يحمل لواء الجهاد فى سبيل الله والمراقبة فى الثغور والمقاومة السكاسحة فلقد أراد الحق تبارك وتعالى أن يجعل هذه الأمة الوسطى . مستقر المقدسات وفى نفس الوقت مدخر الثروات الهائلة ، سواء بالجغرافيا فى الموانى والمواقع ، أم فيما تخرج الارض من كوابلك ومنجنيز وبترول وغيره ، أم فى ثمارها وزرعها وماثها وخيرها ، ومن ثم فى مطمع الغزاة فى كل عصر ، ترنوا إليها عيون الامبراطوريات وخاصة امبراطورية الربا بمن أشربوا العسل ثم هى اليوم وهى تفيض بالثراء والطاقة يزداد نسلها وتناجها ليكون ذلك الجيش القوى الذى يجب أن يكون مرابطاً فى الثغور تحت اسم « وأعدوا » .

وستحقق فى مطالع القرن الرابع عشر وقبل نهاية العقد الاول منه كلمتان للرسول صلى الله عليه وسلم تدل على الطريق الاولى : أن الله يرسل لهذه الامة كل مائة سنة من يحدد لها أمر دينها ونوحى الثانية أن جند الإسلام الكثيف هم فى رباط إلى يوم القيامة .

أن المسلمين اليوم على أبواب القرن الخامس عشر هم ألف مليون مسلم على أحق الإحصاءات فلماذا يبخسونهم . وهم بتقدير كل الدوائر العالمية للإحصاء دربع سكان الارض اليوم البالغ أربع مليارات وأنهم فى نمو وتزايد مضطرد حيث غاضت الأرحام فى الغرب وحق لأصحاب لا إله إلا الله وأهل التوحيد أن يوجهوا جهودهم فى سبيل بناء حضارة الإسلام الجديد :

وطريقهم إلى ذلك يتركز على ثلاثة أمور :

أولاً . تطبيق الشريعة الإسلامية فى المجتمع الإسلامى وإقامه منهج الله .

ثانيا : إحياء فريضة الجهاد والمرابطة في الثغور .

ثالثا : بناء جيل جديد من الشباب المسلم على مفهوم القرآن وفي مواجهة التحدى الخطير الذى جعلهم في رباط إلى يوم القيامة .

يقول المؤرخ العالمى هـ . ج . ولز في حديث إلى أمين الرينحاني :

أن القرآن هو عروه الإسلام الوثقى ، أو على الأقل وسيلة يحسن استخدامها في تحقيق الوحدة الإسلامية ، وأن وحدة أى أمة من الأمم مفيدة لها ولغيرها ، فالوحدة تعيد إليها كرامتها وتوجب عليها القيام بعهودها أما الإسلام فشئت الشمل مبدد القوى ولم يكن لدى المسلمين واسطة إلى الاتحاد لوجب عليهم إختراعها ولكن كتابهم خير واسطة ، وإذا كانت انجلترا في خطر من الاحتلال الأجنبي العزبي فزضا ، وكان أبنائها مشتتى الشمل مبددين في أربع زوايا الأرض دون رابطة تربطهم بعضهم ببعض فلا أتردد في دعوتهم إلى الإنجيل بل آتخذ من الكتاب المقدس شارة جنسية وعلميا وطنيا وعروة شاملة في الوحدة القومية .

وهكذا في مطالع القرن الخامس عشر نجد أنفسنا مطالبين بالالتفاف حول القرآن علما ومناراً وعروة شاملة وشاره جنسية .

ونحن مقبلون خلال العقد الأول من القرن الخامس عشر على امتحان عظيم يجب أن تثبت له ، وأن نواجهه في قوة ، وإن تستطيع أى قوة من القوى أن تمسكتنا من النصر إلا بالالتفاف حول القرآن منهج حياة ونظام مجتمع يقول بأول شميز في كتابه : الإسلام قوة الغد العالمية .

سعيد التاريخ نفسة مبتدئا من الشرق عوداً على بدء من المنطقة التي قامت فيها القوة الإسلامية العالمية في الصور الأول للإسلام وستظهر هذه القوة التي تكمن في تماسك الإسلام ووحدته العسكرية وستثبت هذه القوة وجودها إذا ما أدرك المسلمون كيفية استخراجها والعمل على الاستفادة منها وستقلب موازين القوى لأن قوة الإسلام قادمة على أسس لا تتوفر في غيرها من تيارات القوى العالمية .

ولا ريب أن بعد نظر هذا الكاتب الغربى يلتقى مع كثير من إرهابات قدمها أعلام وإبرار من رجال الإسلام يقول محمد إقبال : أن المسلم لا تعرف أرضه

الحدود ولا يعرف أفقه الثغور ، ليست دجله والنيل والمناوب إلا أموا حاصيرة
في محره المتلاط ، عصوره عجيبه وأخباره غريبه ، نسخ العهد العتيق وغير مجرى
التاريخ هو في كل عصر ساق أهل الذوق ، وفي كل مكان فارس ميدان الشوق ، شرا به
رحيق دائما وسيفه ماض في كل معركة .

أنا اليوم نعود إلى الأصالة :

وجدنا طريق التعليم الغربي العلباني باطلا وضالاً .
وجدنا القانون الوضعي فاسداً .

وجدنا التجربة المصرفية الربوية عفنة .

وجدنا أسلوب التغريب في الحرب يحطم القوى .

أين التربية الإسلامية والشريعة الإسلامية ، والمصرف الإسلامي ، والجهاد
في سبيل الله ، لقد توهم القوم أن التقدمية إنكار لله . وأن أسلوب الغرب يحقق
النصر للمسلمين وأن التمسك بالدين رجعية وكذبوا .

أن الزمن قد استدار مرة أخرى ليكشف للمسلمين كل الحقائق ويؤكد لهم
أن الطريق الوحيد هو طريق الله الحق .

وأن عليهم أن يطبقوا الشريعة الإسلامية وأن يقيموا المجتمع الإسلامي وعند
ذلك يكونوا مؤهلين لتقديم الإسلام للبشرية العطشى الضالة التي هزمت ودخلت
مرحلة التدمير النفسي والحضاري وهي تتطلع أي منقذ وليس هناك من منقذ
غير شريعة الإسلام .

وأنتم مسئولون بين يدي الله إذا لم تحققوا هذا الأمل وتحملوا هذه المسئولية
وتؤدّدوا هذه الأمانة .

إننا نؤمن بأن شريعة الإسلام هي الحل الوحيد لمشاكلنا
وأننا نؤمن بأن شريعة الإسلام هي الحل الوحيد لمشاكل
الإنسانية كلها .

لذلك فإننا نطالبكم بأن تلتزموا بشريعة الإسلام
وأن تكونوا من دعاة الحق والعدل والبر .

سابعاً

حقائق ثلاث

امام الشباب المسلم المنف

الحقيقة الأولى :

إن أولى الحقائق على طريق الإسلام هي أن نقول لشبابنا إنه طريق الله الحق وهو دين الله الخالد ، الذي أرسل به تبارك وتعالى رسولنا محمداً صلى الله عليه وسلم ليظهره على الدين كله ، وجعل كتابه (القرآن الكريم) حجة على العالمين وتحدياً قائماً إلى يوم القيامة للبشرية كلها أن تأتي بسورة من مثله أو آية من مثله ولن نستطيع ، وهو الذي شاء الله تبارك وتعالى أن يكون كتاب الإنسانية بعد أن دخلت مرحلة نضجها واستعدادها لحمل الرسالة العالمية ولذلك فقد جاء خاتماً للكتب السماوية ومهيئاً عليها .

والإسلام : هو دين الله الحق الذي أرسل به جميع الرسل والأنبياء ، يدعو الناس إلى توحيد الله وعبادته ، وتطبيق شريعته ، وبناء مجتمعه في الأرض ، ومنذ جاء آدم أبو البشر فقد جاءت معه دعوة التوحيد الخالص ، التي عاشت البشرية في معركة دائمة متصلة بين قبولها ومعارضتها ما تلبت بعد أن تبعد عنها رسالات الأنبياء ، أن تنحرف إلى الوثنية والمادية ثم تعيدها رسالات السماء مرة أخرى إلى التوحيد ، ولقد جاءت رسالة الإسلام على يد محمد صلى الله عليه وسلم مجددة لدعوة إبراهيم عليه السلام : « الحنيفية السمحة » ، التي حرقها من بعد كتابات الأحرار والرهبان في تفسيرات ضالة خرجت برسالة موسى ، ورسالة عيسى عليهما السلام عن الطريق الذي سارا فيه مبشرين برسالة محمد صلى الله عليه وسلم : تلك « الرسالة الخاتمة » ، فقد غلبوا لإسرائيل في دينهم ، وحرقوا رسالاتهم ، بدعوى أنهم شعب الله المختار ، ثم جاء النصارى ، حولوا رسالتهم التي هي آخر رسالات بني إسرائيل ، إلى دين عالمي يقوم على غير مفاهيمه الأصلية

وكان من فساد عقيدتهم ، الصلب ، والتثليث ، والخطيئة ، ودعواهم الباطلة بأن المسيح هو الله وهو ابن الله ، ومن هنا جاء الإسلام ليعيد البشرية مرة أخرى إلى الطريق الصحيح : طريق دين الحق المنزل .

د ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً ، التحل : ١٢٣ .

هذا الدين الحق : هو دين الإسلام الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم والذي مازال كتابه القرآن الكريم بين أيدينا غصناً طرياً ، هو عصمة أمرنا كمسلمين ، ونحن حملة لوائه ، ومن حقه علينا أن نطبقه على أنفسنا بوصفه ديناً ، ومنهج حياة ، ونظام مجتمع ، فنقيم شريعته ونحل حلاله ونحرم حرامه ، ونبنى مجتمع الرباني على شريعة العدل والرحمة والأخاء البشرية إيماناً منا بأن الإنسان هو المستخلف بأمر ربه في الأرض وعليه مسؤوليته الفردية والتزامه الأخلاق وهو الذي سيجزى بما عمل يوم القيامة ، وعليه أن يؤمن بهذه المسؤولية وبالبعث والجزاء حتى يكون قادراً على أداء رسالته على الأرض بالحق . هذه الحقيقة الأولى : التي يجب على شبابنا أن يعرفها ، كمدخل إلى مواجهة تلك التحديات التي تطرحها المجتمعات الحديثة والثقافات الوافدة في مختلف المجالات .

الحقيقة الثانية :

إن هذه الأمة التي أنزل فيها الحق تبارك وتعالى رسالته الخاتمة والتي وصفها بأنها « أمة وسط » قد اختار الله لها هذه المنطقة بين القارات الثلاث وجعلها أخطر المواقع من ناحية الجغرافية والاستراتيجية ، بين البحار والمحيطات وأعطاهما أصنى المواقع من ناحية الطقس والجو ، وأمدّها بأعظم المعطيات من خيرات الأرض زراعة وماء وثروة ، كما منحها في باطن الأرض مقادير وافرة من المنجنيز والكوئلت والبتروول وسائر الذخائر وبذلك جعلها مطمع كل الأمم والقوى العالمية كما جعلها موضع الامتحان أمام الغزو الأجنبي ، الذي لم ينقطع عنها ، فدعاها إلى المقاومة والمواجهة والمرابطة في الثغور ، وإعداد الجنود والعتاد لإرهاب عدو الله وعدوها وحتى تكون دائماً على تعبئة حتى لا يهاجمها عدوها بالإغارة عليها واحتلال أرضها .

ولقد عاشت في مواجهة مع الروم والفرنجة والصليبيين والإستعمار الغربي ، ثم مع الصهيونية والشيوعية في العصر الحديث ، ولذلك فهي لا بد أن تعي التجربة وتعلم أنها لا بد أن تظل على استعداد للجهاد الدائم والمقاومة وإلا تستقيم أبداً إلى الترف ورخاء العيش ، وما يتبعه من انحلال وفساد ، وإن تقيم نظام الله تبارك وتعالى بالحق فهو الذي يعصمها من الهزيمة والانحلال ، فإذا استنامت إلى الضعف هزمها عدوها وأمكن منها وعندئذ لا تستطيع أن تعود إلى امتلاك إرادتها إلا بالتماس منهج الله تبارك وتعالى مرة أخرى فهو عاصمها الحقيقي .

ولإنها مهما اصطنعت من مذاهب الأمم وأيدولوجياتها فإن ذلك لن يجديها إلا مزيداً من الهزيمة والإنهيار . ولذلك فإن الشباب المسلم في العالم الإسلامي اليوم مدعو إلى الأخذ بأسباب العزائم والقوة ، واستئناف فريضة الجهاد والمراطة في الثغور حتى يستطيع أن يستعيد أرضه ونفوذه وإقامة مجتمعه لأن عليه من بعد ذلك تبليغ رسالة الله إلى العالمين ، ودعوة الشعوب التي انهارت حضارتها ، وفسدت مجتمعاتها إلى هذا الهدى الرباني الصحيح .

الحقيقة الثالثة .

إن هذا العدو المتربص لنهب الأمة قد استطاع خلال فترة سيطرته أن يسيطر في ثلاثة ميادين :

ميدان السياسة ، وميدان الاقتصاد ، وميدان الاجتماع :

ففرض نظامه الليبرالي الديمقراطي أو الماركسي ، وفرض نفوذه الرأسمالي وأساليب الربا ، وفرض قانونه الوضعي ، بديلاً للشريعة الإسلامية كما ربي أجيالاً على مفاهيمه التربوية الغربية ، وفرض مفهوم العلمانية فاصلاً بين الدين والدولة والمجتمع والأخلاق .

واستطاع أن يزلزل بذلك قوائم القيم الإسلامية في المجتمعات ، وأن ينشئ أجيالاً مهزوزة مضطربة ، تسيطر عليها الأهواء والشهوات ، كما طرح مفاهيم في النفس والاجتماع والأخلاق من خلال « الفرويدية » ، « الوجودية » ، وغيرها

حطمت تلك الحواجز الأخلاقية ، القوية التي كانت تحمي شبابنا من الانحدار إلى أتون الشهوات أو الانحراف إلى الفساد الأخلاقي .

هذه الحقائق الثلاث يجب أن تكون موضع نظر شبابنا المسلم المثقف وهو يرى تلك المطروحات المستفيدة من كتابات الفكر البشري والشعوبية والغزو الثقافي لتسكون ضوءاً كاشفاً أمام عينيه ليعرف الحق من الباطل والصحيح من الزيف والله من وراء القصد .

الباب الثاني

آفاق مضيئة للدعوة الإسلامية

الفصل الأول : ألف مليون مسلم على أبواب القرن الخامس عشر

الفصل الثاني : الدعوة الإسلامية : أفاقها وتبعاتها

الفصل الثالث : فجر جديد للدعوة الإسلامية

الفصل الرابع : مواجهة التحديات ومقاومة الشبهات

الفصل الخامس : على طريق الإصالة والرشد الفكري

الفصل السادس : رحلة الإسلام في قلب أفريقيا

الفصل السابع : المسلمون في فجر القرن الوليد

الفصل الثامن : ايدولوجية جديدة وليس غير الإسلام

الفصل الأول

الف مليون مسلم على أبواب القرن الخامس عشر

بعد معارك العاشر من رمضان بدأت اهتمامات في عالم الغرب لدراسة المجتمع الإسلامي والتفتح على العرب والمسلمين وتصحيح كثير من الأوضاع القائمة في عالم الغرب والتي كان السيطرة اليهودية عاملاً هاماً في حجب الصورة الصحيحة للمسلمين والعرب وللعروف أن اليهود الصهيونيين المتطرفين في عداواتهم للعالم العربي والإسلامي يتولون كبريات المناصب الخاصة بدراسات الإسلام واللغة العربية في مختلف جامعات الولايات المتحدة وأوروبا وقد كان لهذه السيطرة أبعاد الأثر في تطور دراسات الاستشراق على النحو ممكن الصهيونية فترة طويلة من موالاة خداع العالم بمفترياتها وأكاذيبها .

لقد كان ضرورياً والمسلمون على أبواب القرن الخامس الهجري وهم يتقدمون الآن في سرعة إلى رقم يمثل ثلثا سكان العالم حسب تقدير خبراء هيئة الأمم المتحدة وقد وصل في أرائل القرن عام ١٤٠١ هجرية إلى ألف مليون مسلم ، وقد وضعت في يد هذه الأمة ثلاث قوى كبرى : هي التفوق البشري والثروة المالية والطاعة وصولاً إلى التكنولوجيا الإسلامية ، وأن المسلمون مطالبون اليوم بالعمل على تحقيق بناء المجتمع الإسلامي الرباني بتطبيق منهج الله ليكونوا قادرين على تقديم هذا النموذج إلى البشرية كلها وهم في طريقهم إلى تبليغ نظام الإسلام : ديناً ودولة ومنهجاً ونظام حياة ، ورسالة السماء إلى العالمين وهي المسؤولية الموضوعية في أعناقهم بحكم الميثاق الذي واثقهم به ربهم وسجل ذلك القرآن الكريم وأشهد الله عليه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم :

وقد أبرزت الصحف العالمية أخيراً اهتمامات كبيرة لجامعات كولومبيا و هارفارد ونيويورك وبركلي ولوس انجلوس بدراسة اللغة العربية وأن أكثر من عشرة آلاف طالب أمريكي الآن يدرسون اللغة العربية واللغات الشرقية وأن ٩٩ طالباً حصلوا في العام الماضي على درجة الدكتوراه في اللغات الشرقية وفي مقدمتها اللغة العربية . وجاء في تقرير خاص أن عدد اللهجات واللغات التي تدرسها الجامعات الأمريكية التي تستخدمها شعوب الشرق الأوسط هي ١٣ لغة ولهجة منها اللغة العربية الفصحى واللهجات المصرية والعراقية والسودانية والمغربية بالإضافة إلى اللغات التركية والفارسية والكردية كما أشار التقرير أن في جامعة برنستون ١٢ ألف مجلد ومخطوط عربي وفارسي وتركي وفي لوس انجلوس ٨٥٠٠ مرجع من هذا النوع -

أما في مكتبة الكونجرس فيوجد ١٢ ألف مرجع ، وليس كل هذا إلا محاولة لاستكشاف الذات الإسلامية والعربية بعد حرب رمضان ونجد هذه المحاولة ممتدة في الصحافة الغربية تحت اسم (دعوة لفهم العرب) .

وقد تردد هذا المعنى في عدد من الصحف الغربية ، تقول جريدة بوست كريسانت : (من صحف ولاية وسكنسون الأمريكية) مشيرة وراء الأخطار السكمنة وراء التحيز لإسرائيل وتجاهل ما أسمته (المد المتصاعد لقوة العرب) ولا يزال على الكثيرين أن يعرفوا الحقائق وأن يقدروا إلى أي درجة نحن بعيدين عن معرفة حقيقة ما يمتاز به العرب من قوة وحنكة ودراية وإلى أي مدى ازدادت ضخامة صورة إسرائيل في نظرنا عن واقعها ، ولعلك بمجرد أن تذكر أن العرب تثير في الأذهان صورة عن (الجمال) بكسر الجيم المغيرة ، والصحراء الجرداء . وبمجرد أن تذكر إسرائيل تثير في أذهانهم صورة أخرى شعب مقلوب الأفكار والاراء ذي نمط ثابت وأن هذا الشعور محاط من كل جانب بعواء البدو الرحل -

أن هذه الصورة زائفة ومضللة وغير صحيحة في الأبحاث الجديدة التي قامت بها جمعية دراسات الشرق الغربي في جامعة كولورادو برئاسة أستاذ التاريخ بها

البروفسور وليام جويسولد أثبتت أن القسم الأكبر من المشكلة هو على الأكثر في الكتب المدرسية البسيطة والقديمة والذي أستخدم في الأبحاث الخاصة بالشرق العربي في أكثر مدارس الولايات المتحدة ، فقد اكتشفت جمعية الدراسات الشرق الأوسط . أن أكثر هذه الكتب مليء بالأخطاء وأنها ماضية في صياغة قوالب قديمة عن الأحوال السياسية والاجتماعية في العالم العربي كما أنها تباليغ في تبسيط كثير من المواضيع المعقدة وتقفز إلى النتائج متخطية الأسباب التي تجهلها بل هي تصل إلى حد إصدار أحكام أخلاقية على تصرفات الشعوب تحت ستار من واقع التاريخ .

وهكذا تكشف الدراسات الجادة أن ما يقدم في هذه الكتب الدراسية عن العرب والإسلام مزيف وكاذب وأن السيطرة الصهيونية على مناهج التعليم في الغرب (أمريكا وأوروبا) إنما يستخدم هذه الأكاذيب والسموم لاحتواء الفكر الغربي كله ولتزييف صورة المسلمين والعرب ولكن أحداث العاشر من رمضان قد مزقت هذا السر وكذبت هذا الزيف على النحو الذي يبدو واضحا الآن من محاولة التعرف على الحقيقة وفهم العرب والمسلمين فهما جديداً وقد دعا البروفسور جويسولد إلى التحرر من المسلمات القديمة التي عني عليها الزمن في هذا المجال ودعا إلى الفهم الصحيح لواقع منطقة الشرق العربي الآن وقال أن هناك نصيب وافر من التمييز في مسألة أهل فلسطين الأصليين ممن يطلق عليهم اسم اللاجئين وقال : أن في وسع الغربيين أن يفهموا بصورة أفضل أسباب غضب اللاجئين الفلسطينيين ونفمتهم عما يقال الآن للطلاب في المدارس الأجنبية أن العرب أقاموا ثلاثة عشر قرناً في الأراضي التي تحتها إسرائيل في الوقت الحاضر .

وأشار الدكتور جويسولد إلى ما أسماه بمؤامرة كبرى تجاه الرأي العام الأمريكي ابتداء من التليفزيون وحتى مدرسة أيام الأحد حيث أحيط بعوامل كثيرة من للظلم والاحجاف والافكار الخاطئة التي تمنعه من أن يفهم حقيقة النزاع القائم في الشرق العربي ودعا الدكتور جويسولد ناشري الكتب المدرسية وجماعة الميديا الأمريكية أن يقدموا أحدث المعلومات عن العرب وأبعدها عن التحيز والمحاباة وأن عليهم أن يقضوا على ما أسماه الفـراغ الكبير والذي يدعو إلى القلق والآنزعاج .

من عوامل الاهتمام بالعالم الإسلامى المعاصر تلك الاحصائية التى أذاعتها منظمة الأمم المتحدة والتى تكشف عن أن المسلمين اليوم يشكلون ثلث سكان العالم وأن الدول التى مازالت تقاوم الإستعمار : هى كشمير وفلسطين وأرتيريا والصومال ، وأن عدد الدول التى تسكنها أغلبية مسلمة هى أربعون دولة ، أما الدول التى يتراوح فيها عدد المسلمين من ٣٠ إلى ٤٠ فى المائة من السكان فهى ١٥ دولة ماعدا الاتحاد السوفيتى الذى يبلغ عدد المسلمين فيه أكثر من أربعين مليوناً والهند ٧٠ مليوناً وفى كل من يوغوسلافيا (٣ مليون) وتايلاند (٣ مليون) وبورما (٣ مليون) والفيليبين (٤ مليون) ومن دراسة قام بها مجموعة من خبراء هيئة الأمم المتحدة نشرت تحت عنوان الأرقام المتوقعة لسكان العالم ٣٠٠٠ م أمكن استخلاص هذه المعلومات التى تفيد المشتغلين بدراسات العالم الإسلامى فى العصر الحديث :

أولاً : يبقى الدور الذى تقوم به الدول النامية فى الزيادة الحالية لسكان العالم على وضعه حتى نهاية القرن الحالى إذ أنها ستساهم بـ ٨٥ فى المائة من مجموع الزيادة السكانية للفترة بين ١٩٦٠ - ٢٠٠٠ على أية حال من الأحوال -

ثانياً : الزيادة السكانية الحاصلة فى البلدان النامية هى أكثر من الزيادة الحاصلة فى بقية العالم المتطور .

ثالثاً : الحجم السكى لسكان البلاد النامية (الشرق الإسلامى) سوف ينمو إلى ٧٢٥ فى المائة وبهذا يمكن القول أن البلدان النامية فى خلال القرن الحالى وحتى نهايته سيتراوح عدد السكان فيها من ثلاثة أرباع إلى أربعة أخماس مجموع سكان العلم ، أى أن البلدان النامية (وهى لاتدخل ضمن النظام الرأسمالى أو الشيوعى) ستضم حوالى ثلثى سكان المعمورة -

رابعاً : أن سرعة أو اطراد زيادة السكان فى البلدان النامية ولا سيما فى السنوات العشر الأخيرة كانت أكبر مما هى عليه فى البلدان المتطورة وستصل الزيادة إلى مرتين ونصف (٢ - ٢ و ٢١) مرة على الرغم من التطور الاقتصادى لبلدان العالم الثالث مجموعها أكثر بقليل مما هى عليه فى الدول الرأسمالية المتطورة

اقتصاديا وسيتجاوز الدخل السنوى بالنسبة للفرد الواحد في البلدان النامية ليس فقط بـ ٨ مرات كما كان عشية الحرب العالمية الثانية بـ ١٢ مرة كما هو في الوقت الحاضر وإنما سوف يصل إلى ١٨ مرة -

خامساً : سوف تزداد حصة البلدان النامية من مجموع سكان العالم على حساب البلدان المتطورة وهذه الزيادة هي التي سوف تجدد درجة الاختلاف الموجودة في مستويات معيشة السكان -

تعكس هذه التعيرات الدور المتعاظم لبلدان آسيا وأفريقيا في العلاقات الدولية من حيث تأثيرها في السياسة العالمية إذ أصبحت على قدم المساواة مع الدول الأخرى اه -

* * *

المراقبة في الثغور

ثلاثة أخطار تواجه العالم الإسلامى في هذه المرحلة من حياة الإسلام :

أولاً : التبشير الغربى الذى تقوم به الدول الغربية في أفريقيا وجنوب شرقى آسيا (اندونيسيا والملايو والفيليبين) وبقايه في البلاد العربية -

ثانياً : الشيوعية الماركسية التى تحاول السيطرة على أجزاء من العالم الإسلامى بالاحتواء والحكم -

ثالثاً : الصهيونية التلودية التى تتمثل في الإستعمار الإسرائيلى لفلسطين كما تتمثل في السيطرة على بعض المناهج الفكرية والسياسية والاجتماعية المعروفة في العالم -

ولقد كان التبشير الغربى : هو المقدمة التى أهلت العالم الإسلامى للوقوع في براثن الفكر الماركسى والصيوني ، فقد كانت اليهودية من وراء الشيوعية من ناحية ومن ناحية أخرى كانت وراء الرأسمالية والتنظيمات الربوية والاجتماعية المنحلة والإباحية التى غزا بها النفوذ الإستعمارى بلاد عالم الإسلام وجعلها أداة أساسية

في سيطرته على المجتمعات فضلاً عن تجميده لشريعة الإسلامية وإحلال القانون الوضعي بدلا منها وفرض نظم التعليم الغربية العلمانية التي تفصل مادة الدين عن الثقافة وفق مفهوم غربي لاهوتي لا يتطابق مع مفهوم الإسلام الجامع : دينا ودولة ، ومنهج حياة ونظام مجتمع وعقيدة وشريعة .

ولقد قطع المسلمون مراحل كثيرة في سبيل مواجهة هذه التحديات الثلاث ولسكنهم مازالوا في حاجة إلى مجهود أضخم وأكبر يتحتم معه تهيئة المجتمعات الإسلامية لحياة أصيلة قوامها زاد الفطرة وأعلاه شأن التسكامل الجامع بين الروح والمادة .

وإذا كان محمد إقبال شاعر الإسلام قد أعلن منذ الثلاثينات بأن الإسلام مهدد بخطر من مصدرهما الغرب : أولهما الاحتلال وثانيهما الإستعمار وأن مستقبل الإسلام رهن بمستقبل العرب وأن مستقبل العرب رهن بوحدة العرب فإذا تمت الوحدة علا شأن المسلمين في أنحاء الأرض : هذه الصورة التي عاشها إقبال قد تغيرت كثيراً اليوم في الثمانينات فقد دخل عاملان جديدان هما عامل الشيوعية الخطير وعامل الصهيونية الأشد خطورة وهو عامل ذو شقين : شقه الأول في سيطرته على القدس ووجوده في فلسطين ، واحتلاله لأجزاء من الجولان والضفة الغربية ، وشقه الثاني في ذلك النفوذ الفكرى . المتمثل في مناهج العلوم الاجتماعية والنفسية والأخلاقية وكثير من نظريات الأدب والاقتصاد والسياسة المتداولة اليوم على أنها علوم اجتماعية بينما هي لا تزيد عن أن تكون مفاهيم تلوديه مغلفة بأغلفة من بريق العلم وخداعه الذي أجاده اليهود . والمعروف أن الشيوعية وإيدة الصهيونية وريبتها وخادمتها في مختلف المجالات .

ولاريب أن الروابط الوطنية والقومية والإسلامية قد أخذت منذ وقت بالبحث عن أسلوب إسلامى أصيل بعد أن ذهب وراء مفاهيم القوميات الغربية التي حاولت أن تحطم العلاقة الطليعية بين العرب والمسلمين من ناحية وبين المسلمين والعرب جميعاً وبين ماضيهم وتاريخهم وتراثهم الذى بناهم كالطود الشامخ خمسة عشر قرناً وحامى من التمزق والاحتواء :

فلاريب أن هناك روابط ثلاث : هى الأرض بالوطنية والعرق بالقومية

دون أن يكون لاحداها إستعلاء عنصرى : وذلك كله فى ذلك الرابطة الكبرى :
رابطة الفكر الذى صنع لهذه الأمة أسلوب عيشها ونظامها الاجتماعى والسياسى
والاقتصادى منذ نزل القرآن الكريم فأقام هذه الرابطة الجامعة التى قامت على
(لا إله إلا الله) ولقد استطاع الفكر الإسلامى أن يصهر خير ما فى الثقافات القديمة
فى أطوار (التوحيد) وأن يجمع منها « روحا » يعتنقه أهل المنطقة جميعاً مهما
اختلفت أديانهم ، ذلك بأن أصل هذه الأديان كلها واحد وأن الحنيفية الإبراهيمية
السمحة هى التى أنشأت منذ ثلاثة آلاف عام ويزيد هذه الوحدة التى نشأت فيها الأديان
كلها بقيمتها وأخلاقها ومفاهيمها ، ثم جاءت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لتقدم
ذلك المنهج الربانى الخالد الذى هو الصبغة النهائية التى اختارها الحق تبارك وتعالى
للبشرية والتى هى عصارة كل الأديان السماوية السابقة :

ومن هنا فإن الأمم فى هذا الإطار تلتقى على الرابطة الكبرى فلا تزول عنها
إلا فى ظل الأحداث والتحديات التى تمزق الأمم إلى وحدات إقليمية أو قومية
ثم لا تلبث هذه الأمم أن تعود إلى الوحدة الكبرى كلما خفت عنها عوامل الاضطهاد
والسيطرة والنفوذ الأجنبى .

ولا ريب أن المسلمين اليوم وعلى أبواب القرن الخامس عشر قد عرفوا
أهواء القوى التى تريد أن تحتوهم أو تأكلهم وأن رابطة الإلتزام إلى فكر واحد
أو ثقافة واحدة أو معتقد واحد كان هو أصل هذه الروابط وأوسعها وأعماها
وآخرها ظهوراً بعد أن استحصدت العائلة البشرية وارتفعت فوق القبلات
والإقليميات وتعصبها .

ولقد شكلت وحدة الفكر رابطة كبرى بين الأمم التى تلاقت على ثقافات
تربطها أصول واحدة من العقائد والأديان أو القضايا المشتركة ، وكانت رابطة
الإسلام هى أقوى هذه الروابط وأوسعها نطاقاً وهى الراية التى استظلت بها الأمم
والنحل والأديان جميعاً ووجدت فيها السباحة والرحمة والاعاء الإنسانى ، وما تزال
كذلك لأنها تقوم على (عقد اجتماعى) مكتوب هو (القرآن) الذى لا يزال هو
اللغة الجامعة الموحدة (قبل اللغة العربية واللهجات الإقليمية) فالقرآن لغة وتاريخنا
وفكرنا جامعاً ، ووحدة الفكر هذه ليست ملكاً للمسلمين وحدهم ولسكنها ملك

لأهل هذه العالم الواسع الجامع بمن فيه من أهم وأديان وعقائد ولغات لأنها كلها قد صهرت فكرها وثقافتها منذ ألف عام في هذه الوحدة الجامعة .

أن المسلمين والعرب يدخلون في أوائل القرن الخامس عشر : مرحلة الرشد والاصالة بعد أن مرت حياتهم خلال قرن كامل تقريبا بتلك التحديات الخطيرة عسكرية وسياسية وثقافية واقتصادية التي واجهتهم بالاستعمار الفرنسي والبريطاني والاطالي ثم بالغزوة الصهيونية .

وأمام المسلمين في هذه المطالع الجديدة الحاسمة تلك النظرات الواضحة التي قدمها الباحثون الغربيون المنصفون : (وإن كانت أساساً مما تؤمن به ولا تشك فيه) .

أولاً : أولئك الذين أترفوا بعظمة الشريعة الإسلامية وجلالها وقدرتها الفائقة على بناء مجتمع إنساني رفيع القدر .

ثانياً : تلك الكتابات التي قررت دور المسلمين في بناء الحضارة الإنسانية الحديثة وتقديمهم المنهج العلمي التجريبي الذي هو الأساس الوحيد للعلم والتكنولوجيا الحديثة .

ثالثاً : الاعتراف بأن جميع حركات التحرر الوطنية في العالم الإسلامي إنما استمدت قوتها ووجودها من مفهوم الإسلام نفسه :

رابعاً : مقدار ما قدم الإسلام في مجال العلوم الاجتماعية والنفوس والأخلاق والتربية من مفاهيم تستهدف بناء الاخاء الإنساني وتعارض العنصرية وتحمل لواء تحرير الإنسان من العبوديتين : عبودية الروح والعقل وعبودية الجسم التي عرفت حضارات الرومان والفراعنة والفرس والهنود .

خامساً : مكانة اللغة العربية ودورها الخطير في بناء الوحدة الإسلامية العربية والفضل في رسوخها إلى القرآن الكريم الذي نزل بها فأعطاه هذه المسكنة .

سادساً : نصاعة تاريخ الرسول صلى الله عليه وسلم وسلامة النص القرآني الموثق وثبات تلك التواريخ والعلاقات الأصلية مما لا يوجد له مثيل في الأمم والعقائد الأخرى .

سابعاً : قدرة الإسلام للفائقة على العطاء وحيويته السكامة والثقافته بالفطر وبالعلم وواقع الحياة وقدرته على أحداث التغيير إلى أعلى وإلى أحسن بأساليب مرنة سمحة كريمة .

كل هذا وغيره مما يجعل الاسلام هو الأمل الذي يملأ نفوس المصلحين في أرجاء العالم وهم يتطلعون إليه باعتباره الوسيلة الأخيرة لتحقيق المجتمع الأمثل بعد أن فشلت كل الايدولوجيات خلال أكثر من ثلاثة قرون في تقديم منهج أصيل لبناء المجتمع الانساني ، وهو في هذا إنما يدعو إلى السلام والرحمة والخير ولا يتطلع إلى إستعلاء أو سيطرة : على النحو الذي رسمه القرآن الكريم : تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً .

وليس أدل على صدق الاسلام وأنه دين الله الحق ، أنه لم يتوقف عن الانتشار منذ بزوغ فجره حتى في إشد أيام الصراع بين عالم الاسلام وبين الاستعمار ، وقد انتشر الاسلام بقوة الذاتية وبفضل سماحة مبادئه لمربانية المصدر ، وهي تحمل التوحيد والحرية والاخاء البشري وتحمل إلى الملونين والمستعبدين روح المساواة والرحمة .

ولا ريب في هذا الأثر فقد جاء الاسلام حاملاً ميراث النبوة والنوحى الرباني وقد استوعب أعظم مافي الفكر البشري بما هو أصلاً من ميراث الأديان فصهره في بوتقة التوحيد :

وليس أمام المسلمين اليوم إلا أن يتسلحوا بروح لمراقبة غلى ثغورهم وأن يستقيموا على طريق الله بالجهد والقدرة على حماية بلادهم واستعادة أرضهم وأن يكون طابع الجهد واضحاً في مختلف مجالات الثقافة والاجتماع والحياة جميعاً وأن يكون ذلك منطلقاً إلى تطبيق الشريعة الاسلامية وبناء أسلوب إسلامي التربية والتعليم بما يحقق تميز المسلمين تميزاً واضحاً لامة تحمل خاتم الرسالات إلى العالمين . وعلى المسلمين أن يأخذوا التكنولوجيا واسرار العلم فيضعوها من جديد في إطار فكرهم الاسلامى القائم على العدالة والاخاء والرحمة ولأن يصيغوها في لغتهم العربية فلا يكونوا عالة على اللغات والامم ، اما فيما يتعلق بأسلوب العيش فإن للمسلمين أسلوب عيشهم الاصيل : خلقاً وعقيدة وإيماناً لله وانهم ليسوا في حاجة إلى أسلوب مغاير يقوم على مفاهيم وقيم تتعارض أو تختلف مع عقيدتهم .

٢ - عطاء المنهج الرباني

لم يتوقف الاسلام عن الانتشار منذ بزوغ فجره حتى في أشد أيام غزوه من القوى المعادية : التتار ، الصليبيين في المشرق ، الفرنجية في المغرب ، وقد بلغ عدد الذين اعتنقوه عن غير العرب حتى اليوم ٩٠٠ مليون مسلم (العرب مائة مليون) وقد انتشر بعد أيام الفتح الاولى بقوته الذاتية ، ويفضل مبادئه التي حمت التوحيد الخاص والحرية والاخاء والرحمة إلى الملوئين والمستعبدين :

وللإسلام اليوم لونه المميز على الخريطة ، هذه المنطقة الوسطى بموقعه الجغرافي الفريد يملك أربع منافذ مائية هامة ودولية تعد الشريان الرئيسي للتجارة العالمية : قناة السويس ومضيق جبل طارق ومضيق باب المندب ومضيق البسفور .

ويضم العالم الإسلامي اليوم ٤٤ دولة مستقلة وله من الموارد الضخمة والإمكانات سيما البترول والطاقة والكوابات والمنجنيز والفحم والفوسفات فضلا عن ثرواته الزراعية والمعدنية بالإضافة إلى التفوق البشري والموارد الضخمة وهو في هذه المنطقة الوسطى يحمل رسالة التوحيد بين مادية الغرب ووثنية الشرق ، وله منهجه الرباني الزاحف الممتد ، الذي تتطلع إليه البشرية اليوم بوصفه ترياقها الوحيد .

العالم الإسلامي قارة بين القارات متصلة ، عالم بكامله بارضه ومحيطاته وناسه ومقوماته بمضايقه ومنافذه ، البحر الأبيض المتوسط في شاطئه الشرقي والجنوبي وجزء كبير من شاطئه الشمالي ، وهناك البحر الأحمر ، والمحيط الهندي ويطل على قسم كبير من المحيط الهادي .

وهناك في الغرب له نفوذه وزخفه (في مايو ١٩٧٦) أعلن الدكتور خير عبيد أحمد مدير عام المؤسسة الإسلامية في أوروبا في مؤتمر لندن الإسلامي

أن عدد المسلمين في أوروبا يبلغ حاليا ٢٥ مليونا و ٢٠٧ آلاف نسمة تقريبا
ويقدر عدد المسلمين بالدول الأوروبية غير الشيوعية بنحو ثلاثة ملايين و ٩٢٠
ألف نسمة أي بنسبة ١٨٥ في المائة من عدد السكان، أما عدد المسلمين بالدول
الأوروبية الشيوعية فيقدر بنحو ١٩ مليونا و ٢٧٧ ألف نسمة أي بنسبة ١٨ في
المائة من مجموع السكان ، ولا يدخل في هذا العدد مسلمو الجمهوريات الاسيوية
التابعة للاتحاد السوفيتي) وتوجد أعلى نسبة من السكان في فرنسا حيث
يقدر عددهم بنحو مليون و ٩٧٢٨٣٠ نسمة أي بنسبة (٣ من عشرة في
المائة) من عدد السكان وفي ألمانيا يوجد مليون ونصف المليون وفي بريطانيا
حوالي مليون . وهناك في أمريكا وكندا والبرازيل والارجنتين وكولومبيا
وفنزويلا وبلاد المكسيك وغانا البريطانية حوالي للمليون .

قد اشار مسئول اجنبي إلى هذا المعنى حين قال : أن المسلمين يمثلون عالما
مستقلا كل الاستقلال عن عالما الغربي فهم يملكون تراثهم الروحي الخاص
ويتمتعون بحضارة تاريخية ذات اصالة فهم جديرون أن يقيموا بها قواعد
غالم جديد دون حاجة إلى (الاستغراب) أي دون حاجة إلى اذابة شخصيتهم
الحضارية والروحية بصفة خاصة في الشخصية الحضارية الغربية .

ومن هذا فنحن نعرف تلك الحملة الضخمة التي توجه إلى المسلمين من
خلال المؤسسات التعريب والغزو الثقافي بهدف اضعاف ثقتهم في أنفسهم
واحتوائهم ومحاصرة فكرهم وتدمير قوتهم حتى لا يصبحوا يوما وهم قادرين
على امتلاك ارادتهم مع انهم أن يكونوا إذ ذاك الا عامل اسعاد للبشرية كلها
وعامل عطاء ورحمة وعدل وإخاء ، ولكن القوى التي تثير حولهم الشبهات
هم الصهيونيون التلموديون ، اصحاب بروتوكولات صهيون والعاملون على
انشاء امبراطورية الربا ، هؤلاء هم المذعورون الذين يخافون دخول المسلمين
مرحلة النهضة مع حلال القرن الخامس عشر بعد أن مروا بمرحلة الليقطة خلال
القرن الرابع عشر الذي كان قرن المقاومة والصمود في مواجهة الغزو العسكري

والسياسى والاقتصادى والثقافى ، وفى وجه النفوذ الاستعمارى والنفوذ الصهيونى والنفوذ الشيوعى جميعا متكاتفين متساندين ، ومع ذلك فقد عجزت هذه المؤامرات الضخمة التى بداها القرن الرابع عشر باحتلال أهم مواقع العالم الإسلامى مصر وبعدها السودان وسوريا والعراق وتونس ومراكش، وكانت الجزائر والهند والملايو قد سقطت من قبل .

ولكن حركة اليقظة الإسلامية استطاعت أن تواجه هذه المعركة فى قوة وكان للأزهر والقرويين وقلاع الإسلام فى كل ارض ، بالإضافة إلى حركات الإصلاح والتجديد بعد حركات المقاومة العسكرية (عرابى وعبد الكريم ومن قبله عبد القادر الجزائرى وشامل) كل هذا إعطى الغرب ايمانا أكيدا بأنه لن يستطيع ان يقتلع الوجود الإسلامى ولن يستطيع احتوائه ولقد امتد نفوذ الإسلام السلمى فى هذا القرن الذى نشهد اليوم خاتمة إلى مركزين خطيرين إلى جنوب شرق آسيا وإلى قلب أفريقيا شرقيا وغربيا بالرغم من كل محاولات النبشير فى إيقافه والقضاء عليه وما تزال المعركة محتدمة فى الفلبين وإثيوبيا والصومال وسوف يكون النصر لكلمة الحق وسوف يصمد المسلمون فى معركتهم الكبرى حتى يدخلوا القرن الخامس عشر وهم أشد قوة يمتلكون التكنولوجيا الحديثة والقوة العسكرية التى تحمى ثغورهم وتدفع عنهم عدوهم .

واليوم والمسامون يستشرفون القرن الخامس عشر الهجرى على طريق القوة والنهضة فان أهم الامور التى تحتاج منهم إلى اهتمام عميق هو أن لا تحول المقدرات المادية بينهم وبين لاستمساك بوجودهم الذاتى وكيانهم الخاص وطابعهم الإسلامى ، وإن كونوا قادرين على نقل أحدث مستحدثات العلم والتقدم والحضارة المادية لتكون موادا خاصا يصيغونها فى داخل أطار فكرهم وقيمتهم ، وبذلك يصنعون الحضارة القادمة : حضارة القرن الخامس عشر الهجرى الذى أهل الله هلاله والذى يتطلع إليه المسامون كعلامة

على عنصر جديد تعود الكرة فيه مرة أخرى إلى أيدي العرب والمسلمين .

أن اخطر ما واجه الحضارة الغربية الحديثة وأسلمها في وقت قريب إلى الازمة الخائفة والصراع بين اقوى مع ما امتلكته من أسباب التقدم المادى هو أنها كسرت الاطار الدينى وحطمت الضابط اخلاقى الذى هو الحاجز الحامى لكل نهضة من التعثر والتصدع ومضت تواجه الحياة بغير سناد من الايمان بالله يحمى ظهرها ، أو نور من هدى الله يضيء طريقها وبذلك صرعتها المادية الغالبة وانحرفت بها الطريق إلى تأكيد اهواء النفس وتغليب الترف والملذات والشهوات فاتته بها إلى تلك الازمة الحادة التى تضعها الان على طريق الافول ، هذه التى يبحثون لها عن علاج ، وهى أزمة الانسان الحديث وصراعه ونمزقه وغربته وضياعه ، كل هذا الذى قاساه ويقاسيه من . أهوال غربة المعنويات وتجاهل أشواق الروح وتصدع النفس وتمزق الكيان الانسانى وفقدان الهوية والهدف والعجز عن فهم رسالة الانسان وأماته واستخلافه فى الارض والغاية والمصير فليحذر المسامون اليوم وهم على الطريق إلى امتلاك أدوات الحضارة الحديثة وتكنولوجيا العصر ، أن تستوعبهم هذه الحضارة أو تحتويهم ، هذا الفهم للمدمر القاصر ، وعليهم أن يبدأوا من نقطة النوحيد فى الفكرة والرحمة فى الانسانية والاخاء فى البشرية ومن اللغة العربية كمدخل إلى العلم كله فينقلوا إليها كل معطيات العلم ، ومن الايمان بوحدة البشرية والاخاء الانسانى والعدل والرحمة باعتبارها هى معطيات الاسلام للانسانية ، ليجعلوا من هذا كله اطارا يتحركون فيه ومنطلقا يبدأون منه ويعودون إليه ، فيخضعون العلم لرب العلم ويخضعون الحضارة للاخلاق ويخضعون المجتمع للتعوى ويجعلون مقدرات البشرية للناس جميعا وليس لفئة مستعالية أو مهيمنة أو مستغلة ، وبذلك يحققوا ارادة الله فى بناء المجتمع الانسانى الحق الذى تتطلع إليه الدنيا جميعا بعد أن عاشت فى الظلم والظلمات طويلا وبعد أن فقدت ثقها فى الايدولوجيات جميعا شرقيا وغربيا ولجأوا المسلمون الناس على أنهم يملكون منها جارا ربانيا قادرا على اسعاد البشرية كلها ودفعها إلى طريق الحق والعدل وتحريرها من الجوع والخوف وتأمين النفس الانسانية أساسا من القلق والتصدع والانهيار .

• صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض الا إلى الله تصير الامور .•

أمانة الانسان في الارض

أن مهمة الدعاة إلى الله تبارك وتعالى في هذه المرحلة الدقيقة من حياة الامة الاسلامية أن يحرروا الشخصية الاسلامية من التبعية بكل صورها والوانها ، والتوصل إلى تأسيس مدارس وتأصيل اتجاهات اسلامية تسعى وتستوعب العلوم الحديثة وتفرعها في د أطار اسلامي ، وعلينا تأصيل الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية .

لقد أصبح المسلمون اليوم يملكون الطاقة والثروة والتفوق البشرى وهم على أبواب إستيعاب تكنولوجيا العلم بحيث يستطيعون استغلال مساحات واسعة من الاراضى وقدرات هائلة لم تستغل بعد، لقد جاء دور عالم الاسلام بعد أن نصبت آبار الغرب ثرواته ومصانعه التي عملت بخامات المسلمين أربعة قرون أو يزيد وسوف تكون حضارة الاسلام متميزة بطابع العدل والرحمة والاخاء الانساني ، أن المسلمين اليوم ينتقلون من عصر اليقظة إلى عصر النهضة مروراً بمرحلة الرشد والاصالة والحفاظ على الشخصية والتماس المنابع .

أن المسلمون يقفون اليوم موقف الحيلة والحذر فهم لا يتقبلون حضارة الغرب المتألمكة في شقيها المتصارعين ، ولكنهم يقبلون من الغرب العلوم التجريبية وحدها ، أما أسلوب العيش فهم يرفضونه لانه يتعارض مع قيمهم وعقيدتهم ومفاهيمهم القرآنية الاسلامية .

أن الغرب الآن يتطلع إلى عالم الاسلام ليرى فيه صورة الاسلام مطبقة ، بعد أن تحررت الامة الاسلامية من التبعية للنفوذ الاجنبي والصيونية والشيوعية ، أن الصورة الآن في الغرب تكشف عن أنه يتقدم قدما شديدا وحاسما نحو الاسلام .

يقول الدكتور محمد يحيى الهاشمي : يكاد يكون اليوم في كل قطر أوروبي من رعايا المسلمين : للاسلام قوة روحية لا تنكر اقد أخذ يتجه نحو الغرب

إلى أوروبا وأمريكا وأصبحت شعوب أوروبا وأمريكا تقبل على دين جديد بالنسبة لهم ، جدير باعطاء نفوسهم الراحة والسلام ، لانه دين لايتعارض مع الفطرة والعلم والمعرفة وجدير بالتقدم البشرى والاقبال شديد في أمريكا على اعتناق الاسلام من قبل الزوج والامريكيين وتوجد جاليات اسلامية في انجلترا وفرنسا وهولندا وبلجيكا والدنمرك والسويد وفنلندا وليتوانيا واسبانيا واليونان وسويسرا ورومانيا وبلغاريا وبولونيا والباينا ويوغسلافيا وايطاليا والنمسا والمجر ، لهم مراكز ومساجد يدرس فيها القرآن والحديث ، وتوجد كثير من الجمعيات الاسلامية في نيويورك وواشنطن وسان فرانسيسكو وكاليفورنيا وفي أمريكا الجنوبية جالية اسلامية كبرى في يونس أيرس عاصمة الارجنتين وصحيفة اسلامية .

أن معجزة الاسلام الكبرى في العصر الحاضر تتمثل في نموه بخطا وثيدة إلى الامام . . فإذا اضعفنا إلى ذلك أن جورج برناردشو الكاتب الايرلندي الشهير صرح منذ سنوات أن الاسلام القابل للتجدد سيكون دين أوروبا أن قريبا وأن بعيدا .

كل هذا يعطى الداعية المسلم ابعاد المسئولية الملقاة على عاتقه اليوم لحمل أمانة الاسلام إلى تلك الاصقاع ، متجردا لله تبارك وتعالى غير حريص على مغنم دنيوى .

وفي عالم الاسلام اليوم قد تبين بجلاء ووضوح أن التماس المنابع والعودة إلى الاصل هي الحد الحافظ من الوقوع في برائن ازمة الإنسان المعاصر بعد أن تبين أن منهج الله تبارك وتعالى الذى هدى إليه الأمة الاسلامية يحمل عدة عوامل مميزة عن المنهج البشرى : تكاملة ونظرته الجامعة في مواجهة الانشطارية القريية ، رحمته وسماحته في مواجهة الدعوة الغريبة إلى قتل الضعفاء والتخلص من المرضى والفقراء ، التماس وجه الله تبارك وتعالى في مواجهة الاستعلاء العنصرى واللونى والجنسى ومحاولة جعل القوة المادية تقوم دون قوم .

لقد تبين للمسلمين أن لكل حضارة خصائصها المميزة المستمدة من موارثها

وثقافتها وعقيدتها وأن الميراث الاسلامي منصف بالتوجيه والرحمة والعدل ،
ولقد جرب المسلمون أساليب الابدولوجيات ومناهجها وتكشف لهم أنها لم
تستطع أن تقدم لهم مطالعهم النفسية والروحية ، ولذلك فانهم حين يعودون
إلى المناهل الاصيلية فانما يتلمسون الطريق الصحيح .

« وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم
عن سبيله » .

وكذلك فقد تبين للنفوذ الاجنبى ان كل محاولات التى قام بها من عمليات
التبشير والتغريب والغزو الثقافى كوسيلة لاذلال المسلمين إلى جانب السيطرة
الاقتصادية والمالية لم تحقق نتيجة تذكر ، وأن الاسلوب الاصلح هو اعطاء
هذه الامة حقها الكامل فى تطبيق أسلوب العيش الذى تشكلت عليه وألفته منذ
أربعة عشر قرنا وأن المسلمين بعد ذلك هم أهل رحمة واخاء وعطاء مادامت
القوى الكبرى لاتطمع فى غط حقههم ، لقد كانوا عوناً للتقدم العالمى فى
كل المراحل .

يقول المؤرخ الانجليزى هونشو : لقد خرج الصليبيون من ديارهم لقتال
المسلمين فاذا هم جلوس عند اقدامهم يأخذون عنهم أفانين العلم والمعرفة .
وقال جيمس برستد أن العصر الاسلامى فى أسبانيا كان أكبر عامل من عوامل
المدنية فى أوروبا وأن انخزال المسلمين فى السبانيا كان بمثابة انخزال المدنية
أمام الحمجية ولكن بدأ الغرب فى صورة غير المعترف بالجميل وغير المنصف
للحقيقة العلمية أو التاريخية وكان فى مفهوم ثقافته لا يرغب الا فى السيطرة
ولا يرى العدل والحرية إلا للجنس الابيض » .

والعالم كله يعرف الآن أن المنهج التجريبي كان من عمل المسلمين وأنه هو
أساس الحضارة الحديثة — فى مجال العلوم التجريبية والتكنولوجيا — فمن
حق المسلمين أن يحصلوا على هذه العلوم ليديروها فى دائرة فكرهم الاسلامى
لا أن يخضعوا لمفاهيم الغرب التى إحتوت هذه الحضارة من بعد وخاصة فى
تجربتها الاجتماعية التى هدمت الاسرة وحدثت اضطرابا شديدا فى علاقات

المرأة والرجل وفي كل ما يتصل بالفنون والمسرح والربا والقمار
وغرف الليل .

أن التجربة الغربية لاسلوب العيش الذي طبقتها بعض الدول الاسلامية
جريا وراء اسلوب الغرب قد جمحت قدرتها على التقدم الحقيقي ، ولم تكسب
منها شيئا ذا بال ، ولقد عادت تركيا الاسلامية مرة أخرى إلى أصلها بعد أن
غرقت في التجربة الغربية ، وكذلك أخذت ايران وباكستان في التماس المنهج
الإسلامي الأصل ، أما العرب فقد كانوا أقدر على التحرر من نفوذ
الایدولوجيات الغربية بعد أن مروا بتجربة النظام الليبرالي والنظام الماركسي
ولم نجد من أحدهما قدرة على العطاء ، ولقد تعالت صيحات لإصالة في العودة
إلى تطبيق تطبيق الشريعة الإسلامية والحفاظ على اللغة العربية وتحرير الاقتصاد
من النفوذ الربوي المدمر .

ولارب أن ظاهرة العودة إلى الله ، التي تمضي اليوم في طريقها الأصل
تكشف عن جوهر هذه الأمة القادرة في أوقات الازمات ونحن أن تلتبس
أصالتها من مصادرها الأصلية ومنابعها الثرية ، متحررة من كل نفوذ اجنبي
وقادرة على الإخذ والعطاء مع الحضارات والأمم دون أن تفقد ذاتيتها الخاصة
ولا طابعها الأصل .

وقد ترددت صيحات كريمة تدعو العرب والمسلمين اليوم إلى أن لا تحو لهم
المقدورات المادية عن وجودهم الذاتي وكيانهم الخاص وطابعهم الإسلامي وأن
يكونوا قادرين على نقل أحدث مستحدثات العلم والتقدم والحضارة المادية
لتكون مواردا عاما يصنعونها داخل إطار فكرهم وقيمهم وبذلك يصنعون
الحضارة القادمة :

حضارة القرن الخامس عشر الذي يتطلع إليه المسلمون كعلامة على عصر
جديد تعود الكرة منه مرة أخرى إلى أيدي العرب والمسلمين ، ولكن على يقظه
من مقتل الحضارة الغربية الذي أسلمها إلى إلزامه الخائفة والصراع بين القوى
مع ما أمتلكته من أسباب التمسك المادي وهو أنها كسرت الإطار الديني

والاخلاق الذي هو الحاجز الحامي لكل نهضة من التعثر والتصدع وقد مضت تواجدة الحياة بغير سناد حقيق يحمى ظهرها أو نور صادق يضيء طريقها وبذلك صرعتها المادية الغالية وانحرفت بها الطريق إلى تأكيد أهواء النفس وتغليب الترف والمم لذات والشهوات وهذه أزمه الانسان الحدث وصراعه وتمزقه وغربته وضياعه ، نتيجة تجاهله أشواق الروح ونداء الوجدان وصيحه الضمير ، وتمزق الكيان الانساني وتجاهل مسؤوليه الانسان والتزامه الاخلاق وإمانته التي حماته أياها أديا السماء ، فليحذر المسلمون اليوم وهم على الطريق إلى امتلاك أدوات الحضارة الحديثة أن تستوعبهم الحضارة أو تحتويهم وعليهم أن يصنعوا حضارتهم في إطار التوحيد والرحمة والاخلاق.

الفصل الثاني

الدعوة الإسلامية: أفاقها وتبعاتها

تعمل الدعوة الإسلامية في ميادين ثلاثة :

أولاً: دعوة الخلق إلى الحق وذلك بتقديم جوهر التوحيد ومسئولية الإنسان والتزامه الاخلاقى وجزاءه الآخرى إلى كل إنسان .

ثانياً : تصحيح المفاهيم ودخس الزيوف والسموم المطروحة في أفق الفكر الإسلامى لتقديم مفهوم غير كامل وغير جامع إلى المسلمين أنفسهم وذلك بالكشف عن حقيقة الإسلام بوصفه ديناً ونظاماً مجتمع.

ثالثاً: العمل على تحرير الافليات الاسلاميه وحماية الجماعات الاسلاميه المتناثرة في مختلف الاقطار والقارات .

وبالرغم من نقص المقدرات اللازمه لنشر الدعوة الاسلاميه وتقصير المسلمين فى البذل من أجل إعلاء كلمه الله فى سائر الآفاق فإن الاسلام قد شق طريقه بقوته الذاتيه خلال القرن الرابع عشر حتى وصل إلى مختلف الأجزاء البعيدة فى القارات الخمس وشكل جماعات فى بلاد عديدة من استراليا وآسيا وأفريقيا والأمريكتين ولقد حققت الدعوة الاسلاميه ذلك بالجهد الخاص وبقوة الاسلام الذاتيه فأثبت ذلك حاجه الانسانيه وتطلعها إلى ذلك الضوء الكاشف بعد أن فشلت الأبدولوجيات فى أن تحقق للبشرية شيئاً ذا بال .

ولما كانت العبرة ليست بانتشار الاسلام كما وعددا وإنما كيفاً وإيماناً برسائله الحقه فإن أهل القرن الخامس عشر مطالبون بالعمل المتصل لتقل هذه

الجماعات التي أسست وتركت نجلها أو وثقتها إلى مفهوم الأصالة حتى يفهم الاسلام حق الفهم ويطبق تطبيقاً صحيحاً لبناء الفرد والجماعة وأن يبذل المسلمون من الملم ويقدموا من دعائهم الخامس الذين لا يطعمون في متاع الحياة الدنيا لتعليم هذه الجماعات وتنقيتها وتلقيها في دينها لتؤمن بأن الاسلام : دين ونظام مجتمع ويجب التركيز على البلاد التي دخلها الإسلام وماتزال عقيدته متلبسة بالوثنيات القديمة أو بالانحراف التي تقول بها القاديانية وغيرها ، ولذلك فإنه على أهل القرن الخامس عشر ودعائه العمل بجد وقوة على تنقية العقيدة الإسلامية في هذه الأطراف (جنوب شرق آسيا وشرق أفريقيا وغربها) من هذه الدخائل وتحريرها وتنقيتها بحيث تصبح العقيدة المنزل هي معتقد هذه الأقوام ولا ريب أن المسلمين جميعاً مكلفون بالدعوة إلى الله تبارك وتعالى بالحكمة والموعظة الحسنة . والقرآن الكريم هو إمام هذه الدعوة ومنهجها ، وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وسنته هي الأسلوب والقُدوة وقد ميز الله تبارك وتعالى (أمة الاسلام) عن سائر الأمم لآنها أمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فليحمل المسلمون القرآن نبراساً إلى الأمم الوثنية الضالة ، وإلى الأمم المتحضرة الضالة التي لم تحقق لها الأيديولوجيات المختلفة أمناً ولا سلاماً . وعليهم قبل أن يقدموا الإسلام إلى الأمم أن يطبقوه على أنفسهم ويحققوا قيام المجتمع الإسلامي ولا ريب يحمل المسؤولية عن الدعوة الإسلامية كل مسلم ، شريطة أن يتفقه في أمر دينه وأن يعرف متغيرات الأمم والحضارات والتيارات المختلفة التي تعاصرها ، ولا ريب أننا اليوم على أبواب القرن الخامس عشر الهجري نجد الجو مهيئاً لدعوة الناس إلى الإسلام ، بعد أن فشلت المناهج الغربية والماركسية في بلادها قبل أن تفشل في محاولة تطبيقها في بلاد الإسلام ، ونجد الآن طائفة كبيرة من مثقفي الغرب يتطلعون إلى أفق جديد من آفاق الضوء السكاشف وقد خدعهم التلويديون عن الدين الحق بعد أن عجزت المسيحية الغربية وعجزت البوذية والبهاية وغيرها أن تقدم لهم ضوءاً يسد النقص أو يحقق لها الأمن أو يكشف لها عن جوهرها

ورسالتها ومنهجها في الحياة وقد تنبى كثيرون بأن الغرب سوف لا يجد أمامه بعد هذه المرحلة من الدمار والأزمة والتمزق بديلاً من أن يجرب الإسلام — والمسلمون لا ريب هم أمة الدعوة وحمل الأمانة في إذاعة كلمة الله إلى العالمين ويجب عليهم أن يقدموا النماذج الصادقة في هذا المجال : أولئك الأبرار الذين يتحرون العمل الخالص، ليس لهم مطمع من مغنم مادي أو دنيوي . إلا ابتغاء مرضاة الله تعالى ولا ريب أن حركة الدعوة الإسلامية قد قطعت طريقاً طويلاً ومهدت السبيل لعمل كثير فعلينا ملاحظة اتجاهاتها وتقويم نتائجها وآثارها والعمل المشترك على تعزيزها وتعميق مسارها وتحقيق أهدافها ومواجهة الدعوى والاتجاهات المضادة للإسلام ومقاومتها وكشف زيفها ، وأما كانت المعاهد الإسلامية قلعة حصينة في وجه هذه التيارات خلال القرن الرابع عشر ، ولذلك فقد حاول الغزو الأجنبي الحد من نشاطها وتغيير وجهتها ولكنها صمدت وثابت وقاومت فرض السيطرة عليها والتحكم بمسيرها ومسيرتها . في هذا المجال يتحتم العمل على جعل المسجد مركز الإشعاع الديني والعلمي والثقافي والاجتماعي في البيئة فيقوم بالإضافة إلى دوره الأساسي في العبادة بدوره في المجتمع حيث يتم فيه ، ومن خلال المسؤولية الملقاة الملقاة عليه تعليم الناس ومحو أمية الكباو وتحفيظ القرآن الكريم وأداء الخدمات الاجتماعية والإرشاد الصحي وقراءة الكتب التي تحتاج إلى تفسير . وعلى الداعية المسلم أن يعبر عن روح الإسلام السمح في معاملته لأعدائه وخصومه من خلال نظرة متسامحة تخاطب في معاملته لأعدائه وخصومه من خلال نظرة متسامحة تخاطب بمودة المخالفين والمؤمنين معاً كأنهم أسرة واحدة ، وعلى أجهزة الإعلام أن تحمل لواء الحوار الهادئ والرهان المبين بالكلمة الطيبة ، فإنها أفعل في رد المنحرفين ، كما أنها أداة تقبل الراغبين في الدخول في الإسلام وعلى الداعية المسلم أن يستوعب كل ما يقوله خصوم الإسلام في كل جولات الغزو الفكري ليرد عليها ويواجه تحدياتها ويفندها بالعلم والمنطق وأسلوب العصر . ولا بد أن يواكب صوت الدعوة الإسلامية هذا التغيير الذي يمر بالعالم الإسلامي ، الذي يدخل في مرحلة جديدة من التفوق البشري والعطاء المادي وأرصدة الطاقة والمال

ليصبح أغنى مناطق العالم ، ومن شأن هذا أن يحدث تغيرات هائلة في موازين القوى ولا بد أن يكشف صوت الإسلام في هذا الجو معجزة التشريع القرآن في صلاحيته لكل عصر وقدره الإسلام كدين ونظام مجتمع على التفاعل والعطاء والتأثير .

وقد قدمت الدعوة الإسلامية حصيلة ضخمة من التجربة والجهـد والعمل خلال القرن الرابع عشر الهجرى ستكون بمثابة ضوء كاشف للدعوة الإسلامية في القرن الخامس عشر حيث دخلت ساحه الإسلام مجموعات مختلفة من أنحاء العالم وحيث بدأ تيار جديد في الغرب يحمل لوائه كتاب ومفكرون يرون أن الاسلام وحده هو القادر على إنقاذ البشرية من هـدتها الحالية ، وهو ما يسمى غزوة جديدة للدعوة الاسلامية عن طريق الافئدة والسلم وهناك ظواهر جديدة في أفق العالم الاسلامى نفسه كظاهرة عودة تركيا الى إطار العالم الاسلامى وبروز الذاتية الاسلامية قوية متحدية بعد أن مضى أكثر من خمسين عاماً على محاولات تغريبها ، كما تكشف حقائق كثيرة إزاء زيف الدعاوى الموجهة إلى السلطان عبد الحميد كما تكشف حقيقة بروتوكولات صهيون وظهور كتاب أحجار الشطرنج وغيره بما كشف من حقائق الماسونية والروتارى وغيره من المحاولات التي قامت بها الصهيونية العالمية لخداع المسلمين ولاحتوائهم ، وفي باكستان استعان تطبيق الشريعة الاسلامية ، كما أخذت إيران طريقاً إسلامياً رائعاً ، وأصبحت كلمة التضامن الاسلامى طريقاً إلى الوحدة الاسلامية أمراً قائماً حقيقياً منذ بدأت اجتماعات رؤساء الدول الاسلاميه منذ عام ١٩٦٩ على أثر اشتعال النار في المسجد الأقصى وقد بلغ تعداد الدول الاسلاميه المتضامنة ٤١ دولة إسلامية من آسيا وإفريقيا وتعالـت صيحة الوحدة الاسلامية الكبرى على لسان رئيس باكستان حيث يقول (إننا نسعى دائماً للوحدة الاسلامية الكبرى لأننا نخشى على بعض الدول الاسلامية من مطامع وأهداف القوى الغازية) ، إن جمهورية باكستان التي أسست على الام سبق بإذن الله حاضراً

ومستقبلاً باسم الإسلام وقد أصبحت هناك اليوم منجزات حقيقية تؤكد على أن الإسلام هو الهدف الأسمى والأصيل لكل ما تقوم به من أعمال وما نسعى إلى تحقيقه من أهداف ، وأن يترك الإسلام أثره في كافة نواحي العمل الإنساني وأن تثبت أن الإسلام ليس دين الأمراء وحدهم وإنما هو لكل الطبقات والفئات وما على الإنسان المسلم إلا أن يناضل من أجل حياة أفضل وأسمى .

لقد دخل في الإسلام خلال القرن الرابع عشر عشرات من الأسماء اللامعة من الغربيين وكتب عنه كثير من المنصفين . وأعلن الذين لم يدخلوا فيه بصدق عن مدى حاجة البشرية إليه ، أمثال برناردشو ، وجوستاف لوبيون ، ودرابر ، وسجريد هونسكه وعشرات . أما الذين دخلوا في الإسلام أمثال ناصر الدين ديينه وعبد الكريم جرمانوس ومحمد أسد (ليوبولد فابس) فقد كشفوا في مؤلفاتهم ، أشعة خاصة بنور الاسلام والله أكبر ، والطريق إلى الإسلام : حاجة البشرية إليه ، يقول ناصر الدين ديينه : عند ملر رفع الله إليه مؤسس الإسلام العبقري ، كان هذا الدين القويم قد تم تنظيمه نهائياً وبكل دقة حتى في أقل تفاصيله شأناً . وكانت جتود الله قد أخضعت بلاد العرب كلها وبدأت في مهاجمة امبراطورية القياصرة الضخمة بالشام ، ولقد أثار القلق الطبيعي المؤقت عقب موت القائد العظيم بعض الفتن العارضة ، إلا أن الإسلام كان قد بلغ من تماسك بنيانه . ومن حرارة إيمان أهله ما جعله يبهز العالم بوثبته الهائلة التي لا نظن أن لها في سجلات التاريخ مثيلاً ، ففي أقل من مائة عام وبالرغم من قلة عددهم استطاع العرب الأبحاد وقد اندفعوا لأول مرة في تاريخهم خارج حدود جزيرتهم أن يستولوا على أغلب بقاع العالم المتحضرة .

هذه روح الاسلام في كتابات من دخلوا فيه ، كذلك فقد كشفت كتابات كثيرة عن مهمة الاسلام أمام إفلاس الحضارة الغربية منها الدكتور سجر يد هونسكه في كتابها (شمس الله تشرق على الغرب) وما كتبه السكاتب الفرنسية (سانت بوابت) حيث تقول : إن الغرب في حاجة إلى الشرق ليكون له إيماناً جديداً . حاجة الشرق والغرب إلى حالة وسطى ، هي الاسلام الذي وسد الدهر

إليه هذه المهمة العظمى بين الشرق والغرب فقد أجل أهله بين العلوم
السكونية والفضائل الروحية ، إن مهمة الوساطة بين الشرق والغرب قد أقيمت
من جديد على عاتق الاسلام فعلى رعماء الاسلام أن يفهموا المهمة السامية
التي يجب عليهم القيام بها ، وعلى أوروبا أن تولي وجهها ناحية الشرق ،
لتخفف عن كواهل أبناء عبودية المادة . وقال أحد المفكرين الانجليز
في هذا الشأن :

لن تعاليم الاسلام نموذج حي لاصلاح المجتمعات والقضاء على الظلم والجريمة
ولو تمسك المسلمون بعقيدتهم وطبقوا تعاليم دينهم وتمثلوا بها في أنفسهم
خلقاً ومنهجاً لسعدوا ولاسعدوا البشرية التي تشكو من ويلات متعددة في
تعاليم الاسلام العلاج السكامل لها ولسوف يدخل معهم الجميع في هذا الدين
والذي تنسم تعاليمه بالسمو الخلقى والمثالية الاجتماعية والروحانية المطلقة :
تلك الخصال التي تتوق إليها النفوس وتتطلع إليها البشرية وينتظر وجودها
سكن الأرض .

ولاريب أن الغرب الآن قد اقترب من الاسلام كثيراً بعد أن تشككت
تلك الجماعات الاسلامية الضخمة في كل مكان فيه وخاصة في إنجلترا وفرنسا
وألمانيا (أوروبا) وكان السيد خورشيد أحمد مدير عام المؤسسة الاسلامية
في أوروبا في تقرير أعده المجلس ونشره مؤتمر لندن الاسلامي أن عدد
المسلمين في أوروبا يبلغ حالياً ٢٥ مليون و ٢٠٧ ألف نسمة تقريباً . ويقدر
عدد المسلمين بالدول الأوروبية غير الشيوعية بنحو ثلاثة ملايين و ٩٢٠ ألف
نسمة أي بنسبة ١٧٥ ٪ من عدد السكان أما عدد المسلمين بالدول الأوروبية
الشيوعية فيقدر بنحو ١٩ مليوناً و ٧٧ ألف نسمة أي بنسبة ١٨ ٪ من مجموع
السكان ولا يدخل في هذا العدد مسلمو الجمهوريات الآسيوية التابعة
للاتحاد السوفيتي .

وتوجد أعلى نسبة من السكان المسلمين في غرب فرنسا حيث يقدر عددهم

بنحو ١٩٧٢ر٨٣٠ أى بنسبة ٣٠٪ من عدد السكان رتأتى بعدها ألمانيا الغربية حيث يوجد مليون ونصف مليون أى بنسبة ٢٤٪ من عدد السكان ويوجد فى بريطانيا نحو مليون نسمة أى بنسبة ١٧٧ بالمائة من مجموع السكان والمسلمون فى الولايات المتحدة أصبح عددهم يتجاوز ثلاثة ملايين ونصف المليون قد أخذت نسطح شمس الاسلام على هذه القارة وحيث أصبحت الظاهرة المميزة للمجتمع الأمريكى بأنه لا يمر يوم إلا يزداد المسلمون فيه عدداً ولا يطلع فجر جديد إلا وتزداد شمس الاسلام سطوعاً . ويعمل هناك اتحاد منظمة الطلبة المسلمين فى الولايات المتحدة وكندا . وقد دل الاحصاء على أن المسلمين ١٩٧١ حوالى مليون مسلم ، نصف هؤلاء من أصل عربى ويتزايد المسلمون فى أمريكا بسرعة كبيرة لأسباب ثلاثة : الزيارة الطبيعية والهجرة من البلاد الاسلامية ، واعتناق الاسلام من الأمريكىين بمعدل حوالى ٢٠ ألف فى السنة .

ويمكن القول أنه نبتت رغبة لدى المثقفين الغربيين فى أمريكا للتعرف على الاسلام وتصححت رحلة المسلمين السود وتحرروا من المفاهيم الخاطئة والاسلام هناك فى طريقه إلى مفهوم التوحيد الخالص ما يزال المسلمون فى هذه المناطق كلها فى حاجة إلى معلم اللغة الغربية للاطفال والتفقه فى الشريعة والعقيدة لسكبار الذين يدخلون فى الاسلام وبناء المساجد ولا بد أن تعمل المؤسسات الاسلامية فى هذه المناطق على إعداد المجتمعات الاسلامية بأن يؤهل الأفراد لدراسة الاسلام وتفهم معانيه وحفظ قرآنه وأحاديث الرسول وأداء الصلوات والتحل بمكرم الأطلاق ، وأن تعرف كل عائلة الاسلام لمن حولها من غير المسلمين ، وللتوسع فى بناء المؤسسات الجديدة وأداء ما يستحق عليهم من الزكاة إلى الفقراء أو إلى هذه المؤسسات لمنفعة جميع المسلمين .

وتؤكد التقارير بأن الاسلام هو أكثر الأديان إشرافاً فى الاتحاد السوفيتى وأن العقيدة الاسلامية هناك أكثر رسوخاً من أية أديان أخرى برعم الحرب التى يشنها الاتحاد السوفيتى على الأديان ، وأن النمو السكائى فى جمهوريات

وسط آسيا السوفيتية مثل أوزبكستان وتاجيكستان وقزيميزنا وتركمانيا وكازاخستان يفوق كثيراً النمو السكاني في جمهوريات الاتحاد السوفيتي الأوربي وأن هذا الأمر سيجعل الاسلام يسود الاتحاد السوفيتي في أواسط القرن الخامس عشر الهجري ويبلغ عدد المسلمين في جمهوريات وسط آسيا السوفيتية حوالي ٣٠ مليون . وأن المسلمين متمسكون بدينهم وتراثهم الاسلامي وأن هذه الظاهرة تتجلى واضحة في المساجد التي تظل دائماً عامرة بالمؤمنين وفي تمسك الشباب بالصلاة والصوم .

وقد تبين أن الاسلام في نجاح مضطرد في استراليا وقد زاد عددهم من بضعة أشخاص كانوا في عام ١٨٦٠ قابعين في تلك المنطقة إلى أن صاروا هذه الأيام مائة ألف نسمة بازدياد تعداد المسلمين إزداد عدد المساجد التي انتشرت أنحاء البلاد وتولت بناءها جاليات إسلامية من جنسيات مختلفة ويثبت متبينة تحمل هذا الدين إلى هذه الأراضى في إيمان المسلم المهاجر للبحث عن قوت حياته .

وفي اليابان حركة إسلامية تنسج في مختلف أقطار اليابان وذلك بعد أن اعتنق ثلاثة آلاف في طوكيو الاسلامية ودخل ألف آخرون في مناطق أخرى ، ولا نستطيع أن ننسى ونحن في الحديث عن إيجابيات الدعوة الاسلامية من أن تشير إلى الأخطار التي تكتنف الدعوة في أماكن كثيرة ، وخاصة ما يقوده مجلس الكنائس العالمية من حملة تصيرية في أندونيسيا ، حيث يجري استغلال فقر بعض المناطق لاغرائها بأنفاق مئات الملايين من الدولارات باسم التعليم والعلاج وقد تمكنوا في السنوات العشرة الأخيرة من تضليل عشرة ملايين مسلم من أحجار الحاجيات ولقد ظهرت مخططات يعول أصحابها على القضاء على الاسلام خلال خمسين عاماً ، بعد أن أنزلوا بهذه المناطق أكثر من ثلاثين ألف مبشر وهناك أيضاً محاولة إبادة المسلمين في بورما ، وما يتعرض له المسلمون في كوديا في ظل الحكم الشيوعي من مذابح عظيمة .

وهناك مأساة مسلمي الهند : وما يلاقيه من مذابح ونهب واعتقالات للأقلية المسلمة في الهند وهي من أضخم الأقليات في الهند حيث يتراوح عددهم ما بين سبعين إلى مائة مليون ويلغون نحو العشر من سكان عظيم الهند وقد كتبت بدماء المسلمين في الهند وكشمير هصول دامية على مدى نحو ثلاثين سنة من استقلال الهند والانفصال بين الهند وباكستان ، فقد اضطهد الهندوس المسلمون في المناطق التي يشكلون فيها أقليات فعلا عن مؤامرات تعقيمهم والقضاء على أنسابهم كما حدث في أبان حكم أندرا غاندي الاول وهناك قضايا الأقليات الإسلامية في بورما وقطاني وجنوب الفلبين (خمسة ملايين) وروول جامو وكشمير وهناك الأقليات الإسلامية المضطهدة في الفلبين وبورما وتايلند واليونان .

وهناك أخطار القاديانية والبائية على الدعوة الإسلامية في أفريقيا وأمريكا وهناك أخطار الماسونية ولها صلة بالصهيونية التي تحركها وتنفذ تحت شعارات خداعة ، هناك مخططات التبشير والتنصير ، والزحف الشيوعي الأحمر في العالم الإسلامي .

ثانياً : تصحيح المفاهيم

على الدعوة إلى الله أن يعملوا في الميادين الثلاث ما استطاعوا وأخطر هذه الميادين ميدان الدعوة في بلاد الإسلام في مواجهة التغريب والغزو الثقافي والعمل على كشف هذه التيارات الفكرية الهدامة وسمومها أولاً بأول ومتابعة التحديات المتجددة ، بهدف تحرير العالم الإسلامي من متاعب الواقع الذي تعيشه الأمة الإسلامية والأخطار التي تحدتها هذه الأخطار المبتوثة عن طريق التعليم والثقافة والمسرح والكتاب والمرناة والتي هي من آثار الغزو الاستعماري السياسي والعسكري ثم الغزو الاقتصادي والثقافي ، ولا بد من التصدي لهذا الواقع مهما كان مرأاً ، والأخذ بيد الأمة الإسلامية إلى مستقبل مشرق بنور التوحيد والشريعة الإسلامية ويتطلب هذا أن يكشف الدعوة إلى الله جوهر التراث الإسلامي الأصيل والكنوز المذخورة مما عز نظيره وما أخذته أوروبا وطعمت به قوانينها ومناهجها ، لا بد

من إحياء هذا الميراث القرآن الأصيل — لا التراث الزائف : تراث الباطنية ووحدة الوجود والاشراق والحلول — وتقديم النماذج الأصلية من البطولات وفي مقدمتها بطولات الأنبياء الذين مهدوا الأرض للتوحيد والرسالة الخاتمة ويجب أن تكون سيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم معروضة في أحسن سمت على أنها أعلى صورة للثل الأعلى الإسلامي وأن مدرسته وصحابته هم النماذج البشرية العليا بعد النبوة ولا بد أن تكشف عن عظمة الشريعة الإسلامية وذلك بإقامة المقارنات الواسعة بينها وبين القوانين الوضعية وأن يصدر ذلك عن إيمان أكيد بأن المستقبل للإسلام ، فهو المنهج الأواحد الملائم للفطرة البشرية ، وهو الرحمة المهداة ولا بد من حماية الأجيال الناشئة عن التمزق والغربة التي تفرضها عليهم المناهج والنظريات الوافدة أو متابعة بعض المضللين الذين يحرون وراء الركام الفلسفي القديم فهم لن يمدوا أنفسهم إلا في إطار القرآن والسنة ومفاهيم الأصالة والفطرة .

ويجب التنبيه إلى أساليب التبشير والغزو الثقافي والوقوف في وجهها وذلك بالتمسك بأسلوب التربية الإسلامية الأصيل وتفسير التاريخ الإسلامي تفسيراً إسلامياً والتحرر من مناهج فرويد وماركس ودوركايم وسارتر وغيرها فإنها لن تستطيع أن تقدم للنفس المسلمة والنفس العربية إلا الضلال ولا بد أن تكون لنا مدارس على مستوى عال حتى نقطع حجة بعض الآباء في إرسال أبنائهم إلى المدارس الأجنبية من أجل أنها تعلم لغة أجنبية ، ولنلجأ إلى أن العمل التبشيري بعد أن كان يقوم على الدعوة المجردة أصبح الآن يعمل على إتاحة بعض الفرص المادية لقرائه فهذه يجب أن تكون موضع تقدير الغيورين ، ولا بد من أن تكون المؤسسات الإسلامية في درجة توازي المؤسسات الأخرى من ناحية المظهر والأدوات .

(تجديات اللغة العربية)

واللغة التي قطعت خلال القرن الرابع عشر مرحلة واسعة في سبيل التحرر من أساليب الهدم ، بتغليب الداميات عليها والدعوة إلى كتابتها بالحروف اللاتينية ، يجب أن تدخل مرحلة جديدة من العمل الإيجابي في القرن الخامس عشر حتى تصبح لغة العلم والتكنولوجيا ، وقد تيسر لها عن طريق الجامع اللغوية في مصر والشلم والعراق والأردن وغيرها في السنوات الأخيرة رصد ضخمة من المصطلحات الحديثة ولكن المهمة الكبرى ما تزال مستولية أهل القرن الخامس عشر ، فيجب أن يتقدم كثيراً في مجال البحث عن بدائل الألفاظ وإدخال الفلسفة الحديثة في إطار اللغة العربية أساساً ، حتى لا نكون مستعبدين لفكر اللغات الأخرى . وما تزال تجربة تعليم العلوم باللغة العربية واضحة ، ويجب أن تعمم ، ولا بد من استنفاد اللغة العربية في بلاد أفريقيا وآسيا حيث تحاول القوى الاستعمارية أن تنقلها إلى الحروف اللاتينية كما حدث في أندونيسيا وتركيا ويتطلب إدخال التكنولوجيا الحديثة إلى عالم الإسلام وأن يهتم ذلك في إطار اللغة العربية حتى تكون في إطار المفهوم الإسلامي للعلم .

ولذلك لا بد من دعوة الدول الإسلامية إلى العناية بلغة القرآن والإعتراف بالمصحح والاتجاه إلى الأسلوب القرآني وأسلوب الحديث واستلهم التراث الإسلامي والحفاظ على الخط العربي والحرف العربي ، والعمل على إعادة الدول التي استبدلت الحرف العربي بالحرف اللاتيني ، وأن تكون لغة القرآن لغة رسمية في المؤتمرات الدولية وتعليم في الطب والهندسة والعلوم وإنشاء مراكز لتعليم لغة القرآن في البلاد الإسلامية غير العربية ، ووضع معاجم ودوائر معارف إسلامية .

وعلى المسلمين العرب مساعدة إخوانهم على تعلم اللغة وتنمية ذلك الميل الشديد إلى الفصحى باعتبارها لغة القرآن وتوثيق العلاقات الثقافية العربية الإسلامية الجامعة ،

تحديات التاريخ

وعلينا أن نعمل على تحرير « التاريخ الإسلامى » من الروح الإقليمىة والقومية والعلمانية والكشف عن فساد المخططات الوافدة التى ترمى إلى بعث الحضارات القديمة : وقد واجه المسلمون فى القرن الرابع عشر الهجرى دعوات الفرعونىة والفينيقية والآشوريه والبابليية وغيرها من دعوات لم تستطع أن تثبت أمام الطابع الإسلامى الذى صهر هذه المنطقة كلها وأقام « الانقطاع الحضارى » أزاء هذه الدعوات السابقة للإسلام ، والتى لم يبق منها أى عامل من عوامل الحياة ، كذلك فعلينا أن نواجه مفهوم القومية الوافدة الذى يريد أن يفرغ العروبة من إلتئامها الإسلامى ويمزق الوحدة الجامعة بين الإسلام من ناحية ، وبين العرب والترك والفرس والبربر والماليزيين من ناحية أخرى ، وأن يعلموا أن رابطة الوحدة الإسلامية التى أقامها القرآن والإسلام هى أكبر الروابط ، وأن المجموعات القومية كلها متلاقية مترابطة تحت « لا إله إلا الله » .

المرأة والمجتمع

وفى إطار المفهوم الاجتماعى الإسلامى علينا مواصلة العمل لحماية المرأة والمجتمع من عوامل إغراء وانحراف التيارات الوافدة ، وكذلك حماية الشباب من عوامل الانحراف التى تدفع أبناء المجتمع دفعاً إلى الفساد والزذيلة وارتكاب الجرائم ، ومنع النساء من العمل فى بعض الوظائف التى لا تليق بأنوثتها ، (كسكرتيرة لأحد الشخصيات أو مضييفة فى طائرة) . ولا بد من تأكيد وظيفة المرأة الأصلية : زوجة وأماً مصدر المودة والرحمة للرجل وللطفل الملتصق بأمه رضاعة وسكناً ، والعمل على تفريغ المرأة لتربية أبنائها فهو أجدى على المجتمع من عملها مع ضياع الجيل .

والكشف عن فساد المفاهيم الوافدة عن حرية المرأة والمساواة التامة بينها وبين الرجل ، أو أن دخل المرأة المادى له الأهمية الأولى فى الحياة الزوجية ، ولا ريب أن المرأة المسلمة قد استهدت مفهوماً أصيلاً ودخلت مرحلة التحرر

من مفاهيم الغرب واكتشفت أن هناك محاولة لتدمير الأسرة بدعوتها إلى إحتقار
الأمومة وأن المساواة بين الرجل والمرأة خدعة مضللة على المجتمعات الإسلامية
أن تقيم حدود الله الشرعية الستة : حد الحراة ، وحد السرقة ، وحد الخمر ،
وحده الرنا ، وحد القذف وحده الردة . وكذلك جباية الزكاة ومعاقبة المجاهرين
بالفطر في رمضان ومنع الربا وتطوع وسائل الإعلام لتوجيهات الإسلام والعمل
على حماية المجتمع الإسلامي من الماركسية ومن أخطار التبعية وتحريره من العلانية
والدعوات الهدامة والفرق الضالة (البهائية والقاديانية) ومن المحتم دفع الجامعات
على طريق الدعوة الإسلامية وتحريرها من الانفصام القائم بينها وبين الدين
وضرورة إدخال الثقافة الإسلامية إليها وأن نستعلن فيها وجهه نظر الإسلام في
في الاقتصاد والاجتماع والنفس والاخلاص والكشف عن الفوارق العميقة فيها
وبين العلوم الاجتماعية ومفاهيم فرويد ودوركايم وسارتو وماركس ، ويجب أن
يكون التعليم الإسلامي أساساً لكل أنواع التعليم ، ثم تتوزع بعده الدرجات
في الثانوى والعالى والتخصصات في الدراسات العليا . ولا بد من العودة إلى تعليم
القرآن وإنشاء مكاتب محفظة في كل مكان وطبع القرآن طباعة تيسر على الطلاب
قراءته وحفظه وفهمه وتفسير كلماته فإن تعلم القرآن وحفظه هو حجر الأساس
في بناء شخصية الأبناء : دنيا وثقافة وإتة وفكرآ .

وعلى الجامعات في العالم الإسلامي أن تدرس الاقتصاد الإسلامي وتوفر
الأدوات العلمية اللازمة لخدمته من خلال المكتبات ، والتنبيه إلى أن التأمين
التجارى الذى تمارسه شركات التأمين التجارية في هذا العصر لا يحقق الصيغة
الشرعية للتعاون والتضامن ولا بد لترسيخ مفاهيم الإسلام الاقتصادية من
الارتكاز على أمور :

الاعتقاد بأن السكون لله وأن المال مال الله وأن الانسان مستخلف على
ما تحت يده من نعم الله وأن الملكية الخاصة التى أفرها الإسلام مقيدة بوسائل
الكتسب المشروع والانفاق المشروع وأزاء حق المال وأن النظام الاقتصادى
فى الإسلام من شأنه أن يحقق التوازن المالى والتسكافل الاجتماعى ، ولن يتحقق

ذلك إلا بدعم فكر المصارف الإسلامية والسعى لتعميمها على أساس بنوك بلا فوائد.
وعلىنا لذلك تشجيع إنشاء المصارف الإسلامية التي تعمل بدون ربا، وماتزاله
أماننا تجربة بنك (دى) الإسلامى تؤكد نجاح نهلم الإسلام فى عالم المال
والاقتصاد . حيث يقوم البنك الإسلامى بدور تغطية الجوانب التى لا تستطيع
البنوك القائمة أن تشملها بنظامها الربوى المعقد القائم على أسلوب القائمة التقليدية
وذلك دون أن يكون هناك قصور فى إيجاد الوسائل المتلائمة مع احتياجات التجارة
والصناعة وغيرها ، ولما كان الربا حسب المفهوم الإسلامى يوجد فى حالتين هما :
اليون والبيع ، فإن المصرف الإسلامى يستطيع تفادى هذا الخطر مع توفير
عامل الأمن والطمأنينة النفسية وراحة الضمير ، وتحقيق الأرباح الجائزة فى
مجالات المشاركة والتوسط المالى .

ولاشك أن المصرف الإسلامى بأسلوبه المتميز ييسر على رجال الأعمال
الإفادة من القسيلات المصرفية بمراعاة أن يكون المنتج — سلعة أو خدمة — فى
دائرة الجلال وأن تكون كل مراحل العملية الإنتاجية (تمويل وتصنيع وشراء)
وكذلك سبلها (نظم عمل وتحديد أجور العاملين) ضمن دائرة الجلال أيضاً
فالأسلوب المميز للمصرف الإسلامى نحو قيام الأعمال الاستثمارية على أساس
مشاركة تبنى جميع الأطراف فمرتها كما تحقق فى ذلك الوقت صالح المجتمع الإسلامى .
وعلى المسلمين أن ينشئوا سوقاً إسلامية مشتركة حتى يستطيعوا السيطرة على
اقتصادهم وتطبيق منهج الإسلام فيه بدلاً من خضوعهم للاقتصاد الرأسمالى أو
الماركسى أو اليهود .

ومن الضرورى مواجهة مخطط الهدم الذى تنفذه الفنون العامة : المسرح
والسينما والإذاعة والتلفزيون ، وأسله هذه المؤسسات والأجهزة لتعمل فى الطريق
الصحيح لبناء المواطن الصحيح وهذا هو مفهوم التصدى للواقع غير الإسلامى
والمزحف الذى تعيشه المجتمعات العربية الإسلامية والذى يتبين من خلال تهمرة
القرن الرابع عشر ضرورة تحقيقه لا يمكن إعطاء الدعوة الإسلامية الفرصة للانطلاق
إلى الأفاق الجديدة . ولابد من اصطناع أسلوب (التربية الإسلامية) فى بناء

الفرد والجماعة والمدرسة كوسيلة لدخول المسلمين مرحلة النهضة وعصر الرشد
الفكري . هذه التربية الجامعة (روحاً وعقلاً وجسماً) على الإيمان بالله والالتزام
الأخلاقي . ولا بد أن يكف المسلمون عن تطبيق أسلوب التعليم والتربية الغربيين
بعد أن كشف هذا الأسلوب عن تلك الاخطار والتحذيرات التي لحقت بشباب
المسلمين وأجيالهم المتعددة فأبعدتهم عن روح الإسلام وطابع الاخلاقية ، ولا بد
من قيام ركني الإيمان والاخلاق ، ولا بد من بناء النفس الإسلامية والعقل الإسلامي
بالإيمان والاخلاق في إطار مفهوم الإسلام نفسه كنهج حياة ونظام مجتمع يوجه
الحياة كلها في كل الآوات وجهة إسلامية ليكون بناء المجتمع خالصاً لله تبارك
وتعالى قائماً على الرحمة والعدل والرخاء الإنساني ولا بد من أسس العلوم كلها
لتعودنا إلى الله تبارك وتعالى فالرياضيات والفلك والفيزياء والكيمياء وعلوم
الحياة والنفس والجغرافيا والتاريخ والاجتماع والفنون الجميلة كلها يجب أن
تعودنا إلى طريق الله الحق ، أن تسير في إطار نهج الله تبارك وتعالى تعطى
ما أحل ونمنع ما حرم .

وهناك قضية خطيرة جدية بالنظر في هذا المجال : هي قضية التقدم ذلك أن
في التقدمية الغربية إزدواجاً بشكل خطراً على وحدة الامة ونظام حياتها ، فإن
هذه التقدمية تدعو الى الملبانية وإلى فصل الدين عن الدولة وفصل العلم عن الاخلاق ،
ومن شأن هذه التقدمية أن تقلع الفرد من جذوره الحضارية وتقذف به في
دوامة من القلق والانشطار الذاتي ، لقد اقتبسنا العديد من العلل والامراض
الاجتماعية والاخلاق باسم التقدمية كاستهلاك الكحول والتراخي في أمور العفة
والشرف جاءت الينا مع التقدمية وباسم التقدمية ، ولا ريب أن المذينة الغربية
فيها سم ودسم ، لا يتضح أن نلهم السم مخلوطاً بالدسم والداعون الى أخذ السم
وحده انما يخدمون التبعية الغربية ، ان التقدمية الغربية هي مزيج من عناصر قوة
وعناصر ضعف انها تجمع بين الصحة والمرض وأن ما نخشاه ونخدر منه هو أن
نسارع الى اقتباس عناصر الضعف وجرانيم المراض وننسى عناصر القوة والصحة
والعلوم والتقنيات واحترام الحريات الاساسية وحقوق الإنسان هي من عناصر
الصحة في المدينة الغربية وهي ما يدعو اليها الإسلام ولكن الخطر كل الخطر هو
في اهمال هذه النواحي الإيجابية والتأكيد على اقتباس عناصر الضعف والمرض

منها باسم التقدمية من عناصر الضعف والتراخي في المعتقدات واللغة والازدراء بتقاليد البلاد.

هذا وقد تكتشفت في السنوات الأخيرة من القرن الرابع عشر فساد الأنظمة الوافدة : غريبومار كسية وفساد مناهج التعليم الغربي الوافدة وعقدت مؤتمرات عديدة في الواصم الإسلامية والعربية للعودة إلى الأصالة وتصححت الدعوة إلى فهم الإسلام ديناً ودولة واستطاعت أن تصبح نصوصاً في دساتير كثير من بلاد العالم الإسلامي ، الإسلام دين الدولة واللغة العربية لغته والشرعية الإسلامية هي المصدر الأساسي للقوانين ولا ريب أن تجربة تطبيق الشريعة الإسلامية في بعض الاقطار الإسلامية مستحق لهذه الشعوب الأمن والاستقرار وستدفع الشعوب الأخرى إلى إنفاذ هذه التجربة. ومن المهم فهم الخلاقات العميقة بين مفهوم الإسلام ومفهوم الغرب في مجال النظريات النفسية المعاصرة التي قامت على خلفية معادية للكنيسة ، ذلك أن علم النفس الحديث قد ركز على الجانب الشرير من الإنسان وفسر ببعض الغرائز كل سلوك الإنسان حتى أنه أرجع فكرة الألوهية نفسها إلى عقدة جنسية تجعل الإنسان يحول خوفه من أبيه الذي يناقسه في حب أمه إلى خوف وهمي بقوة عليا فالجانب الخير في الإنسان عند كثير من المدارس النفسية الحديثة ، ماهو إلا مخاوف طفولية تقف في وجه الغرائز من الأب ومن التقاليد الاجتماعية ، هذه المفاهيم الزائفة تختلف عن مفهوم الإسلام في أن النفس الإنسانية روح تميل إلى الحق وغريزة تنزل إلى الأرض وبينهما عقل يفكر وإرادة تختار . وليس الإنسان عبداً لغريزة الجنس أو غريزة الطعام ولكنه قادر على التحرر من الأهواء حين يفهم رسالته ومهمته في الحياة (وهديناه التجدين) وهو القادر بتوجيه الدين الحق أن يسمو فوقه أهوائه وشهواته وأن يعمل لتحقيق قيام المجتمع الرباني في الأرض ، وعليه أن يؤمن بمسئوليته الفردية والتزامه الأخلاقي .

وعلى العناية إلى الله أن يولوا إهتمامهم الخالص إلى الشباب المسلم ، ومواصلة العمل لدعم ثقافته الإسلامية وإعدادهم بالعلم والمعرفة والایمان وتوجيهه توجيهاً صحيحاً ليكون عضواً مؤثراً في المجتمع ولبنة إيجابية في البناء .

والله من وراء القصد .

الفصل الثالث

نجر جهيد الدعوة الاسلامية

إن العالم كله يتطلع الآن إلى نور جديد يبدد الظلمات التي تحجب عنه ضوء الحقيقة الأولى الكبرى . وهذا سر شقوته وقلقه وتمزقه وغربته ، هذا النور موجود وقادر على العطاء ، موجود في تضاعيف كتاب الله الخاتم الميمم على كل الكتاب وفي رساله الله الخالق التي سيظهرها على الدين كله : رسالة التوحيد الخالص وإسلام الوجه لله ، إن كل الدلائل توحى بأن فجرأ جديداً سيشرق وأن هذا النور سوف يهدي الإنسانية الحائرة بعد أن طال بحثها من خلال الايدولوجيات والمناهج البشرية التي لم تزدها إلا تمزقا واضطراباً .

إن علامات هذا العصر الجديد واضحة في الأفق وضوحاً لا ريب فيه تشمل في هذه الصحوة الإسلامية القائمة على تطبيق شريعة الله وإقامة المجتمع الرباني في هذه القارة الوسطى التي تنزلت فيها أديان السماء وتهيئت لتحمل لواء (لا اله إلا الله) وقد جاءت الارهاصات واضحة فقد أعطيت الطاقة والثروة والتفوق للبشرى وبقي لها أن يتجمع حول الوحدة الإسلامية : وحدة الفكر والعقيدة والثقافة على طريق الله الحق لتكون مؤهلة لحل رسالتها إلى العالمين .

وإذا كان القرن الرابع عشر الهجرى قد حقق نتائج واسعة وعميقة في تحطيم الأغلال ودحض الشبهات والكشف عن المؤامرات والمخططات التي ترمى إلى تعويق هذه الامة المؤمنة عن امتلاك ارادتها وأداء سالتها فإن أبواب القرن الخامس عشر توحى بانتقال واضح من البشرية إلى الربانية ، ومن التبعية إلى الاصاله ، ومن اليقظة إلى النهضة ، وأن الوعي بهذه المخططات قد أصبح واضحاً لم تعد له قدرة على خداع المسلمين واغوائهم بمثل القول بأن أسلوب العيش الغربي هو الطريق إلى التقدم ، فقد تبين لهم بعد التجربة التي خاضها العالم الاسلامى مع الديمقراطية الليبرالية مرة ومع الاشتراكية الماركسية مرة أخرى ، انه لا طريق الا طريق واحظ هو طريق الاسلام ، وأن العالم الاسلامى لم يتقبل كلتا التجربتين

وقد عجزت المحاولات في غرس الجسم الغريب في هذا الكيان القادر على حماية ذاته وانمساك بأصلته وذاتيته الخاصة من أن تغرب أو تتلاشى أو تحتوى في الامية والعالمية .

ولقد تهاوت مخططات الاستعراق والتبشير في سبيل تغريب المسلمين ولكنها لم تيأس ، فهي تفكر اليوم في أساليب جديدة وتحاول أن تدخل على المسلمين من مسارب خفية ، عن طريق الثقافة والفن ، حيث تجرى شوطاً مع التيار الجديد ولكنها تحاول أن تتخذه ، وتحتويه ، حتى تحول بونه وبين تحقيق الغاية ، وحتى تعوق وصوله الى الهدف . انها تبدأ من حيث تتحرك حركة اليقظة ولكنها ما تلبث أن تبث الأيس والمثبطات على الطريق ، هؤلاء المثبطون المنافقون الذين يبتشون روح الهرطقة ، ولتعرفهم في لحن القول ، هم العدو فاحذروهم وان الغرب يعرف أزمته ويعرف جرحه ويعرف مأساته ، وعلى المسلمين الذين ابتعثهم الله ليرودوا هذه البلاد أن يكتموا له عن وجه الحق وكلمة النصيح وصدق الوجهة ما استطاعوا ، وكإنما قد أرسل الله هذه الجاليات الجديدة الى هذه الاقلاق لتقدم النموذج الاسلامي الصحيح نمثلاً في هذه الصورة التي تقوم عليها المجتمعات المسلمة في قلب الغرب ، بعد أن عاش الغرب روحاً من ازم من يقرأ عن الاسلام ويحاول أن يتعرف على القرآن وتحول قوى التغريب والتبشير دون ذلك على النحو الذي حاولته هذه القوى من قبل ولذلك فنحن نتطلع الى أن يكون اخواننا مثلاً عالمياً للخلق والصدق والنبيل وحسن الجوار والامر بالمعروف والنهي عن المنكر فذلك هو الذي سيبرر الغربى وبكشف له حقيقة الاسلام بعد أن تعالت صيحات المصلحين هناك تدعو الى نظام اقتصادى جديد بديلاً عن النظام الرأسمالى سواء للرأسمالى أم الماركسى ، وإن يكون هناك بديل حقيقى غير الاسلام الذى حمى المجتمعات من طغيان الأفرياء وذلك لهم من الموانع ما يعين المحتاجين ورفع عنهم اللباً واللونا والخمر والفساد واللاياحية .

وسوف يكون المجتمع الاسلامي الصغير نموذجاً طيباً تنفوس اليه نفوس الذين أزعجهم الواقع المشاير وما زالوا يتطلعون نحو ضوء جديد .

وسيطع هذا الفجر: فجر الإحلام من جديد ولكن دونه نضال طويل وجهاد مرير،
فإن أعداء هذا الفجر ويحاولون بكل الوسائل سد الطريق أمام الضوء النكاتف ويريدون
ليطفشوا زور الدين بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرين ، أما أمتنا المسلمة
فما زالت أمامها مهمة شاقة هي التحول من النظر إلى العمل ، إلى بناء الإرادة الحقة
بتكوين الأسرة المسلمة المعتمدة على ذلك ، القادرة على الحفاظ على نفسها وإقرارها
في مواجهة مختلف التيارات التي تهب عليها حاملة رياح السوم ، بقطارات
المسرح والفن والرقص والغناء المكشوفة المعراء المبثوثة في كل شرفة ومذياع ،
هذه هي مهمة الدفاع عن شخصية الأمة الإسلامية ومقوماتها واستقلالها الفكري
والإيدلوجي من أن تنصهر أو تنفعا ، في الأيدلوجية مطروحة ، فالإسلام
مقاييسه الخاصة ومعايره الذاتية ، في الخير والشر والحق والباطل ، وهو الذي
يعلى قيم الأخلاق عن كل القيم ويصنع بها الفن والحياة والمعنوى وهولا يضحى
المعنوى من أجل المادى .

أن النهضة الإسلامية التي يتحدثون عنها اليوم ليست قوة وقتية ، ولكنها
تطور طبيعي لحركة اليقظة الإسلامية التي بدأت منذ وقت بعيد وحملت لوائها
دعوات التوحيد الخاصة في قلب الجزيرة العربية وكتابات جمال الدين ومحمد عبده
ثم جاءت مرحلة التكوين الاجتماعى التي قادها المودوى وحسن البنا والندوى
وعشرات وهى تسمى إلى وحده الفكر الإسلامية الجامعة تحت لواء التوحيد ،
مغضية عن كل الخلافات المذهبية ، متطلعة إلى إقامة المنهج الربانى الصحيح وسوف
تواجه عشرات المصاعب ولكنها ستصمد لأنها تستمد قوتها من نور الله ، ومن
إيمان صادق بالحق الذى قامت عليه السموات والأرض .

حقيقتان كبيرتان يعلمها المسلمون اليوم : إن الذين قادوه إلى طريق
الاستعباد الغربى للعيش كانوا غاشين له ومضلين ولذلك فهو يلطمهم اليوم ويكشف
زيهم ويكشف قرائهم وتابعيهم وقد تبين له بعد النكبة والنكسة والهزيمة
أن التمدن الغربى الذى فرض عليه وأيدلوجياته لن تحقق نصرا وإنها ستنتهى
به إلى أن يفقد ذاتيته وكيانه المتميز .

ثانياً : إن العالم الإسلامى لا يرى الآن بعد فشل التجربتين الرأسمالية والماركسية

إمامه من خيار ألا أن يبنى نفسه واطار الشريعة الإسلامية وهو يجد الآن قوى
تموِّقه ويحاول أن تحول بينه وبين تحقيق ارادته ، والتغريب يخطط الآن لذلك
بعد أن سقطت تجربتيه الكبيرتين في تركيا وإيران ، وهناك محاولات للتسوية بين
القانون الوضعي والشريعة بقبول تنظيمات ربوية في مجال الاقتصاد ، وهناك تمويه
واسع في مجال التربية الإسلامية والتعليم العلماني الغربي ولا بد من أن يتبين المسلمون
ما وراء هذه المحاولات من أسماء مشوبة بالهوى ، عرفت بتبعيتها من قبل للباركسية
والناسوتية ولمذاهب الإلحاد والآباجة .

ولعلنا في حاجة وائمة الى نذكر أنفسنا بكلمات يجب أن ترددها كل يوم حتى
لا تغيب عنا :

أولاً : أن الإسلام منهج حياة ونظام مجتمع :
ثانياً : أن عدد المسلمين في العالم اليوم ألف مليون مسلم وليس أقل من ذلك :
ثالثاً : أن الحضارة الغربية تتساقط وتهاوى تحت ضربات المادبة الإباحية
وأن الإسلام يستطيع أن يقدم للإنسانية بديلاً إيجابياً جيداً .

رابعاً : أن المجتمع الإسلامي مطالب بأن يقيم المنهج الرباني الاصيل في بلاده
حتى يستطيع أن يقدم النموذج الإسلامي للبشرية الحائرة .

خامساً : أن المسلمين استطاعوا خلال القرن الرابع عشر ان يكشفوا شبهات
الاستشراق والتبشير والغزو الثقافي التي تحاول تغريب المجتمع الإسلامي وتزيف
الفكر الإسلامي واخراجة من أصالته ومنهجه الرباني .

ساداً : لقد تبين للمسلمين بعد التجربة المريرة أن كلا الایدولوجيتين :
الرأسمالية الغربية والماركسية الشيوعية لا تستطيع أن تعطي المجتمع الإسلامي
ولا النفس المسلمة مطامحها وأشواقها وأن التجربة فيها جميعاً قد سقطت .

سابعاً : تكشف للمسلمين مدى الخطر الذي أصاب المسلمين نتيجة توقيف
تطبيق الشريعة الإسلامية واستبدالها بالقانون الوضعي ومدى الآثار الخطيرة التي
تزيت على ذلك :

ثامناً: تعرف المسلمون على مدى الأخطار التي نجت عن إهمال منهج التربية الإسلامية في المجتمع الإسلامي واستبداله بالمناهج الغربية العلمانية الوافدة ومدى أثر ذلك على بناء الفرد المسلم والجماعة المسلمة .

تاسعاً: تكشف للمسلمين مدى خطر الدعوات التي اندفعت من داخل المجتمع الإسلامي لعدم تكامل الإسلام ومفهوم فريضة الجهاد على النحو الذي كشفت عنه أهداف البهائية والقاديانية ومدى الخطر الذي لحق المسلمين من جراء مجازاة هذا التهم الخاطئة .

عاشراً: أن المسلم المكاف مطالب بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل شأن من أمور الحياة والمجتمع في بيئته وأسرته حتى يقوم المجتمع الإسلامي من خلال الوحدة الأولى له ثم يمتد .
هذا وبالله التوفيق .

الفصل الرابع

مواجه التحديات ومقاومة الشبهات

لن أبرز معالم التحدي الذي يواجه الدعوة الإسلامية في مطلع القرن الخامس عشر كما نكتشف خلال هذه الفترة القصيرة من القرن الولد - ونحن الآن على أبواب العام الثاني من القرن - هو العمل الدائم المتصل من جانب أعداء الدعوة الإسلامية لتغويق انتقال المسلمين من مرحلة اليقظة إلى مرحلة النهضة بينما توجد في أيديهم كل مسوغات النجاح والقدرة على اقتحام هذه العقبة وعلى الانتقال من مرحلة المراجعة والنظر والاستعداد وكشف الأخطار إلى مرحلة العمل لتحقيق الإرادة الصادقة التي تمكن الحضارة الإسلامية المتواقة على العطاء من العمل من جديد وتقديم مفهومها الصحيح وعقيدتها الصادقة إلى العالم كله في وقت يتطلع فيه العالم إلى منهج جديد في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ويرجى أن يكون الإسلام هو ذلك المنهج الذي تجد فيه البشرية مبتغاها بعد أن جربت خلال قرنين أو ثلاثة منها ، لم يستطع أن يحقق مطامعها ، وإن كان قد استطاع أن يقدم فتحا كبيرا في علم المادة ووسائل الحياة وأساليب العيش على نحو دفع المجتمعات إلى مرحلة خطيرة من الترف والتحليل والانهيار ، وذلك باعلاء الطابع الاستهلاكي وحده ، واستنزاف الموارد الطبيعية التي أعطاها الحق تبارك وتعالى للبشرية ، في جانب المنعة والشهوات والأهواء شأن الإنسان القاصر الذي لم يبلغ الرشد والذي مازال يتبع أهواء طفولة البشرية ، وكان هذه البشرية لم تتجاوز بعد مرحلة المراهقة ، بعد إلى مرحلة الاصاله ، القادرة على حماية المعطيات من التبديد والانهيار والضياع تحت أقدام المسرفين المنحلين الخمورين .

ويرجع هذا إلى أن حضارة العصر قد عجزت عن أمرين :

أولا : عن أن ترد العطاء الذي أعطيته لله تبارك وتعالى وهو الذي أُرشد البشر إلى فوائج البحث والكشف واستخراج الثروات من باطن الأرض وإكثف بكلمات العقوق ككلية الطبيعة والقوانين الجبرية :

ثانياً : أن تلتزم الأسلوب الأخلاقي الروابي في التعامل مع هذه المعطيات على النحو الذي يحلها فائدة على حياة الثروات من التبدد في سبيل الترف والاهواء .
أسباب الإغلال .

ومن ثم فلن تجربة الحضارة الغربية الآن تواجه نفس المصير الذي واجهته الحضارات التي اخلت من قبل وانهارت وفي مقدمتها حضارة الرومان الذي كشف عن أسباب سقوطها العلامة المؤرخ د جيسون ، وكان هدفه بذلك أن يقدم لأهل الحضارة الحديثة العبرة حتى يقدروا الانحيار والانهار .

ولكن هذه هي سنة الله تبارك وتعالى التي سجلها القرآن الكريم ولا مفر من وقوعها ، وحديث حضارة سبأ واضح جلي لمن يريد أن يعتبر .

لقد اعرضت الحضارة الغربية الحديثة (بشقها) عن أمر الله وخرجت عن حكمته وحكمه ، واستطالت استطالة قارون (إنما أوتيته على علم عندى) وخرجت عن الإيمان بالمصدر الخفي ، وخرجت عن الامتنان للطريق الروابي الصحيح لحق عليها أن تنهار وأن تسقط .

ومن ثم فإن المسلمين الذين يحملون اليوم أمانة الإسلام مطالبون بأن يقدموا د منهج الله الحق ، للناس جميعاً وأن يخرجوا هم أولاً من التبعية للحضارة الغربية ، وأن ينقدوا انفسهم من أن تنهار عليهم حوائطها في المرحلة الأخيرة ، وأن يلتمسوا (منهج الله تبارك وتعالى) في انفسهم وأمتهم ومن ثم يكونوا مؤهلين لتقديم هذا المنهج إلى البشرية التي تتطلع اليوم إلى د سوء منقذ ، لن يكون غير الإسلام ولكن هناك محاذير خطيرة أمام التجرد من هذا النفوذ التلويدي المادي الاباحي الذي يحتوي العالم اليوم والذي لا منقذ منها ولا منقذ لها إلا القرآن .

ذلك أن تعاليم الماسونية ومخططات البروتوكولات قد تحولت الى مناهج وايدولوجيات ونظريات مطروحة في كل آفاق الفكر العالمي ، في مجال السياسة والاجتماع والاقتصاد وعلوم النفس والاخلاق والتربية ، وفي مفاهيم القوة والوطنية ، والانفجار السكاني ، والعلمانية وكلها مفاهيم برادها توهين قيم الاسلام .

ولا مبالغة إذا قيل أن العالم كله اليوم يفكر تفكيراً يهودياً سامرياً يدور حول عبادة العجل وعبادة الذهب : ولقد كانت النزعة الوطنية والقومية محاولة لتحطيم الوحدة الإسلامية والقضاء على الخلافة الجامعة وحجب القيادات التي لم تنبت من خلال التبعية وعدم تمكينها من العمل ، وكان الاستعمار الغربي مقدمة للنفوذ الصهيوني ثم النفوذ الماركسي وقد عملت مؤسسات التبشير الغربي والاستشراق والتغريب في مجال التربية والصحافة والثقافة ، وقد تقاربت مفاهيم الاستعمار الغربي والصهيوني والماركسي التي طرحت في أرض المسلمين تحت اسم البهائية والقاديانية ، وتحت اسم الماسونية وتحت اسم العلمانية .

وعلى المسلمين اليوم ، في مطالع القرن الخامس عشر أن ينتقلوا من مرحلة اليقظة إلى مرحلة النهضة وذلك بالإرادة القوية المؤمنة الواقة بنصر الله ، وذلك بكسر القيود التي يضعها أعداء الاسلام لتأخير نهضته ، ولتعويق مسيرته ، ولتخديل طريقه ، ولتخويف الأمم من مسيرته السمحة الكريمة التي تقوم على الرحمة والأخاء البشري وعلى د لا اكراه في الدين ، وعلى الحسن في الجدل ، وعلى تأمين كل العناصر التي تعيش تحت جناحهم ، من غير عدوان ولا تعصب ولا حقد .

وفي ثلاث ميادين على المسلمين أن يعملوا لتحقيق الغاية :

- ١ - إعادة النظر في أساليب التعليم والتربية وبنائها على منهج الاسلام .
- ٢ - إعطاء الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسة : (الاخلاقية القائمة على التقوى) والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

٣ - التماس منهج الاسلام في الاقتصاد وإلغاء الربا وتطبيق الشريعة والحدود ، وعلى المسلمين أن يرفعوا كلمات التبذير والرفص والتأويل في بناء هذه النهضة ، وأن لا يقبل واقع المجتمع المنحرف ويعمل على تصحيحه وإعادته إلى الأصل الأصل المستمد من روح الاسلام الحق ، وخاصة في بناء الشباب وعمل المرأة والفنون المسلية .

وأن توضع قواعد لضبط المفهوم الانفتاح والقل والانتباس من الحضارات وأن يكون ذلك في حدود الأساليب والوسائل لا في المناهج والأصول .

وأن يكون معلوما أن المعركة اليوم بين المسلمين وأعدائهم تنحصر في قضية كبرى هي استرداد (تأكيد الذات) والمحافظة على طوابعها ومعلمها وحمايتها من كل محاولات استقطابها أو احتوائها أو صهرها في بوتقة الامة ، هذه الذات الإسلامية التي كونها القرآن الكريم خلال أربعة عشر قرنا وجعلها مثابة لتبليغ كلمة الله في العالمين على مدى الزمن وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، علينا أن نحفظها من الانهيار والتدهور والجمود والمداخلة والانصهار في الفكر البشري العالمي .

وهذا يقتضينا تطهير جيوب الامة الإسلامية من الدخيل ، بالجهاد وإعداد القوة والمراقبة في الثغور ، ولا ريب أن المحافظة على الذات الإسلامية وتحريرها وحمايتها هي فريضة من فرائض العقيدة والامة في نفس الوقت ، ذلك أنه قد تبين أن الهدف الحقيقي من وراء المؤامرة التي تقودها القوى العالمية منذ قرون ، والتي تتكشف اليوم ، هي : « تذويب المسلمين ، في الكيان الأسمى والعالمي عن طريق كلمات براقة هي الانفتاح والتلقيح وإثراء الفكر .

لقد مر المسلمون بمرحلتين من مراحل الصراع مع القوى الكبرى الحريصة على التهام العالم الإسلامي : هما (مرحلة الإحتلال العسكري والسياسي) و (مرحلة الغزو الفكري الليبرالي الماركسي الضيفوني) وقد استطاع عالم الإسلام أن يقف من هاتين المرحلتين موقف الصمود ، غير أن المرحلة الجديدة المبسوطة الآن من وراء مؤامرات الفكر والثقافة والتعليم إنما تستهدف إزالة الهوية الإسلامية العربية كاملة وصهر هذه الأجيال الجديدة في بوتقة الفكر الأسمى تحت اسم الحضارة العالمية والثقافة العالمية .

وعلى أمتنا وشبابنا أن يوقن بأن « الامة الإسلامية ، : بفكرها وعقيدتها هي « أم المستقبل ، وهي اليوم المالكة للثروة والطاقة والتفوق البشري إلى جوار منهجها الاصل الجامع الذي هي ملزمة بتبليغه للعاملين ، وهي واردة الحضارات والمدنيات الهرمة المنهارة ، وأن الهدف هو القضاء على هذا الضوء السكاشف الذي يحمله أهل الاسلام ، والقاء اليأس والانحلال في هذه النفس المؤمنة بالله تبارك وتعالى المؤمنة بأنها على الحق ، لتسقط في براثن الشيوعية والمادية والوثنية .

وعلى أمتنا أن تفرق دائماً بين «الأيديولوجيات» ومعطيات العلوم العصرية .
هذه الأيديولوجيات نحن لسنا في حاجة إليها ، فلدينا « منهج حياتنا » الذي شكل وجودنا منذ أربعة عشر قرناً وأقام الحضارة الإسلامية الباذخة من أسوار فينا إلى حدود الصين إلى حدود فرنسا الف عام كاملة كان العالم خلالها في القرون الوسطى المظلمة وكان الإسلام منارة البشرية ولا عيب أن تقصر الخطوة وأن يتوقف العطاء استعداداً للمرحلة جديدة دون أن نخطئنا بريق الحضارة والمدنية . وأن تؤمن إيماناً جازماً لا يصيبه ذرة من شك بأن منهجنا : هو المنهج الذي سيحقق للبشرية مطمئناً الروحي والنفسي والمادي .

١ - إن أخطر ما أدخله الاستعمار : « القانون الوضعي » ، بأنظمته وقضائه هذه القوانين التي كانت أبعد ما تكون عن مزاجنا وتاريخنا وديننا بل لقد وضعها لتكون عاملاً على محو مقوماتنا الأصلية بالتدرج ، لقد كانت «اللائية» منطقاً لالغاء الشريعة الإسلامية ، ولكن سرعان ما استطاعت حركة اليقظة الإسلامية أن ترفع عقيدتها بالدعوة للعودة إلى الشريعة الإسلامية ، واستجاب لهذه الدعوة كل القوى وبقي أن يتم ذلك وقد فنت القوانين الإسلامية في عديد من البلاد الإسلامية في الإمارات والأردن ومصر وباكستان كقائمة لخطوة حاسمة .

٢ - وبقي أن يطبق المسلمون مناهج التربية الإسلامية وقد عقدت عشرات المؤتمرات التي قدمت التوصيات الحاسمة لهذا الأمل الكبير ، عندئذ يقدم الإسلام الأساليب الجديدة التي ينبعث فكرها ومفهومها ومنهجها من القرآن الكريم خالها ومن السنة النبوية صادقا ، والتي تؤمن بالجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله وتحجرب الفكر الإسلامي من التبعية التي تطرحها قوى التخريب في أفق الإسلام .

٣ - ولقد تحققت نتائج ضخمة على طريق نجرة الاقتصاد الإسلامي عن طريق البنوك الإسلامية ولابد من تعمق هذه الخطوة .

٤ - إن أبرز منجزات حركة اليقظة الإسلامية دخولنا إلى مرحلة النهضة وعصر الرشيد الفكري . هو تلك المراحل المتتالية من النهضة والواسعة وصولاً إلى تصحيح

الكثير من المفاهيم في التاريخ والأدب والثقافة والتراث ومفاهيم الحضارة على نحو يمكن من تجلية صورة الاسلام فقية ناصعة وصورة الفكر الاسلامي خصبة واضحة وفي عشرات من الموضوعات المطروقة والشبهات المثارة والقضايا المطروحة تكشف ضوءاً قوياً نافذا يكشف كل الظلمات لأنه من صنع الله الحق ، إستمداداً من القرآن الكريم وسنة النبي صلى الله عليه وسلم وميراث الصحابة والتابعين .

والحقيقة التي لا شك فيها أن هناك عقبات كثيرة قد اجتيزت وبقيت عقبات وليكن الهممة الصادقة الخالصة لإقامة المجتمع الرباني لاتزال مسؤولية المؤمنين ومسؤولية المفكرين وأهل النخبة والصدارة لاجتياز كل المعوقات وإن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن وأن مفهوم الاسلام الاصيل لا يكتمل إلا بتحقيق فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفريضة الجهاد الماضي إلى يوم القيامة .

وعلى المسلمين ان يتعلموا من عبرة التاريخ البشري وهي أن المجتمعات التي عارضت إرادة الله والإيمان به أصابها سنة الازالة والإبادة ومن ثم تحطمت الحضارات القديمة واحدة واحدة لأنها فسدت حين انحرفت عن سنن الله الحق إلى الترف والفساد والزنا والربا والاباحية والبغاء ، هنالك كان هلاكها ، هذه هي عبرة التاريخ البشري كله ولا عبرة غيرها من التاريخ يمكن أن تؤخذ ، ولا ريب أن الطريق الذي يسير فيه المسلمون الآن وهم محاصرون بالتيارات اليهودية التلودية من حيث تجاهلهم إرادة الله تبارك وتعالى وقدرته وعطائه ، واستسلامهم للنظريات المادية التي تتحدث عن الطبيعة والمادة هو طريق مسدود ولقد دخلت على المسلمين منذ أن اتصلوا بالفكر الغربي أخطاء كثيرة ومفاهيم زائفة تسيطر على بعض مناهج الأمة الدراسية والتعليمية والثقافة وتحاول أن تحجب مفاهيمهم الاصلية القرآنية ، وهذه هي القضية الكبرى التي يجب أن يحشد لها مفكروا الاسلام اليرم لاختراج أمتهم من التبعية والتغريب والعلمانية وحماية ثرواتهم من مصارف الفساد والذات .

ومن الحقائق التي يجب أن تكون دائماً بين أيدينا أن الإسلام منهج حياة ونظام ومجتمع ، وأن عدد المسلمين في العالم اليوم الف مليون مسلم يزدون لا ينقصون ، وأن الحضارة الغربية تنساق وتهاوى تحت ضربات المادية والاباحية ، (٧٣ - الاسلام)

وأن الاسلام يستطيع أن يقدم للإنسانية بديلاً إيجابياً ، وأن إسرائيل كيان غريب في جسم الأمة ، فاسد في تركيبه لا يمكن أن يبقى ، ولا بد من تحرير الأمة الإسلامية منه ، وأن المجتمع الإسلامي مطالب بأن يقيم المنهج الرباني الاصيل على أرضه حتى يستطيع أن يقدم النموذج الاسلامي للبشرية الحائرة ، وأن المسلمين استطاعوا خلال القرن الرابع عشر الهجري أن يكشفوا شبهات الاستشراق والتبشير والغزو الثقافي التي تحاول تغريب المجتمع الاسلامي وتزييف افكر الاسلامي وإخراجه من أصالته ومنهجه الرباني ، وقد تبين للمسلمين بعد التجربة المريرة أن الخطر ليس من الشيوعية وحدها أو الصهيونية وحدها ولكن أيضاً من الرأسمالية الغربية والماركسية الشيوعية (والصهيونية التلمودية) مصدرهما . وأن هذه الاطماع الوافدة لا تستطيع أن تعطى المجتمع الإسلامي ولا النفس الاسلامية مطامعها وأشواقها وأن التجربة فيها جميعا قد سقطت بعد أن قشلت ، كما تكشف للمسلمين مدى الخطر الذي أصاب المسلمين نتيجة توقيف تطبيق شريعتهم الاسلامية واستبدالها بالقانون الوضعي ومدى الاثار الخطيرة التي ترتبت على ذلك ، كما تعرف المسلمون على الاخطار التي تجت من اهمال منهج التربية الاسلامي في المجتمع الاسلامي واستبداله بالمناهج الغربية العلمانية الوافدة ومدى أثر ذلك على بناء الفرد المسلم والجماعة المسلمة ، وتكشف للمسلمين مدى خطر الدعوات التي انبعثت من داخل المجتمع الإسلامي لهدم تكافل الإسلام ومفهوم فريضة الجهاد على النحو الذي كشفت عنه أهداف البهائية والقاديانية ومدى الخطر الذي لحق بالمسلمين من جراء مجازاة هذا الفهم الخاطيء . هذه هي علامات طريق الدعوة الاسلامية التي تدعو إلى متابعة التحديات والاطخار والشبهات التي لا تتوقف عن التدافع ويواجهها الباحثون المسلمون بدحضها وكشف زيفها .

الفصل الخامس

رحلة الإسلام في قلب أفريقيا

ما يزال الإسلام في أفريقيا يشغل الباحثين الغربيين ، كما تشغلهم الصحوة الإسلامية ، وهم فيما يناولون هذه الأمور لا يتجردون للبحث الصحيح أو لا يصطنعون المنهج العلمي ، بقدو ما يمثلون وجهة نظرهم من حيث هم رجال استعمار وأصحاب مصالح ومتطمعون إلى إدامة سيطرتهم على هذه البلاد رغم أنف أهلها والحيلولة دون تحقيق الوطنيين لوجودهم وإرادتهم وإقامة مجتمعهم الاصيل.. ولعل أخطر ما يزعجهم نمو الإسلام وانتشاره الذاتي بالرغم من كل محاولاتهم لمقاومته ، وبالرغم من الميزانيات الضخمة التي تعتمد عليها الدول الغربية كل عام تتمكن منظمات التبشير من السيطرة على هذه المناطق وإغراء أهلها وإقامة تلك الكاتدرائيات الضخمة على شواطئ الأنهار لخداع الوثنيين بالمظاهر البراقة للحافلة لدخول دينهم الذي يرتبط في نظر الأهالي بالنفوذ الأجنبي والذي لا يستطيع أن يحقق لهم مطامح النفس والروح على النحو الذي يحققه لهم الإسلام فان النتائج دائما هي الفشل الذريع .

ومن هنا فانت تجد هذه الدراسات والأبحاث لا تمثل الواقع ولا تصور الحقيقة ، وأبرز المغالطات تتمثل في تقليل عدد السكان ، على النحو الذي تراه في كتاب المستشرق الفرنسي فنسان فونتي عن مرحلة الإسلام في قلب أفريقيا فان تقديراته لعدد المسلمين أقل كثيرا من الواقع المعروف هي محاولة لوصف المسلمين بأبهم ليسر أصحاب الأغلبية والنموز في هذه المناطق وهو غير الواقع في الحقيقة... فالمعروف إن الإسلام يزداد عدد معتقيه في أفريقيا يوما بعد يوم ، بالرغم من كل محاولات الغرب في التضيق والتبشير والحيلولة دون إنتقال أصحاب العمام البيضاء بن لاقطار فضلا عن ذلك الحزام الذي حاولوا به إيقاف نمو الاسلام ووقفه إلى الجنوب ولكن ذلك لن يستمر طويلا ..

ويقول تقرير منصف عن نمو القوة الاسلامية في أفريقيا أن الملفت للانتباه
لأن الإسلام بدأ ينشر بسرعة في كل مكان في أفريقيا بغض النظر عن الحجم الأصلي
للجالية الإسلامية الموجودة هناك سواء كانت كبيرة أم صغيرة ، وتدل الاحصاءات
عن أن الإسلام ينتشر حالياً وبسرعة بالغة في سبع دول أفريقية رئيسية هي :
السنغال وسيراليون وساحل العاج وفولتا العليا وبنين وتوجو والكاميرون . .
وفي السنغال وسيراليون حيث تتراوح نسبة المسلمين بين ٧٠ و ٨٠ في المائة من
مجموع السكان ثم ممارسة شعائر الاسلام باعتباره ديناً أفريقيا كبديل للتراث الغربي ،
وفي ساحل العاج وفولتا العليا حيث يشكل . . المسلمون نسبة تتراوح من ٢٠
في المائة و ٦٠ في المائة من العدد الإجمالي للسكان تتنافس الديانتان المسيحية
والاسلامية من أجل الفوز بتأييد الغالبية العظمى من المواطنين ويكتسب منهج
التوحيد (الوهابية) في فولتا العليا تأييداً متزايداً نظراً إلى تشديده في
الطهارة الدينية . .

ويتركز الاسلام في ساحل العاج وفولتا العليا بشكل عام بين رجال الأعمال
الميسورين . . وينتشر الاسلام بسرعة كبيرة في دول ثلاث أخرى ليس فيها
سوى عدد ضئيل من المسلمين . . الكاميرون ، التي تتمتع الجماعة الإسلامية فيها
بمركز رسمي مرموق رغم صغر حجمها ، وغانا ، التي تستعد في المستقبل من أجل
أداء دور سياسي هام ، وهناك دولتان أفريقيتان تملآن حالة خاصة مثيرة الاهتمام
هما تنزانيا وجنوب أفريقيا ، والطائفة الإسلامية في جنوب أفريقيا ناشطة للغاية
وإن كانت لا تمثل نسبة كبيرة من السكان ، ويعود السبب في ذلك إلى إحساسها
بالانتماء . . إلى حركة عالمية وقد بدأت السلطات المحلية تعترف بالدور المتزايد
الذي يلعبه الإسلام ، ويشير التقرير إلى أن أكثر من ثلثي المسلمين يعيش في
أكبر الدول الأفريقية من حيث الكثافة السكانية ، أعني (نيجيريا) ٣٨ مليون
وكذلك في أفريقيا الشرقية إلى السودان في الشمال والموزمبيق في الجنوب
(٢٢ مليوناً) ويتجمع العدد الباقي في أفريقيا الغربية : السنغال والنيجر
(٢٠ مليوناً) وأفريقيا الوسطى تشاد والكاميرون (٤ ملايين) .

ويقول التقرير إن الاسلام أخذ يلعب دوراً حيواً ومتزايداً على المستوى
السياسي داخل القارة السوداء : لا أدى إلى قيام الباحثين بوضع دراسات مفصلة
حول الخلفية التاريخية والابعاد المستقبلية لهذا الدين .

ويبدو ان الإسلام حالياً في مواجهة عنيفة مع بعض الأنظمة العسكرية التي تدعى (الماركسية - المينينية) - وكذلك مع النفوذ الصهيوني الذي يحاول الاستفادة من بعض الظروف لترسيخ جذوره في التربة السوداء .. وتتوقع الأبحاث أن الإسلام الذي يتحرك وينمو في أفريقيا وأن لم يتخذ بعد شكلاً سياسياً ملموساً فإنه مؤهل لأداء دور سياسي بارز في المستقبل ..

ولما كان هذا التقرير أجنبياً وعلى قدر غير قليل من الانصاف بالنسبة للكتابات الاستعمارية الأخرى فقد أوردنا بعض مضامينه وأن كنا نتحفظ كثيراً أزاء هذه التصريحات التي ربما أن يرمى كتابها الأجانب إلى تحدير المسلمين بالخداع عن المؤامرات التي تبذل للقضاء على الإسلام ، ولا ريب أن للإسلام جذوره العميقة وله حضارته الباذخة في قلب أفريقيا قبل وصول حملات الاستعمار ، هذه الحضارة التي عمل النفوذ الأجنبي على القضاء عليها وتقل تراثها العلمي إلى الغرب اليحول بين الأفارقة وبين كتابة تاريخهم الحقيقي ، أو التعرف على دورهم القديم ومحاولة خداعهم بأن النفوذ الاستعماري هو الذي مدّهم وهو غير صحيح إطلاقاً فإن الأفارقة كانت لهم حضارة إسلامية عربية باذخة قبل وصول الجائحة الاستعمارية عندما نصارعت دول الغرب على تقسيم القارة وربطها برباطاً اقتصادياً مازال مستمراً إلى اليوم ، حيث تنقل فرنسا وبريطانيا وغيرهما ثروات ضخمة من الكويت والنحاس والمعادن المختلفة يومياً بالطائرات ، فضلاً عن تلك المؤامرة الضخمة التي نقل فيها الأفارقة أنفسهم بالملايين إلى الولايات المتحدة فبات أغلبهم في المراكب أو في أرض المهجر ، وتلك مأساة طويلة وقصّة بالغة الأثر ، ثم كان ذلك التسلط الذي قامت به الرسائل الكاثوليكية والبروتستانتية على البلاد ، والحيلولة دون انتشار الإسلام أو دون تمسك اللغة العربية وتغلّت لغة المستعمر واللّهجات القبلية وإدخال الأفارقة في المسيحية تحت تأثير عديد من المغريات وفي مقدمتها التعليم العالي والحصول على الوظائف وتصاريح التصدير والاستيراد التي لا تعطى إلا لذوي الولاء الاستعماري ممن تتركوا دينهم إلى دين الغاصب ..

ومع ذلك فإن الإسلام لأنه الحق ، ولأنه الفطرة ولأنه دين التوحيد وبالرغم من هذه الملايين التي تنقلها البعثات التبشيرية فإنه غالب على الأموال التي ينفقونها هسيفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون ..

الفصل السادس

على طريق الأصالة والرشد الفكري

كشفت الدراسات التي أجراها الباحثون عن الصحوة الإسلامية مجموعة من الحقائق تحتاج إلى المراجعة والتأمل وذلك حتى يمكن ترشيد هذه الصحوة وتحريرها من الزيف ومن العوامل الطارئة التي قد يدخلها عليها بعض المغرضين في محاولة لاجهاضها أو إفساد مسيرتها ، وأهم ذلك البعد عن التطرف أو الانحراف أو التعصب فإن طريق الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة هو الطريق الوحيد الذي يحقق السلامة شريطة أن يتمسك المسلمون بالمنهج الإسلامي وبقِيَمِهِمْ فريضة الجهاد ، وأن تكون المعطيات التي حققتها القرن الرابع عشر نبراساً للخطة القادمة وأهمها :

أولاً : تقدير الأثر الواضح الذي توصلت إليه تجربة المسلمين خلال القرن الرابع عشر بالكشف عن فشل الفلسفات والمذاهب الغربية والشرقية في حل مشاكل الإنسان المعاصر لتركيزها على الناحية المادية دون الجانب الروحي مما يسبب إختلالاً في وجدان الإنسان وقد ظهرت آثار ذلك في البلدان المتقدمة مادياً (جرائم وحشية وانحلال خلق وانتحارات ومذابح) وكذلك فشل الأدلوجيات الوضعية في التطبيق وعجزها بالتالي عن إسعاد الإنسان المعاصر .

وأنه قد ثبت لدى كثير من المفكرين العالميين بأن الإسلام هو الوحيد القادر على الأخذ بيد الإنسانية عبر هذه الأمواج المتلاطمة إلى شاطئ السلام لما يشتمل عليه من قيم نبيلة وأفكار سامية . هذا على حد تعبير الأستاذ فوزي سوريا كلاً .

ثانياً : الإعلان عن مجموعة الحقائق التي تدين للعالم كله من صلاحية الإسلام للتطبيق في كل زمان ومكان بوصفه منهاجاً ربانياً يحقق حاجات الإنسانية ويوازن بين والمعنوي فيها وبملك إسعاده في كل بيئة وعصر ، وإتقانا لا بد من أن تقدمه ية الحاضرة اليوم التي تبحث عن نور يضيء لها ظلام المادية التي طغت فطفت.

على كل القيم الانسانية وعلينا أن نقدم الاسلام لهؤلاء الحيارى فيجدوا فيه الاجابة على كل تساؤلاتهم كما يجدوا فيه الحلول الواضحة لكل مشاكلهم .

ثالثا : الاشارة إلى جهود رواد حركة اليقظة الاسلامية في تعميق المفاهيم الاسلامية بوث الوعي الخاص الذي ينتقل به المسلمون من الاسلام إلى الايمان في نفوس الاجيال ، وغرس بذور الامل في قلوب الشبيبة بأن المستقبل لهذا الدين مهما دجى الليل وإحلولت الايام وأن يكون مطلوباً من الاجيال الجديدة أن تختصم بالثبات في وجهه الأعاصير فإن نصر الله قريب .

رابعا . التأكيد بأن المسلمين لن ينتصروا في حاضرهم إلا بنفس العوامل التي انتصروا بها خلال تاريخهم المجيد كله، وهي المفاهيم الاسلامية والمقاييس الاسلامية وأسلوب العيش الاسلامي ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأحياء فريضة الجهاد وقبول أسلوب العيش البعيد عن الترف والتحلل . وتعميد الاجيال على الصمود والاختيشان وحماية الثروة الطبيعية في العالم الاسلامي .

خامسا : التأكيد من أن الصحوة الاسلامية ليست انفعالا طارئا ولا حادثا عابرا وإنما هي نتيجة حقيقية لجهاد الصفوة المختارة من رجال الدعوة الاسلامية على مدى العصور ، وإنها ثمرة حقيقية لحركة اليقظة الاسلامية ، بدليل أنها لم تقتصر على قطر واحد ، بل عمت جميع الاقطار واستعلنت في صدق وصمت ومضت في خطوات ثابتة عميقة ، واستلمت أسلوب الدعوة الأولى ، وأخذت قدوتها وإسوتها من النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم ، وهي تقوم على صفاء عقيدة التوحيد ، واستلهاهم مفهوم السنة الجامعة ، ودعم الترابط بين الفرق المختلفة واعتبار خلافتها في الفرعيات بما لا يحول دون وحدتها وتماسكها في مواجهة العدو المشترك .

سادسا : الانتفاع بالدراسات الحديثة التي قدمها بعض الكتاب الغربيين المنصفين في الاعتراف بعظمة الشريعة الإسلامية وقدرتها على العطاء وفي التقييم الصحيح للمسلم للاقتصاد الاسلامي وقدرته على تحقيق مجتمع أفضل ، وفي تقدير أسلوب التربية الإسلامية الجامع بين الروح والنفس والجسم .

سابعاً : نقدر مكانة الأمة الإسلامية اليوم من حيث موقعها الجغرافي العالمي ، ومن حيث امتلاكها للثروة والطاقة والتفوق البشرى وان معطيات العالم الإسلامى المادية والاقتصادية تستطيع أن تتمكن من الاكتفاء الذاتى ، ومن بناء اقتصاده العالمى الخاص ، وأن على المسلمين اليوم العمل على أسلة العلوم ، وتعريب المنهج العلمى بعد تنقيته من الشوائب الإلحادية ومن التبعية للرأسمالية أو للباركسية على السواء ، وإقامة المنهج العلمى الإسلامى بمفاهيمه وفلسفته ولغته العربية فى إطار روح التوحيد الخالص .

ثامناً : على المسلمين الصمود أمام التحدى الذى يسمونه « تحدى العصر » ، على حد تعبير الأستاذ جعفر إدريس الذى يقول : انه فى مواجهة تحديات العصر يجب أن نقف أقوياء بإسلامنا الشامل الذى نقدمه بديلاً عن التصور المادى والإلحادى السائد الآن فى العالم ونزى به النشء تربية صحيحة ونعد به الشباب الاعداد الصحيح الذى يحملهم أهلاً لحل رايه الدعوة الإسلامية فالصيحة الحقيقة هى الثبات لتحديات العصر ، هذه التحديات التى تحتاج إلى الصبر واليقين ، ذلك أن أشد المخاطر هو التصور الإلحادى للوجود الذى كاد أن يصبح سمة العصر والذى لا يكاد يخلو منه جانب من جوانب الحياة المعاصرة العلمية والفنية وهو أكبر تحد يواجه الدعوة الإسلامية والمفكرين الاسلاميين ، فاذا نجحنا فى التصدى له بالنقد الفعلى العلمى المستنير وأمكن أن نقدم تصوراً اسلامياً إطاراً بديلاً لهذا الاطار الإلحادى ، وأقننا الحجج العلمية والشواهد الواقعية على أنه الاطار المناسب نكون قد أسدينا خدمة كبيرة ليس لامتنا لحسب بل للمجتمع الانسانى كله ولابد من اليقين بأن تصوراً هو الحق الذى لا ريب فيه وضرورة التصدى للتصور المغلوط وعدم مسالته أو مداهنته بحجة المعاصرة أو الحضارة أو التمدين مهما طال الزمن وضجت الدعايات وسقط المهزومون : « الصبر واليقين » هما الشرطان اللذان لكل من يريد أن ينال شرف القيادة الفكرية المقنتية بهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

تاسعاً : علينا دراسة تاريخ الغرب وواقعه الاقتصادى والاجتماعى والسياسى والدينى من وجهة نظر إسلامية والكشف عن فساد التصور المادى ومخاطره وأخطاره

التي حطمت المجتمع الغربي ودراسة ومناقشة أسباب السيطرة الأجنبية وانحطاط العلم الاسلامي .

عاشراً : علينا أن نقضى على الفجوة بين المفهوم الإسلامى وبين التطبيق ، وأن يكون القرن الخامس عشر هو عصر الانتقال من الفسكرة إلى العمل والممارسة وإقامة الحياة الإسلامية وبقاء الإرادة القادرة على هذا الانتقال بعد أن تم إعداد التشريعات والقوانين والتنظيمات وبذلك يمكن الانتقال بالمسلمين من صورة الإسلام إلى حقيقة الإسلام والتركيز على التربية الأخلاقية الإسلامية وأعطائها القدر الكافى من الأهمية فى المناهج التربوية . هذه المعانى وغيرها مما تناولته ندوة اليونسكو فى باريس والمؤتمر العالمى للدعوة الإسلامية فى السودان ، ومؤتمر علماء المسلمين فى إسلام آباد . وقد تكلم برناردشو منذ الثلاثينات لليلاد أن المدالديناميكى للإسلام سوف يصل حتماً فى وقت من الأوقات إلى أوروبا ذلك فى قوله : « إذا كان هناك دين يمتلك السلطنة على إنجلترا بل على قارة أوروبا خلال المائة سنة القادمة فذلك الدين هو الدين الإسلامى فقط ، أن لدى تقيماً عالمياً لدين محمد ، بسبب ما يملك من فعالية غير عادية ، وفى رأى أن لهذا الدين قدرة فريدة على التكيف مع متغيرات الحياة ومستوياتها المختلفة ، وفى تبليغ دعوته فى كل عصر ، وإننى واثق أنه لو وجد شخص مثل محمد وأعطى سلطة عامة فى مثل هذا العصر الحديث فإن فاستطاعته أن يسوى كافة مشاكل العالم بأسلوب يمكن العالم من التمتع بالسلامة والرخاء الذى هو فى أشد الحاجة إليهما ، ،

ومن الحق أن يقال إن الإسلام قد بدأ يعيش فى أوروبا اليوم وقبل أن يكتمل القرن الذى تنبأ به برناردشو ، وأنه يزحف بقوة فى عالم الغرب كله ويكفى ما يقوله الدكتور عبد الرحمن ارتنور جويستان لذى اسلم حديثاً : لا أعتقد أن للمسيحية جذور عميقة فى المجتمع الأوروبى ، ولو بذل المسلمون جهوداً مكثفة فإن الإسلام سيلاقى رواجاً فى المجتمعات الأوروبية ومن المحتمل أن تشهد المسيحية نهضة جديدة كما هو الحال بالنسبة للإسلام . أن معظم الأوروبيين ، أى حوالى ٩٠ فى المائة لا يعيرون الدين اهتماماً ولكنى أعتقد لو أنهم فهموا ما هو الإسلام لما ترددوا فى اعتناقه وهذا هو ما أحاوله : « إيصال الإسلام إلى الغرب ، ولا سيما بنى جلدتى من الألمان ، .

ويشير الدكتور كيلول في كتابه المستقبل للإسلام إلى تهيئة المسلمين في نشر الإسلام في الغرب على عكس ما تفعل المسيحية فيما تقوم به من وسائل وارساليات في كل جزء من أجزاء العالم وما ينفق المسيحيون من الأموال الطائلة في تدعيم هذه المحاولات التبشيرية ، أما الإسلام فإنه ينتشر انتشاراً بدون أى محاولات ضخمة فقد وصل الإسلام إلى الأصقاع التي لم يكن لسكانها أى عهد بالإسلام من قبل ويرجع ذلك إلى مسأيرته للطبيعة الإنسانية ولتقتضيات العصر ، وموافقة الفطرة .

والحقيقة أن الإسلام في حاجة إلى جهود أبنائه جميعاً في هذه المرحلة للانتقال إلى مرحلة الأصالة والرشد الحقيقي .

الفصل السابع

المسلمون في فجر القرن الوليد

أولاً — الحفاظ على الذاتية الإسلامية :

مع مطالع القرن الخامس عشر الهوى يجد المراقبون إن المسلمين يتقاربون اليوم في عدة مفاهيم أساسية يسكادون يلتقون عقدها ويكونون بها « منطقياً » ، جديداً فيه طابع الأصالة وعلامة التحول من عصر التبعية إلى عصر الرشد الفكرى . ولقد كانت للتجارب التى مرت بهم خلال القرن الرابع عشر أثرها الواضح فى هذا الفهم الجديد الذى يقرب بهم من الحقيقة بعد أن دفعوا ثمنها غالباً من الزمن والأنفس والأموال ، وقد كانت بينة فى كتاب ربهم وبين أيديهم من قبل ولسكنهم كانوا عنها غافلين ، لم يستطيعوا استيعابها إلا بعد أن حزت فى نفوسهم وتركت موضعها وعليه أثر كدمات الدم .

أولاً : لقد تبين للمسلمين أن جريهم وراة أسلوب العيش الغربى واندفاعهم وراء بريق الحضارة المطلقة وراء شهوة الفم والبدن هو غواية الأمم الغربية لهم بهدف تبديد ثرواتهم وتخطيم معنوياتهم والقضاء على القوة النفسية والجسمية التى أعطاهما لهم الإسلام بالاستقامة والصلاة ليكونوا قادرين على مواجهة الأحداث ، مرابطين فى الثغور حتى لا يفاجئهم غزو العدو ومن هنا فقد أخذوا يتحولون إلى بناء مستقبل بلادهم بهذه الثروات لتكون لهم قوة قائمة على الزمن .

ثانياً اكتشفوا أن مناهج السياسة والاقتصاد والاجتماع والتربية التى قدمها لهم الغرب (بشقية) خلال القرن الماضى لم تكن إلا تراكمات مجتمع آخر مختلف ونتيجة تحولات فى عقائد وثقافات تختلف اختلافاً واضحاً عن المجتمع الإسلامى ، وهى ثمرة تكوين نفسى واجتماعى وعقلى تنازعتة وثنية اليونان الرومان ، وتفسيرات المسيحية ، واستعلاء العقل والعلم بعد كشف الطبيعة ، وقد تشكلت

في مجتمع لم يكن من دينه « منهج حياه » أو « نظام مجتمع » ، فإن المسيحية حين عبرت من الشرق إلى الغرب عبرت على هيئة وصايا وعبادات وتراويل فسكان أهلها في حاجة إلى أسلوب عيش أمدد سريعاً بين الرأسمالية والبرالية والماركسية والوجودية والقومية والاقليمية دون أن يجد منها بعد تجزئة السنوات الطوال إلا مزيداً من الصرع والاضطراب .

ومن هنا قد كانت مؤامرة نقل هذه الايدولوجيات إلى بلاد الإسلام التي تملك أعظم منهج ريماني جامع خالده أضحوكة التاريخ والاجيال ، إذ كيف يقترض من يملك هذا المجد الأمثل فئات الأمم ومحاولات العقول البشرية القائمة على الهوى والظن التي لم تثبت في مجال التجربة بل لقد كشفت أبحاث العلماء عن فساد هذه الايدولوجيات في يبيئاتها التي نبتت فيها ولم تحقق مطامح النفس البشرية وخلقت ما يسمونه أزمة الإنسان المعاصر فكيف تصلح هذه لبيئات أخرى تختلف أشد الاختلاف .

ثالثاً : آمن المسلمون بعد تجربتهم الطويلة مع الغرب أن حضارة الغرب ليست هي الأسلوب الاصلح لامتلاك الإرادة ، ولتحقيق افتقاد المسلمين مكانتهم في الارض ، وإنما الأسلوب الاصلح هو التماس منهج القرآن وتطبيق شريعة الإسلام ، فهذه هي « العروة الوثقى » التي كلما التمسها المسلمون على طول تاريخهم نجحوا بها من أزمة التبعية والنفوذ الاجنبي وسلطان الاقوياء عليهم ، وأن الحضارة المادية مهما بلغت من زخرفها لن تبهرهم إلى الحد الذي يجعلهم يضنون وجودهم وكيانهم وذاتيتهم في سبيل الحصول على هذا البريق ، وخاصة أن الحضارة المادية مهما بلغت من زخرفها لن تبهرهم إلى الحد الذي يجعلهم يضنون وجودهم وكيانهم وذاتيتهم في سبيل الحصول على هذا البريق ، وخاصة أن الحضارة الغربية اليوم لا تقدم — فيما غير العلم — إلا ذلك الانحراف الخطير في القرف والشهوات ولذات الماديات والاسراف في تبديد الكيان الانساني وهو ما يتعارض مع كرامة المسؤولية والالتزام الاخلاقي للإنسان الذي شرفه الحق بتبارك وتعالى بالاستخلاف في الارض وتعميرها وإقامة المجتمع الرباني بها .

هذه الحقائق التي تبدو واضحة الآن في العقل الإسلامي والنفس الإسلامية

تعطى هدفاً أساسياً هو أن القوى الأجنبية التي تتجمع اليوم لتواجه عالم الإسلام وهو يتحفر لامتلاك إرادته إنما تهدف إلى القضاء على هذه الذاتية الخاصة التي شكلها الإسلام في النفس المسلمة فأصبحت الأمة الإسلامية كالشامة في الجمع الغفير .

هذه الغاية قائمة اليوم من وراء كل محاولات الغزو الفكري والتغريب وتحريك قوى الشيوعية والاستشراق والتبشير الغربي وضرب الاسلام من الداخل بالفرق الضالة كالبهاثية والقاديانية ، أو ظهور جماعات من يدعون العودة الى الاسلام ، لكسب ثقة المثقفين عن كتاباتهم وضرب الاسلام من الداخل على النحو الذي دعا اليه عتاة التغريبيين من الشيوعية كمحاولة ما كره وقد تكشف فعلا في السنوات الأخيرة أن كثيراً ممن أعلنوا عودتهم الى حظيرة الاسلام خدعة قد وقفوا في وجه تطبيق الشريعة الاسلامية ، أو التمسوا مفاهيم الباطنية وأصحاب مفاهيم الحلول والاتحاد ووحدة الوجود ، وذلك بعد أن رتبت لهم محاولات وكسب الثقة فيهم ، والواقع أن بيننا وبين هؤلاء : مفهوم الاسلام الجامع الصحيح كمنهج حياة ونظام حياة مجتمع فكل نكوص أو نصول أو محاولة للتشكيك في هذه الوجهة إنما هي افرار بالتبعية ، ذلك لان مفهوم المسلم الصحيح هو الايمان بالمنهج الرباني وسلامة تطبيقه لا يعتوره في ذلك ذرة من الشك أو التردد في التماس الاعذار لبقاء الأنظمة القائمة على القانون الوضعي وأخطر ما في هذا هو أن يتحدث هؤلاء عن الإسلام بمفهوم المسيحية أي بالفصل بين الدين والسياسة أو بين الدين والمجتمع .

والحق أن القوى الأجنبية مازالت قادرة على أن تقدم بموهين لهم بالفاظ براقة وكمالات خداعة ، يحاولون الصد عن إحدى عقائد المسلمين اليوم وهي تطبيق الشريعة الإسلامية كمحاولة وحيدة وأخيرة لتحرير المجتمع الاسلامي من أسباب ضعفه واضطرابه ، وكنطق لامتلاك الارادة الاساسية للأمة الاسلامية على أرضها وتأكيد وجودها ولتسطيح بعد ذلك أداء رسالتها المنوطة بها وهي تبليغ . الاسلام للعالم المضطرب الممزق المتطلع الى منهج جديد يخرج من أزماة وانحلاله .

لأن أخطر ما يواجه المسلمين اليوم هو حماية هذه الذاتية الإسلامية ، بكل

شاراتها وعلاماتها ومقدراتها ربانية قرآنية كما رسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بسيرته وسنته وخلقه وتصرفه اليومي في كل الأمور ، ذلك أن هذه الذاتية الإسلامية هي هدف القوى الثلاث : الصهيونية والماركسية والغربية ، من كل محاولات التغريب والغزو الثقافي ، لأنها هي القوة الحامية لهذه الأمة من أن تذوب في العالمية والاممية الدولية وهي في مرحلة الضعف الذي تمر به وحيث أن الاممية ضالة مسرفة في الوثنية والمادية والاباحية .

ولذلك فإن أبرز مطامح القرن الخامس عشر هو تأكيد تمايز هذه الأمة عن الأمم ، وهذا التمايز كما يقول الدكتور محمد محمد حسين مقصود لذاته لأن الأصل هو تباين الأمم ودفع بعضها ببعض وهو من سنن الله الكبرى ، وإذا كانت النظريات الرياضية والتجريبية واحدة لا تختلف باختلاف الأمم فإن النظريات السلوكية التي تقن سلوك الفرد وسلوك الجماعة مختلفة متباينة بتباين أعينهم .

(ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض) .

(ولو شاء الله لجلع الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم) .

ويتميز المسلمون بالمقدار الذي يعتمدون فيه على قيمهم وعقيدتهم ، هذا الالتقاء على نظام يجعلهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ومن طريق المخالفة لغيرهم الذي يصونهم عن الذوبان والفساد في غيرهم وهذا واضح في قوله تعالى :

(وإن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) .

فالآية تدعو المسلمين إلى الاجتماع على طريق الإسلام من ناحية وتناههم من ناحية أخرى عن اتباع طرق غير المسلمين لأنها تؤدي إلى تفرق جماعتهم ، أن الخطر هو تطويع الإسلام لاشكال الحضارة الغربية ومفاهيمها وتطويع المجتمع ليكون في نهاية المطاف صورة من صور المجتمعات الغربية .

هذا التمايز ، وهذه الذاتية الإسلامية ، الواضحة العميقة ، لا تقتصر على مجال واحد ولا ميدان واحد ، ولكنها تشمل كل الميادين والمجالات ، من الاقتصاد

الى السياسة الى الادب الى اللغة الى التاريخ الى أدق الدقائق في القضايا الاجتماعية والفكرية والثقافية . وهذا التمايز هو الحصانة الوحيدة دون الذوبان والانتصار في بوتقة هذه الحضارة المضطربة التي تمر بأفنى مراحل أزمتها ونهايتها .

(٢)

الدعوة الإسلامية تشق طريقها الى آفاق آفاق الارض

مع عديد من التحديات والانتصارات

مازال الإسلام يفتح آفاقاً جديدة أمام الدعوة الى الله عن طريق الحكمة والموعظة الحسنة في مختلف أجزاء الكوكب الارضى على نحو هو الآن موضوع دهشة المراقبين وعجبهم نظراً لقلة الموارد المالية التي تنفق في هذا السبيل وبالرغم من كل أعمال المقاومة والحشد المبذول للحيلولة بين الناس وبين الاسلام .

وفي العالم الغربي (أوروبا والأمريكتين) بالرغم من ضخامة النفوذ الذي تفرضه الكنيستان الكاثوليكية والبروتستانتية والانفاق الضخم والمحاولات الجديدة في كسب الشباب بفتح أبواب الاغراء بمجلبات الرقص وتقبل قوانين الاجهاض وقرار الشذوذ الجنسي والعياذ بالله ورفع الخطر عن معتنقي الماسونية فإن ذلك كله يوحى بالسكساد الشديد والانتصراف الشديد حتى في مجال تربية أجيال جديدة من قادة الفكر الديني فان النسبة المطروحة توحى بالانتصراف الشديد عن هذا المجال ، هذا بينما يكسب الاسلام مزيداً من معتنقيه تحت تأثير قراءة النصوص الإسلامية أو الالتقاء بالدعاة المسلمين على ندرتهم في المراكز الإسلامية في بعض العواصم ، بالإضافة الى تلك الروح البارزة لانصاف الاسلام ورسوله التي تكشف عنها الكتابات التلقائية التي لا يدرج أصحابها تحت قوائم الاستشراق والتبشير .

وفي مناطق مختلفة من الأمريكتين وأستراليا بالإضافة الى أوروبا نفسها نجد تجمعات جديدة تمثل أقليات صغيرة مسلبة تحاول أن تقيم مجتمعا اسلاميا

خلال وسط هذا الزكام الضخم من فساد الحضارة الغربية واضطراب المجتمعات الاوربية .

وتجرى المحاولات لاستخلاص تصريحات من قادة المسلمين ترمى الى القول بأنه لا فوارق حقيقة بين الاسلام والمسيحية أو الاديان الاخرى بهدف تثبيط همم الذين يزعمون الدخول في الاسلام بوصفه يمثل عقيدة التوحيد الصحيحة اليوم المحررة من الوثنية والتثنية والتعدد .

وفي الولايات المتحدة جاليات من الملونين الذين هم من الافارقة في الاصل يمثلون تجمعا اسلامياً، ولكن هناك اعداد كثيرة من الامريكيين أنفسهم أخذت تدخل في الاسلام حتى يقول مدير احدى المؤسسات الاسلامية في واشنطن : (انه لا تطلع الشمس يوماً الا على مسلم جديد) وان هذا يحدث في كثير من بقاع القارة الامريكية وتزايد هذه الظاهرة حتى تمثل علامة جديدة يصفها الدكتور محمد عبد الرؤوف بقوله :

اننى أرى ان هناك قوة خفيه تعمل على نشر الاسلام في هذه البلاد وهى قوة الله تبارك وتعالى وليس عملنا الا من وراء ارادة الله وتقديره ، حيث لا ينتشر الاسلام بين الامريكيين السود لحسب بل بين العنصر المسيحى (انجلو ساكسون) وقد وجد طريقه الى ذوى الفؤاد في البلاد .

وعندما تقرأ ما يكتبه أمثال الدكتور موريس بوكاي من مقارنات بين العهد القديم وبين القرآن من حيث (المصدر) حيث يكتشف (ربانية) القرآن و (بشرية العهد القديم) فألى أى مدى تحدث هذه الآثار دويما ، فإذا أضيف الى هذا ما تقدمه منظمات عدة في دراسات السكتب المقدسة ، وبالإضافة الى ما كشفت مخطوطات كهف قرآن وما تزال تكشفه الحفريات الأثرية مما يؤكد صدق نصوص القرآن الكريم وتزييف كثير من تلك المسميات الكاذبة التى تقوم عليها دراسات التاريخ القديم من حيث تتجاهل (الحنفية الابراهيمية) ودورها في بناء ذلك للتكوين الروحى الذى عرفته هذه المنطقة امتداً من ابراهيم عليه السلام في أبنائه وفي اسما عيل الى محمد صلى الله عليه وسلم .

(ثم أرحبنا اليك أن اتبع ملة ابراهيم خنيفا) وما يتصل بهذه الرسالة من حقائق تمثل في جماع الايجابيات التي نراها في الجاهلية وفي فساد التفسيرات التي صرفتها اليهودية والمسيحية عما كشف القرآن زيفها مما غيره أهل الكتاب من وجهة الدين ومن انكار الارتباط بالنبوة الخاتمة وما تزال هذه الحقائق تنكشف وما تزال قوى التزييف تحول بين الناس وبينها (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره) .

وفي الوقت الذي تتعدد فيه الجاليات الإسلامية في كل مكان في العالم وفي أوروبا وفي آسيا لم يترك النفوذ الأجنبي هذا النشاط يزدهر وعلى هذا الأساس دعم الانجليز الحركة الأحمدية (القاديانية) في الهند وغذوها بالاموال لإيجاد بلبلة في صفوف الامة الإسلامية ، وبني في إنجلترا مسجداً للأحمدية (أو القاديانية) ليكون مركز انطلاق لهم في إنجلترا أو أوروبا ، كما ساعدت إنجلترا على طبع كتب الأحمدية المضللة وخصوصاً باللغة الانجليزية ، وقد توسعت الأحمدية في قلب أفريقيا ولكنها ما تزال مرفوضة لما تخالف من مفهوم السنة الجامعة ، وقد فضح أهدافها وعمالها للاستعمار العلامة المودودي والسيد الندوي ورابطة العالم الإسلامي وغيرها من الهيئات الإسلامية ، وقد توسعت بعد الحرب العالمية الثانية حركات الطلبة المسلمين في عديد من البلدان الأوروبية الأوروبية ، وتزاحم الغربيون في كل مكان أمام مظاهر الاعياد الإسلامية ليحضروا ويشاهدوا شعائر الصلاة الإسلامية من قيام وركوع وسجود وتقاطروا على سماع خطبة العيد مما لفت أنظارهم فسموا إلى الاتصال بالمراكز الإسلامية ، ولا شك أنها ملأت نفوس هذه الجماعات وخاصة شباب المدارس والجامعات وشدتهم إلى الاسلام لبساطة عقيدته وسلامه مبادئه وسماحته واقترابه من الفطرة وعطائه وتسكامله مع أشواق النفس الانسانية وحيث يدعو إلى الرحمة والعدل والاخاء والتوحيد، فقد شد إليه الزنوج الامريكيين الذين عانوا من العسف والظلم والاسترقاق على أيدي الامريكيين البيض كثيراً .

ويعاني المسلمون معاناة شديدة في مناطق كثيرة من العالم .

وأقصى ما يواجهون ما يلقونه في المناطق الواقعة تحت سيطرة الاتحاد السوفيتي والدول الشيوعية ، وهناك ما يلقاه المسلمون في مناطق كثيرة من أفريقيا ازام (م ٨ - الاسلام)

الحملات التبشيرية النصرانية حيث تتركز البعثات التبشيرية في نيجيريا والكاميرون
وجنوب السنغال وكينيا وحيث تندفع القبائل الوثنية الى الاسلام وتدخل القبائل
الزنجية في دين الله أفواجا وحيث تقف الدعوة الاسلامية بقوة الذاتية في مواجهة
الامكانيات الضخمة المتاحة لرجال الارسلانيات ، وحيث الكنائس والاديرة
والمعابد مقامة في أنحاء كثيرة من البلاد في المدن والقرى .

وقد شهد الذين قاموا بنشر الدعوة الاسلامية بين الوثنيين بما يلقونه من
رحيب كبير وخاصة في المديرات الجنوبية الثلاثة : أعلى النيل والاستوائية وبحر
الغزال حيث الاتصال بالمواطنين البدائيين والصناريين في منابت الاحراش والغابات
مواطن الحشائش والمستنقعات ، يقول أحدهم : « أقتنعنا بأن العمل في هذا الميدان
عمل ميسور وأن ما يذله المبشرون المسيحيون من جهود ، لو بذل المسلمون عشر
معشاره لاثمرت جهودهم أضعاف ما تثمر جهود المبشرين ، بل أن الإسلام قد
اقتحم مناطق جنوب أفريقيا : (جوهانسبرج ، ديرين ، أيسر لندن ، كيب
تاون) حيث قامت مجتمعات صغيرة من المسلمين ولكنها متناسكة ، فهم يجمعون
الزكاة ويوزعونها على مستحقها وينشئون المدارس الإسلامية والمساجد ويطبعون
الصحف والمجلات الإسلامية ، والمساجد هي مركز نشاط المسلمين الاجتماعي ،
وكلما أستولت الحكومة على منطقتهم ، رحلوا إلى أرض أخرى وأقاموا
مساجدهم ومساكنهم . ويتساءل بعض الذين زاروا تلك المناطق : « لماذا اتجه
جميع بيوت المسلمين في جنوب أفريقيا نحو القبلة ، رغم الصراع الحقيقي الذي
يحوضونه مع جهاز البلدية عند تخطيط البناء . فالمسلم هنا لا ينام إلا في اتجاه القبلة
ويقوم في داره ثلاث حنفيات للوضوء : وغرفة للمصاحف ، ومكان للصلاة ، والنساء
المسلات يخرجن محجبات ويعمل الجميع في تسامح رائع ، الأطفال يحفظون
القرآن ويحسون تلاوته وتجويده ، ويقبل الوثنيون في جنوب أفريقيا على اعتناق
الإسلام اقتناعاً بأنه الدين الذي أوجب المساواة وذوب الفوارق بين الناس ولم
يعترف بأى امتياز أو فضل أو تفوق مصدره اللون أو العرق أو المال .

وما تزال مناطق إسلامية كثيرة تقاوم ، أمثال : أرتيريا في مواجهة الحبشة
الماركسية ، ومسلمي الفلبينيين (وشعب بانجامور) المسلم ٨ ملايين نسمة في

الجزر الجنوبية الخمسة الكبرى وهناك اضطهاد المسلمين المتجدد في الهند وهناك مشاكل مسلمي بورما الذين شردهم حكومة بورما ومسلمي كبوديا وفتنام ولاوس وهي مثل لما يقاسية المسلمون الذين يعيشون في الدول الشيوعية وهناك مشكلة خمسة ملايين مسلم في تايلاند .

وما يزال مسلمو قبرص يقاومون سبيل تثبيت وجودهم في الجزيرة وحقم في البقاء حيث لم تكن قبرص في يوم من الأيام أرضاً يونانية وحيث عمد الاستعمار البريطاني إلى تفريغ الجزيرة من المسلمين وجعلهم أقلية فيها ، وقد تعرض المسلمون لصنوف يشعة من التعذيب والحرمان .

ومن الآفاق الجديدة التي فتحتها الإسلام في سنوات ما قبل بزوغ فجر القرن الخامس عشر الهجري : غزوته السلبية لليابان حيث دياتته الشنتو (عبادة الطبيعة) والبوذية القادمة من كوريا والصين في القرن السادس الميلادي حيث أصبح نصف الشعب الياباني يعتنقها ، والمعروف أنه بعد اندحار اليابان في الحرب العالمية الثانية ودخول قوات الاحتلال أعلن الامبراطور للملأ أنه لم يعد الها وإنما هو بشر ، وقد انتهزت الهيئات التبشيرية العالمية الفرصة وركزت جهودها على اليابان متطلعة إلى أن تكون « المسيحية » هي عقيدة الشعب الياباني ، وفي ظل هذا الفراغ العقائدي وجد اليابانيون في الإسلام استجابة لمطامح نفوسهم وتطلعاتها بين ثلاث حركات تتصارع هي التبشير المسيحي (حيث تؤخذ خمس جامعات تبشيرية ومدارس ثانوية وابتدائية تضم ٣٠٠ ألف) ودعوة ماركسية شيوعية واشتراكية ، وحركة بوذية . وقد دخل الإسلام إلى اليابان من عدة جهات : من قازان عاصمة جمهورية التتار الإسلامية ، ومن الصين ومقاطعة منشوريا ، ومن أندونيسيا والملايو حيث اتصل أفراد جيش الاحتلال الياباني لأندونيسيا بالشعوب المسلمة هناك .

وما تزال الدعوة الإسلامية في اليابان تشق طريقها مع آمال عريضة . وهكذا نجد أن الدعوة الإسلامية في نهاية القرن الرابع عشر ومطلع القرن الخامس عشر تواجه عديداً من التحديات .

وسيطخ الإسلام ما بلغ الليل والنهار مع امتداد الزمان وجهاد العالمين ، والحمد لله رب العالمين .

(٢)

المسلمون في مجزرة القرن الوليد

(رد الشبهات ومواجهة التحديات)

لن العظم الإسلامي اليوم يعنى في وضوح تلك المحاولة الماكرة الشيعة التي تقوم بها قوى النفوذ الاجنبى لتحويل بينه وبين انبعاث النهج الإسلامى للحياة والحضارة التى تتطلع البشرية كلها اليه وتجده فيه أملها .

إن موجات التحامل والتشكيك في جوهر الإسلام وقدرته على العطاء، وسلامة منطلقه ، وأصالته هدفه ، تنطلق اليوم في عنف من الصهيونية لتثير في النفس الغربية الخوف من ضياع الإسلام البازغ من خلال السحب والغيوم ، وتحاول هذه الكتابات المغرضة أن تصف الإسلام بأنه دين رجعى متأخر جاء معاد للحضارة والتقدم والتطور، أو تصوير يقظة المسلمين على أنها حركة معادية للغرب الصناعى المتحضر ، أو التحذير من نزعة الجهاد الإسلامية ، ومن هنا تنزغ دعوة خصوم الإسلام إلى إشعال الفتن المذهبية ، أو العمل على خلق صراعات طائفية في الشرق بين البلاد الإسلامية حتى تحول المسلمين وبين التضامن الإسلامى والوحدة الجامعة، وهم في ذلك يخدعون الغرب الذى يعرف أن اليقظة الإسلامية ببناء وسمحة وكرامة ، وأنها تقوم على العطاء والإيجابية والسباحة والبعد عن التعصب ، ويخطئ مكسيم رودنسون حين يقول أن الإسلام لم يكف يوماً عن كونه رافضياً كل تطور لمجاراة الحياة العصرية بسبب تمسكه المتزمت بحرفية الدين .

فالواقع أن الاسلام متفتح في مواجهة الحضارات والامم وهو لا يعارض النظم المختلفة ولكنه يؤمن بالحفاظ على ذاتيته ومنهجه العقائدى والفكرى الذى ينطلق منه إلى التعامل السامح الكريم مع الامم والشعوب ، أما أن يفرض على المسلمين أسلوب عيش غير أسلوبهم في محاولة لمسح شخصيتهم وإذابة كياناتهم الخاصة في أتون الاممية العالمية لو أن يكون الإسلام مبرراً للحضارة الغربية المضطربة في مرحلة أفولها وانهارها فإن ذلك أن يكون .

ويكنى الاسلام انه يحافظ على كيانته ويقيم حضارته ويجمعه ليكون نبراسا للبشرية لتهتدى به إلى طريق الله ، ولكنه ان يكون عدوانيا أو مدمرا لحضارات الأمم أو وجودها .

وحين نتلفت اليوم ونحن على أبواب القرن الخامس عشر الهجرى نجد المسلمين وهم يبنون كيانهم الحضارى الاجتماعى وسط المحاولات التى تحاول إن تحول بينهم وبين اكتمال إرادتهم ، وفى أفغانستان يقاوم المسلمون نفوذا غربيا يحاول السيطرة عليهم ، وفى باكستان نجد العمل الجاد فى سبيل إقامة المجتمع الاسلامى الاصيل ، وفى تركيا نجد الاتجاه الصحيح نحو تحرير المسلمين من نفوذ الايدولوجيات والأنظمة ماضيا فى طريقه .

يكشف هذا نجم الدين أربكان حين يقول : أن الصهيونية والماسونية حاولا عزل تركيا عن العالم الاسلامى ، ومؤامراتهم مستمرة ، ذلك أن المعركة بين الاسلام فى تركيا والصهيونية قد اتخذت أشكالا عدة وهى حرب طويلة المدى ، وهى مستمرة منذ خمسة قرون منذ فتح السلطان محمد الفاتح القسطنطينية وعمل على فتح رومية ولكن هذا الصراع فى المائة سنة الاخيرة أخذ شكل مخطط أعد له سلفا فاستطاعت بعض القوى عام ١٨٣٩ أن تؤثر فى جسم الدولة الفكرى وتدخل القوانين الوضعية البعيدة عن الاسلام بواسطة المنظمات اليهودية للماسونية ، وقسم العمل اليهودى فى تركيا إلى ثلاث مراحل مدتها ثلاثون سنة وهى عبارة عن تنفيذ فكرة تيودور هرتزل بإسقاط الدولة الاسلامية فى تركيا ، أما المرحلة الثانية فقد استمرت عشرين سنة وهى تقسيم الدولة العثمانية إلى دويلات صغيرة ، أما المرحلة الثالثة فقد استمرت خمسين سنة وكانت لابعاد تركيا عن الاسلام .

ثم نشأ حزب الاتحاد والترقى وكانت له علاقته باليهود والماسونية ، ومن ثم استطاع إسقاط السلطان عبد الحميد وبدأ فى أبعاد تركيا عن الخط الاسلامى وتغريبها بطرق عديدة أهمها العلانية التى كانت تعنى فى تركيا بالتحديد اضطهاد المسلمين .

ثم بدأت تركيا الاسلامية تكشف عن وجودها ، وبدأت تتحرر من أساليب التغريب ، وهي اليوم على مفرق طريق اليقظة الذي يعم العالم الاسلامي كله تطلعاً إلى تحقيق أهداف كبرى ، منها انشاء الأمم المتحدة الاسلامية واقامة السوق الاسلامية المشتركة ، واجتاد الدينار الاسلامي الموحد ، والمعاهد الثقافية الموحدة والوحدة الاسلامية للدفاع عن العالم الاسلامي ، وهناك في العالم الاسلامي كله ايمان أكيد بأنه لا تقوم للإسلام دولة الا بتكوين الفرد المسلم الذي تربي على أساس من القرآن والسنة وهدى من السيرة ، ولا بد من انبثاق نظم البلاد الاسلامية وفوائنها ومعارفها واقتصادها وسياستها الخارجية من النظام الاسلامي ، وحيثما ننظر من حولنا نجد أضواء الاصاله تزحف مع مطالع فجر القرن الخامس عشر ، ففي اليابان يقول الدكتور شوقي فتاكي : أن هناك ٣٠ ألف مسلم ياباني يشكلون مجتمعهم الجديد ويدعون الى الوحدة الاسلامية والجهاد من أجل تحرير المسجد الأقصى والحرم الابراهيمي ، بالإضافة الى جميع المقدسات الاسلامية وقد وحدنا القوى الاسلامية اليابانية في دعوة للتضامن مع المسلمين ، ونحن ندعو اليوم الى تجديد وصقل الوحدة والتضامن القوى الاسلامية في العالم أجمع من أجل تحقيق تعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا العالم الحديث .

ومن أفريقيا نجد المجلس الاسلامي لجنوب أفريقيا يكشف عن الاخطار التي تواجه المسلمين وخاصة في شأن تربية الاطفال تربية اسلامية ، وما تسبب به الثقافة الغربية الى حياة الاسرة للسلب ، وما يتطلع اليه الشباب المسلم ليسكون قاعراً على مواجهة التيارات المعادية للإسلام وخاصة هجمات الماركسيين والمستشرقين ودعاة المذاهب الشرقية ، ويتطلعون الى اقرار برنامج شامل للتربية الاسلامية . يقوم على أساس تثبيت قواعد العقيدة الاسلامية .

ويعلق المجلس الاسلامي أهمية كبرى على نشر الاسلام في جنوب أفريقيا وهذا دور المنظمات الاسلامية ، ويرى أن جنوب أفريقيا مهيأ لانتشار الاسلام لأن هناك من المسلمين المقيمين بجنوب أفريقيا منذ ثلاثمائة سنة ، وأن أول مسجد في مدينة السكاب يعود الى عام ١٧٩٠ كما يوجد بجنوب أفريقيا ١٥٠ مسجداً .

وهكذا أينما يولى المسلم وجهه يجد اليقظة الإسلامية وهي تتدافع في قوة لتحقيق هدف واضح في هذا القرن الخامس عشر هو الخروج من التبعية الغربية سواء جاءت من الاستعمار أو الصهيونية أو الشيوعية، ووصولاً إلى الرشد الفكري وتحقيق غاية أساسية هي بناء الشخصية الإسلامية والحفاظ عليها والتضحية بكل عزيز وغال في سبيل هذا التميز الذي عرف به المسلمون بين الناس والملل .

وعندما نراجع خريطة المتغيرات نجد أن الدعوة الإسلامية تمشي في كل طريق وتفتح كل مجال وتستعمل كل أسلوب على هذا النحو :

أولاً : تجد انتشار الإسلام بالدعوة الإسلامية في مختلف بقاع العالم حيث يتحقق ما وعده به رسول الله صلى الله عليه وسلم من دخول الإسلام إلى كل دار في كل زاوية من زوايا الأرض .

ثانياً : انتشار دعوة التصحيح في تحرير المفاهيم والعودة إلى منهج الله في كثير من بلاد المسلمين حيث تنامي قوة المطالبة بالعودة إلى الشريعة الإسلامية واكتشاف هذه الأقوام مدى النتائج الخطيرة التي تحققت نتيجة التبعية للمنهج الواحد سواء في مجال الفكر أو الاجتماع أو الحكم .

ثالثاً : بروز الذاتية الإسلامية في بلاد قاست طويلاً من مظالم العلمانية وسيطرة الدكتاتورية الفردية الحاكمة ونماء أجيال جديدة تكشف لها زيف هذه التيارات التي جرت فيها الأمم طويلاً .

رابعاً : بروز فريضة الجهاد كعامل حاسم في حل المشاكل ووضوح هذا العمل وقيامه بدور ضخم في تحرير كثير من الأوطان الإسلامية .

خامساً : نماء القوة العسكرية الإسلامية في مختلف أجزاء العالم بحيث تصبح قوة واحدة عندما تلتقي القلوب على وحدة إسلامية صحيحة .

الفصل الثامن

أيدلوجية جديدة وليس غير الإسلام

أن دخول العالم الإسلامي في مطلع القرن الخامس عشر مرحلة ما يسمى الصحوة الإسلامية أو المد الإسلامي لدليل واضح على طبيعته المرحلة التي يواجهها المسلمون اليوم وهي مرحلة تختلف فيها الآراء بين منصف وحاقد ، ومتفائل ومثائم ومستوعب للتيارات العالمية وجاهل بها ، ولا ريب أن الدهشة التي تسود دوائر الغرب ترجع إلى عدم توقع تنبه المسلمين بهذه السرعة إلى المؤامرة الخفية التي حيكت بدقة منذ سنوات طويلة والتي اعتقد الغرب أن المسلمين قد استوعبوها وانصهروا فيها ، وأنهم قد انفصلوا عن مفهومهم الأصلي للإسلام ولم يعودوا يتقبلون الأمور ويفسرونها إلا من خلال المنهج الذي رشحته قوى التبشير والاستشراق والنخرب من خلال التعليم والثقافة منذ أكثر من مائة عام وقد تخرجت على هذه المفاهيم أجيال كثيرة ، حتى لم يعد هناك من سبيل إلى أن يفهم المسلمون أمور فكرهم وحياتهم وثقافتهم إلا من خلال هذه المسلمات ، التي وضحت من أجل تفريغ (الإسلام من حقيقته الأصلية) من مفهوم التوحيد الخالص ومن مفهوم فريضة الجهاد الماضية إلى يوم القيامة ، ومن ثم فإن المناهج الوافدة تحاول أن تصور الإسلام بأنه دين من الأديان التي لا تفترق إلا في أمور يسيرة غافلين عن تلك الفوارق العميقة . (الصلب والتشليل والخطيئة) وكذلك ظهرت تلك الدعوات المضللة (البهائية والقاديانية ومحتوياتها) ومن أجل تزيف مفهوم الجهاد كما جاء به القرآن حاولت المفاهيم الوافدة أن تحول المسلمين عن أعرافهم وأدابهم ومفاهيمهم ومقاييسهم التي رسها الإسلام إلى مفاهيم الفكر البشري وأن تخدعهم بأن السبيل الوحيد للنهوض وامتلاك الإرادة هو الأخذ ، بأسلوب العيش الغربي ومقاييس الغرب في القتال مهملين الجوانب الروحية والمعنوية اكتفاء بالتفسير المادى والمقياس المادى فكانت النتيجة أن خدعنا الغرب فلم يقدم لنا إلا فتات موائده من الجوانب الاستهلاكية والمثيرة للشهوات من مسرح ومرقص وأدوات تجميل وأوجه الفساد والترف

المستهانة لقوى الامم وعافيتها ، أما العلوم والتكنولوجيا وأدوات القوة فقد حجبها الغرب عنا بينما سلح بها أعداء الإسلام واقام إسرائيل في قلب العالم العربي وبذلك دفع المسلمون نتيجة متابعتهم لمناهج الغرب الرأسمالية والماركسية إلى السقوط في محنة الهزيمة والنكبة والنكسة ،

ولكن مفاهيم الإسلام الاصلية التي قدمتها حركة اليقظة ، لم تلبث أن هزت هذا الغافل وردته إلى الفهم فعرف من أين هزم، وبدأ يستيقظ مؤمنا بأن المناهج الوافدة لن تستطيع أن تحقق له أمله ، ولا بد من العودة إلى منهج الله نبارك وتعالى الذي أضاء الكون منها أربعة عشر قرنا ومن هنا كانت الصحوة الاسلامية الإسلامية والمد الاسلامى انتقالا من اليقظة إلى النهضة في مطلع القرن الخامس عشر ،

إن الهزة التي تنتاب الغرب اليوم هي هزيمة حساباتهم بأن العالم الإسلامى قد خضع وانطوى وانسهر في بوتقة الحضارة العالمية والوحدة الاممية ولم يكونوا ظانين بأن الإسلام قادر في وقت المحنة أن يستعيد قدرته بأن يرجع إلى منابعه الاولى التي لا تتوقف عن العطاء - يقول أحد الباحثين أن الهدف السىاسى الراهن من الكتابة عن الإسلام في الغرب هو سد الأبواب الفكرية أولا على الإنسان الغربى نفسه حتى لا يرى في ظهور الإسلام على حقيقته ملجأ له من واقع التمزق العسكرى والخلقى والاجتماعى والعقيدى بل والمادى ، لأنهم يطمعون في عرض صورة مشوهة عن الإسلام للإنسان الغربى لكي يخذعوا الغربيين المتطلعين إلى أن الإسلام يستطيع أن ينقذ البشرية ، ومن هنا كانت محاولاتهم للحصول على كتابات من المسلمين عن أن الاسلام لا يختلف عن المسيحية إلا في مسائل فرعية أو اعتمادهم في تقديم الاسلام للغرب عن طريق الكتابات الزائفة التي كتبها المستشرقون اليهود والنصارى التايعين للكنيسة من ناحية والموالون للاستعمار من ناحية أخرى وهي نفس المحاولة التي قام بها الغرب بعد عودة المحاربين إلى الغرب من الحروب الصايبية عندما حاولوا أن يقدموا لقومهم سماحة الاسلام ،

أما ظاهرة المد الاسلامى فى صحیحة بكل المقاييس . فقد كان لا بد أن تنكشف حقيقة الاسلام التي أخضاها الغرب والاستشراق سنوات طويلة ، وأن يتبين أن النفوذ الغربى هو الذى حجب عظمة هذه الحضارة وأخفى ذلك

الدور الذي قام به المسلمون في مجال العلم والتحريب ، وما قدمته الشريعة الإسلامية والفقه الاسلامي في مجال القانون الغربي ، وكيف أن علوما كثيرة منها الاقتصاد والاجتماع والنفس والتربية والاخلاق قد قدم الإسلام أصول أصيلة منها ما تزال هي دكار العلوم الحديثة، أن هذه الحضارة التي أضاعت العالم ألف سنة لم تفقد سرها ولا سحرها وأن توقفت عن العطاء بعامل خارج عن إرادتها، حيث ترك للحضارة الغربية الفرصة أن تقدم نتاجها فاذا العالم بعد ثلاثة قرون غارق في أزمة من أشد أزمامه وبحنة من أفسى حننه ، ذلك لأنه تغافل عن الصانع والحالق وعن أصول العلاقة بين الانسان والمجتمع والحضارة، وعن مسؤوليته للفردية والتزامه الأخلاقي ،

فاليوم يتبين مدى جناية الحضارة الغربية على البشرية ، ويتبين أن الحضارة الإسلامية قادرة مرة أخرى على العطاء ، بالرحمة والاخاء البشرى والعدل حيث يتطلع العالم إلى إيديولوجية جديدة .

أن المسلمين اليوم هم ألف مليون من البشر يمثلون ثلث سكان العالم بينما تمثل القارة الإسلامية نصف مساحة اليابسة ومنذ أن ظهر الاسلام وما من حادث يحدث شرقاً أو غرباً إلا وله صلة بالاسلام وعالم الاسلام يتمدد الآن في القارات الخمس وترتفع مآذنه في كل مكان حتى نكتب جريدة التايمز تحت عنوان :

« اللينينية إيديولوجية خاسرة والاسلام هو الذي سينتصر » : إن أعنف الثورات ضد الهيمنة العربية كانت تقوم باسم الاسلام ، هذا الأمر لاحظته الشيوعيون ولم يغيب عن بالهم ، ووجد الشيوعيون أنفسهم يواجهون في آسيا الوسطى حركة إسلامية عداوية ظلت مستمرة خلال العشرينات فن عام ١٩٢١ سرا ومن مطلع ١٩٢٨ عانا ، حارلوا اضعاف إلهدين الاسلامى واعتبروه حركة رجعية ، ذلك أن الدين افيرن الشعوب كما يقول الشيوعيون . وكانت النتيجة غير المباشرة لهذه السياسة أن انبعثت حركة سرية في القوقاز خاصة في جماعات الاخوة الاسلامية لعبت دوراً هاماً جداً في مقاومة القيصرية الروسية ثم القاسفة الشيوعية ، ومن البلاءة الافتراض أن ردود المسلمين ضد الروس

في أفغانستان وغيرها يمكن أن تجعل الإسلام يقف إلى جانب أحد ، ذلك أن الإسلام دين وليس كتلة سياسية وهو يقف خصما للمادية وهو في نزاع دائم معها ومع ذلك فيمكن أن يعتمد العالم على قوة الإسلام ديننا وحضارة وإذا قام التحدي بين الليبرالية والإسلام فإن الأيديولوجية هي الخاسرة والأكثر ضعفا وأن الإسلام هو الذي سينتصر ،

إن « مستقبلية الاسلام » واضحة وليست في حاجة إلى بيان :

أولا : اضطراب النظريات المعاصرة وبحث الإنسان المعاصر عن وسيلة للتحرل من القيود المادية التي كبلته . وصيحات متعالية منذ أكثر من نصف قرن بفساد الحضارة المعاصرة (روكسن وأزمة الإنسان المعاصر) وصراع الأيديولوجيين الرأسمالية والماركسية وأزمة القنابل الذرية والهيدروجينية ، وفساد المجتمع الغربي وانحلال الأسرة وأزمة المخدرات والانتحار في أرقى البلاد تمدنا وأعلاها ثروة .

ثانيا : نطلع البشرية إلى نظام جديد وقدرة الاسلام عن العطاء في هذا المجال نتيجة سلامة الأصول التي قام عليها من ثبات القيم وارتباطها بالفطرة الإنسانية وتميز نظامه بخصوصيات تجعله دائم الصمود في وجه الأحداث صالح لمواجهة التغيرات في مختلف العصور والبيئات .

ثالثا : ظاهرة التفوق البشري في عالم الإسلام واتساع الطاقات الاسلامية الطبيعية (الثروات المادية والبشرية وامتلاك الطاقة في نفس الوقت الذي تفيض فيه الأرحام في الغرب) ،

واكتشاف فساد الصيحات الباطلة التي تقول بالانفجار السكاني والتي هي في الحقيقة فساد التوزيع والتسلط على الثروة أما الإخطار التي تواجه مستقبلية الاسلام فهي :

أولا : التبعية الاقتصادية للشرق والغرب مما جعل المسلمين مجرد مستهلكين وليسوا منتجين .

ثانيا : تمزق صفوف المسلمين وفي الطليعة قاداتهم .

ثالثا : الغزو الواقع عليهم عسكريا واقتصاديا وفكريا وحضاريا .

رابعا ، تخليهم عن المنهج الاسلامي وانحرافهم عن حقيقة الاسلام .

والصلاح يكمن في العودة إلى أصول الاسلام وينابيعه الصافية ، لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ، العمل بالكتاب والسنة . وتغيير منهج التربية والتعليم هو حجر الأساس في بناء النهضة .

وعلى المسلمين : ١ - أن يعرفوا أنفسهم .

٢ - أن يعرفوا الآخرين بعيدا عن عقيدة التعالي أو التجاهل أو الزهد .

٣ - أن يعرفوا الآخرين بأنفسهم على صورة الأصالة والرشد الفكري على أنهم نموذج مختلف له طابعه وذاتيته وأنه لا يمكن أن ينصر وأنه بضحي بكل شيء في سبيل الحفاظ على طابعه الخاص . وفي عشرات من التقارير الاسرائيلية والغربية نجد الحديث عن (صحوة الإسلام) يأخذ طابعا بعيدا عن الموضوعية والانصاف ، أنه يصدر عن وجهة نظر كارهه لنهضة الاسلام . والواقع أن (صحوة الاسلام) لا تقاس بمقاييس النصر المادي للتاريخ ولا بالمفاهيم العلمانية التي حاولت خداع تركيا وإيران بأسلوب التحديث الذي يرمي إلى التغريب والخروج من دائرة الأصالة الاسلامية ، والحقيقة ما يقوله البعض متجرداً .

(أرى الموجة الاسلامية الحالية لها أصالة وعمق وإنها تستطيع أن تغير الشرق الاسلامي ولفترة زمنية طويلة) .

أن الوحدة الاسلامية ، والأخوة الاسلامية ، والتضامن الاسلامي ، وتحقيق قيام المجتمعات الاسلامية الاصيلية على مبادئ الكتاب والسنة . وتطبيق منهج الاسلام في السياسة والاجتماع والاقتصاد والتربية يجب أن لا نزعج

أحدًا فإن الحضارة الإسلامية لا تتطلع إلى أكثر من امتلاك إرادتها وهي بعد ذلك معطية سمحاء مع الحضارات البشرية والانسانية تقيم مبدأ الاخاء الانساني والعدل والرحمة .

أما الاقطار الاسلامية فإن أغلبها قد نص على أن الشريعة الاسلامية مصدر القانون وليس هناك إلا مرحلة عزلة وتنقية وتطبيق وتكون الاقطار الاسلامية في هذا مستجيبة لمطامح شعوبها من ناحية ومقدمة هذا النموذج الاسلامي للعالم كله ليعرف مقدار عطاء الاسلام الحقيقي .

لن العقبات التي تقوم في مواجهة هذا الهدف هي من صنع انغوذ الاجنبي (شيوعياً وصهيونياً وغريباً) فهو الذي يحاول اليوم عن طريق ما يسمى (بالحوار) أو الاستشراق أو التبشير عن طريق الثقافة والتعليم والصحافة وعن طريق مؤسسات الماسونية الجديدة (الروتاري والليونز) وغيرهما من الدعوة إلى تجميع الفوارق العميقة بين الإسلام وبين الأديان في محاولة لتصوير (الاسلام) وكأنه لا يختلف عن تفسيرات الأديان القائمة وذلك بهدف القضاء على ما سوى اليهودية التي يدعون أنها أول الأديان بينما رسالة الله (الاسلام) بدأت منذ دعوة نوح عليه السلام وامتدت إلى محمد صلى الله عليه وسلم)

والاسلام في الحقيقة هو دين الله الخاتم ، الذي حمل مفهوم التوحيد الخالص ومسرلية الانسان في عمارة الأرض بالتزامه الاخلاقي ومسئوليته وجوانته الأخرى .

ولنعلم أن الاسلام دين ونظام مجتمع لا يفرقان : وهو ايس دينا لاهوتيا عباديا ولكنه دين يجمع العلاقتين بين الله تبارك ونعالى والإنسان وبين الإنسان والمجتمع . وقد قدم للبشرية منهجا كاملا في مختلف مجالات السياسة .

والاقتصاد والاجتماع والتربية طبقته أجيال من المسلمين خلال أربع عشر

قرنا فاقام حضارة الانسانية الحقبة ودخلته جميع العناصر وانصهرت فيه من
حدود الصين إلى نهر الخوار .

إن العالم الإسلامي قد تكشف أخيرا أنه خلال هذا القرن الاخير إنما كان
محمولا على السبيل في طريق غير صحيح ، هو الطريق الذي فرضه عليه النفوذ
الاجنبي حين حجب الشريعة الاسلامية وفرض القانون الوضعي وأقام أنظمة
تحت اسم الديمقراطية والقومية والاشتراكية لتضع أنها جميعها فاسدة ولا
تصلح للاستجابة لاشواق النفس الاسلامية التي بناها القرآن وقوامها (التوحيد
المخالص) .

إن محاولات الغرب والصهيونية والماركسية في تأخير نهضة العالم الإسلامي
بمقاومة أو تأخير أو لإجهاض المنطلق الإسلامي الصحيح وخاصة في بلاد العالم
الإسلامي سواء بالتبشير في إندونيسيا أو إيقاف التقدم في تركيا أو الباكستان
أو احتلال أفغانستان لن يقضى على البقعة ولكنه سيعطيها قوة جديدة .

الباب الثالث

آفاق جديدة للحركة الإسلامية في المغرب

الفصل الأول : الدعوة الإسلامية في المغرب

الفصل الثاني : ليظهره على الدين كله

الفصل الثالث : الاسلام يزحف إلى أسبانيا والبرتغال

الفصل الرابع : هل أصبح الفكر الغربي على طريق الاسلام اليوم

الفصل الخامس : تبليغ الاسلام .

الفصل السادس : تحديات خطيرة تواجه السنة

الفصل الأول

آفاق جديدة للدعوة الإسلامية في الغرب

في مطلع القرن الخامس عشر يتكشف كل يوم ضوء جديد وراء الإسلام وتتجمع هذه الأضواء لتشكّل ظاهرة حقيقية يجب متابعتها ودراستها وتحليلها للتعرف على أبعادها، الواضح من النظرة الأولى أن الخيوط كلها تتصل بيؤرة الضوء، علماء غربيون منصفون قد درسوا الإسلام ووجدوا فيه هادياً لأنفسهم ولل البشرية، كان هذا منذ سنوات بعيدة: درابر، وجوستاف لوبون، وكارليل، وجورج سارطون.

وهناك حلقة جديدة في مجال الحضارة كالتى وصفها شبنجر في كتابه سقوط الغرب، ومعالم أخرى كشف عنها مؤلف سقوط الحضارة (كولن ولسون) ثم جاءت موجة أخرى على رأسها الفيلسوف جارودى في كتابه: حوار الحضارات وفي مؤلف جديد له تحت عنوان «بشائر الإسلام».

ثم جاءت موجة أخرى على رأسها الدكتور موريس بوكاي عن تحليل ومقارنة الكتب المقدسة وتفضيل القرآن على أساس علمي بحث في عديد من الأبحاث أذاعها في الملتقيات المجتمعات الإسلامية في الجزائر، ثم كان خبر (مارس ١٩٨٢) بإشهار إسلامه في باريس على يد الدكتور محمد بدر بعد لقاءات موسعة مع الدكتور محمد المبارك رحمه الله وقد صدر له كتاب جديد لم يترجم بعد. وجاءت بعد ذلك موجة أخرى على رأسها مايكل هارت وكتابه «العظماء المائة» وعلى رأسهم محمد صلى الله عليه وسلم وهو اعتراف يقوم على الإقرار الواضح بأن دعوة الإسلام رسالة سماوية أرست مجتمعاً ربانياً في الأرض على نحو لم تعرفه الديانات المسيحية واليهودية.

وهناك تلك الدراسات الجادة للاقتصاد الإسلامى التى قدمها كثيرون فى (٩م - الصحوة الإسلامية)

مقدمتهم جاك أوسنرى أستاذ الاقتصاد بجامعة السريون عن مقدرة النظام الإسلامى على إعطاء البشرية ما عجزت عنه الرأسمالية و الشيوعية .

ومن ناحية أخرى تعددت آثار القانونيين الغربيين في تقدير الشريعة الإسلامية والاعتراف بأنها شريعة مستقلة غير مستقاة من الشرائع الأخرى وغنية بالثراء والعطاء ، فضلا عن حاجة العالم إليها .

ومنذ سنوات ظهرت الدكتور سجرية هونكه و كتابها (شمس الله تشرق على الغرب) بأبحاثها التي ردت بها إعتبار الحضارة الإسلامية بأنها هي صاحبة الفضل الأوفى على الحضارة العالمية . واليوم تظهر كاتبة ألمانية أخرى بعد أكثر من عشر سنوات على سابقتها الدكتورة (أنامارى شميل) الذى لم يترجم شيء بعد من أبحاثها بعد وقد عرف بها الدكتور زكى على المجاهد المسلم نزيل جنيف منذ خمسين عاما ، وكيف أنها قدمت دراسات عن السيرة وعن الرسول صلى الله عليه وسلم وعن ابن خلدون وعن إقبال ، وعن جلال الدين الرومى . وعن الإسلام في شبه القارة الهندية ، ويبدو أنها تأثرت بالأعلام من أبناء الباكستان والقارة الهندية المسلمين وهي منذ ثلاثين عاما تقدم الفكر الإسلامى إلى قراء اللغة الألمانية .

كذلك فقد أعطت دراسة تجربة الإسلام في الجزائر لعديد من المفكرين الغربيين تحولا في تفكيرهم أن لم يكن موازيا للتفكير الإسلامى فعلى الأقل على طريق الإنصاف من أولئك : جاك بيرك وإميل درمنجم ومؤلف كتاب ثلاثين عاما في صحبة الأمير عبد القادر وجارودى نفسه الذى أشرنا إليه وقد دخل في الإسلام بآخره ، إما إتيان دينه فقد دخل في الإسلام فعلا ، فقد شهد هؤلاء حركة جمعية العلماء التي أنشأها العلامة المجاهد عبد الحميد بن باديس والتي كان لها دورها الحاسم في الحفاظ على اللغة العربية في الجزائر وحماية الشخصية الجزائرية من الانصهار في الشخصية الفرنسية وهو الهدف التي ظنت فرنسا عام ١٩٣٠ بعد مرور مائة عام على إحتلال الجزائر أنها بلغتته .

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فقد انفتحت في الغرب آفاق جديدة تريد

أن تعرف الكثير من حقائق الإسلام بعد أن حُجبت عنها هذه الحقائق فترة طويلة بكتابات المستشرقين الذين كانوا يعملون في خدمة الكنيسة ووزارات الاستعمار وكانت كلمة السر بينهم جميعاً أن لا يعرف الغرب (حقيقة الإسلام) خوفاً من الدخول فيه بعد أن تقطعت الأوصال بين المجتمعات وبين الإيديولوجيات الرأسمالية والديمقراطية والاشتراكية والماركسية ، والتي ثبت عجزها خلال ثلاثة قرون على العطاء الحقيقي . كانت ولا تزال هناك محاولة لإفساد كل وجه كريم من وجوه الإسلام يصل إلى الغرب ، يقوم بهذا أحد رجلين أما عملاء الصهيونية العالمية الذين يخططون للسيطرة على العالم قبل عام ١٩٩٨ حسبما جاء في البروتوكولات ، أو دعاة العلانية والثنية والإباحية في الغرب ، الذين يعملون في ركاب العجل الذهبي والنظام الربوي العالمي الذي يوجه الحضارة كلها وجهة الاستهلاك لاستنزاف العروة العالمية من ناحية والذي يدفع المجتمعات إلى الانحلال والفساد على مذهب فرويد وماركس وسارتر وماركوز وغيرهم من دعاة التدمير السريع للحضارة المعاصرة .

ولقد ظهرت في السنوات الأخيرة أبحاث ووثائق تقرر أن ما تفعله منظمات التبشير العالمية (وهي التي تروج لمصانع الاستشراق وإنتاجه) ليس له إلا معنى واحد هو أنه خوف من الإسلام ، فهم يعرفون كيف يجذب الإسلام الناس إليه بغير دعاة أو مبشرين ، فهم لا يعينهم لإدخال الناس في المسيحية بقدر ما يعينهم لإفساد فهمهم للإسلام وما [محاولة الحوار] إلا وسيلة من هذه الوسائل التي ترمي إلى الحصول على كتابات من المسلمين البارزين بأنه لا خلاف جندري بين الإسلام والمسيحية ، فضلاً عن إحتواء التلمودية اليهودية للمسيحية وفكرها ومؤسساتها ، وكل هذه الوسائل تحاول أن تشوه الصورة الإسلامية التي يتطلع أهل الغرب إلى الحصول عليها ، وذلك حتى لا يتعلق أملهم بالإسلام في إنقاذه من الأزمة العالمية الاقتصادية والاجتماعية والنفسية القائمة الآن على وجه الخطورة .

أن هذه الأرضية الخصبة من الكتابات عن الإسلام ، منذ رفع برناردشو صوته بالحديث عن تطلع أوروبا إلى الإسلام قبل أكثر من خمسين عاماً وقد توالت الخطوات في سبيل الإنصاف والتعرف على الإسلام ، كل ذلك قد حفر

يجرى واسعاً عميقاً ، تحاول الصهيونية ردمه أو إفساده ، ولكن هناك عوامل كثيرة تؤكد استمرار هذا المجرى واتساعه ، تلك هي الحاجة الحقيقية للمجتمعات الغربية إلى إنقاذ نفسها من الخطمة التي تمر بها ومن الازمة الخطيرة وقد تعالت للصيحات بضرورة قيام نظام إقتصادي جديد بعد فساد النظام الاقتصادي الرأسمالي والماركسي الذي كان رد فعل له . كذلك فإن الظواهر الواضحة في كتابات رجال اللاهوت والفكر الديني عن فساد الكتب المقدسة واضطرابها وعن تعارضها مع الحقائق التي تكشف عنها العلوم التجريبية اليوم وتوافق الإسلام مع هذه العلوم ، كل ذلك من شأنه أن يدعو إلى تطلعات أوسع إلى الإسلام ولا بد من حماية هذه الرسالة التي تقدم لهذه المجتمعات من أخطار التشكيك والتزييف التي تقوم بها الدوائر الصهيونية لإفساد الصلة بين المسلمين وبين الغرب ، وتصويرهم بصورة لا تتفق مع سماحة الإسلام ، ذلك لأنهم الطامعون في السيطرة على العالم بعد شقراط الحضارة القائمة لإقامة إمبراطورية الربا التلودية ، التي تحاول أن تصهر الأمم في بوتقة العبودية لاصحاب العجل الذهبي ، وهذا هو الذي لن يكون أبداً لأن سنن الحياة ونواميس الوجود ترفضه وتأباه ، هذه السنن والنواميس التي تجري في مجرى الحق والعدل والرحمة والآخاء البشرية والتي سوف تهزم قوى الخير فيها قوى الشر مهما تألبت واستأسرت .

بل أن كل الدعوات التي ترمى إلى هزيمة القارة الإسلامية هي من صناعة يهود ، هناك الدعوة الباطلة الكاذبة تحت اسم الانفجار السكاني للدعوة إلى تحديد نسل المسلمين ، وهناك عمليات التهام فوائض الثروات الإسلامية وتأخير قسرة الأمة الإسلامية على إمتلاك التكنولوجيا الحديثة وهي التي تملك الثروة والطاقة والتفوق البشري والمؤهلة لإقامة حضارة إسلامية حقيقية تسعد البشرية تحت راية التوحيد الخالص .

أن العالم الغربي يعلم منذ عام ١٩٠٧ وما قبل ذلك أن حضارته الغربية المادية الوثنية في طريق الزوال ، ولذلك فهو يعمل على تأخير دور المسلمين في إقامة حضارة إنسانية جديدة تقيدم للبشرية نموذجاً صالحاً للاستمداد من الله تبارك وتعالى وبناء المجتمع على الضوابط والحدود التي رسمها ، وقد عمدت منذ ذلك

التاريخ إلى فكرة إقامة جسم غريب بين قارتى آسيا وأفريقيا ليحول دون قيام هذه المقاراة الإسلامية التى صنعها التوحيد لتكون رسالة للعالمين تحقق قيام المجتمع الربانى ومن هنا تتقاذف هذه الأمة تلك الن سهام التى لا تتوقف والتى تندفع من الصهيونية والشيعوية والغرب جميعا حتى يحال بين البشرية وبين هذا الامر الخطير : « أفى أمر الله فلا تستعجلوه ، ونحن لن نياس فإننا نؤمن بأن الله تبارك وتعالى « يؤت الارض ينقصها من أطرافها ، فإن قدرة الله تبارك وتعالى فى نصره المؤمنين وانتشار الدين قائمه ، وفى كل يوم تتسع رقعة الارض لكلمة الله وتنقص الارض التى يعيش عليها أهل الشرك . وتلك سنة الله فى الوجود فإن أهل الحق مؤيدون من الله منصورون . ما استقاموا على الحق واستمسكوا بأمر الله واعتصموا بالعزيمة والقيام على كلمة الله بالحق مهما أصابهم من وصب فإن ذلك لا يبتزع من قلوبهم ذلك الإصرار على العمل خالصا لوجه تبارك وتعالى وسوف تستقط هذه القلاع التى تريد أن تؤخر دعوة الله ، أو تحول دون وصولها إلى أهل الارض وسوف تتوالى آيات الله لتكشف عن حقيقة هذا الإسلام وفساد الايدولوجيات والمذاهب البشرية التى أعطيت الفرصة خلال أربعة قرون كاملة إلى اليوم فلم تستطع أن تقدم للناس إلا الازمات والتمزق والانحراف والفساد النفسى والاجتماعى . أن كل الكلمات البرافة التى قيلت لتزييف الحقيقة الوحيدة تنساقط اليوم وتتكشف تلك الدسائس والمؤامرات وتنهار المذاهب والدعوات التى صنعها التلويديون وتابعهم عليها نفر من أبناء جلدتنا وأهمها فصل الدين عن الدولة وإثارة نزعات القوميات والإقليميات للوقعة بين أهل التوحيد ولا بد من العودة إلى الوحدة الإسلامية وبناء المجتمع الإسلامى على أساس أن الإسلام منهج حياة ونظام مجتمع ، ولا بد من أن يقدم المسلمون للغرب نموذجا إسلاميا تطبيقيا والله من وراء القصد .

الفصل الثاني

ليظهره على الدين كله

الدكتور موريس بوكاي ، عالم طب ، غربي ظهر في السنوات الأخيرة على طريق تلك المسيرة الجديدة التي استطاعت عن طريق البحث العلمي أن تجد في القرآن والإسلام ذلك الضوء الكاشف الذي تتطلع إليه المجتمعات المعاصرة الحائرة بعد أن شافها التطلع إلى هدى مقنع يكشف الطريق الصحيح للبشرية بعد أن حوصرت خلال القرون الأربعة الأخيرة في نطاق الفلسفة المادية وبعد أن عجز الإنجيل والتوراة أن يصمدا أمام الفحص العلمي الذي تعرض له العهد القديم والعهد الجديد في السنوات الأخيرة على أيدي علماء من رجال الدين المسيحي أنفسهم ، ولقد أشرق هذا التيار الجديد بضوء خافت منذ بدأت كتابات توماس كارليل وجوستاف لوبون ودرابر ثم اتسعت دائرة في السنوات الأخيرة بكتابات الدكتور سجرید هونكه وغيرها ، وفي خلال ذلك ظهرت أشعة مضيئة على أيدي بعض الذين اهتموا فعلا إلى الإسلام أمثال الدكتور عبد الكريم جرمانوس والدكتور خالد شلدريك والدكتور ليوبولد فابس ، محمد أسد ، والدكتور إتيان دينية وكلهم من جلة العلماء الباحثين الذين دخلوا الإسلام وكتبوا تجاربهم وعشرات آخرون أوردنا أحاديثهم في كتابنا ، الإسلام في غزوة جديدة للفكر البشري ، ، مما يؤكد وجود ، مجرى جديد ، أخذ يعمق ويتسع ويلفت النظر حقا وسيكون بفضل الله بعيد المدى في السنوات القادمة في تغيير وجهة الفكر الغربي والبشري والعالمي رغم كل محاولات المؤامرات التلويحية والاستشراقية التي مازالت تنفذ سموها بهدف واضح ، هو أن لا يصل مفهوم الإسلام الأصيل إلى أهل الغرب ، وأن وصل فيجب أن يشوه بإثارة كثير من المغالطات والملابسات والتوهيات وقد كانت آخر مؤامراته حلقات ، الحوار ، التي تستهدف الوصول عن طريق كتابات المسلمين إلى القول بأنه ليس بين الإسلام وبين المسيحية خلاف في المسائل الأساسية وأن الخلاف كما يدعون ويكذبون هو

في مسائل فرعية أو شكلية ، وتجيء صحيحة الدكتور موريس بوكاي في كتابه الذي صدر منذ عامين « التوراة والقرآن ، وللعلم ، وترجم من الفرنسية إلى الإنجليزية وإلى العربية فأحدث آثاراً ضخمة بعيدة المدى ، ثم يعاود الدكتور بوكاي مراجعاته بعد عامين ويواصل دراساته فيقدم أشياء جديدة خطيرة مثيرة يجب أن يلم بها القارئ المسلم ليكون على علم بذلك التيار الجديد الذي يقدم القرآن والإسلام إلى أهل الغرب عن طريق البحث العلمي والمقارنة مع العهد القديم والعهد الجديد ، وليزداد الذين آمنوا إيماناً وليكون ذلك مزيداً من الأسلحة التي يستطيع أن يستعملها الدعاة إلى الله مع من يحاورونهم .

يتساءل الدكتور موريس بوكاي في أحدث دراساته التي قطع فيها الآن قرابة عشر سنوات : « ما الأسباب التي تدفعنا في القرن العشرين إلى الإيمان بالله ، .

السؤال مطروح هنا مع اندراج عامل الزمن في صيغته ، إذ ليس من المفارقات القليلة الشأن في عصرنا هذا أن تكون البواعث ذات العلاقة بالعلم قادرة على صرف البعض عن الإيمان بالله ، بينما يقوى لدى الآخرين نفس هذا الإيمان . لقد أرادوا في الواقع أن ينزعوا باسم العلم كل قابلية تصديق عن الميراث الديني الذي تركته لنا القرون السابقة في أشكال متنوعة ، وفي أنحاء مختلفة ، وأرادوا ألا يثقوا بالمعرفة الإنسانية التي لا تقف أمام تقدم في المعرفة العقلانية للحقيقة وألا يروا في الدين إلا تناجلاً خيالياً جامعاً . وهكذا استبعد قبلنا كل وثيقة تتعلق بالإيمان بالله ، فهم يقبلون أن يأخذوا كل ما استطاع أفلاطون أن يكتبه عن سقراط الذي لا ينكر وجوده ، أما أن يحدثنا عن العهد القديم أو القرآن الكريم عن موسى ، أو أن تنقل إلينا الأناجيل قصصاً وأخباراً عن عيسى فإن هذه النصوص لا يحكم عليها بالصدق ، وإنما تنبذ جملة وتفصيلاً بالنظر إلى الموضوعات المطروقة فيها ، ذلك هو موقف المفسرين لما فوق الطبيعة أو ما يتجاوز نطاق المحسوس ، أولئك المفسرين الذين وجدت مواقفهم في الغرب قبولاً لدى مفكرى القرن التاسع عشر وأدت إلى قيام نظرية المادية الملحدة .

وهناك بالمقابل من يؤمنون بالله ، ولكن كثيراً منهم للأسف في البلدان الغربية ما يزالون بحكم تربيتهم السابقة وتعاليمهم الراهنة التي ما تزال متحجرة صلبة لا يرضون بأن يتجزأ فكر موضوعي حتى ولو استمسك بإيمانه كاملاً على الاهتمام بأسس هذا الإيمان المتمثلة في الكتب المقدسة من أجل دراستها دراسة نقدية مجردة من أى حكم مسبق .

أن الشعور الدينى في الغرب تحت التأثير السائد من اليهودية المسيحية يشهد اليوم انحساراً كبيراً جداً ، فالترجمة المادية لهذا الهبوط قابلة للقياس بمطلق الدقة فنحن نجدتها في هبوط الاتجاهات أو الميول الدينية عند الشباب . .

تقول الاحصائيات : أنه كان لفرنسا سنة ١٩٦٥ ما يقرب من ٣٦ ألف قسيس وكان من الممكن لسلوك رجال الكنيسة أن يتجدد بصورة مرضية بمتوسط قدره ١٥٠٠ سنوياً من القسس الجدد ، إلا أنهم لم يبلغوا سنة ١٩٦٧ أكثر من ٤٨٩ ومن ذلك العام أخذ عددهم ينخفض باطراد ليصل إلى ١٣٦ في ١٩٧٦ و ٩٩ سنة ١٩٧٧ ثم أن عدد الطلبة المسجلين في المدارس اللاكيريكية من القلة بحيث يمكن معه التأكيد بأن عدد من سيتم تكوينهم سنوياً من القساوسة في السنوات القادمة لن يصل إلى مائة ، الأمر الذي يمكن معه القول بأن الكنيسة لن يكون لها في غضون عقود قليلة سوى عدد ضئيل من الرجال . ومن الأسباب الأساسية لهذا التفور من الحياة الدينية في البلاد المسيحية فقدان الثقة في الكتب التوراتية وفيما يلي بيان ذلك : لم يكن يجرى الحديث حتى بجمع الفاتيكان الثاني (٦٢ — ١٩٦٥) عن أصالة نصوص التوراة التي كان الناس يقبلونها على ما هي عليه حالياً باستثناء حالة اختصاصيين نادرين . من ذلك أنه ما من أحد كان يتجرأ — فيما يتعلق بالإنجيل — على أن يتشكك في كونها تنقل إلينا كلام عيسى بدقة وأحكام . فهو كما كان يقال — نتاج مشهود مباشرين لرسالته ، ألم تكن الاناجيل تدعى « مذكرات الحوارين » ، ولكن لائحة من لوائح مجمع الفاتيكان الثاني ١٩٦٥ لم تنح هذا النحو بصورة قطعية . غير أن هذا التصور قد هاجمته بعد سنوات قلائل من المجمع الأخير بحوث أخذت تظهر ابتداء من سنة ١٩٧٠ وهي من إنتاج لاهوتيين مسيحيين أنفسهم ، فقد قام هؤلاء

بدراسة دقيقة للنصوص مستعملين كل العناصر التي تمنحها لهم المعرفة العصرية في مجال علم اللغة وعلم الآثار والتاريخ الخ . فقد أصبح الناس اليوم يسلبون بأن الاناجيل الشرعية الأربعة ليست سوى ترجمة لما كانت تعتقده في عيسى جماعات مختلفة لا تتفق فيه كما يبدو من النصوص — على رأى واحد ، لأن أحداثاً من رسالته قد عولجت بصورة تختلف باختلاف نظرة أصحاب الاناجيل الناطقين بلسان تلك الجماعات .

أن شروح الترجمة المسكونية الأخيرة للتوراة «العهد الجديد ١٩٧٢» ، وهي عمل اشترك في إنتاجه أكثر من ١٠٠ اختصاصي من الكاثوليك والبروتستانت لتصرح بذلك بدون أدنى إلتباس أو غموض ، كما تعبر عنه أيضاً مدرسة القدس التوراتية .

وقد أثبتت مراجع دقيقة وعديدة من هذه الدراسات في كتابي «التوراة والقرآن والعلم» ، بيد أن مجمع الفاتيكان الثاني كان قد استثنى في الحقيقة العهد القديم إذ أكد أن هذه الكتب تتضمن نقصاً بل وحتى «باطلاً» وتبين الأعمال الحديثة أن من المشروع تقييم الاناجيل بمثل هذه التقييمات .

فكيف نتصور كون هذه الاناجيل لا تنقل إلينا إلا الحقيقة التي أوحى بها الله عندما نجد فيها مقاطع لا يقبلها العقل إطلاقاً ، مثل هذه السلاسل من نسب عيسى التي هي من تلفيقات خيال «لوقا» و«متى» ، وقائمة لوقا ألا ينسب هذا الإنجليزى خمسة وسبعين جداً لعيسى منذ آدم ، أن ما تعرفه من الحد الأدنى لقدم الإنسان على وجه البسيطة ليجعل مثل هذا القول في عصرنا هذا أمراً غير مقبول ، فكيف يلقي الله الناس مالا يطابق الواقع .

وهناك تناقضات كثيرة في الاناجيل بين مرقس ولوقا ومتى تجد تفسيرها في هذه البحوث العصرية التي أجراها الخبراء المسيحيون الذين بينوا أن صياغات متتالية لنصوص إنجيلية قد افقت إطلاقاً من روايات سمعية عن عيسى كانت زائفة لدى الجماعات المسيحية الأولية وأن ذلك كله قد أفضى إلى الاناجيل الحالية ، وهكذا يقول الدليل على تلاعب الرجال بالمعلومات الأولية بهدف إنتاج نصوص

مكتوبة يصفها الأب كاتيجير ، أستاذ معهد باريس الكاثوليكي ، بنصوص مكتوبة للنسابة أو للنضال لأنها كانت نتيجة لصراعات بين جماعات متنافسة تسعى كل منها إلى إنفاذ نظرتها الخاصة . . وقد نشر اللاهوتيون البريطانيون السبعة بما فيهم رئيس لجنة مذهب إنجلترا نتائج أعمالهم ١٩٧٧ تحت عنوان (وهم الإله المجسم) وهو عبارة عن منازعة حقيقية لفكرة التثليث .

وهكذا أدت المعارف العصرية والمتنوعة والمطبقة على دراسة النصوص بالافكار الموضوعية إلى عدم منح التوراة تلك الإصالة التي كانت تصفى عليها ودون برهان أو دليل في القرون الماضية ، تناقض قصص الخلق والطوفان . .

هذه المعارف العصرية قد أدت إلى تغيير المفاهيم التي كانت إلى ذلك الحين مفاهيم تقليدية ومثلاً بها دون مناقشة .

أن الانتقال من التشكيك في إصالة مجموع الكتب اليهودية والمسيحية بواسطة معلومات عصرية إلى رفض الإيمان بالله ، هو ما تفعله لسوء الحظ كثير من العقول المضطربة بفعل هذه الاكتشافات والتي تبطل أو لا تريد الاعتراف بأن وحى الله لا يقف عند حد عيسى ، وهم إن يرفضون لإعتبار ما يمكن أن يقدمه لهم الإسلام يصلون إلى الاعتقاد بأن المعارف الدنيوية تقدم المفتاح لجميع المشاكل وأن العلم القوي جداً قد سبق نهائياً كل إيمان بالله .

وقبل أن أعرف بزم طويل ما يمكن أن تقودني إليه دراسة الإسلام إلى الاكتشاف فيما بعد — كنت دائم الاعتقاد بأن المعرفة العلمية كانت — مهما قيل فيها كفضيلة جداً بأن تعود إلى التفكير في وجود الله . ونحن حين نأخذ بعين الاعتبار ذلك التنظيم العجيب الذي يقف وراء نشوء الحياة وبقاءها يبدو عامل الصدفة كما لو كان أقل احتمالاً أكثر فأكثر . ألا يؤيد المعتقد البالغ للكائنات العليا وجود تنظيم محكم جداً يقف وراء هذا الترتيب العجيب لظواهر الحياة .

لقد وجدت هذا التوافق بين الدين والعلم في تفكير يقوم أساساً على معطيات مادية ، ولقد وجدتها والحمد لله يوم أن شرعت في دراسة القرآن وبحث طويلاً ووجدت في قراءته تجسّياً جديداً لهذا التوافق بين الدين والعلم ، ذلك

التوافق الذي كان يمكن لدراسة النصوص التوراتية من حيث المنطق أن يصرفني عنه .

أن تطبيق مكتسبات العلم على دراسة الكتاب المقدس « القرآن » قد جعلني أكتشف كل ما يتعلق بطواهر طبيعية عديدة لا يمكن أن ننسبها إلى إنسان نظراً لما نعرفه عن تاريخ العلوم ، ولقد تجلى لي أن مكتسبات العلم ضرورية لفهم كثير من الآيات وأن دراسة « القرآن » على ضوء المعارف العصرية تقود من جهة أخرى إلى اكتشاف كلام قرآني سابق لزمانه بما يزيد عن ألف سنة وأن ما نعرفه عن تاريخ العلوم ليجعل من المستحيل أن يكون إنسان ما قبل نحو أربعة عشر قرناً هو قائله . وحيث أن « القرآن » يضع أمام تفكيرنا تأكيدات تمثل تحدياً للتفسير البشري فإنه يبدو أن كل تناقض بين الدين والعلم قد أبطله هو بالذات . أن النص الموجود بين أيدينا اليوم هو عينه الذي كان في بحر الإسلام فهذا اليقين شرط أساسي لصحة المقابلة بين نص « القرآن » والمعارف العصرية . كذلك فإن هناك عنصراً هاماً يمكن في المقارنة بين نصوص القرآن ونصوص التوراة فيما يتعلق بالخلق على ضوء التصورات العامة الحديثة عن خلق الكون وتصوره ، فنحن لا نجد في « القرآن » ما نجد في التوراة من أخطاء ، وهي ملاحظة تقضى على الفرضية التي سبق أن أيدت في الغرب — ودون أي حجة — ولقي مفادها أن ما في « القرآن » يكون قد نقله إنسان ما من التوراة .

أن ما ذكره « القرآن » عن الأرض ولا سيما عن دورة الماء في الطبيعة وتكوين التعاريج وعن مفاهيم العلوم الطبيعية والفيزيولوجيا وتوالد البشر ، تفرض القول على كل إنسان موضوعي صادق النية أنه يستحيل على إنسان كان يعيش في العصر الذي نزل فيه القرآن أن يعبر بمثل هذا الكلام من تلقاء نفسه . وقد أوضحت بأن عبارة المقارنة الدنيوية تعني أحياناً تثبتها وتؤكدتها تجربة وليست قابلة للنقض فيما بعد ، قارنت بين القصة القرآنية والقصة التوراتية في موضوع الخلق والطوفان وخروج موسى من مصر . لقد حددت التوراة زمان الطوفان في عصر لم تحصل فيه أية كارثة كونية لأسباب تاريخية باتت معروفة جيداً في عصرنا الحديث في حين أن القصة التي أوردها « القرآن » للطوفان بوصفه

عقاباً سلطه الله على شعب نوح بسبب كفره لم يحدد له زمان قصة لا يرقى إليها أى نقد من هذه الوجهة . والسؤال هو : هل استطاع الناس فيما بين الحقبة التى وضعت فيها التوراة والعصر الذى أوصى فيه القرآن المعرفة الإنسانية أن يحصلوا على معلومات عصرية فى هذا الموضوع . من المؤكد أنهم لم يحصلوا على شيء ، فكيف يتسنى لرجل — إذا صح أنه هو الصانع للقرآن — أن يستبعد منه كل ما لا يقبله العقل فى العصر الحديث وأن لا يعتمد من الأحداث والأخبار إلا ما يعلو على كل نقد من الوجهة العملية وكما تصدق هذه الفكرة على الطوفان تصدق على ما جاء فى القرآن بصدد موضوعات أخرى .

ولقد وفرت لتوراة العهد القديم والعهد الجديد ، مجالاً للتفكير فى تعارض صاخر بين بعض مقاطع نصوصها وبين المعارف الحديثة ، لقد كان دور التلاعبات البشرية بها دور كبير جداً .

أما القرآن فإنه لا يتضمن شيئاً مهما يكن للعلم أن يرفضه لأن كلامه وقائع ثابتة مؤكدة وغير قابلة للتغير ، كما أن عدداً من المعلومات الواردة فيه لا يمكن فهمها إلا فى عصرنا هذا .

ويصور الدكتور بوكاى آثار غلبة الفلسفة المادية على الغرب فيقول : ألا تشهد فى البلدان الغربية التى يغلب فيها التأثير اليهودى والمسيحى عجزاً كاملاً لأساتذة الفكر الدينى فى مواجهة المادية بمعارضتها معارضة فعالة تقوم على حجج دامغة من شأنها أن تقف سداً منيعاً فى وجه أمواجها العارمة . نجد فى الغرب هبوطاً قوياً للبول الدينية هو أقوى دليل على هذا الانهيار بينما نلاحظ فى بلاد الإسلام توسعاً وانتشاراً فى الآونة الراهنة . الملاحظ أن هناك ديانات تتقهقر فى عصرنا هذا من حيث توزعها العدى ، وهناك ديانة تتقدم على المستوى العالمى « هى ديانة الإسلام ، هذه المعلومات من الكتب المقدسة فى مواجهة العلم لا ينبغي أن تترك أحداً فى موقف اللامبالاة بسبب عناصر التقييم الجديدة التى تقدمها لنا وإمكانات المستقبل التى ترسم فى الأفق . أن اشتغال القرآن ، على جميع العناصر التى هى من الوقائع الراهنة التى أخذت فى هذا القرن العشرين بفضل المعارف الحديثة بعداً كان مجهولاً إلى هذا الحين ليحملنى على

دعوتكم إلى التدبر في هذه الآية الكريمة من سورة البقرة :

« كذلك بين الله لكم آياته لعلكم تعقلون » .

ونقول في ختام هذا الاستعراض أن الدكتور بوكاي بلغ مرحلة فكرية-
تربوية في الكشف عن عظمة القرآن وعن اضطراب التوراة والإنجيل بالدليل
العلمي مصداقاً لما أشار إليه القرآن من أن أصحاب هذه الكتب جعلوها قراطيس
يبدونها ويحفظون كثيراً منها وغاية القول أن بوكاي أيد بلسان المقال عبارة القرآن
« ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً » وما يزال الحق تبارك
وتعالى يكشف عن آياته .

« سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » .

الفصل الثالث

الإسلام يزحف إلى أسبانيا والبرتغال

إن ظاهرة إبتعاث الإسلام في أسبانيا والبرتغال ما تزال تهز المجتمع الغربي وتترك آثارها في مجتمع الاستشراق والتبشير الذي يواجه هذه الظاهرة بشيء كثير من الحذر والامتناع. فقد ظهرت أخيراً جمعية عودة الإسلام إلى الأندلس في أسبانيا وظهر نشاط إسلامي واضح في قرطبة وأشبيلية ومريد ومدن أخرى وتكونت أول جمعية إسلامية سنة ١٩٧٥ م مركزها غرناطة بالأندلس (مائه شخصية) تحت اسم «عودة الإسلام إلى الأندلس» أسسها مسلمون أسبان للدراسة الدين الإسلامي والتمكن من نشره في بلاد الأندلس، كذلك أسس المسلمون الموجودون في البرتغال جماعة ومركزاً إسلاميين برئاسة السيد سليمان بالي المحامي من أهل مزنيق (لشبونة) ١٩٧٧ م حيث تأسس المركز الإسلامي مؤلفاً من رؤساء البعثات الإسلامية المعتمدة في البرتغال كأعضاء مشرفين وعاملين وينظم هذا المركز دروساً في اللغة العربية للمسلمين وغير المسلمين، مع بناء مسجد لشبونة للعمل على دعم روابط الجماعة الإسلامية الموجودة في البرتغال، ويقدر عدد المسلمين بالبرتغال الآن بأثنى عشر ألف مسلم. وهناك نشرات باللغة البرتغالية للتعريف بالإسلام وتجري ترجمة كتب بعض أعلام الإسلام إلى اللغة البرتغالية.

واسكن الاستشراق لا يسكت عن معارضة هذه الظاهرة فيبثث منتقراً ليطوف بالخليج ويقول في محاضراته أن الإسلام يكاد يكون مجهولاً في أسبانيا المعاصرة ويردد عبارات حلقدة في رسالة أحدهم: هل من المعقول أن كل العرب الذين كانوا يقيمون في الأندلس، قد عادوا على أعقابهم عبر البحر أم بقي منهم من بقي وذاب منهم في ثنايا المجتمع الإسباني من ذاب قال: نعم عادوا كلهم ولم يبق منهم سوى عشرات ظلوا على إسلامهم وكانوا يمارسون «التقية» خوفاً من

المجتمع وقد انكشف أمرهم وتم رحيلهم في القرن الثامن عشر ذلك هو المستشرق المتعصب ، ميخائيل دي ابالوا ، الذي قال لسامعيه : لماذا هذا الحنين المجيب لديكم أتم للعرب إلى الأندلس ، أننى ألاحظ هذا الحنين كلما لقيت عربياً وتناول الحديث بيننا الأندلس ، وفي محاضرة كان متعصباً حيث ادعى أن الروح الوطنية الإسبانية قد نسجت من خيوط العداوة للعروبة والإسلام ، ولا ريب أن هذا هو رد فعل مسيحي متعصب تجاه تلك الروح الجديدة التي بدأت في إسبانيا والبرتغال والتي تمثل ظاهرة حقيقية في المجتمع الإسلامى بل المجتمع الأوربي جميعاً ونحن نعرف أن الصحافة والأعلام الإسلامى لابد أن يكون معارضاً لهذه الظاهرة الجديدة التي تفرض نفسها فرضاً والتي لا تمثل أى تطلعات عدوانية ، وإنما هي انتشار لكلمة الله الحق في العالمين .

والمعروف أن هناك جالية إسلامية في إسبانيا تكونت على يد داعية باكستاني كان قد استقر في إسبانيا منذ أكثر من أربعين سنة ، يوجدون في مدريد وبورتوليانو وقرطبة ، وهناك الجمعية الإسلامية بإسبانيا التي بدأ يسلم على يديها بعض الأعضاء الإسبانين وأن عدد هؤلاء المسلمين الإسبان يزيد في سرعة مثلاً يحدث في مختلف البلدان الأوروبية وقد تكونت مراكز إسلامية مثل مركز دارك نيوميا والمعهد الإسباني العربي للثقافة في مدريد ، والمركز العربي لمحو الأمية في برشلونة ومركز الجمعية الإسلامية بإسبانيا في مدريد وبرشلونة وبلنسية وسرقطة وإشبيلية .

كما أنه يوجد في إسبانيا أشخاص ومؤسسات تقوم بتعليم الواقع الإسلامى ، وتوجد دراسات في الجامعات بالعربية حيث تدرس مبادئ الإسلام في جامعات مدريد وغرناطة وبرشلونة (على النحو الذى يقوم به الاستشراق) وكذلك دراسة مبادئ العربية وتاريخ إسبانيا الإسلامية ، والأدب العربى وتاريخ الأندلس ونحن نعلم أن قوى المنيحية تحاول بقدر ما تستطيع أن تحول دون عودة الإسلام إلى إسبانيا وإن كانت تحاول دراسته على نحو تاريخي لا يمكن أن يعود أو من وجهة نظر مسيحية على الأقل .

فيقول (ميخائيل دي ابالوا) أن الإسلام في نظر الإسبانين هو مثل كل

شيء بمثابة ماضٍ عربي في شبه الجزيرة ، لقد استمر العرب والإسلام في إسبانيا طيلة تسعة قرون (من الفتح ٧١١ م إلى إخراجهم نهائياً بين ١٦٠٩/١٦١٤ م) أن ذلك الماضى العربى الإسلامى ، نكون عنصراً من الماضى الوطنى الإسبانى المعاصر ، وأن التراث العربى معترف به فى بعض الميادين وظاهر فى الهندسة والآثار وفى الأسماء العربية للأماكن فى شبه الجزيرة ، ولكن الإسبانين اليوم لا يشعرون مع ذلك بكبير ارتباط بالإسلام الحالى ولا بد من الاعتراف بأن العلاقات بين إسبانيا والبلاد العربية كانت تتخذ أشكالاً عدوانية لا سيما من طرف الإسبانين ، حروب ضد العثمانيين ، ضد المغرب وأن المجتمع الإسبانى يعتبر العالم العربى بصفة عامة علماً أجنبياً وأن الجوار الجغرافى هو أيضاً لا يربط الإسبانين بالإسلام كثيراً .

ويرجع ذلك كله إلى التعصب التاريخى للقومية والكاثوليكية فى إسبانيا التى كوفت روح القومية الكاثوليكية وصهرتها فى الحروب الدائمة ضد الإسلام مع شبه الجزيرة . ثانياً : العقلية الإمبريالية الاستعمارية الأوروبية التى كثيراً ما أثرت على إسبانيا خلال القرون الأخيرة فى إحتقارها لشعوب العالم الثالث الإفريقى الآسيوى .

ويعترف (دى ابالزا) بأن الإسلام هو دين التسامح وأن المسلمين لم يكن لهم تعصب ضد المسيحيين ولكن المسيحيين فى القرون الوسطى فى إسبانيا وشبه الجزيرة الايبيرية كانت لهم روح عدوانية ضد المسلمين .

هذا ما ذكره المستشرق الإسبانى وهو خليط بين الحق والباطل ، فالمعروف أن النصرانية هى التى أخرجت المسلمين وعاملتهم معاملة ظالمة ، وأنها حاصرت مراكز الثقافة والحضارة والعلوم والإسلامية وأخرجت المسلمين منها ثم بدأت تلك الدعوة العريضة بأن العرب لم يكن لهم دور فى العلوم التجريبية واستمر ذلك فترة طويلة ، ولكن الباطل لم يلبث أن انكشف وتبين فضل العرب والمسلمين وظهرت كتابات منصفة فى هذا الصدد ، أما عودة الإسلام إلى إسبانيا فى العصر الحديث فهى جزء من عودة الإسلام إلى أوروبا كلها ، إلى فرنسا

وإنجلترا وألمانيا وقد تشكلت فيها جاليات كبيرة بدأت تقيم مجتمعا إسلاميا فيها وأغلبهم من المهاجرين من المغرب وتركيا وغيرها وهم يقدمون الإسلام من جديد إلى الغرب وقد أفلحوا في كسب كثيرين من ذوى النظرة السليمة وما سجلناه عن البرتغال وإسبانيا يؤكد هذا ولذلك فإن القوى النصرانية تسارع إلى الدعوة إلى ما يسمونه الحوار من أجل الحصول على تصريحات من علماء المسلمين بأن الفوارق بين الإسلام والمسيحيين قليلة أو أكاديمية وذلك ليقدّموها للذين يرغبون في الإسلام ليردّوهم عنه ، ولكن الحقائق الصحيحة عن الإسلام وعن الخلافات الأساسية بينه وبين المسيحية لا تلبث أن تظهر (التثليث — الصلب — الخطيئة) وقد كتب في ذلك كثير من أعلام الدول الإسلامية في المغرب ومصر وغيرها وقد تبين أن توقف الإسبانين من فتح مسجد قرطبة للمسلمين كان أشبه بالمرأوفة والخداع ، ولكن الإسلام يزحف بفضل مفاهيمه الأصيلة . وبفضل فكرة التوحيد الخالص ، وهو لا يرغب في عداة ولا خصومة ولا يحمل أحقاداً أو نعصبا ولكنه ينشر الأمن والرحمة والسلام .

ومن علامات الخير أن يكتب المؤلف الإسباني ، البروماتشوردوم ، في السنوات الأخيرة كتابا عن محمد رسول الله باللغة الإسبانية يتحدث فيه عن الإسلام ونبي الإسلام في اعتدال وحكمة حتى وصف كتابه بأنه قصيدة شعرية مطولة ، وإن كتبت بالنثر ، اكتفى فيها بالمصادر الإسلامية وأهمها سيرة ابن هشام وقد هاجم غمزات الكتاب الأوروبيين وتخريصاتهم من أن الإسلام انتشر بحد السيف أو عن تعدد الزوجات أو التشكيك في أمية الرسول صلى الله عليه وسلم وقد عرض لهذه المسائل من وجهة نظر نزيهة مستقيمة وحرية بالتقدير والإعجاب ولأول مرة يقرأ الإسباني كتابا عن الرسول ، صلى الله عليه وسلم أمّته روح الإنصاف والإعجاب بما يخالف ما يوجد في الكتب المدرسية التي أمّلتها روح التعصب المذموم .

الفصل الرابع

هل أصبح الفكر الغربي على طريق الإسلام اليوم

موريس بوكاي ورجيه جارودي

مفسران غربيان يعلنان الإسلام عام ١٤٠٢ هجرية

في وقت متقارب من رمضان وشوال هذا العام (١٤٠٢) أعلن في فرنسا إسلام المفكرين : الطبيب العالم [موريس بوكاي والفيلسوف اليساري روجيه جارودي . ماذا تعطي هذه الظاهرة للفكر الإسلامي ، هل هي ثمرة حقيقية لآثر الإسلام في الفكر الغربي : هذا الأثر الذي بدأ منذ أكثر من سبعين عاما بكتابات (توماس كارليل) في كتابه الابطال عن النبي صلى الله عليه وسلم وكتابات (جوستاف لوبون) في حضارة العرب عن الإسلام وتصريحات يرnardشو الذي تنبأ بأن أوروبا ستقبل الإسلام فكرياً في خلال قرن من الزمان ، هذا التيار الذي وصفناه في دراستنا (الإسلام في غزوه جديدة للفكر الإنساني) وقد جاءت بعد ذلك علامات كثيرة وإضافات أكدت وجود هذا التيار وتعمقه وامتداده بكتابات كثيرة كان من أبرزها كتاب (شمس الله تشرق على الغرب) للدكتور سجيريد هونكه وإسلام عبد الله كوليام ، وعبد الكريم جرمانيوس ، وخالد شلدريك وهم من أبرز الباحثين المفكرين الذين اهتموا إلى الإسلام إلى ماكتبته مريم جميله في الأخير ، كل هذا يحاول أن يصور هذا المجرى الجديد الذي يريد أن يقتحم جود الفكر الغربي وماديته ووثنيته ، ويدللك على أن هناك عديد من كتاب الغرب قد بدأوا يتساءلون عن الإسلام كمنخرج من الازمة العالمية للإنسان المعاصر بعد أن جربوا أيديولوجيات الليبرالية والماركسيه ودرسوا فكر البرهمية والبوذية وغيرها ولم يجدوا فيها مخرجاً للنفس الإنسانية التي تواجه في الغرب أزمة الاغتراب والتمرق والغيتان والانحلال .

وقد جرت هذه الرياح الصفراء في أوديتنا وحاولت أن تجتاح أبنائنا . الحقيقة

أن هذين الرجلين ما زالوا من وقت يبحثان عن المنقذ والمخرج بقلق ، وقد كان موريس بوكاي قد اتصل بهذه الدراسات عندما بدأ يدرس الظواهر العلمية التي تحدث عنها الأديان وقرأ ترجمات معاني القرآن وقرأ التوراة والإنجيل وكنا نلتقي به في الجزائر وفي العام ١٣٩٩ الهجرية وجهت إليه رسالة فقد رأيت إلحاح بعض المسلمين عليه في أن يعلن إسلامه ، فقلت له أن ما تكتبه هذا يدل على إنك مسلم في أعماقك فإن تكن ظروفك الشخصية ما زالت تحول دون ذلك فإننا نرجو أن تكون من أهل لا إله إلا الله فقد قدمت للقرآن والإسلام مجموعة طيبة من الحقائق في كتابك .

[الدين والكتب المقدسة والعلم] الذي ترجم إلى عديد من اللغات وفي مقدمتها اللغة العربية قبل ١٩٧٨ . وكان من قبل قدم إلى القاهرة للبحث عن فرعون موسى الذي غرق وقد استدلل على المومياء واكتشف الكسر الذي أصاب الجسد في مواضع مختلفة نتيجة الغرق وكيف نجاه الله لتجرى عليه هذه الفحوص العلمية حيث أدخلت أجهزة مضيئة إلى جوفه وصدق الله تعالى : « اليوم ننجيك ببذنبك لتكون لمن خلفك آية » .

أما جاوودي فقد بدأت منه بادرة ظهرت من بعد في كتابه حوار الحضارات والحقيقة أن رأينا في جاوودي لم يكن مشجعاً على هذه الخطوة الجريئة فقد كنا نعتقد أنه يتطلع إلى الحضارة الإسلامية لتكون منقذاً للحضارة الغربية عن طريق مفاهيم الإسلام في العدل الاجتماعي التي ربما راقته وانتلفت في خاطره مع مفاهيم الاشتراكية وكانت مقولته في الربط بين الزواج والقرامطة وبين العدل الإسلامي مقولة غير ناضجة ولكننا اليوم بعد أن تدافعت رسائله في السنوات الأخيرة : كيف تحققت إنسانية الإنسان ، نداء إلى الأحياء ، وكتابه الأخير قبل إسلامه بقليل الذي أطلق عليه (Promesses of Lislán) والذي ترجم بكلمة (وعود الإسلام) والذي تعتقد أنه يمكن أن يسمى (معطيات الإسلام) هذه الرسائل تدرجت به في النظرة إلى الإسلام على نحو جاء معه إعلان إسلامه مفاجئة حقيقية حينما كان إعلان إسلام بوكاي مسألة وقت كما يقولون .

وعلى كل حال فإننى أزعم أن كلا الرجلين دخل الإسلام عن طريق القرآن : معجزة الدهر وإلى قيام الساعة ، جاءت جارودى من منطلق الحضارة الإسلامية ومعطياتها العلية وعدلها ورحمتها وعطائها الكريم للنفس الإنسانية والارتفاع بها عن العبودية للأوثان وللإنسان وجاءت بوكاى من منطلق العلم الإسلامى وذلك الإعجاز القرآنى الذى كشف عنه العلم الحديث فى « حقائق » عليية وليس فى نظريات قد تكون عرضة لتغير تفسيرات العلم .

وحين نمضى مع تجربة « موريس بوكاى » الطبيب نجده ينطلق من نقطة « تطبيق مكتسبات العلم الحديث على الكتاب المقدس » وقد أعطت هذه الدراسة التجريبية لنفس بوكاى ذلك اليقين الذى لا يتطرق إليه الشك بأن القرآن كتاب منزل موحى به من عند الله تبارك وتعالى وأن الكتاب المقدس « التوراة والإنجيل » أو العهد القديم والعهد الجديد قد أصابه التجريف وقد أشار إلى نوعين من البحوث كشفت هذه الحقيقة أولها : « أبحاث مجمع الفاتيكان الثانى ١٩٧٠ ودراسة اللاهوتين البريطانيين السبعة بما فيهم رئيس لجنة مذهب كنيسة إنجلترا وقد نشرها أبحاثهم عام ١٩٧٧ تحت عنوان « وهم الآله المجسم » وهو عبارة عن منازعة حقيقية لفكرة التثليث . أما أبحاث مجمع الفاتيكان لإبتداء من عام ١٩٧٠ وهى من إنتاج لاهوتين مسيحيين قاموا بدراسة دقيقة للنصوص مستعملين كل العناصر التى تمنحها لهم المعرفة العصرية فى مجال علم اللغة وعلم الآثار والتاريخ لإطلاقا من حقيقة واقعة هى : (أن الناس اليوم يسلمون بأن الأناجيل الشرعية الأربعة ليست سوى ترجمة لما كانت تعتقده فى عيسى جماعات مختلفة لا تتفق على رأى واحد) وأن شروح الترجمة المسكونية الأخيرة للتوراة (العهد الجديد — ١٩٧٢) هى عمل مشترك فى إنتاجه أكثر من مائة إخصاصى من الكاثوليك والبروتستانت لتصرح بذلك دون أى التباس أو غموض . بل أن مجمع الفاتيكان الثانى أكد فى التصريح الجمعى (رقم ٤) أن هذه الكتب تتضمن نقضا وحتميا باطلا وتبين الأعمال الحديثة أنه من المشروع تقييم الإنجيل بمثل هذه التقييمات فكيف يتصور كون هذه الأناجيل لا تنقل إلينا الحقيقة التى أوحى بها الله عند ما نجد فيها مقاطع لا يقبلها العقل إطلاقا مثل هذه التسلسل من نسب عيسى

التي هي تلفيقات خيال لوقا ومتى المقدمين لنا قوائم لأجداد مختلفة وينسب لوقا
لعيسى منذ آدم خمسة وسبعين جداً . أن ما تعرفه من الجد الأدنى لقدم الإنسان
على وجه البسيطة ليجمع مثل هذا القول في عصرنا أمراً غير مقبول فكيف يلقن
الله الناس مالا يطابق الواقع ، كذلك أشار بوكاي إلى شكوك أخرى في الكتب
المقدسة هي بمثابة تناقضات بين يوحنا ومرقص ولوقا ومتى بالنسبة لوقائع
يوردها أحدهم على أنها حدثت « الخوخة المعجزة » ، ويوردها الآخر على أنها
ستقع عندما يبعث عيسى من جديد ، ووصية عيسى ، ومؤسسة سر القربان
المقدس ، ويقول : هذه التناقضات درسها الخبراء المسيحيون وبنوا أن صناعات
متتالية لنصوص إنجيلية قد لفقت انطلاقاً من روايات سمعية عن عيسى كانت
ذائعة لدى الجماعات المسيحية الأولى . وأن ذلك كله أفضى إلى الأناجيل الحالية
وهكذا يقوم الدليل للقاطع على تلاعب الرجال بالمعلومات الأولى بهدف إنتاج
نصوص مكتوبة للنسابة أو للنضال (كما وصفها الأب كانجيسر مدير معهد باريس
الكاثوليكي) لأنها كانت نتيجة لصراعات بين جماعات متنافسة تسعى كل واحدة
إلى إنفاذ نظراتها الخاصة .

هذا هو (التحدى الأول) الذي واجه (بوكاي) : الشك في مصادر التكتاب
المقدس ، أما (التحدى الثاني) فهو تناقض قصص العهد القديم : كقصة الخلق
والطوفان فهي لا تتفق مع المعلومات الحديثة عن تكوين العالم أو معطيات
التاريخ ، ويحسم الموقف بقوله : لقد أدت المعارف العصرية والمنوعة والمطبقة
على دراسة النصوص بالافكار الموضوعية إلى عدم منح التوراة تلك الاصاله
التي كانت تضي عليها دون برهان أو دليل في القرون الماضية وأن المعارف العصرية
والاستعانة في دراسة التوراة بالمعطيات المفيدة بهذا البحث أدت في الغرب إلى
تغيير المفاهيم التي كانت إلى ذلك الحين مفاهيم تقليدية ومسلماًتها بدون مناقشة .
وأن العقول المضطربة بفعل الاكتشافات أدت إلى التشكيك في أصالة مجموع
الكتب اليهودية والمسيحية : مما جعل المعلومات العصرية بالمقارنة مع الكتب
المقدسة مؤدياً إلى رفض الإيمان بالله . بل أن هذا الجهد وصل إلى حد رفض
إعتبار ما يمكن أن يقدمه لهم الإسلام كأنما وحى الله قد وقف عند حد عيسى .

ثم يدخل إلى تجربة في وضوح فيقول :

قيل أن أعرف بزمان طويل ما يمكن أن تقودنى إليه أى دراسة للإسلام كنت دائم الاعتقاد بأن المعرفة العلمية مهما كانت — ومهما قيل فيها — كفيلة جداً بأن تقود إلى التفكير في (وجود الله) تبارك وتعالى ويتساءل : ألا يؤيد التعقد البالغ للكائنات العليا وجود تنظيم محكم جداً يقف وراء هذا الترتيب العجيب لظواهر الحياة . فنحن حين نأخذ بعين الاعتبار ذلك التنظيم العجيب الذى يقف وراء نشوء الحياة وبقائها يبدو (عامل الصدفة) كإلو كان أقل احتمالاً أكثر فأكثر ، ويوم أن شرعت في دراسة القرآن وجدت هذا التوافق بين الدين والعلم في تفكير يقوم أساساً على معطيات مادية .

لقد وجدت في قراءة القرآن تجسداً جديداً لهذا التوافق بين الدين والعلم . هذا التوافق الذى كان يمكن لدراسة النصوص التوراتية من حيث المنطق أن يصرفنى عنه . ولقد كان للدراسة موضوعية لنص قرآنى على ضوء المعارف العصرية جعلتنى أكتشف كلاماً يتعلق بظواهر ضيقة عديدة لا يمكن أن ننسبها إلى الإنسان نظراً لما نعرفه عن تاريخ العلوم ، لقد تجلى لى أن دراسة القرآن على ضوء المعارف العصرية تعود إلى اكتشاف كلام قرآنى سابق لزمانه بما يزيد على ألف سنة . أن ما نعرفه من تاريخ العلوم يجعل من المستحيل أن يكون (إنسان) ما قبل نحو من أربعة عشر قرناً هو قائله وحيث أن القرآن يضع أمام تفكيرنا تأكيدات تمثل تحدياً للتفسير البشرى فإنه يبدو أن كل تناقض بين الدين والعلم قد أبطله هو بالذات .

تجربة بوكاى مع القرآن

« حين نتأمل الحديث النبوى (اطلب العلم من المهد إلى اللحد) » (١) اطلب العلم ولو فى الصين) بهذا نفس دون صعوبة ذلك التقدم العلمى العجيب الذى شهدته العالم الإسلامى فيما بين القرن الثامن والقرن الثانى عشر الميلادى بينما لم نجد لدى البلدان المسيحية سوى التقليد المطلق مع المدرسة اللاهوتية السائدة وركود المعرفة وفى عهد (قرطبة) الزاهر كان الناس فى مختلف بلدان أوربا يؤمنون بجامعتها

الشيرة للتدود من العلوم وقد كشفت لى تجربى مع القرآن الحقائق التالية :

(أولا) : قد تبينت أن النص الموجود بين أيدينا اليوم (النص القرآنى) هو عينه الذى كان متداولاً فى فجر الإسلام فهذا اليقين شرط أساسى لصحة المقابلة بين نص القرآن والمعارف العصرية .

(ثانياً) : هناك عنصر هام يكمن فى المقارنة بين نصوص القرآن ونصوص التوراة فيما يتعلق بالخلق على ضوء التصورات العامة الحديثة عن خلق الكون وتصوره ، فنحن لا نجد فى القرآن ما نجده فى التوراة من أخطاء وهى ملاحظة تقضى نهائياً على الفرضية التى سبق أن أبديت فى الغرب ودون حجة والتى مفادها أن ما فى القرآن يكون قد نقله إنسان ما من التوراة .

(ثالثاً) : كل المعلومات التى قدمها القرآن عن الأرض ولا سيما دورة الماء فى الطبيعة وعن مفاهيم تهم العلوم الطبيعية والفيزيولوجيا وتوالد البشر ، كل هذه الآيات تفرض القول على إنسان موضوعى صادق النية أنه يستحيل على إنسان كان يعيش فى العصر الذى نزل فيه القرآن أن يعبر بمثل هذا الكلام من تلقاء نفسه .

(رابعاً) : بالمقارنة بين قصص قرآنية وقصص تورائية (الخلق — الطوفان — خروج موسى من مصر) يتبين سلامة القرآن .

بالنسبة للتوراة حددت التوراة زمانه فى عصر لم تحصل فيه أية كارثة كونية لأسباب تاريخية باتت معروفة جيداً فى عصرنا الحديث ، فى حين أن القصة التى أوردها القرآن للطوفان بوصفه عقاباً سلطه الله على شعب نوح بسبب كفره ، لم يحدد له زمان ، قصة لا يرقى إليها أى نقد من هذه الوجهة .

فهل استطاع الناس فيما بين الحقبة التى وضعت فيها قصة التوراة والعصر الذى أوحى فيه القرآن أن يحصلوا على معارف عصرية فى هذا الموضوع : من المؤكد أنهم لم يحصلوا على شئ من ذلك فكيف يتسنى لرجل — إن صح أنه هو الصانع للقرآن — أن يستفيد منه كل ما لا يقبله العقل فى العصر الحديث وأن لا يعتمد من الأحداث والأخبار إلا ما يرتفع عن كل نقد من الوجهة العلمية كما يقولون

وكما تصدقه هذه المسكرة على قصة الطوفان تصدقه أيضاً على ما جاء في القرآن بصدد موضوعات أخرى لا مناص من التلخيص هنا بتفسير آخر غير التفسير البشري لا يمكن أن يكون وحياً من الله جاء لتصحيح ما لإفترافه الناس من أخطاء في صياغة الكتب السماوية السابقة .

(خامساً) : هناك تعارض صارخ بين التوراة (العهد القديم والعهد الجديد) بين مقاطع نصوصها وبين المعارف الحديثة ، على أن ما يجري مجرى اليقين منذ أن حصلت لنا مفاهيم . كانت إلى ذلك الحين نعوزنا عن أصول نصوص التوراة وعن صياغتها التحريرية وبلوغها إلينا ، هو أن دور التلاعبات البشرية بها دور كبير جداً وأن كثيراً من النصوص هي كتابات المناسبة الظرفية مثل قصة التكوين الكهنوتية . في هذه الظروف تجد حالات عدم التوافق مع المعارف المعاصرة تفسيرها الكامل .

أما « القرآن » : فإنه لا يتضمن شيئاً ما يمكن للعلم أن يرفضه لأن كلامه كلام وقائع ثابتة مؤكدة وغير قابلة للتغيير ، كما أن عدداً من المعلومات الواردة فيه لا يمكن فهمها إلا في عصرنا هذا . إذن فالمقابلة هنا بين الكتاب المقدس والعلم تترامى لنا بوجه آخر فلم يعد هناك مجال للفصل بين الاثنين . إن احتمال القرآن على جميع هذه العناصر التي هي من الوقائع الراهنة والتي أخذت في هذا القرن العشرين بفضل المعارف الحديثة بعداً كان ميولاً إلى ذلك الحين لتحملنا إلى دعوتكم إلى التدبر في هذه الآية الكريمة : « كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون » .

هذا في تقديرى هو المنطلق الحقيقي . الذى انتهى بالدكتور موريس بوكاي إلى اليقين الكامل وإلى إعلان إسلامه وكتابه الأخير « الإسلام من أين أتى » ، وإن كان لم نصلنا بعد مواده ونصوصه إلا أننا نعرف أنه يدور في هذا الإطار فهو يركز على بحث نشوء الإنسان في ضوء اكتشافات العلم من جهة وأقوال الكتب المتقدمة من جهة ثانية ، وفيه يكشف عن أن الاكتشافات العلمية قد صدقت ما ورد في القرآن وأن الآيات البينات التي أعلنت منذ أربعة عشر قرناً قد كشفت عما يحاول أن يثبت العلم ق عصرنا هذا وهذا هو الإعجاز .

الفصل الخامس

تبليغ الإسلام

(٢) تجربتان لبوكاي وجارودي

دخل موريس بوكاي ساحة الإسلام عن طريق العلوم التجريبية فقد وجد أن القرآن قبل أربع عشر عاماً حسم الرأي بالنسبة لحقائنه عليه لم يكن لبشر في هذا التاريخ أن يعلم عنها شيئاً حتى جاء العلم فكشف عنها فدل ذلك على أنه وحى من الله تبارك وتعالى ، أما (روجيه جارودي) فإن تجربته تختلف . فقد دخل الإسلام عن طريق معطيات الحضارة الإسلامية للإنسانية : العدل الاجتماعي والرحمة والأخاء البشري وهو ما تفنقده الحضارة الغربية المعاصرة فهل يستطيع الإسلام أن يعطي هذا الضياء للغرب ، ربما هذا هو المنطلق الذي انطلق منه جارودي عندما ألف أول كتاب له يعترف فيه بفضل الحضارة الإسلامية ويطلب الحوار معها (حوار الحضارات) فهو من هذا المنطلق يرى عطاء الإسلام بعد أن فقد أماله في إشترابية إنسانية حين ترك الحزب الاشتراكي الفرنسي منذ سنوات .

ولاريب أن ما يطوف في ذهن هؤلاء المثقفين الأوروبيين من فتاد الحضارة الغربية وإيمانهم بأنها فقدت القدرة على العطاء بعد أن التمسوا لها مناهج الشرق والغرب هو الذي دفعهم أخيراً إلى التفكير في الإسلام على النحو الذي تطلع إليه برناردشو ، وغيره ممن ظنوا أنه يمكن تطعيم الحضارة الغربية بنتائج الحضارة الإسلامية وكان د. توينبي ، يرى أن تحريم الخمر والمساواة من الألوان هما ما يمكن للحضارة الغربية أن تقتطفه من الإسلام وهي نظرة ضيقة جداً حين ظن أنه يمكن إقامة الدين الرباعي من المسيحية والإسلام والبوذية والهندوكية ولقد أثبتت الأيام للفكرين الغربيين سذاجة هذه النظرة وعجزها عن العطاء وتساقط النظرة الأخلاقية القائمة وراء بعض الأديان الوضعية المنفصلة عن التوحيد وكذلك

تداعت منظومة المسيحية واليهودية بعد أن تمكشفت فكرة بشرية الرسائل المقدسة وكانت مطروحات بوكاي بأن القرآن هو وحده العطاء الرباني الأصيل بالوحي أنه توصل إلى ذلك عن طريق معطياته التي قدمها قبل أربعة قرنا وأقرها العلم الحديث اليوم ، فقضية (روجيه جارودي) هي مع الحضارة الحديثة فهو بنقدها وينقد ما أفرزته من نظم سياسية واجتماعية وفلسفية ويرى أن هذه النقدية قد قامت على فتات موائد الحضارة الأخرى التي تقطها لصوص التاريخ في غفلة من أعين الشرق موطن التراث الحضاري الذي يدعى الغرب الانتماء إليه وعنده أن العلوم في الغرب قد ابتعدت عن هدفها الأول المتمثل في خدمة الإنسان والسعى إلى خلاصها وهو يتهم تلك العلوم بأنها قد تحولت إلى سلطة قائمة بذاتها خارجة عن أي رغبة وتوق إنساني في السعي نحو الأفضل . وما القلق والفوضى والإحساس بالعبث والفراغ سوى نتائج أولية للصراع القائم بين السلطة القائمة التي أفرزتها تلك العلوم وبين الإنسان ، بعد أن تمحورت تلك العلوم والتقنيات حول ضمنية الإله في هدف السيطرة على الإنسان والطبيعة معا ، وفي الوقت نفسه كانت العلوم الإنسانية ولم تزل تهدف في الدرجة الأولى إلى خدمة الإنسان ، لذلك امتزجت تلك العلوم بالحكمة واتسمت برحابة الأفق الروحي ، وتخلدت في بعد غيبي يقي الإنسان من الوقوع في العبث والفراغ ، وأي علم خال من الحكمة هو في النهاية خال من أي مقومات أساسية لتقدم الإنسانية، وهكذا بعد أن كانت أوروبا في القرون الوسطى (بربرية جاهلة) أصبحت الآن (بربرية عارفة) على هذا النحو يصور جارودي موقف الغرب من الحضارة وهو في نفس الوقت يدافع عن (التنظيم الإسلامي) ويرى فيه خلاصا للإنسانية من تعسف السلطة السياسية ويقول أن الزكاة هي أول نوع من أنواع الضريبة المجبأة في سبيل خدمة المجتمع وطريقة جبايتها وتوزيعها على الخدمات العامة هي الطريقة المثلى ولا يضاهيها في ذلك أي نظام ضريبي حديث .

ويدعو جارودي إلى فتح حوار بناء وإيجابي مع الحضارة الإسلامية وإلى إلغاء قرون من العداء والحقد والكراهية لهذه الحضارة التي أثرت وما تزال تؤثر في الفلسفة والاجتماع والتنظيم السياسي. ويرى جارودي أن الحملات الصليبية كانت

مسئولة عن الصورة المشوهة عن الإسلام والمتواجدة في أذهان أجيال وأجيال من الغربيين ويدعو في كتبه الثلاثة [حوار الحضارات ، نداء] إلى الأحياء وعود الإسلام [إلى عقد مصالحة بين الحضارة الغربية والفسكر الإسلامى تبدأ بإعادة فهم هادى ووزين لمعطيات الحضارة الإسلامية .

ويرى الدكتور عبد الحليم الكسنانى: أن جارودى قد كشف في كتبه جملة حقائق هامة : (الأولى) : أن الحضارة الغربية شرقية كانت أم أفريقية أوربية كانت ام أمريكية لم تنجح حتى الآن في وقف الحروب ورد الطغيان وتحرير الشعوب وإطعام مئات الملايين من المرضى وإيواء الملايين من المشردين من أوطانهم وتعليم أكثر من ربع البشرية القراءة والكتابة ولم توفق حتى الآن إلى حماية الإنسان من الإنسان وصيانة الكرامة الآدمية والحفاظ على القيم الدينية والروحية والأخلاقية والجمالية التى تعطى الحياة معناها الحقيقي وبعثتها والخلاقة .

(الثانى) : الإعجاب بالإسلام لاهتمامه بأمور الدنيا والآخرة معاً وأنه يشرك في بناء المجتمع البشرى القوى الروحية والأخلاقية وتقوى الله إلى جانب اهتمامه بالحياة الطيبة وبناء المدن والاستمتاع بكل آتار المدنية والنعيم واللذات غير المحرمة .

وقد وجد (جارودى) في الإسلام نظاماً اجتماعياً اقتصادياً روحياً أخلاقياً يصلح لإخراج « البشرية » من ورطتها الحاضرة ويدل الناس على نمط جديد من الحياة والتنظيم تعين على معالجة المشكلات البشرية - الحاضرة ونجتها من البؤس واليأس والهلاك قبل فوات الأوان — يقول : يملك الإسلام اليوم قوتين : قوة روحية صاحبة توجه حياة (ألف مليون مسلم) ويملك في نفس الوقت نفسه أكثر ثروات العالم المالية والمعدنية ولن يطول الجمع بين هاتين القويتين أكثر من عشرين أو ثلاثين عاماً قد تتضاءل بعدها الثروة المعدنية كالبترول وغيره ، ولذلك فإن الإسلام مدعو الآن لتحمل مسئوليته في بناء المجتمع البشرى والسير بالإنسان في طريق جديد إلى آفاق جديدة . ويرى جارودى أن الإسلام هو اليوم أصلح

النظم العالمية الكبرى لتحقيق هذه النظرية السياسية الاجتماعية الاقتصادية ، ومن خصائص هذه النظرية [التوفيق بين الإيمان والعلم] والإسلام أقدر الأديان على هذا التوفيق لأنه لا يقيم حاجزاً بين العبد وربّه وبين الإيمان وبين الله ولا يقيم حجاباً بين الإيمان والمجتمع .

وفي تقرير ثالث عن كتاب دعوة الإسلام (Promesses of L'islam) للأستاذ صلاح الدين المستاوى يرى أن سر فساد المجتمعات الغربية الحاضرة هو (١) صراع الطبقات المتحركة في العلاقات الاجتماعية . (٢) إتخاذ التفسير المادى سبباً لنشأة الحياة والسكون .

ويرى أن الحضارة الغربية تعيش في مأزق وقد تردت في هذا الخطر من جراء ماديتها ، ومن جراء دإنشطارها ، ورؤيتها الجزئية للإنسان وللكون والطبيعة . أنه لا ينكر التقدم العلمى الحادث والتقنية المتطورة ولكن هذا التقدم لم يكن محققاً لسعادة الإنسانية ، بل أنه سبب شقائه اليوم ويورد إحصاءات وأرقام مزعجة عن القفزة التى حققها الإنسان في مجال الخراب والدمار، والحل عنده هو ضرورة الحوار بين الحضارات ويرى أن الحوار بين الحضارات أصبح ضرورة ملحة وأن الجدل العميق لم يعد اليوم بين رأسمالية غربية استعمارية واشتراكية سوفيتية فكل منهما يمثل نفس الغاية والأهداف ما دامتا يتخذان الاستغلال والاحتكار والتنافس الذى لا يعرف التوقف على الأسواق والموارد الأولية والمواقع الاستراتيجية منهما . وسبيلاً ويرى أن الجدل الحقيقى اليوم هو بين (النمط الغربى للعيش) بشكليه الرأسمالى والاشتراكى ونظام جديد يتلافى السلبيات التى وقع إرتكابها في الماضى ولا يرى جارودى بديلاً لهذا المضطرب فى السكتلتين بل فى العالم كله ولا يرى منقداً إلا الإسلام .

وقد تطورت نظرة جارودى إلى الإسلام فى مراحل ثلاث :

المرحلة الأولى : فى إنتماء جارودى إلى الإسلام ممثلاً فى النظر إلى عطائه فى مجالات العلم والمعرفة فى بغداد والقيروان وفاس وقرطبة وبرز ذلك فى كتابه (حوار الحضارات) بصفة خاصة .

المرحلة الثانية : إلتفاتة إلى القيم الروحية والحضارات الإنسانية في برنامج الذي قدمه للشعب الفرنسى بمناسبة انتخابات الرئاسة والذي دعا فيه إلى التغيير . حيث حذر الفرنسيين والغرب بصفة خاصة من طغيان الاستهلاك والمادية وانحرام التوازن الاجتماعى ونبه إلى الخطر الذى يترصص بالبشرية من جراء التسابق فى مجال الأسلحة النووية والجرثومية وما ينفق فى سبيلها من أموال وما ترصد لها من ميزانيات كبرى .

المرحلة الثالثة : قدم مشروعا أورد فيه تجارب إنسانية وحضارية فى أرجاء مختلفة من المعمورة فى فترات متفاوتة ودعا شعوب الإسلام إلى التوجه نحو دينها وقيمها وبرز ذلك واضحاً فى العقود والسنوات الأخيرة فى البرامج السياسية والاجتماعية والاقتصادية لعدد من البلدان الإسلامية والعربية وبصفة خاصة فى الثورة الإيرانية فى أيامها الأولى .

ولاريب أن (الصحة الإسلامية) قد أعطت جارودى ضوءاً كاشفاً على الطريق الذى سار عليه أول الأمر فى حذر فاندفع بقوة حتى أنه أطلق على كتابه الجديد الذى لم تعرف محتوياته بعد .

« الإسلام يسكن مستقبلنا »

وجارودى الآن فى موقف الانصاف فهو يكشف زيف النظامين ويراهما استعمارين بربريين ، ويدين تصرفهما وتجاوزاتهما ، ويذكر بما للإسلام على الغرب من أيد ، فالإسلام هو الذى غذى فنونه وفلسفته وعلومه وتقنيته وقوانينه وآدابه وفى نقاط كثيرة كان الشرق ولمدة طويلة متقدما على أوروبا . أنه يرى أن الأشد بربرية ليس أولئك الذين أوقف شارل مارتل زحفهم . أن هذا الاكتشاف للغير ، هذا الاعتراف المتبادل وبصفة مستعجلة بالنسبة للإسلام هو أمر ضرورى اليوم ، فإنه هو الذى يستطيع أن ينقذ الغرب من أزمتة ، أن حواراً حقيقياً يمكن أن يجرى بين الحضارات ويرى جارودى أنه يمكن للحضارة الغربية أن تأخذ وتعديل نفسها . وذلك باكتشاف ما هو حى فى الثقافات غير الغربية ، أن جارودى

يقوم إزاء قومه وأبناء حضارته بمهمة تزيج عن أعين وعقول قومه الحزازات والحلفيات والمركبات التي تحمكت في مواقفهم فجعلتهم مغلقين عن سواهم من الشعوب والحضارات الأخرى .

وليس من شك أن لنا وقفة إزاء هذه الفكرة التي تبناها جارودى فى السنوات الماضية والتي نرجو أن يكون دخوله فى الإسلام عاملاً فى تغيير وجهة نظره إليها أو إلى الأساليب الموصلة إليها، فالحقيقة التي يعرفها جارودى الآن وهو من المسلمين ، أن الإسلام منهج مستقل له ذاتيته الخاصة وطبيعته المنفردة ، وأن الأخذ منه ممكن ولكنه لا يكون الإسلام ، وأن الحضارة الغربية غدت فى انحرافها منطقة القدرة على تعديل مسارها بمفاهيم الإسلام نقد بلغت فى انحرافها حداً كبيراً لا يصلح معه أى تطعيم وهى تتطلع من طريق التغريبيين إلى تحقيق أهوائها بتبرير أوضاعها المنحرفة ولكن الإسلام لن يكون يوماً مبرراً لفساد الحضارات ولا خادماً لایدولوجيات الشعوب وهو وأن التقى مع الديمقراطية فى بعض ظواهر (الشورى) أو مع الاشتراكية فى بعض مظاهر (العدل الاجتماعى) فإنه يختلف عنهما تماماً لأنه منهم مفرد ربانى المصدر ، قائم على التكامل الجامع بين الروح والمادة والدنيا والآخرة ولذلك فإن حوار الحضارات لا يكون إلا بأن يتخلى الغرب عن سيطرته حتى تستطيع شعوب الإسلام أن تمتلك إرادتها وتطبق منهج الله وتقيم مجتمعه على الأرض ، وعندئذ يمكن أن يتم الحوار بين إرادتين حرتين أما اليوم فإن هناك محاولات للسيطرة والاحتواء من القوى الكبرى تحاول أن تؤخر نهضة الإسلام أو تدمر يقظته أو تفسد انطلاقه . أن الإسلام يستطيع أن يعطى الكثير للمجتمعات المتطلعة إلى إلتماسه منهجاً لها ، وإلى الأمم التي ترى أنه لا يوجد منقذ للبشرية غيره ، ولعل الأستاذ جارودى يبذل جهداً فى هذا الاتجاه .

ولا ريب أن هذه الحقتان الثلاث التي قدمها هى منطلق صحيح وطيب لخطواته القادمة وهى قوله :

(١) أن الله هو المالك الوحيد (٢) أن الله هو المشرع الوحيد (٣) أن الله هو الحاكم الوحيد .

ففي النقطة الأولى نتحدث عن الاقتصاد الإسلامي وركز على مبدأ الاستخلاف الإلهي للإنسان وبين كيف أن المؤمنين كانوا يتجردون عما يملكون تقرباً إلى الله وأن الزكاة أحد أركان الإسلام والاقتصاد .

(٢) وفي النقطة الثانية يقول : اختصاص الله بالتشريع في المجتمع الإسلامي كان مصدراً لإنسانية التشريع الإسلامي ومرتته وصلاحيته لكل الأزمان والأماكن ومن هذا المنطلق أزاح ما أشاعه بهتانا خصوم الإسلام من إدعائهم قسوة أحكامه ورجعيتها خصوصاً في نظريته إلى المرأة .

(٣) وفي النقطة الثالثة يقول : حاول إستقصاء أصالة النظرية الإسلامية السياسية وارتكازها على الشورى وتحدث عن ثراء عطاء الحضارة الإسلامية في مجالات العلم والمعرفة المختلفة والازدهار الكبير الذي حدث للمسلمين في كل بلد حلوا ، وعدد أسماء أعلام مسلمين أثروا في مسيرة الحضارة الإنسانية في الطب والفلك والعلوم في وقت كانت كل أوروبا في ظلام دامس وليل طويل .

وبالجملة فإن جارودي رد إعتبار الحضارة الإسلامية أولاً ثم رد إعتبار المنهج الإسلامي أخيراً ، وهو كسب كبير للإسلام ، ونحن نعتبره هو وبوكاي مقدمة لخير كثير في محيط المثقفين الغربيين ، فهذه ظاهرة جديدة طيبة بعد مرحلة طويلة من كتابات الانصاف للإسلام من مفكرين غربيين ظلوا محتفظين بمعتقداتهم ، ولعل عباراته التي ختم بها كتاب (وعود الإسلام) توحى بالوجهة الجديدة حيث يقول :

« أن الإسلام الذي يمثل قوة حية ليس فقط في ماضيه ولكن في كل ما يمكن أن يبتهكره ويقدمه في الحاضر والمستقبل . الإسلام الذي ظل قروناً طويلة مكروها غير مرغوب من طرف الغربيين من جراء آثار الحروب الصليبية . أن المسألة مسألة مستقبل . مستقبلنا جميعاً . »

هذا ونقول الأخوين المسلمين بوكاي وجارودي : مرحباً بكما في ساحة (لا إله إلا الله) .

الفصل السادس

تحديات خطيرة

تواجهها السنة النبوية في الغرب

ورجال يتصدون لها

كان الملتقى الإسلامي في (تلسان) الجزائر في شوال (الماضي) ١٤٠٢ مناسبة طيبة لالتقاء عدد كبير من علماء المسلمين من مختلف أنحاء العالم كله ، وكان أبرز ما في ذلك اللقاء تلك الأسماء الكريمة التي كان لها في العقود الأخيرة من القرن الرابع عشر دوراً واضحاً في توجيه الدعوة الإسلامية ودفعها إلى طريق الإصالة والترشيد ، وكان أبرز ذلك أولئك الأبرار الذين هاجروا إلى الغرب لخدمة الإسلام منذ سنوات طويلة ومنهم الدكتور محمد حميد الله ، الذي ترك بلاده وحيدر آباد ، منذ أكثر من أربعين عاماً حيث أقام في باريس يخدم ترجمة القرآن والحديث النبوي ورسائل النبي صلى الله عليه وسلم . وقد جمع كل ما يتصل بالوثائق السياسية في العصر النبوي حيث جمع (ثلاثمائة رسالة) قسمها إلى ثلاثة أقسام : (١) فيما يتعلق بما قبل الهجرة . (٢) أثناء الهجرة . (٣) ما بعد الهجرة . ومن ذلك كتابه مع جعفر الطيار إلى النجاشي ملك الحبشة مع المهاجرين في السنة الثامنة من الهجرة إلى ملك لا يظلم عنده أحد .

ويتحدث الدكتور حميد الله عن أن الرسول صلى الله عليه وسلم أثناء رحلته الهجرة كان قد أخذ الدراة والقلم أيضاً أثناء السفر فلما جاء سراقه ورأى المعجزات وطلب العفو وكتاب أمان لنفسه كتب له أبو بكر أو مولاه عامر بن فهيرة كتاب أمان كما ذكره ابن هشام وآخرين ، وقد عمل الدكتور حميد الله خلال هذا الوقت للدفاع عن كتاب الله وسنة رسوله وقد كان في مقدمة من نشر أول دستور مكتوب في العالم كله وضعه رئيس دولة بعد موافقة الأهالي ، ولم يجد

قبل الإسلام شيئاً من ذلك لا في اليونان ولا الروم ولا الصين ولا الهند ولا مصر وقد وضع في ذلك مؤلفاً خاصاً بالإنجليزية .

The First written- Constitution on the world,

وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد دعا ممثلي سكان المدينة من المسلمين واليهود والنصارى والمشركين وأُتِرح عليهم تأسيس دولة خاصة للدفاع وقست هجوم الأعداء والعدل عند القضايا الداخلية لو كان القرىقان من قبيلتين مختلفتين فقبلوا وأنتخبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كرئيس لتلك الدولة ، فلما نجح النبي صلى الله عليه وسلم في تأسيس دولة لهم شاورهم وكتب حقوق الراعي والراعية وواجباتهم في صحيفة وصل إلينا نصها بتمامة وفي نفس الوقت أمر النبي عليه السلام بتخطيط حرم المدينة أى حدود هذه الدولة .

كذلك فقد أجرى إحصاء المسلمين، روى البخارى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أكتبوا من تلفظ بالإسلام من الناس ، فكتبنا ألف وخمسمائة رجل وبعد هذه التدابير الابتدائية الأساسية للدفاع عن دار الإسلام بدأ يغادر المدينة ويسافر إلى بلاد القبائل المجاورة واحدة بعد الأخرى يقترح عليهم حلفاً عسكرياً : لو هاجم عليكم أحد أعدائكم ننصركم ، ولو هاجم أحد علينا وطلبنا منكم تيجشون لنصرتنا إلا في حروب الدين فقبلت جينة وضرة وغفار وأسلم ثم كتب الرسول صلى الله عليه وسلم بعد الحديبية إلى الملوك المجاورين يدعوهم إلى الإسلام : فكتب إلى :

هرقل وكسرى والمقوقس والنجاشى وخيفر وعدوانبى الجلندى ملكى عمان والمندر بن ساوى صاحب البحرين (الأحساء والقطيف حالياً) وقد وصلت إلينا أصول هذه الكتب إلى الملوك ، وهكذا عاش الدكتور حميد الله منذ أربعين سنة في الغرب يخدم الدعوة الإسلامية ويجمع الوثائق ويحاجج المستشرقين فيما يكتبونه من باطل وتهميف .

ولما كان موضوع الملتقى السادس عشر هذا هو « السنة النبوية » فقد عرض الدكتور حميد الله أيضاً لترجمات الأحاديث النبوية إلى الفرنسية وخص (١١ م — للصحة الإسلامية)

بالبحث ترجمة بوسكية لصحيح البخارى وكشف عما فى هذه الترجمة من أخطاء .
وإذا كانت الترجمة قد صدرت فى أربعة مجلدات فقد وضع الدكتور حميد الله مجلداً
كاملاً فى تصحيح أخطائها ومن أخطائها على سبيل المثال لا الحصر .
رؤية — ترجمها السحر الأسود .

الزكاة — ترجمها التبرع .

مسجدة — ترجمها الجئى على الركب .

لم يفرق بين الرجل والمرأة فقال أن حذيفة امرأة .

سبحان الله — ترجمها المجد لله وصحتها تنزيه الله .

وقد أنتشرت هذه الترجمة الخاطئة فى أفريقيا وأخواننا المسلمون يعتمدون
عليها ، ولا تستحق ترجمة بوسكية أى تقدير لما فيها من تعصب وأخطاء ،
ويغلب على منهجه الجدل والتعصب فقد ادعى أن المنهج التاريخى غريب على المسلمين
وأن الشريعة غير مرتبة ، وأن كلمة الحقوق غير مرتبة والإسلام لا يميز بين
الأمور بينما الأوربيون المعاصرين قد فعلوا ذلك زاعماً أن الأحاديث الصحيحة
قليلة جداً ، وهو فى ذلك كله يحاول أن يثير الشك فى عقل القارئ المتعلم وهو
ليس ملتزماً بالأمانة العلمية فهو أحياناً يضيف كلمة إلى الحديث أو يحذف كلمة .
من أجل هذا كله فقد شمر الدكتور حميد الله عن ساعد الجد وواجه هذا العمل —
وكل أعمال الاستشراق السابقة فيما يختص بصحيح البخارى وأصدر المجلد الضخم ،
وقد اهتزت لذلك دوائر الاستشراق وقاوموا هذا العمل وقالوا لهم : أتم لستم أهلاً
للتعقيب على العالم الفرنسى فهم حريصون على أن تبقى هذه السموم داخل الترجمات
ليقرأها المسلمون الذين لا يعرفون العربية .

وقد زارت سيدة مسلمة الشيخ حميد الله وقالت له : هل يجوز السحر ، أن
ترجمة البخارى تذكر أن السحر جائز فى الإسلام . وأخرج الشيخ النص العربى
فوجد العكس . وقد كان من الضرورى أن يجمع المسلمون فى باريس مبلغاً كبيراً
لطباعة هذا المجلد ليوجد فى السوق لمن يقرأ ترجمة بوسكية ولتصحح المضامين

المحرفة ، إيماناً بأنه إذا تركت هذه الترجمة في السوق فستظل كثير من الأخطاء قائمة في نفوس الناس عن جهل وغيرها عن عمد .

وهكذا يعمل هؤلاء العلماء الأبرار الذين تركوا بلاد المسلمين من أجل أداء هذا العمل (ومن هؤلاء الدكتور زكي على الذي يقيم في جنيف منذ خمسين عاماً وله كتاب عن الإسلام في العالم وأبحاث أخرى) .

ولما رأينا الدكتور حميد الله وكنا قد قرأنا له منذ أكثر من ثلاثين عاماً وجدنا رجلاً متواضعاً سمحاً يكره الأضواء فلا يتقدم نحو منصة الملتقى أبداً وينيب الأستاذ العربي لإمام المركز الإسلامي في باريس في إلقاء أبحاثه ، وهو على مائدة الطعام لا يأكل إلا لئلاً ، رجل زاهد في كل أمور الدنيا فإذا افتقدناه وجدناه على مكتبه يكتب فعنده عمل كثير حتى ولو كان في زيارة للجزائر . ولقد كان من اللحظات الخالدة الحاسمة تلك اللحظات التي شهدناها حين التقى مع السيد أبو الحسن الندوى ، وقد سأله منذ متى لم تقابله فقال : منذ أربعين عاماً وكلا الرجلين من كبار رجال الدعوة الإسلامية وكلاهما له جهاده وعمله .

وقد كان هذا العمل الذي وجه إليه الحق تبارك وتعالى مثل الدكتور حميد الله عملاً خطيراً خاصة بعد أن ألقى دكتور أحمد فون انفر (المسلم الألماني الذي يعمل للدعوة الإسلامية في بريطانيا) وكان من بين رجال الملتقى وقد أشار إلى مدى الأخطار التي يتعرض لها المسلمون الجدد في الغرب ومدى حاجة هؤلاء إلى مترجمات صحيحة من السنة النبوية . ذلك أن هناك في الغرب من يحاول أن ينحرف هؤلاء المسلمين إلى طريق خطر هو طريق الصوفية الغريبة التي ينجذب إليها أعداد كبيرة من المعتنقين للإسلام في المجتمعات الغربية ، وعن طريق ذلك المنهج يختلف الموقف عن فهم السنة النبوية الصحيحة .

كذلك فقد كشفت الأبحاث عن مدى الأخطار التي تتهدى السنة النبوية عن طريق الدعوات المسمومة المطروحة تحت عنوان « الاكتفاء بالقرآن » وقد كشف كاتب هذه السطور وزملاء له هذا الجانب الخطير ، كما عرض بعض الباحثين موقف الشيخ المودودي من هذه الفتن الشديدة الخطر . كذلك فقد

عرض الباحثون لأخطار بعض الطرق الصوفية ودعوتها إلى تصوف مبتدع قائم على التحلل من التكاليف الشرعية والرفق والفناء والولاية المطلقة للشيخ ودعاوى المعجزات والكرامات ودعا إلى الحفاظ على الشباب المسلم من الانحراف نحو هذا الاتجاه .

وقد حفل الملتقى الإسلامي بدراسات واسعة للسنة النبوية الشريفة كحلقة من هذا العمل الكريم الذي تقوم به الجزائر من أجل تأصيل الثقافة الإسلامية والفكر الإسلامي .

الباب الرابع

حركة اليقظة وما حققته

أولاً : حركة اليقظة وما حققته في القرن الرابع عشر

ثانياً : جاء الغزو بعد ما غفلوا

ثالثاً : تطبيق الشريعة في انعام الإسلام

الفصل الأول

حركة البقظة

ما حققته خلال القرن الرابع عشر الهجري

حققت حركة البقظة الإسلامية في القرن الرابع عشر عدداً من الانتصارات التي غيرت مجرى المجتمع الإسلامي تغييراً جذرياً وأعدته لاستقبال خطوات أكثر إيجابية على طريق الله تبارك في خلال القرن الخامس عشر : هذه الخطوات أو الانتصارات بحيث أن تكون موضع نظر ودراسة وتقدير الفاحصين لتطور هذه الأمة نحو الآصال ونحو تحقيق رشدتها الفكري وتحررها من أغلال التبعية والتقليد والاحتواء والإذابة الذي عمد النفوذ الأجنبي على تحقيقه في محاولة لصهرها في أتون الأمية العالمية حتى يضيع طابعها الخاص وذاتيتها الربانية القائمة بالتوحيد الخالص منذ أربعة عشر عاماً لتكون مؤهلة لحمل البشرية على الحق وإضاءة طريق الله تبارك وتعالى أمامها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ولندكر أن النفوذ الأجنبي الذي فرض على المسلمين في القرن الثالث عشر الهجري والذي امتد إلى اليوم في صور مختلفة منها الاستعمار والحماية والوصاية والتبعية الاقتصادية والسياسية والعسكرية في مراحل مختلفة من القرنين الثالث عشر والرابع عشر هو نوع متميز من التحدي الذي يختلف إختلافاً واضحاً وعميقاً عما سبقه من مؤامرات الاحتواء والسيطرة التي عرفت أبان حملات التتار والحروب الصليبية ، ومؤامرات الشعوبيين والزنادقة فإن أخطر ما حدث في هذه الحملات الاستعمارية الأخيرة هو أن النفوذ الأجنبي قد أجلى المسلمين عن منهجهم السياسي والاقتصادي والاجتماعي والتربوي بأن فرض عليهم نظاماً واحدة ، حلمهم عليها حملاً وكان مدخله إلى ذلك هو تغيير هوية التربية والتعليم وفرض أنظمة تعليمية مدخولة كونت أجيالاً رعاها النفوذ الأجنبي وحماها وسلم إليها مقاليد الأمور وضمن حين أنهى وجوده السياسي والعسكري أنها ستمضي على نفس طريقه .

واسكن الأمر لم يعضى كما ظن النفوذ الأجنبي ورجاله من دعاة التغريب والغزو الثقافي فإن حركة اليقظة الإسلامية سرعان ما اشتد عودها وأصبحت قادرة على كشف الزيف والرد على الاتهامات ودخس الشبهات بما أعاد إعتبارها في نظر الأجيال الجديدة التي حاول التغريب خداعها والتغريب بها لتنظر إلى أمتها وعقيدتها ولقتها ونبيها وشريعتها نظرة الاستشراق والتغريب التي تروج لها منذ سنوات عديدة عن طريق المدرسة والصحيفة والثقافة الوافدة ومن أهم الحقائق التي تعد انتصارا في هذا المجال :

(أولا) : تصحيح المفاهيم فيما يتعلق بالقيم والشخصيات الإسلامية فقد توالى الحملات على (ابن خلدون) و (ابن تيمية) و (الغزالي) بينما أزعجت عبارات التكريم والتقدير لابن سينا والفارابي والحلاج والسهروردي واستمر ذلك زمنا طويلا ، بل أن الاستشراق قد تمكن من خداع بعض المبعوثين إلى الغرب ليقدّموا رسائل وإطروحات تقدم هذه الشخصيات الكريمة على أنها لا تملك قدراً كبيراً من من العلم أو الفضل على النحو الذي فعله الدكتور طه حسين في رسالته عن (فلسفة ابن خلدون الاجتماعية) التي قدمها إلى السربون عام ١٩١٧ والتي حمل فيها حملة عنيفة على هذا العلامة الكبير واتهمه باقصور والاضطراب ، متابعاً لرأى دعاة المدرسة الاجتماعية الفرنسية التي كان يقودها اليهودي دوركايم والذي عاش طه حسين في حضانة نسكرة وتابعه في رأيه عن ابن خلدون ، ويحجم لليوم من الشعوب من يدعو إلى إعادة بعث هذا البحث المسموم ظنا منه أنه بحث علمي صحيح ولقد استطاع الباحثون المسلمون أن يدحضوا وجهة نظر التغريب والاستشراق والشعوبية إزاء هذا العالم الكبير الذي خطى في السنوات الأخيرة بتقدير المنتصفين من الباحثين الغربيين على أساس أنه قدم ثلاثة علوم : وهي تحليل التاريخ ، وعلم الاجتماع ، وعلم الاقتصاد .

وكذلك فقد كشفت الأبحاث عن فساد وجهة الفارابي وابن سينا من الناحية الفلسفية (مع تقدير دورهما في الطب والعلوم) أما في الفلسفة فقد تبين أنهما كانا تابعين لمدرسة المشائين اليونانيين وأنهما خصصا لمفاهيم الفلسفة اليونانية التي يقودها أرسطو وأفلاطون وأن فكرهما لا يمثل مفهوم الإسلام الحقيقي وأن

مفهوم الفلسفة اليونانية الذي قدماء قد رفضه الفكر الإسلامى الذى يقوم على مفهوم التوحيد الخالص .

كذلك قد تكشف أن مفهوم « الحلاج » ، و« السهروردى » ، فى الفكر الذى قدماء لم يكن من الفكر الإسلامى الاصيل ولكنه كان مفهوما زائفا استوحياه من الاغلوطنية التى كانت تمثل فكراً مسيحياً ويهودياً يمتزجا قبل الإسلام .

وكذلك انكشفت أهداف الاستشراق والتغريب وجوهر الاستشراق بعد أن انكشفت سمومه .

(ثانياً) : عظمة الشريعة الإسلامية : والكشف عن مفاخرها الحقيقية ، وقد جاء هذا بعد أن سيطر النفوذ الأجنبي على العالم الإسلامى بالقانون الوضعى وحجب تطبيق الشريعة الإسلامية والاقتصاد الإسلامى لأول مرة بعد أربعة عشر قرناً من قيام هذا المنهج فى عالم الإسلام ، وكانت تلك الدعوى العريضة التى حاول بها كرومر ولافيجرى وغيرهما من قراصنة الاستعمار تشويه هذه الشريعة السمحة بالإدعاء بأنها شريعة صحراوية متأخرة صفا عليها الزمن فإن بعضاً من الأبرار من المسلمين المتهتمين الذين قصدوا إلى الغرب وحلوا معهم سائلين عن الشريعة الإسلامية إلى جامعاتها فأثاروا مشاعر علماء القانون الغربيين الذى اعترفوا بفضل هذه الشريعة وعجبوا لعجز المسلمين عن تطبيقها ، وقد توالت هذه الاعترافات عن طريق مؤتمرات للقانون العالمى عقدت سنوات ١٩٤٦ ، ١٩٥٢ وبعدها اعترفت فيها جماعات رجال القانون العالمى بأن الشريعة الإسلامية هى شريعة مستقلة ذات كيان خاص تختلف عن الشريعة الرومانية وأن لها جوانب غاية فى القوة تستطيع أن تسعد البشرية وجاءت شهادة الفيلسوف الإيرلندى برناردشو غاية فى الإنصاف .

وكشف مسيو لامبير من كبار رجال القانون الفرنسى عن عظمة الشريعة الإسلامية ، وكيف أن الفرنسيين أخذوها من مذهب مالك ، وأن اختلف رأى عما إذا كان ذلك عن طريق الحملة الفرنسية التى جاءت إلى مصر أم عن طريق الجزائر وتونس وفى نفس الوقت بدأت ظاهرة الكشف عن عظمة القرآن بأنه من عند الله وفساد الكتب القديمة وقد حمل لواء هذه الدعوة كثير من الأكابر

منهم مورييس بوكلى .

(ثالثاً) : استطاع الشيخ مصطفى عبد الرازق أن يعلن رأياً جديداً في الفلسفة ، بعد أن استطرد المستشرقون الغربيون الذين قدموا هذا العلم كطلابهم في الجامعة وقال بأن الفلسفة الإسلامية الحقيقية تبدأ من الفقه وعلم الكلام وأن ماعداه فهو تبعية للدرسة اليونانية وأن منهج الإمام الشافعى فى علم أصول الفقه يعد بمثابة المنطلق الحقيقى لهذا ، أما مدرسة السكندى وانفارابى وابن سينا فهى لا تمثل الفكر الإسلامى الصحيح .

وبذلك أعيد إعتبار الإمام الغزالى الذى حملت عليه الفلسفة الحديثة ودعاتها لأنه أوقف تيار الفلسفة فى الإسلام حين أخرج كتابه تهافت الفلاسفة وكشف عن زيفهم فى إدعائهم بأن الله تبارك وتعالى لا يعلم الجزئيات أو أن المادة قديمة على النحو الذى ضللت به دراسات الفلسفة عدداً من المثقفين المسلمين وقد انكشف زيف كتابات كثيرة كرسائل إخوان الصفا والأفاغى وأبى نواس . وتبين فساد المنهج السكلاى المعتزلى والفلسفى وعلت الدعوة إلى التماس منهج القرآن .

(رابعاً) : ما كشفه الدكتور محمد أحمد الغمراوى من أن ما قدمه طه حسين بدعوى أنه مذهب ديكارت باطل وزائف، وأن طه حسين لم يقدم مذهب ديكارت على حقيقته وقد سارع الأستاذ محمود الحضرى يترجم كتاب مقال فى المنهج لديكارت ونشرها صاحب المكتبة السلفية لتؤكد فساد إدعاء طه حسين ، الذى كان يظن أن أحداً ان يكشف خبيثته ، ولقد كشفت الأبحاث فى الأخير أن مذهب ديكارت مأخوذ من الإمام الغزالى ومن رسالته (المنقذ من الضلال) بل أن المرحوم الأستاذ عثمان السكعاك المؤرخ للتونسى قد شاهد بنفسه فى مكتبة السربون تراث ديكارت وقرأ تعليقه على رسالة المنقذ من الضلال بالفرنسية ، وهو المعنى الذى توصل إليه المرحوم العلامة محمد فريد وجدى فى الرد على كتاب الشعر الجاهلى عندما قال لطه حسين أن هذا المذهب : مذهب الشك حتى تصل إلى اليقين الذى يدعيه لديكارت هو مذهب إسلامى وأن الإمام الغزالى أول من طبقه .

(خامساً) : ظل التراث الإسلامى مغموراً ، ومحجوماً عن المسلمين ، الذين دخلوا الجامعات التى قدمت لهم العلوم التجريبية والسياسية والاجتماعية على أنها

علوم غربية خالصة فقد بدأت الحلقة الأولى بفرانسيس باكون على أنه منشى العلم التجريبي حتى جاء الإنصاف من علماء أبرار أمثال درابر ، وكارليل ، وجوستاف لويون الذين أعلنوا أن (باكون) هو تليذ المسلمين وأن مثقفي الغرب هاجروا إلى الأندلس واستمعوا إلى علماء المسلمين وأن المنهج العلمى التجريبي هو من صناعة المسلمين (جابر بن حيان وابن الهيثم والبيروني وغيرهم) ثم جاءت الدكتوراة سجرید هونسكه فكشفت هذه الصفحة الرائعة في كتابها (شمس الله تشرق على الغرب) .

قد تبين دور المسلمين الخطير فيما قدموه من بداءات وإضافات لعلوم كثيرة ليست العلوم التجريبية والطبية والفلسكية وحدها ولكن في علوم السياسة والاجتماع والاقتصاد والتربية بما يعد في نظر المتصفين ، الطابق الأول للحضارة المعاصرة . .

(سادساً) : تكشف في السنوات الأخيرة مدى عظمة المخطوطات الإسلامية المحجوبة عن المسلمين في مكتبات ليدن وفرنسا وإيطاليا وهي تقدر بمحوالى مليونى مخطوط ، حتى لقد قيل أن تاريخ النهضة الإسلامية لا يمكن أن يكتب على وجه حقيقى إلا بعد تصوير ومراجعة هذه المخطوطات التى تتصل بكل علم وفن وإشترك فيه المسلمون ، والمعروف أن هذا التراث المخطوط قد سرق من مساجد المسلمين ونقل إلى الغرب تحت تأثير وبرعاية القناصل الأجانب وأن الغرب قد أفاد من هذا التراث فائدة ضخمة ظهرت في عديد من نظرياته الاقتصادية والقانونية بل أنه قد حجب عن المسلمين والعرب فإن عدداً من الباحثين ذهب إلى الغرب ليسأل عن مخطوطة معينة فتمنع من النظر فيها .

(سابعاً) : ظهرت في السنوات الأخيرة دعوة إلى الأصالة في بناء العلوم على أساس إسلامى ، فظهرت دراسات عن الاقتصاد الإسلامى وعلم النفس الإسلامى وعلم الاجتماع الإسلامى بعد أن اتضح فساد العلوم الغربية وعدم تجاوبها مع الفطرة الإسلامية وحاجة المسلمين إلى تقديم منهجهم القرآنى الأصيل .

كما ظهرت في السنوات الأخيرة الدعوة إلى تقنين الشريعة الإسلامية وخطت

خطوات واسعة فقد قامت جماعات من الفقهاء وعلماء القانون بإعداد القوانين الخاصة بالتجارة والحدود، والردة، وكان عمداء كليات الحقوق في الجامعات العربية قد نادوا بالتخلص من هذه القوانين المتباينة في البلاد العربية والرجوع إلى الشريعة الإسلامية باعتبارها إحدى خصائص ومقومات الأمة وأهم تراثها الثقافي.

كذلك فقد رد إعتبار الشخصيات المخلصة التي شوها النفوذ الاستعماري كالسلطان عبد الحميد وتوضحت حقائق كثيرة في تاريخ الإسلام في العصر الحديث بعد أن ظهرت بروتوكولات صهيون وعدد من الوثائق وعرف الناس خداع وتضليل من سمو أعلام الفكر وقادة النهضة من أمثال فاسم أمين ولطف السيد وعلى عبد الرازق وطه حسين وجرجي زيدان وسلامه موسى.

الفصل الثاني

جاء الغزو بعد ما غفلوا

عن المراقبة والإعداد

ما تزال المرحلة التي عاشتها الأمة الإسلامية في مجالدة النفوذ الأجنبي ومقاومة الاستعمار موضع دراسة ومراجعة وتحليل ، هذه المرحلة التي بدأت ١٨٣٠ تقريباً باحتلال فرنسا للجزائر والتي استمرت حتى استكمل الاستعمار الغربي أطباقه على العالم الإسلامي في الحرب العالمية الأولى ١٩١٨ وقد كانت المرحلة الأولى من هذا النفوذ وهي مرحلة عسكرية غازية قد قوبلت بنضال عسكري حمل لواءه رجال أبطال قاموا في تسبيل إعلاء كلمة الله وتحرير الأوطان وكان من أبرزهم أحمد عرابي في مصر والأمير عبد القادر في الجزائر وعبد الكريم الخطابي في المغرب ومحمد شامل القفقاسي في تركستان وأحمد عرفان في الهند .

لقد تقدمت الأمة الإسلامية إلى المقاومة بأسلحتها القليلة إزاء أسلحة الغرب الضخمة واحشدت بالاجساد في سبيل المقاومة وقدمت شهدائها . . . وكادت تظفر بالنصر لولا التآمر الذي كان سلاح الاستعمار الحقيقي للقضاء على هذه القوى المجاهدة المؤمنة بالله والمدافعة عن العرض والأرض ولذلك فقد كانت هزيمة عرابي والخطابي وعبد القادر وشامل ليست إلا عن طريق التآمر والغدر وحده وأن هؤلاء الأبطال لو واجهوا المعارك مواجهة متحدة صريحة لهزموا النفوذ الأجنبي وأزالوه ولكن هذا النفوذ استعمل سلاحاً خطيراً هو التآمر واصطناع بعض ضعاف النفوس لمعرفة الخطط والقواعد .

وقد أعلن كرومر في مذكراته أنه لولا المؤامرة لما هزم عرابي وكذلك الأمر في شأن المقاومة اليابسة التي قام بها الأمير عبد القادر سبعة عشر عاماً في وجه النفوذ الفرنسي الواحف على الجزائر أما المقاومة التي قام بها الشيخ شامل في وجه

الروح الروسي فقد كان فوق ما يتصور العقل من الإصرار والاستماتة ، كذلك كان الأمر في موقف عبد الكريم الخطابي .

ولكن الاستشراق يحاول في كل حين أن يزيّف الحقائق وأن يصيب هذه الأسماء السكريمة برشاش من الشك . . . وليس هناك ما يمكن أن يوجه إلى هؤلاء الأثاوس الأبرار إلا أنهم ما كانوا يعرفون أسلوب السياسة بأكاذيبه وأباطيلها ومناوراتها ومحاولاته الخادعة فهم قد آمنوا بأن العدو الذي هاجم البلاد هو العدو وأنه لا سبيل إلى التفاهم معه في شيء إلا بإجلائه أولا وهو أسلوب كان مزججا للنفوذ الأجنبي الذي كان يريد أن يجد من يمكنه من أغراضه ، من الخونة طلاب المغنم الذي دلوا العدو في حرب عرابي على مواقع الجيش أو تأمروا على الأمير عبد القادر أو خانوا شامل أو الخطابي .

وسبظل هذا الجيل من المجاهدين موضع تقدير مهما يقال عن قصور معلوماته أو عدم قدرته على مواجهة ذلك الهول الوافد الخطير فإنه ضحى بنفسه وقدم شهادته ومات واستشهد دون أن يستسلم . .

ولقد حرص الاستعمار وقد عجز عن أن يقضى على هؤلاء الأبطال فإنه عمل على نفيهم من أوطانهم فنتى عرابي وعبد الكريم وعبد القادر عن أوطانهم . .

هاجم عرابي بريطانيا في التل الكبير في مصر .

هاجم عبد الكريم فرنسا في ريف المغرب وفي معركة أنوال .

هاجم عبد القادر فرنسا في الجزائر .

هاجم شامل النفوذ الروسي القيصرى في القرم .

هاجم عرفان بريطانيا في الهند . .

لقد استمر عبد القادر سبعة عشر عاما حتى حطم الاستعمار خطوط تموينه وحصره حصارا شديدا . . كذلك قاتم شامل بجيوش قيصر روسيا زهاء خمسة وعشرين عاما يقول عبد القادر القادري : أن الإمام محمد شامل للفقاسى كان على

نظم الأمير عبد القادر الجزائري خراج من المشيخة إلى الإمارة وتنازل السيف عن طريق القلم حيث كان من أتباع الحركة النقشبندية التي أسسها محمد البخاري . فانتشرت في الصين وتركستان والقفقاس وقازان وتركيا وكان الأمير عبد القادر الجزائري من أتباع الحركة القادرية التي أسسها الشيخ عبد القادر الجزائري ولم تسكن هذه الحركات في ذلك الوقت إلا معسكرات جهاد ونضال ومقاومة للنفوذ الأجنبي وقد كان لها دورها في الحروب الصليبية في مصر والشام .

ولقد ظل عرابي وعبد القادر وشامل يجاهدون حتى نفذ الزاد وفيت المؤنة وأشرف المجاهدون على الفناء فأخذ عرابي إلى سيلان حيث أمضى بها بضعة عشر عاما ونقل عبد القادر إلى دمشق حيث عاش بها بقية عمره أما الشيخ شامل فقد سمح له بالذهاب إلى المدينة المنورة حتى مات ودفن بها ١٨٧١ أما الأمير عبد الكريم الخطاطي فقد نفي في جزيرة ريون في المحيط الهندي ثم أتيح له أن يهرب إلى مصر فأمضى فيها بقية حياته .

هذه المرحلة من حياة العالم الإسلامي يمكن أن يطلق عليها مرحلة الجهاد المسلح غير المتوازن فقد استيقظ عالم الإسلام من غفوته فإذا بالقوة الأجنبية محاصرة له وفي يدها أحدث الأسلحة بعد أن غفل عن حماية نفسه ولذلك فإنه لم يكن من المعقول أن يستطيع المجاهدون كسب المعركة . . ذلك لأنهم لم يكونوا قد وضعوا أنفسهم حيث أمرهم القرآن بالمصابرة والمرابطة والإعداد للقوة التي ترهب العدو وتحول بينه وبين إجتياز ساحة البلاد الإسلامية ولقد بدأت هذه المعركة قبل وقت طويل عندما هاجمت إسبانيا والبرتغال الشاطيء الإسلامي لأفريقيا ، والمغرب والجزائر وتونس على أثر إخراج المسلمين الأندلسيين في محاولة للسيطرة على هذا الشاطيء العربي الإسلامي ثم جاءت مرحلة الاستعمار البريطاني والفرنسي . هذه التي اتخذت أسلوب وضع الحبل في عنق العالم الإسلامي من أقصى نقطة وهي دكا تون ، ثم تنتظر حتى تعرف متى تستطيع أن تسيطر وقد جرت المحاولة الأولى في بلاد الملايو . . (هولندا) والهند (بريطانيا) وفي المنطقة العربية كان الغزو الفرنسي للجزائر هو أبرز هذه الأحداث وأشدّها أثراً فقد هزّت المعركة الإمام محمد علي السنوسي الذي قام بحولات ضخمة إلى مختلف أجزاء المنطقة مستمداً من

الدعوة الأولى : دعوة التوحيد في الجزيرة العربية أسلوب العمل وكان أسلوب العمل العربي الذي قام به منطلقا لحركة اليقظة الإسلامية . ولقد كان الجزائري والخطابي مجاهدان بالسيف وهما مع ذلك علماء فقهاء وكذلك كان الشيخ شامل عالما قديرا وكان عرابي من خريجي الأزهر هذه الطبقة التي أزعجت الاستعمار فعمل للقضاء عليها وخلق طبقة جديدة في نطاق الاستعمار ومفاهيمه ووجوده ، هؤلاء الذين تعاملوا مع الاستعمار بأسلوب الأخذ والعطاء وقبول الواقع بأسلوب النياسيين . لا يجاهد المجاهدين . . وهذه هي الفسكرة التي عمد الاستعمار فيها إلى بناء أجيال تؤمن به وتواليه وتعجب بحضارته وكانت قدرة الاستعمار مع عجز القوى الوطنية عاملا هاما في فرضه القانون الوضعي بدلا من الشريعة الإسلامية وأسلوب التعليم العلماني بدلا من أسلوب التربية الإسلامية وكذلك فرض أسلوب الاقتصاد العربي عن طريق المصارف بدلا من أسلوب الاقتصاد الإسلامي ؛ كل هذا هو الذي خلق الأزمة الحالية : أزمة التغريب والغزو الثقافي التي تحتاج إلى جهود ضخمة من رجال حركة اليقظة الإسلامية لتحرير الوطن الإسلامي كله من هذه التبعية والتاس منهج الأصالة المستمد من المنابع الإسلامية التي يمثل (القرآن الكريم) فيها حجر الرحي ولذلك فإنه لا بد للسليين من العودة إلى طبيعة مجتمعهم الأصيل وهي قيام روح الجهاد الذي يعتمد على إستيعاب التكنولوجيا الحديثة وصهرها في بوتقة الإسلام واللغة العربية حتى يكون عالم الإسلام قادرا دوما على الدفاع عن نفسه ومواجهة أى قوى عدوانية زاحفة (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) .

أنه درس يجب أن لا يغفل عنه عندما فقد المسلمون أسلحتهم المسلمون دائما . هو أن الغزو جاء وغفلوا عن الشغور وتركوا سنة من أقوى سنن عقيدتهم وهي المراقبة والإعداد . .

الفصل الثالث

تطبيق الشريعة الإسلامية في العالم الإسلامي

نعالج الصيغة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية في العالم الإسلامي كله منذ وقت بعيد وكانت لها مقدماتها المعروفة منذ كتب علماء القانون في الغرب عن عظمة هذه الشريعة وكلاها وفضلها ومنذ اعترفت المجامع الفقهية بأنها شريعة مستقلة وأنها ذات موارد ضخمة في خدمة الإنسان وحمايته ومنذ أخذ رجال القانون في الغرب موادها لاستنباط قوانين تحمل حاجات المجتمعات الحديثة فضلاً عن الواقع التاريخي المعروف باعتماد القانون الفرنسي على فقه الإمام مالك سواء جاء هذا الفقه عن طريق حملة نابليون على مصر أو طريق لإحتلال الجزائر .

وهذه الأمور كلها معروفة ومبسوطة في كتب تاريخ الفقه الإسلامي الحديث وكانت موضع دراسة واسعة مستفيضة للبلتقي الإسلامي في الجزائر عام ١٩٧٢ حضرها أقطاب الفكر الإسلامي المعاصرين .

وقد استجابت الحكومات العربية والمسلمة لمطامح الشعوب الإسلامية فأوردت في دساتيرها مادة خاصة بأن تكون الشريعة الإسلامية مصدراً للقوانين ، كما عمدت عدد من البلاد العربية على إعداد دوائر معارف خاصة بالفقه الإسلامي فضلاً عن قيام عدد من هذه الدول بتقنين مواد الشريعة الإسلامية .

وهذه ظاهرة طيبة بدأت منذ الأربعينات منذ هذا القرن وقطعت أشواطاً واسعة في العقود الأخيرة. غير أن نكسة ١٩٦٧ قد أضافت إلى هذه الظاهرة دفعة جديدة فقد تحدث عدد من الباحثين والقانونيين عن أن من أهم أسبابها غياب تطبيق الشريعة في المجتمعات ومن ذلكم الدكتور مصطفى أبو زيد فهمي في كتابه (فن الحكم في الإسلام) حيث يقول أنه أحس بزلزال هزيمة ١٩٦٧ فسأل نفسه ذلك السؤال الذي لا بد أنه أقلقنا جميعاً :

[أما من علاج لسكل ما حل بنا ، إما عن طريق إلى إعادة بناء الفرد وإعادة بناء المجتمع] .

ثم يقول : أنه بتفكيره العميق انتهى إلى ضرورة العودة إلى الإسلام وإلى كتاب الله لتطبيق تعاليم الإسلام في كل حياتنا العامة والخاصة ومن هنا يدعو الدكتور مصطفى أبو زيد فهمي إلى إعلان الحكم الإسلامي وقيام المجتمع الإسلامي فوراً ، ويلح في أن تعود الأمة إلى رحاب الله فوراً وهو يرى أننا حين نفعل ذلك فإننا نكون قادرين على إمتلاك إرادتنا في مواجهة كل التحديات التي تحيط بنا ويرفض الدكتور أبو زيد فهمي الموائمة بين أفكار ومبادئ معاصرة في أنظمة الحكم وبين الإسلام ويقول : إننا لا نستطيع أن نكون متسولين جزئياً على الإطلاق .

* * *

وفي خلال ما يجرى العمل على إعداد القوانين المستقاه من الشريعة الإسلامية تتعدد وجهات النظر ويحارل بعض أهل الفكر طرح عدد من العوامل التي يعاؤون أن يجعلوا منها (معوقات) للتطبيق وهي في مجموعها منها ما يتعلق بإعداد المجتمع قبل التطبيق ومنها ما يقول أن القانون المدني الحالي أغلبية موافق للشريعة .

٢ - المسائل الثلاث (مع المستشار عبد الحليم الجندى)

يقول المستشار عبد الحليم الجندى : أن القرآن نزل على تدرج لأن الله سبحانه وتعالى يريد له الحفظ وليحفظه الناس ونزل مع تدرج الآيات تدرج الأحكام وفي هذا التدرج كان بعض القول بالنسخ لتغير الأحوال ، وكان المجتمع يتطور ويتقدم ولم يختار الرسول الرفيق الأعلى إلا وقد أكمل الله الدين وأتم نعمته على المسلمين ووجب من يوم أتم الله هذا الدين أن يطبق كاملاً ، أما التدرج الذي نريده وننادى به وقد نادينا بهذا منذ عشرين عاماً ، التدرج هو (م ١٢ — الصحوة الإسلامية)

أن نقول هكذا :

القانون المدنى يصدر ونعمل فترة انتقالية ، ثلاث سنوات لكي يطبق ويكون قد قرىء كفاية .

لقد أنجزنا القانون ووضعنا تحت كل مادة ما يقابلها من المجلة (العثمانية) أو من قانون قدرى باشا ، ذلك أن قانون قدرى باشا لو طبق منذ أعد لفاق قانون نابليون وما كنا أصلحناه أو عدلناه ألف تعديل .

إذن نحن نعمل فترة انتقالية فلتسكن ثلاث سنوات ، سيعرف الذى سيشرع الآخر سيحدث ، الذى سيزنى سيحدث ، اليد التى ستقطع ستحدث ، إذا قطعت يد واحدة فى الجيزة لعطلت السرقات فى الصعيد فى الإسكندرية حتى ليبيا بمجرد أن تقطع يد واحدة ، أمريكا فيها ستة ملايين سرقة سنة ١٩٧٥ ، لو قطعت يد أمريكى واحد لن يوجد ٦٠١٥ مليون سرقة فى العام ، هذه هى مقدرة الشريعة الإسلامية فى العلاج أن الحدود زواجراً .

(٢) أما مقولة أن القانون المدنى الحالى فى أغلبه موافق للشريعة فهى مقولة دارجة الآن على ألسنة الجميع والجواب أن قانون العقوبات الحالى ليس قانونا إسلاميا لأن التعزير فى الإسلام : انظر بماذا يعذر ، أن نظام السجون اختراع أوربى ، تولى المجتمع الأوربى إلى أن أحاط به فخنقه فأصبح فى السجون ملايين وبقيت مؤسسة السجون تنمى نفسها فتزداد تكاليف وتنمى فى المسجون أخلاق السجن ، فتخرج مجرما على أعلى درجة فيزداد العدد ويترتب على ذلك أن الجرائم أصبحت لا يبلغ بها .

الحدود فى علاجها الإنسانى أنها لا تطبق إلا إذا حدث التبليغ كالسرقة . قبل قانون نابليون فى مصر الجرائم كانت عشر معشارها سنة ١٨٩٨ فى خمس سنين كانت كافية حتى ترتفع الجرائم وتزداد الجنايات ، ما كان عندنا زنا ، لم يكن يعرف . كان المرأة إذا صنعت كذا .. انتهى انتهى . اليوم أصبح لا بد من تبليغ الزوج .

(٣) ليست العبادات هي التي تصنع المجتمع الإسلامي، وإنما الذي صنع المجتمع الإسلامي هو القانون الإسلامي وليس الخلق الإسلامي. لأن الذي صنع الخلق الإسلامي هو الحدود، التي تسمى القاضى الذى يطبق القانون الذى يعمل به وتسرى من أجله هذه الأخلاق فى الناس.

قانوننا المدنى الحالى لم يدع من قمحه عام ١٩٤٨ على مدى بضعة عشر عاما أنه استقام من الشريعة إلا إدعاء فى بعض ما كتب، وإنما هو من قانوننا المدنى القديم ومنصوص فى كتاب الدكتور السهورى أنه أخذه من ٢٢ قانونا منها القانون البرازيلى والتتبعات التى أدخلها مأخوذة من المشروع الإيطالى الفرنسى للقانون المدنى (كلى إينالوا فرنس).

فقانوننا المدنى الحالى هو القانون الذى كان مختلطاً وترجم، ثم قمح ١٩٤٧، ١٩٤٨ ويعمل به من ١٩٤٩ وأضيفت إليه الـ ٢٢ قانونا من قانون عالمي، أضيفت إليه إضافات ولا يقال أن قانوننا الحالى متفق مع الشريعة لأنه يخالفها فى ساقبه اللذين يقوم عليهما: فى نظرية العقد وفى المسؤولية القانون المدنى هو: حرية الإرادة والمسؤولية عند التعرض هذا هو القانون المدنى، فهذان الائتمان يخالف بهما مبادئ الفقه الإسلامى. وباختصار فإن الفقه الإسلامى لا يقبل الضرر أو المغامرة أو إطلاق حرية الإرادة على التفقد، هذا هو المعنى، حرية الإرادة مع أنها مضمونة إلا أنها مقيدة بأنه لا غرر، ولا مخاطرة، فى التراضى لأنه منصوص عليه فى القرآن، والآراضى فى الأحاديث وفى جميع الفقه منذ ألف وأربعمائة سنة، لا غرر ولا خطر يكون فى التعاقد لأنه إذا كان فى التعاقد غرر وخطر يبطله، هذه القاعدة الأولى من قواعد التطبيق المدنى وهى حرية التصرف، حرية التعاقد مقيدة بعدم الغرر وبعدم الغبن والقانون الحالى ليس فيه أى ذكر للغبن وليس فيه أى قيد على المغامرة فى التعاقد، وأنت تطالب إذا أمضيت تعهداً فتعهد فيه بأى شيء، مطالب بأن تنفذ تعهدك تماماً، ولو كان الذى تعهد له لم يقدم لك ما يقابله. فالقانون المدنى فى هذه الناحية وهى النصف يخالف الفقه الإسلامى وتفاصيل أخرى.

الدعامة الأخرى: السان الأخرى التى يقوم عليها القانون المدنى هي:

المسئولية ، المسئولية في الفقه الإسلامي مختلفة تماماً وهي مختلفة لا عن القانون المدني الحالي لحسب بل هي تسبقها وتتقدم فتقرر مثلاً أن كل مصاب له تعويض ولا تشترط الخطأ . أن شرط المسئولية الخطأ . فالركن الأساسي وهو الخطأ إذا أحدث ضرراً وشرط التعويض هو الضرر . فالشريعة تقول شيئاً مختلفاً ، أنت أضررت بي بغير خطأ ، أنت تعوضني ، أن تضمن الضرر ، هذا شيء تسعى له الآن أوروبا من مائة وعشرين عاماً ، السوفيت لم يبلغوه للآن ، هذه واحدة وأظنها واحدة تساوي ألفاً .

الثانية : أن كل إنسان كمثل إنسان في الضرر ، وفي تعويض الضرر فتعرض دية واحدة للملك وللرعية وللراعي ولأى فرد في الرعية ، هي في هذا تساوى بين الناس في أقدارهم ، وتسوى بين الناس في التعويض الذي يأخذونه ، أى باختصار أنها مشكلة ، ولكنها مشكلة تكفلت الشريعة بحلها وأن لم تكفل الشريعة بحلها لشككتنا في قدرتها على أن تحل شيئاً ، نحن نعلم ما يشوب العالم من منكرات ، أنه عالم صنعه قانون جىء به من مائة عام ، صنع الرداء الذى نلبسه من المعاملات الاجتماعية ، سيطرة اغنى على الفقير ، سيطرة ذى الجاه على الذى لا جاه له ، طريقة البيع والشراء ، طريقة الإجارة ، نحن نبيع ونشتري بالقانون الفرنسى ، نزارع بالقانون الفرنسى ، نتعامل فى عائلتنا بالخلق الفرنسى ، هذا المجتمع ليس هو المجتمع المصرى الحقيقى ، هذا المجتمع قد صاغه قانون جديد ، عمل به مائة عام فى بيوعه وشرائه وسائر معاملاته ، الشريعة الإسلامية تكفل بإصلاح هذا بيد سحرية ، استغفر الله بصفة إلهية وهذه الحدود وما فيها من بشاعة وشناعة هي لم تشرع ليأخذ بها الناس فوراً ، إنما شرعت ليعلم الناس أنها ستطبق عليهم ولذلك قالوا : الحدود زواجر ، ستسرق ستقطع هذه اليد بنظر الناس . علاج ربانى خالص ، اليد التى ستسرق ستقطع ، إذن اليد مباشرة لا تحرك هذه السرقة . الزانى الذى يصنع فى غيبة الناس يرحم علناً ، وتشهد عليه طائفة من الناس : فضيحة ، إذن الحدود هذه عند ما شرعها الله شرعها لنا نحن البشر أما فكرة أن نبدأ ببعض الحدود : لا ، التشريع نزل متكامل ، لم ينزل على تدرج ، القرآن نزل على تدرج لأن الله سبحانه وتعالى يريد له الحفظ وليحفظه الناس ونزل مع تدرج الآيات تدرج الأحكام لأن المجتمع كان يتطور ويتقدم . . .

٣ - مع المستشار جمال المرفاوى

(١) أن الإدعاء بضرورة التدرج في العودة إلى الشريعة الإسلامية إبداع خاطئ . لأن من يزعمون يستندون إلى التدرج في تحريم الخمر ، ويفعلون عن أن أحكام الإسلام قد اكتملت جميعها فالله تعالى يقول في كتابه الكريم (اليوم أكملت لكم دينكم) فالتدرج إنما كان لنقل المجتمع من الوثنية إلى التوحيد أما الآن وقد اكتمل الدين فنحن ينبغي أن نعود إلى تطبيق شريعة الله كما أنزلها الله .

(٢) أن هناك من يقولون أنه يتعين قبل العمل بالتشريع الإسلامى من أعداد المجتمع الإسلامى لكي تطبق فيه التشريعات الإسلامية ، وهذا قول داحض ، لأن المجتمع الإنسانى منذ بدء الخليقة وسيظل إلى يوم الدين تقع فيه الآثام وقد شرع العقاب لحماية الجماعة من الشواذ الخارجين عليه لأن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن ومن ثم يجب أن ينير الإصلاح في طريقين متوازيين : الدعوة إلى الفضيلة بالحكمة والموعظة الحسنة والعقاب لم لا يمثل .

(٣) أن تطبيق الحدود سيؤدى إلى توفير الأمن والاستقرار للمجتمع ، وهذا واضح في الدول التى أخذت بأحكام الشريعة مقارنة بالدول الأكثر مدنية وحضارة في العصر الحديث وفشلت في كبح جماح الجريمة رغم استخدامها وسائل العلم الحديث . وقد نادى عمدة كليات الحقوق في الجامعات العربية في ندوتهم في بغداد وبيروت ٧٣ / ٧٥ بالتخلص من القوانين المتباينة في البلاد العربية والرجوع إلى الشريعة باعتبارها إحدى خصائص ومقومات الأمة العربية وأهم عناصر تراثها الثقافى .

٤ - الدكتور محمد الشعراوى

وفي مؤتمر وزراء العدل العربى في صنعاء اتخذت توصية بتوحيد التشريعات العربية على أساس أحكام الشريعة وأن جيلا في أكثر من ٩٠ في المائة من الأقطار العربية لم يشهد مثالا لتطبيق الحدود وقال الدكتور محمد الشعراوى مقرر المؤتمر :

أن نقطة الالتقاء الوحيد والمصدر الأساسى للتوحيد هى الشريعة الإسلامية فإذا لم نستعمل الشريعة الإسلامية لن نستطيع توحيد أى تشريع لأن البلاد العربية أغلبها إسلامية وكل بلد عربى يجد فى صميم قلبه أن الشريعة الإسلامية شريعة متكاملة وبهذا الخصوص يمكن أن نجد نقطة الالتقاء الأساسية فيما ورد فيه نص فى الكتاب والسنة، هذا لا إشكال ولا جدال فيه وفيما عداه يمكن استعمال الاجتهاد والتنقل بين مذهب وآخر لآخذ قاعدة قانونية تستجيب لواقع المجتمعات العربية، وتطلعاتها بحكم التغيرات والتحولات والتيارات التى طرأت على العالم العربى .

المشكلة أننا نأخذ تشريعاتنا من جهات أخذت من التشريع الإسلامى أى أننا نرجع للواسطة بدلا من الأصل ، وفى الشريعة الإسلامية نظريات لم يكشف عنها فى بحوث الدفاع الاجتماعى المعاصر إلا منذ سنوات .

إن المشكلة بالنسبة لنا نحن كأمة إسلامية أننا نأخذ من جهة أخذت من ينابيع التشريع الإسلامى ، وهكذا فعوضا عن الرجوع إلى الأصل رجعنا إلى الواسطة وتركنا الأصل وهذا ما نحاول الآن اجتنابه .

إضافة إلى ذلك أن الشريعة الإسلامية من الثراء والغنى ما يمكننا من التأكيد على أنها إلى الآن تشتمل على نظريات متطورة لم يكشف عنها، أن الحدود الإسلامية هى حدود وقائية ، وأن عقوبات جرائم الحدود هى تهديد وتخويف وأن المواطن حينما يسمع أنه إذا سرق ستقطع يده وإذا شرب سيجلد سيعراجع وبذلك تكون الوسيلة قما نفسيا يجعل الشخص يردع تلقائيا ويتراجع عن ارتكاب الخطأ وهو الشيء الذى لم تستطع التشريعات المعاصرة أن تحققه ، وما أدخل من تغيرات وتعديلات وتصورات لم تستطع أن تعطى نتائج فاعله فى مجال الجريمة إذ الواقع ثبت أنها تزداد استفحالا وتطورا وتعميدا بل أن بعض المجتمعات الاوربية والأمريكية تعيش فى قلق مستمر، على أنه إذا ما رجعنا إلى منابعنا الأصلية والمستمدة أساساً من أحكام الشريعة يمكن أن نتصور قيام مجتمع نظيف وسلمى .

مؤتمر إسلامي جامع

ومن هذه المقررات التي أوردتها رجال القانون المعاصرون في الإيمان بضرورة تطبيق الشريعة الإسلامية بتطلع العالم الإسلامي في مطالع القرن الخامس عشر الهجري إلى أن تكون مصر هي الرائدة في تحقيق هذه الخطوة نحو الأصالة والرشد الفكري وذلك بعد أن عملت خلال السنوات الماضية على إعداد التشريعات الإسلامية التي شارك فيها هذا العدد الضخم من أساطين الشريعة الإسلامية والقانون مما تتطلع إليه مختلف الأنظار العربية التي لا ينكر دورها في هذا العمل فقد قامت في الأردن والكويت ودولة الإمارات أعمال هامة في هذا المجال ، ولا ننسى التجربة التي تجرى الآن في باكستان ونحن الآن نطالب بضم هذه الجهود كلها في مؤتمر إسلامي عام ليكون ذلك هو العمل الإيجابي في القرن الخامس عشر على طريق إقامة المجتمع الرباني الصحيح .

الباب الخامس

الأخطار التي تواجه العالم الإسلامي

- أولاً : أخطار ثلاثة : قانون بابلينون، منهج دتلوب ، الدارونية
- ثانياً : معركة المحافظة على الذات
- ثالثاً : محاذير مؤامرة التبعية الغربية
- رابعاً : نظريات مسمومة تحاول تغيير ذاتية الإسلام
- خامساً : الفكر الإسلامي بين المنهج الرباني والمنهج الفلسفي
- سادساً : بعد تهويد الفكر البشري
- سابعاً : يا قومنا إن ما عندكم هو الحق
- ثامناً : الأخطار التي تواجه الأمة الإسلامية
- تاسعاً : محاولة تحريك الفكر والمثاعر في دائرة التفاهات
- عاشرأ : المعلومة والفكرة والخبر
- حادي عشر : الماسونية تكشف وجهها
- ثاني عشر : إعادة صياغة المجتمع الإسلامي
- ثالث عشر : دعوة إلى الأصالة التربوية والفقهية
- رابع عشر : لا بد من عودة منهج التربية الإسلامية الأصل

اتفصل الأول

أخطار ثلاثة يجب أن يتحرر منها الفكر الإسلامى

قانون نابليون . منهج دنلوب . الداروبنية

ثلاثة أخطار واجهت اليقظة الإسلامية منذ وقعت الغزوة الاستعمارية التي قادها الغرب والتي فتحت الطريق بعد ذلك للقيادات الماركسية والصهيونية التي ماتزال آثارها قائمة حتى اليوم بالرغم من المراحل التي قطعها المسلمون في مقاومة الاستعمار السياسى والعسكرى والاقتصادى . تلك الأخطار هي :

(١) قانون نابليون . (٢) منهج دنلوب . (٣) نظرية الداروبنية .

أما (قانون نابليون) فقد فرض على المسلمين بديلا لشريعتهم الإسلامية التي عاشوا في إطارها منذ بزغ فجر الإسلام حتى حجتها النفوذ الاجنبى فأقام نظاما ربويا في مجال الاقتصاد وقوانين تفسح الطريق أمام تحلل الأسرة واضطرابها وشيوع الرزيلة فيها لأنها لا تحكم ضبط العلاقات بين الرجل والمرأة . فهي تبيح جرائم الزنا وهتك العرض وتضع لها إجراءات بعيدة الأثر في اضطراب المجتمع الإسلامى والاستهانة بالعرض والبكارة وفتح باب من الشر في مجال المرح والمرقص وعلب الليل .

وبذلك زالت الفوارق العميقة بين المرأة المسلمة العفيفة وبين بائعات الهوى . وغلبت مفاهيم الأزياء الوافدو القصص الجنسى ، بما أحدث شعورا نفسيا عميقا في المجتمع بأن مسائل العرض والشرف والحدود القائمة في علاقات الرجل والمرأة لا أهمية لها . . بل صارت من بعد موضع السخرية وغلبت مفاهيم تقول بالتجربة قبل الزواج وتقول بكسر قوامة الرجل بعد أن زارت مصر كائنات غريبات وكتاب يدعون إلى الوجودية وحرية العلاقة الجنسية ومن التغريبيين من دعا المرأة إلى أن تقاوم سلطان الرجل وتفرض نفوذها عليه وجاء القصص

والمسرحيات والمسلسلات لتفرض نوعاً من الحوار الهابط الذي لا يحترم رجولة الرجل ولا أئوثة المرأة ولا علاقات الرجل والمرأة أو علاقات الآباء والأبناء .

وقد بلغ هذا الاتجاه الخطير مداه نديجة (قانون نابليون) . أتى كان بعيد الأثر في إفساد المجتمع الإسلامى بعد توقف الحدود الإسلامية . مما فتح باب الربا والسرقة والاختلاس فتكونت ثروات من مصادر غير أصيلة واضطرب الميزان الذى أنزله الله تبارك وتعالى للتعامل بين الناس وغلب التطفيف وانتقاص عمل العاملين . والسخرية بالمتمسكين بالحق ، واضطرب مفهوم الأخلاق الإسلامى الذى كان يجب أن يسود المعاملات التجارية والاقتصادية والاجتماعية ونشأت نظرة إلى القيم والمقومات والأعراف مختلفة تماماً عن قيم الإسلام ونظرة إلى العلاقات الاجتماعية ، حيث تبدو جرائم الزنا والشذوذ الجنسى وهتك الأعراض هناك مسائل عادية بينما هى فى مجتمعنا الإسلامى أمور خطيرة وحيث لا يهتم الغريبيون بمسائل الجنس وشئون الغرض ، ولا يرون للحياة الاجتماعية السليمة تقديراً ، بل تشرب حياتهم عورات منها صديق العائلة وتبادل الزوجات وهى أعاصير فاسدة طالما أملت بمجتمعنا ونحن المسلمون ننظر إلى ذلك كله نظرة خطيرة ونقيم للعرض والشرف والغيرة مقاماً كبيراً . وقد فتحت هذه المحرمات فى مجال التقاضى باباً خطيراً من إلباس الباطل ثوب الحق وتدخل الوكلاء والمحامين وإفلات المجرم من العقوبة وضياع الحقوق على أصحابها . وقد إستفاد الاستعمار كثيراً من هذه المؤامرة فقد وجد فيها أوليائه الذين يخدمون غاياته منفذاً إلى الهروب من العقاب .

وفى خلال هذه المائة عام التى سيطر فيها (قانون نابليون) على البلاد الإسلامية وحجبت الحدود والشرعية والنظام الإسلامى الاقتصادى . اضطرب المجتمع خلالها اضطراباً شديداً ولن يستطيع المجتمع الإسلامى أن يسترد وجوده الحقيقى إلا إذا طبق منهج الإسلام الأصيل فى العلاقات الاجتماعية والمعاملات التجارية .

وكان منهج دنلوب فى التعليم وتربية الأجيال من أخطر المؤامرات التى فرضت على البلاد العربية والإسلامية (وفى كل بلد دنلوب على نفسه أسلوب تدمير

مقومات المجتمع) وقد عمد دنلوب في مجال التربية والتعليم وتكوين الاجيال من ذلك المخطط الذي طبقه في هدم روح الإسلام من المناهج والمخططات الخاصة بالتاريخ واللغة والثقافة والعقائد إلى عدة غايات :

أهمها تخريج أجيال في أعماق مشاعرها ، ذلك الإحساس العدائي للاديان جميعا . روح مادية مجردة من المشاعر الروحية . فإذا لم تكن هذه الاجيال منكسرة للعقيدة الدينية . فهي مزعزعة الإيمان على الأقل بالقيم الربانية ، وقد شهد كثير من الباحثين التربويين أنه صناع المواد في دراسة التاريخ والمطالعة قدموها بروح معادية للوجدان الديني وبطريقة يتخرج منها التليذ والطالب وهو يعادى روح الدين وينفر من كل ما يذكره به ، وكان هدف دنلوب تحطيم قوة العقيدة في نفس الاجيال حتى لا تتماسك في وجه الاحتلال الاجنبي . وإزاء مغرباته .. وبذلك فتحت صفحة سوداء شديدة السواد ، وتخرجت أجيال كثيرة وفي أعماق مشاعرها الإعجاب بالغرب وبالمستعمر ورغبة في تقليده وكرهية للفكرة الإسلامية واحتقار لتاريخها ولغتها وعقيدتها . جريا وراء سراب خادع ، وبذلك كان لهذه الاجيال أثرها البعيد في التبعية والمواالاتة للنفوذ الاجنبي وتأخير النهضة واستبقاء هذا النفوذ ، بل أنه فتح الباب واسما أمام تلك التيارات التي المت بالمسلمين من بعد . فلولاً هذا الاتجاه ما فتحت الابواب أمام الماركسية وأمام سموم الفكر التلودي في مفاهيم فرويد وماركس ودوركايم وسارتر . وما ألم بالفكر الإسلامي من مذاهب الوجودية والماركسية والتفسير المادي للتاريخ والمدرسة الاجتماعية وما يتصل بالفلسفة المادية : والوثنية ، والاباحية التي تفشت في الأدب والفكر والثقافة وما طرحت من مفاهيم خطيرة في مجال الاجتماع وعلوم النفس والأخلاق والتربية .

وإذا كان دنلوب قد مضى فإن آثاره ما زالت قائمة وهي التبعية والولاء للأجنبي ، فإذا كان العرب والمسلمون إنصرفوا عن الإعجاب بفرنسا وبريطانيا فإنهم أصبحوا ينجبون بشعوب أخرى وبفكر آخر وافد ، ويؤمنون بالخصارة الغربية وهي تمر بأسوأ مراحلها واشد حلقاتها اضطراباً وقد علت صيحة أزمة (الإنسان الحديث) واضطراب المذهبين الرأسمالي والاشتراكي والدعوة اليائسة

إلى منهج إقتصادي عالمي جديد .

هذا الشعور بالانتقاص أمام النفس وأعلاء الغريب والأجنبي إنما كان بعض آثار دنلوب ، حيث يدعو الإسلام المسلمين إلى الخروج من هذه الدائرة المغلقة ، إلى دائرة انتحرر من تبعية الغير أو عبادة الغير ، وأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، فقد انتهى عهد العبودية للدولة أو للقيصر الإله ، وانتهى عهد العبودية للوثنية في أى صورة كانت ، وقد حرر الإسلام أهله وأتباعه من العبودية لغير الله ، ومن الاعتزاز بغير الله ، ومن الخضوع لغير الله ، والإيمان بسيادة الإنسان المسلم الذى يملك أصنى عقيدة وأتقى مذهب ، وأكرم منهج ، فى ضوء التوحيد الخالص القائم على العدل والرحمة والأخاء الإنسانى والذى يقيم المجتمع الإسلامى الربانى والحضارى الإسلامى التى تجعل خيرها للإنسانية كلها لا تقصرها على جنس أو أمة أو عرق أو لغة فهو دين البشرية جاء للعاملين جميعا حتى تقوم الساعة .

وما يزال خطر المنهج العلمانى فى التعليم بعيد الأثر فى تأخير النهضة ، وما يزال يقف عقبة فى وجه الصحوة الإسلامية ، ولقد علت الأصوات الواعية منذ وقت بعيد إلى ضرورة إعادة النظر فى مناهج التعليم وإقامتها على منهج الإسلام ، ليس بوضع مادة للدين فحسب فهذه مسألة لا تحقق شيئا إلا إذا كان مفهوم الإسلام هو القاسم المشترك الأعظم على جميع مناهج التعليم حتى علوم الكيمياء والطب والفلك والتكنولوجيا ، وذلك لتحرير هذه العلوم من مفاهيم النفوذ الأجنبي التى ما تزال تفرض أن يكون تعليم العلوم باللغات الأجنبية ولا ريب أن قيام الحضارة الإسلامية الجديدة يتطلب أن تتحرك العلوم كلها فى إطار مفهوم الإسلام الذى لا يقصر معطياتها على الشعوب البيضاء ويحول بين الشعوب الملونة وبين استمرار العلوم والتكنولوجيا لتظل مراكز للاستهلاك ومصادر للخامات دون أن تمتلك إرادتها فى تصنيع ثمرات أرضها وثرواتها وخاماتها ، ولتظل تجرى فى فلك الرأسمالية العالمية ، مع تجاهل عناصر جديدة تدخل أفق العالم الإسلامى فى هذا العصر ، وهو إملاكة للثروة والطاقة والتفوق البشرى مقدمة لصناعة حضارة التوحيد مجددة بعد أن توقفت فترة عن العطاء ، وقد بدت حاجة المجتمع البشرى إلى الإسلام وعقيدته ومفاهيمه ونظامه الاجتماعى والاقتصادى على النحو الذى

كشفت عنه الباحثون المنصفون على مدى تاريخ يمتد أكثر من قرن من الزمن ،
على أيدي درابر وجوستاف لوبون وكارليل والدكتور هونسكه وبوكاي
وأخيراً جارودي .

وتمأت نظرية الداروينية لترسم أخطر تحد واجه الفكر الإسلامي في العصر
الحديث ، هذه النظرية التي تخالف بل وتعارض نظرية الخلق كما جاء بها القرآن
الكريم ، وهي نظرية ما كان يمكن أن يكون لها أى وزن لولا أن هناك قوى
خطيرة احتضنتها ووسعت دائرتها وحاولت استغلالها في مجال النفوذ الأجنبي
للمفروض على المسلمين . . وفي كل مرحلة من مراحل البحث العلمى تظهر حقائق
تطمس هذه النظرية وتكشف فسادها عن طريق البحث العلمى نفسه وعن طريق
الحفريات التي أكدت ما جاء به القرآن من استقلال خلق الإنسان ، واستقلال
خلق الأنواع .

ولكن هذه القوى التغريبية ما زالت تعمل في قوة لتجديد المغالطات والأكاذيب
لتستمر هذه النظرية في خداع أكبر عدد من الناس ، [حيث تقوم على أساسها
فلسفات مادية خطيرة منها النظرية الماركسية ذاتها . ومن حيث أنها تقدم مفهوما
زائفا للإنسان حيث تصوره بأنه حيوان ، ومن حيث تركيز مفاهيم الاستعمار
التي تقرر أن البقاء للأقوى والهلاك للأمم الضعيفة ، نعم ، أن هناك استهانة من
قوى الباطل في مقاومة الحقيقة التي ظهرت وسوف تظهر يوما بعد يوم حتى تكشف
كل صور الضلال . والمعروف أن دارون قدم نظريته على أنها فرض من المفروض ،
وأعلن أن هناك حلقة مفقودة لم يصل إليها ولم يستطع العلماء الوصول إليها بعد
مائة عام ، وإنما الذي وجده العلماء في الأحافير هو إنسان كامل بقامته التكاملة
منذ ملايين السنين لا صلة له بالقرود ولا بأى سلالة من السلالات .

ولعل الاكتشاف العلمى الذى هدم نظرية دارون من أساسها هو اكتشاف
اختلاف (وحدات الوراثة) التي أثبتت استحالة وتطور الكائن الحى وتحوله
من نوع إلى آخر ، فقد تبين أن هناك عوامل وراثية كامنة في خلية كل نوع
تحتفظ له بخصائص نوعه وتحم أن يظل في دائرة النوع الذى نشأ فيه ولا يخرج

قط من نوعه ولا يتطور إلى نوع جديد . وهذا الاكتشاف العلمي هو الذي أعدم نظرية دارون وأقبرها وقضى عليها وهو ما أشار إليه الفيلسوف برتراند رسل في كتابه النظرية العلمية حين قال : لقد أخطأ دارون في قوانين الوراثة حتى غيرتها قوانين مندل تغييراً كلياً ، لقد تأكد لنا بالدليل العلمي القاطع فساد وزيف هذه النظرية .

وقد تبين أيضاً كما يقول الأستاذ فيصل تيلاني — أنه لم يقبل نظرية دارون إلا العلماء الملاحدة الذين لا يؤمنون بالخالق جل وعلا هذا فضلاً عما أعلنه علماء في هذه المادة في مقدمتهم (والاس) أعلنوا أنه من المستحيل أن يكون الإنسان قد تم تكوينه على طريقة التطور والارتقاء حيث أن الارتقاء بالانتخاب الطبيعي لا يصدق على الإنسان .

ومنذ طرح شبلي شميل مفاهيم (الفيلسوف المادى بجنر) في أفق الفكر الإسلامى ، عن طريق مجلة المقتطف وتوالى كتابات إسماعيل مظهر وسلامة موسى عن التطور والامر واضح ، فإن الهدف هو إعلاء شأن الفلسفة المادية وفتح الطريق أمام الماركسية والوجودية والفرويدية وغيرها من مفاهيم ، وقد تصدى علماء الإسلام للنظرية وكشفوا زيفها جملة وتفصيلاً مستلهمين روح القرآن وفي مقدمة هؤلاء جمال الدين الأفغانى ، ومن بعده فريد وجدى والمودودى وغيرهم ، ولكن القضية التى ما تزال فى حاجة إلى نظر هى تناقض النظرية فى مجال التعليم من حيث ما تزال نظرية دارون تدرس على أنها حقيقة علمية بينما هى فى نظر العلماء الذين تبعوا دارون يرون أنها فرض ثبت عدم صحته ، وفضلاً عن أن علماء الأحافير كشفوا عن جماجم وأجساد الإنسان ما يكشف شمس هذه النظرية نهائياً وفضلاً عن ذلك فإن القرآن الكريم واضح فى آياته فى تكريم الإنسان واستقلال خلقه ، وبطلان هذه النظرية ، ومن ثم فقد وجب أن تعامل على هذا الأساس وأن ينتهى دورها المسموم على مدى هذا الزمن الطويل فى إفساد العقائد وبلبلة الخواطر .

وبعد فهذه الأخطار الثلاثة التى نشأت فى مرحلة التبعية الغربية يجب أن يتحرر منها الفكر الإسلامى اليوم حتى يشرق فجر جديد من الأصالة والرشد الفكرى .

الفصل الثاني

معركة المحافظة على الذات

أن معركة المسلمين اليوم هي معركة تأكيد الذات، أو المحافظة على الذات، أو حماية الذات : الذات الإسلامية التي كونها القرآن الكريم خلال أربعة عشر قرناً من الانهيار، من التدهور، من الجود، من المداخلة، من الانصهار في الفكر البشري العالمي. أن المحافظة على الذات الإسلامية فريضة من فرائض العقيدة والأمة في نفس الوقت، وذلك بعد أن تبين أن الهدف الحقيقي وراء المؤامرة التي تقودها القوى العالمية هي تذيب المسلمين في الكيان الأممي والعالمي عن طريق ثلاث عبارات خدعت الكثيرين وأصبحت تجري على ألسنتهم في سهولة ويسر دون أن يدري أحدهم مدى الأبعاد الخطيرة التي ترمي إليها وهي كلمات الانفتاح الثقافي، التطعيم الثقافي، إثراء الفكر.

وكل كلمة من هذه الكلمات في حاجة إلى توضيح لأخطارها وأعماقها يغيب عن الغافلين المخدوعين وهي في مجموعها تعني التبعية وما لفكرنا الإسلامي الغنى الخصب حاجة إلى أضاليل الفكر البشري الوثنى المادى وإنما حاجتنا إلى شيء واحد هو العلوم والتكنولوجيا التي يجب أن تنقل إلى إطار فكرنا ومقومات لغتنا لتعمل وفق مفهوم الحضارة الإسلامية القائمة على التوجيه والعدل والرحمة والآخاء البشري أما وثنيات الأمم وأساطير الشعوب وأسلوب العيش الغربي الذي صنع التحلل والاباحية والتزق والغربة والقلق فإننا نرفضه لأن طبيعته فكرنا الجامع للروح والمادة والعقل والقلب والدنيا والآخرة بسعته وعالميته وإنسانيته وربانيته لا يمكن أن يحتويه الفكر الانشطاري القائم على المادة.

لقد مر المسلمون بمرحلتين من مراحل الصراع مع القوى الغربية الحريضة على إلتهايم العالم الإسلامي : مرحلة الاحتلال العسكري والسياسي : ومرحلة الغزو

الفكرى البيرالى الماركسى الصهيونى ، وقد استطاع [علم الإسلام] أن يقف من هاتين المرحلتين موقف الصمود ، غير أن المرحلة الثالثة الجديدة المبسطة الآن من وراء كل مؤامرات الفكر والثقافة والتعليم وما يسمونه التبادل الثقافى والمنح الدراسية فإنما تستهدف إزالة الهوية الإسلامية العربية كاملة وصهر هذه الأجيال الجديدة فى بوتقة الفكر الأسمى تحت اسم الحضارة العالمية والثقافة العالمية . دون أن يتبين هذا الشباب الغض الذى تنقسه خلفية إسلامية واعية ، فاقه لرسالة الإسلام ، عارفة لمدى التحدى الخطير الذى يواجه الأمة الإسلامية باعتبارها المالكة اليوم للثروة والطاقة والتفوق البشرى ، والممعدة بتقدير الله لورثة الحضارات والمدنيات المهزومة المحطمة ، وإذا كان الشباب المسلم لا يتبين مدى هذا التحدى ، فإنه يسقط سريعا فى شباك الغرب ، الذى يهدف إلى القضاء على هذا النور الذى يحمله أهل الإسلام ، وتزييف فطرة النفس المؤمنة بالله المؤمنة بأنها على الحق ، هذه النفس التى تحمل رسالة الرحمة والعدل والتوحيد إلى العالمين والى تتطلع إليها البشرية اليوم .

أن على العالم الإسلامى أن يقبل على بناء نفسه بناءاً مستأنفاً مستمداً من مفهوم الإسلام الأصيل الجامع ، متحرراً من التبعية للفكر الغربى والحضارة الغربية ومفاهيمها الاجتماعية ومذاهبها ونظمها وتشريعاتها الاقتصادية والسياسية والتربوية وعلى الفكر الإسلامى إرساء نهضة جديدة ومفهوم عالمى جديد يختلف عن مفهوم السكتلتين ، ذلك هو مفهوم الإسلام : الذى يقدم للبشرية منهاجاً جامعاً يختلف عن منهج الرأسمالية والماركسية على السواء .

وعلى المسلمين قبل أن يقدموا هذا المنهج إلى العالمين أن يطبقوه على أنفسهم وأن يقيموا المجتمع الربانى الذى تظهر فيه عظمة هذه التجربة السكريمة .

وليس أدل على عظمة الشريعة الإسلامية من أن المفكرين الغربيين المنصفين دعوا المسلمين منذ أكثر من قرن من الزمان إلى تطبيق تشريعهم والتحرر من القانون الوضعى ، كذلك فقد دعا علماء الاقتصاد الغربيين المنصفين المسلمين إلى إتباع منهجهم الاقتصادى الإسلامى الأصيل وفى مقدمة هؤلاء جاك أوسترى فى

كتاباه (الإسلام أمام التطور الاقتصادي) حيث قال : ليس هناك في الحقيقة طريقة وحيدة وضرورية لا بد منها للتطور الاقتصادي ، كما تريد أن تقنعنا به المذاهب القصيرة النظر في النظامين الاقتصاديين السائدين ، وقد ألمح إلى ميزة المذهب الإسلامي الذي هو منهج الإسلام الاقتصادي وقال : أنه ليس فردياً ولا جماعياً ولكنه يجمع بين الحسينين ، وقد دعا المسلمين إلى العودة إلى الإسلام نفسه وإلى دراسة قواه الكامنة فيه لفتح الطريق نحوه عوضاً عن التقليد الأعمى ، وجاهر (أوستري) بأن الإسلام يتمتع بإمكانات هائلة وأنه إذا ما وجد الطريق الصحيح فإن كثيراً من الصعوبات الاقتصادية التي ظهرت للاقتصاديين وتعدرت التغلب عليها حتى الآن فسوف يحلها الإسلام .

كذلك فإن المسلمين مدعوون في مواجهة أخطار الإذابة والانصهار في البوتقة الأليمية العالمية إلى الوحدة : وحدة الفكر التي هي دعامة الوحدة الإسلامية الجامعة ، والالتفاف حول مفهوم الإسلام الجامع ، مرتفعين فوق خلافات المذاهب والنحل والفرق ، على أساس الرابطة الأساسية القائمة على التوحيد والرسول والقرآن وذلك حتى لا تفتح الشجرة أمام النفوذ الأجنبي لإشغال الفرقة بين المذاهب المختلفة .

لقد إنهزمت دعاوى الأفنيات والقوميات وثبت فشلها وبطلانها فلم يعد أمام المسلمين إلا الوحدة ، ولقد هزمت تطبيقات الليبرالية والماركسية في أجزاء كثيرة من العالم الإسلامي فلم يعد أمام المسلمين إلا منهجهم الأصيل : منهج القرآن وشرعية الإسلام .

أن منطلق النهضة في مطلع القرن الخامس عشر هي التربية الإسلامية ، هي بناء الأجيال على قاعدة الإيمان والأخلاق الإسلامية ، علينا أن نعيد النظر في مناهج التعليم الوافدة التي كانت مصدراً لهزيمتنا ونسكبتنا ، حين ظننا أن أسلوب الغرب في التعليم يستطيع أن يعطينا شباباً قادراً على حمل أمانة الحضارة وبناء الأمة ، ثم تبين لنا كيف واجهتنا الأخطار وفشلنا في تحقيق إمتلاك الإرادة ، أن التربية الإسلامية على مفهوم الجهاد الذي هو فريضة ماضية إلى يوم القيامة هو

الفصل الثالث

محاذير مؤامرة التبعية الغربية

لقد كان واضحاً من مراجعة تطور الفكر الإسلامى أن « مؤامرة التبعية » كانت أخطر المحاولات التى وجهت إلى الفكر الإسلامى بهدف تغيير ذاتية الإسلام ذاته وبذلك يصبح الطريق مفتوحاً أمام إحتواء الإسلام وصهر المسلمين بوتقة الأمية والعالمية وما تزال هذه المؤامرة قائمة ومتجددة ، وهى من الأهداف الكبرى للنفوذ الغربى والصهيونى والماركسى جميعاً بهدف إخضاع المسلم والقضاء على عزته وسمووده وإيمانه وتماسكه إزاء رياح الغزو الطامعه فى السيطرة على أرض الإسلام ومقدراته وثرواته ومن قبل تطوع كثير من العتاة الجبابرة من أساطين الاستعمار بالدعوة إلى محاربة المسلمين عن طريق السكامة وتفريع دينهم من مفهوم الجهاد وضرب وحدتهم بالخلافات القومية والإقليمية وطرح فلسفات للباطنية والمجوسية عليهم من جديد فى أساليب عصرية ومن هنا فقد كان المسلمون فى حرص دائم على « الذاتية » الإسلامية التى تميزوا بها وكانوا فى حذر دائم أن ينصهروا فى مفاهيم الأمم وقد حاول كرومر هذا الأمر حين دعا إلى « الإصلاح » وقال أن إسلاماً جرت عليه محاولات الإصلاح لا يعود بعد ذلك إسلاماً ، فإن دعوة الإصلاح إنما ترى أساساً إلى التشكيك فى الأصول الأساسية ولما كانت أصول الإسلام ربانية فإنها لا تخضع لمفهوم الإصلاح الغربى الذى عرفته الكنيسة ، ولا لمفهوم التطور الذى عرفه الغرب فإن قوانين الإسلام فى العقيدة والشريعة والأخلاق لا تدخل فى نطاق الإصلاح أو التطور ، وإنما يمكن ذلك فى مجال الفروع وفى المتغيرات .

لقد رفض الإسلام التطور على حساب الأصالة والقيم الأساسية كما رفض تضحية القيم العليا فى سبيل التقدم المادى ، ولم يخضع مفاهيمه للحضارات وأهواء الأمم ، فليس فى المناهج والدعوات والأيدولوجيات المطروحة من شىء إلا وعند

المسلمين مثله أر خير منه وهو هناك مقطوع الصلة بالله تبارك وتعالى ، ولكنه في الإسلام متصل .

كذلك فإن في مفهوم الإسلام أن العقيدة والشريعة والأخلاق ليست في حاجة إلى تجديد لأنها ثابتة ذات أطر واسعة مرنة أبدعت بحيث تصلح لكل زمان ومكان ولكن الذي يحتاج إلى (التجديد أو الإصلاح أو التطور) على أى عبارة منها يريدون ، هى طرق التطبيق ووسائل التنفيذ وسبل التعلم والفهم فهذه هى التى يحتاج إلى الانتفاع بتجارب الآخرين والإسلام صالح لكل زمان ومكان لأنه مجموعة صالحة من المعاملات ومكارم الأخلاق . وإذا كان الصينيون كما يقول دكتور جلال أحمد أمين : لم يسمحوا لأى مذهب غريب عليهم بأن يثير لديهم الشك في تفوق نظرتهم الخاصة إلى الأمور وهم يجتمعون على وثنيات وأساطير — فإننا لا نشك لحظة واحدة في سلامة نظرتنا الخاصة وكل عمل فكرى يحاول تشكيكنا في ذلك تتعين مقاومته وكل محاولة للتخريبية في خصائص أدبنا أو همايرنا الأخلاقية أو لانتقاص مبادئنا الدينية الراسخة أو إثارة الشك حول ملائمتها للعصر ، ليست إلا مساهمة في قتل نفسية هذه الأمة مهما كان حسن نية أصحابها .

ويتابع الدكتور جلال قوله : أن من يتأمل التاريخ الاقتصادى للدول إلى تفوق علينا إقتصادياً وبنت حضارة صناعية متقدمة لن يصادف مثالا واحداً لم تقترن فيه النهضة الإقتصادية وبالذات فيما يسمى مرحلة « الانطلاق » بشعور قومى عارم وبالاعتقاد في التفوق على الغير ، أو على الأقل برغبة قوية في إثبات الذات وبأنها ليست أقل قدراً من الأمم الأخرى ، فإذا كان هذا هو حقاً مفتاح النهضة التى تفتح كل الأبواب المغلقة ، فإنه لا يكون هناك مفر لأى أمة ترغب في تحقيق نهضتها من اكتشاف المفتاح الخاص بها (وهو لا يمكن إلا أن يكون مفتاحاً خاصاً) ومن الغريب ألا نرى أن هذه الطاقة النفسية الكامنة لدى العرب والمسلمين لا يمكن تفجيرها إلا عن طريق « الدين » نعم : لقد علينا الإسلام أن نقف من المعرفة المعروضة علينا موقف التعرف الصحيح عليها في ضوء قيمنا ونورنا الهادى ، وما للموقف من العلوم وما للموقف من الثقافات والفلسفات ،

والموقف من النقل والاقتراس ، كيف يمكن ضمان أن لا تصح هذه الاطروحات وسيلة للسيطرة علينا من الأمم ، وماذا عن فكرة تقليد الغرب وأنماط الغرب : العرف والاستهلاك والتحرر من القيم .

ولا ريب أن للإسلام مقاييسه الخاصة ومعاييره الذاتية ، فهو ليس صالحاً لأنه موافق للديمقراطية أو للاشتراكية أو للرأسمالية . أو لأنه فيه حرية فردية ، أو لأن فيه مصلحة الجماعة أو لأمور غير ذلك من المفاهيم المنبثقة من مذاهب أخرى ، أن للإسلام مقاييسه في الخير والشر والحق والباطل ، لقد وصف الإسلام يوماً بأنه ديمقراطياً أو اشتراكياً وما كان الإسلام هكذا ، ولن يكون فالإسلام دين منزل رباني لا يمكن مقارنته أو إخضاعه للمقارنة مع الفكر البشري الذي قدمته عقول البشر في عصر من العصور أو بيئة من البيئات ، فلا يلبث بعد قليل أن يصيبه الاضطراب نتيجة متغيرات العصر والبيئة ، أما الإسلام فإنه ذلك الضوء الكاشف الذي يتم بالخلود والبقاء والقدرة على تقبل متغيرات العصور والبيئات دون أن يصيبه اضطراب ولا وهن ، وسيظل كذلك إلى أن يرث الله تبارك وتعالى الأرض ومن عليها .

ولا ريب أن مؤامرة التبعية ، من أخطر محاولات أعداء الإسلام فرضت على المسلمين عن طريق تقديم أسلوب العيش الغربي بزيقه ولمعانة دون تقدير لسمومه المدسوسة في مضامينه ، ودون تقدير لفساد الحضارة الغربية في هذه المرحلة فساداً شديداً في مجال الأسرة والمجتمع والمرأة والشباب ، بغلبة روح اللهو والاباحية والخمر والجنس ، وفي هذا يقول الدكتور عمر فروح : « أن الأمم لا تنقرض (أى لا يحتنق أفرادها ولا يرالون عن وجه الأرض) ولكن الأمم تتعرض إذا فقدت حضارتها وذابت في غيرها ثم أن الأمم تتعرض بمعنى آخر حينما تنحط في سلم الحياة وتمتخل عن خصائصها ، وتفقد حضارتها الروحية فتصبح كتلا بشرية لا حظ لها في الحياة الإنسانية إلا أنها تقلد للبشر الذين هم أقوى منها وكلها إنحط البشر في سلم الحضارة أصبحوا أقدر على التقليد حتى يضعفوا طعفاً شديداً ويصبحوا غير قادرين إلا على تقليد الآخرين . ونحن لا تقلد الغرب في الأعمال النافعة ولكن في الأعمال النافهة . لقد كان العرب قادة موكب

الحضارة يوم كانوا يأخذون بأسباب الحضارة ويعطون الأمم الأخرى من أسباب الحضارة ، أما اليوم فإنهم يأخذون ولا يعطون ثم أنهم لا يعرفون كيف يأخذون ولا كيف يعطون . أنهم يأخذون التافه من عند الغرب بالثمن الباهظ بعد أن يبيعوا ما عندهم بالثمن البخس نعم ، أن « التقليد » هو ثمرة « التبعية » فنحن الآن نفكر بمفاهيم وافدة في كل مجالات الحياة ، وخاصة في مجال الاقتصاد ، ونخضع لمفاهيم الاجتماع الغربية ، عن طريق غزو منظم في الصحانة والثقافة وفق مخطط يرمي إلى التشكيك في كل القيم والمبادئ السامية والتقليل من شأن الأخلاق وتصوير الدين كماتق في عملية التطور والتهضة مما أصاب المجتمع الإسلامي بضرب من التفسك الأخلاقي والعقائدي والفكر الإسلامي الأصلي لا يفصل بين الدين والمجتمع ، ولا بين الاقتصاد وما عداه من نواحي الحياة الأخرى ، ويرى الالتزام الأخلاقي طابعا أساسياً .

وما تزال قضية المرأة هي كبرى القضايا التي تركز عليها محاولات تغريب الأمة الإسلامية ، في شأن تضييع الأسرة المسلمة والأطفال وهناء البيت من أجل إغراء المرأة على العمل ، الذي لم يحقق حتى الآن شيئاً ذا بال ، أن التجربة معروضة اليوم أمام المفكرين للنظر فيها على نحو منصف . هل يستحق تضييع أجيال الشباب والعقبان جيلاً بعد جيل من أجل استمرار المرأة في هذه الغواية المضلة : غواية العمل من أجل قروش قليلة تدعى أنها تساعد بها الرجل في مصروف البيت وأين هو الرجل ذي الكرامة الذي يقبل أن تقدم له زوجته مالا يعينه على أداء مسؤوليته ، أن أغلب هذا المال ينفق في زينة المرأة ومصاريف إنتقالاتها وفي تهاورات الترف المنزلي التي لا تقدم ولا تؤخر ، نريد أن نربي في الرجل المسلم تلك الغيرة على المرأة وتلك الكرامة التي تأتي أن يطعم الرجل من مال تقدمه زوجته بعد أن يمر بعشرات المراحل من الذل والخديعة والغرور والنفاق والإغراء خلال حياتها العملية التي يكفي أن تراحم في تلك المواصلات المضطربة ، وأن تترك أبنائها في الصباح دون أن تعني بهم أو تقدم لهم بسملة الصباح مع كوب اللبن ، وتتركهم للتخادعات التي لا يرحمن ولا يعرفون العاطفة واللائي لا تستطيع عاطفتهم أن تعطى هؤلاء الأبناء شيئاً فتنشأ قلوبهم قاسية ، لأن راحة الأمهات لم تحترقوا وتعيش حياة مضطربة فيها كثير من الحقد والخوف والانتقام .

الفصل الرابع

نظريات مسمومة

تحاول تغيير ذاتية الإسلام وأصالته فلنحذرهما

مجموعة من النظريات الوافدة يحاول دعاة التغريب إذاعتها والتركيب عليها بين آن وآن في محاولة لجعلها من المسلمات وقد أعانهم على ذلك أنهم يملكون أعمدة يومية في الصحف السيارة التي توزع مئات الألوف ويمسكون أسماء براقعة يتخدع لها الشباب وهم يمرضون هذه المفاهيم الوافدة التي تعارض مفهوم الإسلام الأصيل بهدف إحتواء الأجيال الجديدة للفكرة الغربية التي تقوم على المادية والإباحية والتحلل من المسؤولية الفردية والالتزام الأخلاقي والغاية هي تحطيم «الحدود» والضوابط التي يقوم عليها بناء المجتمع الإسلامي .

الفكرة الأولى : فكرة مسئولية الآباء والأمهات في تشكيل أبنائهم وبناتهم وهي دعوة إلى قطع العلاقة بين جيل الآباء والجيل الجديد ومحاولة خلق روح من الكراهية بينهما ووضع الحواجز ، وتصوير وجهة نظر الآباء في الأمور هي بمثابة وصاية أو قسر أو محاولة للتسلط أو فرض الإرادة وقد أثار هذه الدعوة المسمومة دعاة المادية وتخريب الأسرة وهدم العلاقة بين الأجيال الذين أثاروا روح المتمردين من الشباب على مقدرات الأسرة بهدف هدم هذه الرابطة وفي مقدمة هؤلاء فريد وديوى وغيرهم وهم يدعون الشباب والفتيات إلى التحرر من سلطان الآباء لينطلقوا بدون تجربة وبذلك يفقدون خبرة الأجيال ويتخبطون في طريق الحياة وليس يمكن أن تنمو هذه المؤامرة إلا في بيئات فاسدة من ناحية الأبوة والأخوة ، أما البيئات السوية الصالحة فإن الأبناء ينشئون في رعاية آبائهم الذين يكسبون فقتهم بحسن توجيههم وتنشئتهم ، وهم بذلك لا ينقطعون عن التطور الطبيعي ، وليست العلاقة بين الآباء والأبناء في الحقيقة هي وصاية جائرة ولكنها

خبرة معروضة بالحنان والسباحة لإلقاء الاضواء أمام الاجيال الجديدة في أمور العمل والزواج والتعليم والأزياء ، ثم يتشكل الرأي النهائي بالحوار والاتفاق .

وإذا غلب المفهوم الإسلامى على العلاقة بين الآباء والأبناء وقد تكون منذ اليوم الأول في ضوء قراءة القرآن والحديث والتعرف إلى مفاهيم الإسلام وعبادة الله وطاعته فإن الأمور بين الآباء والأبناء لا يمكن أن تتعقد أو تضطرب ، وإنما يقع الاضطراب في تلك البيئات التي يكون فيها الآباء غير مقدرين لمسؤوليتهم الإسلامية في توجيه أبنائهم ورعايتهم وموالاتهم بالحب والحنان على النحو الذى يجعل قلوب الأبناء تتجنى إلى إستشارة الآباء والتطلع إلى وجهة نظرهم بعد أن تتشكل تلك الثقة الأكيدة ، أما حيث ينشغل الآباء عن أبنائهم وعن بيوتهم بأمور خارجية ، فإن من شأن كل ذلك أن يخلخل وحشة من شأنها أن تدفع الأبناء إلى التطلع للاستشارة في الأمور بعض زملائهم المنحرفين أو الفاسدين ، وعلى الآباء في سبيل متابعة الاجيال حماية الأبناء من أصدقاء السوء ومن الكتب المنحرفة ومن الأفلام والمسرحيات التي تحمل الآباحية أو الجريمة فإن ذلك كله من شأنه أن يحمى مسيرة الأبناء وتتابع الاجيال .

وليس من شك أنه في ضوء الإسلام فإن الآباء يعرفون أن الاجيال الجديدة تواجه أمورها بصورة مختلفة عما واجه الآباء ذلك ، ولكن هذا التغير لا يقضى على القيم والأخلاق والضوابط الثابتة على مر الاجيال والتي رسمها الإسلام ، وإنما يكون التطور والتغير في الأمور الفرعية التي لا تتصل بالعقائد أو الحلال والحرام أو الربا أو الزنا أو السرقة .

وأنه من الضروري أن تقوم دعامة الاجيال الجديدة على أساس التمكين للمقيم المعنوية وللحفاظة على أخلاقيات الحياة ، وأن يتعرف الشباب الجديد إلى أن كل ما في المجتمعات الحاضرة ليس خيراً وليس حلالاً وأن هناك محاذير كثيرة يجب أن يحتمى منها ويجب أن يكون معروفاً أن مسألة تغير الزمان لا تفرض قبول الواقع المنهار أو الفاسد أو تبريره .

الفكرة الثانية : هي تلك المحاولة بالقول بأن شبابنا ليس إلا جزءاً من الشباب

العالمى . ولا شك أن هذه محاولة لتبرير إغترافات الشباب ودفاع عن هذا الإغتراف ، ذلك أن شبابنا يعيش فى المجتمع الإسلامى الذى يقوم على دعائم وقيم وضوابط من شأنها أن تفرق بينه وبين تلك التيارات الفاسدة والمتسومة التى تطوف بالمجتمع الغربى ذلك أن قضية الشباب الإغتراف فى الغرب له وجهة أخرى تختلف وهم يواجهون تحدياً ليس موجوداً فى مجتمعنا الإسلامى فلماذا نسأولهم بنا ولماذا نفتتح باب التقليد لهم ، هم حين يطلقون شعورهم ولا ينظفون ملابسهم ويتعاطون المخدرات إنما يكشفون عن فساد مجتمعهم المادى ، وأنهم يتصرفهم هذا إنما يعلنون الاحتجاج على أوضاعهم التى تنبعث من فلسفة مادية ترى الإنسان حيواناً وليس لها أى تطلعات روحية أو نفسية .

الفكرة الثالثة : هى ذلك الدفاع المتحمس عن المرأة فى أوضاعها المتردية وذلك التصاحج الدائم لدفعها إلى أن تفرق فى أحوال المجتمعات . أن هناك محاولة للتغريب بالمرأة المسلمة بالحديث عن حقوق لها غير مارسم لها الإسلام الذى أعطاها كل من الحقوق ما لم تستطع دول كبرى إلى اليوم وبعد ألف وأربعمائة عام من الوصول إليها ، هذه الحقوق تتعلق بأوضاع تفرض عليها من شأنها أن تثير الاضطراب فى علاقتها الأسرية والزوجية كالعمل والتحرر من أوضاع المجتمع ، وهذا التهريض الدائم المستمر الذى يردده المخادعون المضللون لهم من دعوتها إلى السكفاح من أجل تحقيق مطالبها .

ونحن نعرف أن الرجل هو الذى أنشأ هذه المؤامرة : مؤامرة تحرير المرأة وأن لهذه المؤامرة هدف خفى هو إسقاط نظام الأسرة وإفساد تربية الأجيال الجديدة وذلك بإخراج المرأة من مهمتها الأساسية ومسئوليتها الأصلية وهم يخدعونها حين يقولون أن عودتها إلى البيت هى عودة إلى الحريم ذلك لأن من أبرز أهداف روتوكولات صهيون فى تحطام الأسرة وتذليل المرأة لتكون أداة فى مجال الغايات الاباحية والفساد والانحلال .

والمرأة المسلمة اليوم تعرف ذلك وقد كشف عن عيناها غطاء هذه المؤامرة التى ما زالت مستمرة على أفلام بعض المشهورين .

الفكرة الرابعة : محاولة إعطاء بعض الشخصيات المضطربة والمهزوزة والمشكوك في جهادها ونضالها وبطولتها وأثارها ، شيئاً من التبرير والإعلاء في نفس القارىء الحديث الذى لم يعايش هذه الأسماء اللامعة أو يقرأ مفصلاً عن دورها الخطير من أمثال سعد زغلول ولطفى السيد وطه حسين وسلامه موسى ، فإن هؤلاء التغريبيون لا يتوقفون أبداً عن البث لإعادة الحياة إلى هذه الشخصيات أو إعادة الثقة لها في نظر قراءة الصحف اليومية وخاصة بعد أن تكشفت مخططات التغريب والنفوذ الاجنبى التى وضعت الأسماء سنوات ، طويلة موضع الصدارة ، وموضع البطولة ، في فترة كانت مفاهيم التغريب هى السائدة ، وكانت لا تلمع إلا الأسماء التى تعاون النفوذ الاجنبى ، أما غيرها فإنه لا يعطى هذه الفرصة بالشهرة أو الجائزة ، أو التكريم وكما لدينا من شخصيات ذات بطولة ومجد وفضل في تاريخ هذه الأمة السياسى والاجتماعى والتربوى ولكنها شخصيات مظلومة دائماً ومهضومة الحق في مختلف العصور لأنها لم تهادن النفوذ الاجنبى ولم تقبل بالعمل تحت لوائه وظلت حريصة على العزة الإسلامية والكرامة وقول كلمة الحق وبذلك بعدت عن الأبواق العالية التى تبرز أولياء النفوذ الاجنبى وحده وتضعهم في مكان الصدارة ولكن هذه الأسماء لم تلبث قليلاً حتى تكشفت وجهتها وعملها ومخططات النفوذ الاجنبى في إحتوائها وإذا ذكرت اليوم مرة أخرى لإعادة الثقة لئلا يبتسم العارفون سخرية من محاولة إحياء الموات .

الفكرة الخامسة : هى تلك المحاولات الباطلة التى ترمى إلى تفسير الإسلام ، تفسيراً خاطئاً والتي تثير الشبهات حول حقيقة الإسلام وخاصة مفهومه الاصيل بأنه منهج حياة ونظام مجتمع وذلك بإعادة كتابات مسمومة لعلى عبد الرازق او عبد الحميد متولى على النحو الذى يثرثر به : أمثال محمد عمارة ومحمد أحمد خلف الله والنويسى وزكى نجيب محمد في التشكيك في النظام الاجتماعى للإسلام أو القول بأن الأديان الثلاثة هى دين الله الواحد أو إلغاء مفهوم الجهاد الذى هو الفريضة الماضية إلى يوم القيامة ، أن فكرة فصل الدين عن الدولة وهذه المحاولات كلها هى من مخططات اليهود لتفريغ الإسلام من مضمونه الحقيقى الذى حما بنية الإسلام على مدى القرون هذا معنى قولهم ، حتى يعمد الإسلام سيفه ، فالمعروف أن دين

الله واحد في أصله ولكنه حرف بفعل الأخبار والرهبان وأن كتاب على عبد الرازق لم يكن إلا كتاب مرجليوث اليهودى مترجما إلى اللغة العربية .

وقد بدأت الدعوة إلى تغيير أصول الإسلام بالدعويين التى حمل لوائها عباس البهاء و غلام أحمد القاديانى متابعاً لفكر أحمد خان ، والباب والبهاء ، وهى محاولة لتغيير مفاهيم الإسلام بالدعوة إلى وحدة الأديان والقضاء على فريضة الجهاد وتعطيل الكفاح ضد المستعمر وتقريب الإسلام من المسيحية وتمتيع الإسلام وإعطائه طابع التسليم بالأمر الواقع (تولستوى وغاندى) وقد سار على هذا النهج كل دعاة التغريب ، وكانت محاولة على عبد الرازق جزء من هذه الخطوة .

وقد حملت صيحة التجديد : والتقدم والتحديث بمائة الشعوبية والاستشراق والتبشير في تغريب الإسلام وتمسيحه بينما حملت دعاوى الإصلاح والسلفية واليقظة مقاومة هذا التغريب والاحتفاظ بمفهومه الأصيل القائم على القرآن والسنة وإلى الاحتفاظ بالذاتية المسلمة من الانصهار فى بوتقة الأمية والعالمية .

الفصل الخامس

الفكر الإسلامى

بين المذهب الربانى والمذهب العلمى

من أخطر المناقذ التى دخل منها الاحتواء الغربى والخروج عن الذاتية والأصالة تقبل مطروحات الفلسفة الغربية والوافدة بغير مراجعة أو نقد أو تحليل من وجهة نظر إسلامية صحيحة قادرة على النظر الصحيح ، متسلحة بمفاهيم الإسلام الأصيلة وأخطر ما هنالك النظر إلى هذه المطروحات على أنها علم أو على أنها حقائق مسلم بها ، أو على أنها من المعرفة الإنسانية المقررة فإنها ليست كذلك وأنها فى حقيقتها لم تعدو أن تكون وجهات نظر بشرية وفروض قابلة للنظر فيها الصحيح وفيها الخطأ وهى تدرس فى إطار عصرها وببشئها والتحديات التى واجهت المفكرين الذين طرحوها ، وأن من أخطر عيوبنا فى تلقى الفكر الغربى الوافد أن نظن أنه من المسلمات أو من الحقائق العلمية .

ولا ريب أن دراسة مذاهب الفلسفة الغربية المعاصرة (والفكر الغربى كله بشقه) ضرورة ولكن يجب أن يمتد لها الدراسون بمعرفة عميقة ومكثفة لمفاهيم الإسلام نفسه الذى قدم للبشرية منهجاً ربانياً أصيلاً ، قادراً على العطاء على مختلف العصور والبيئات دون أن يصبى ما يصبى الفلسفات الوافدة من العطب أو التحلل أو الانهيار بنا بدفع أصحابه إلى الإضافة إليه أو الحذف منه أو تعديله ، ومقياس آخر هو مدى ما حققه هذه الفلسفات بمجتمعاتها ونحن نرى المجتمعات الغربية (ليبرالية وماركسية واشتراكية) بأن تحت وطأة الانهيار الخلقى والقهر والاستبداد والتمييز العنصرى أو التحلل الاجتماعى المتمثل فى حركات الرفض للمعاصرة بين الشباب (كالمثلية وغيرها) وجميعها ثمرة نقص هذه المذاهب وماديتها وانحرافها وابتعادها عن تكامل العطاء الإسلامى الجامع للجسد والروح ،

ومصدر إلهيها هو إبتعادها عن المصدر الحقيقي للحياة والكون والعلم هو الله تبارك وتعالى وإنشاء الدين عن واقع المجتمع أو محاربته علانية .

فإذا تعمق الشباب المسلم في دراسة مفاهيم الإسلام وقيمه الأساسية ومعطياته الربانية التي تهدي القلوب وتعصم النفوس وتطلق النفس بالرضا والإيمان والعزم أمكن مجابهة هذه المذاهب الفلسفية الوافدة سواء في مجال الفلسفة ذاتها أو في مجال علم النفس وعلم الاجتماع وعلم الاقتصاد والعلوم السياسية ، ومناقشتها والرد عليها والتصدي للوافدات ، ومن هذا الفهم يصل الباحث المسلم إلى أن مذاهب الفلسفة في عالمنا المعاصر — على حد تعبير الدكتور التفتازاني — ليست سوى اجتهادات قابلة للصواب والخطأ ومن ثم فليس لها صفة الحقائق الثابتة أو العمومية ، فلمسك أعم عقائدها وقيمها وفلسفتها النابعة من واقع تراثها ، وأن نعرف بالبديهة أن ما يصلح لمجتمعات الشرق أو الغرب لا يصلح بالضرورة لمجتمعاتنا ، بل قد يوقع بها أبلغ الضرر ولهذا لا يجوز أن نستورد فلسفات هي نتاج عصرها وبيئتها ولا تصلح لغير هذه البيئة وذلك العصر .

والمعروف أن هذه الفلسفات مادية الأساس فهي تلمس ماديها من فلسفة العلم وليس من العلم الطبيعي نفسه ، الذي لا يتعارض مع الإسلام وفلسفة العلم هذه المادية هي وحدها التي تعارض مفهوم الدين النازل وهي التي تقوم على أبعاد فكرة الإله الخالق عن مجال البحث وحصر اليقين في دائرة الحس .

وفي هذا يتركز مقتل هذه الفلسفات ، ويأتي ذلك الفارق العميق البعيد بينها وبين النظرة الإسلامية الجامعة لقائمة على الروح والمادة ، والعلم والدين والدنيا والآخرة ، وهي النظرة التي تؤمن بالله تبارك وتعالى خالقاً ورازقاً ومدبراً لكل أمر ، وهو الذي علم الإنسان ما علم من ثمرات العلم ، وكشف له من سنن العلم والحياة والحضارات ما مكنه من إنشاء هذه الدائرة من المعرفة .

ومن هذا المنطلق المادي المنحرف يحجب الخطر الذي لا تكشف عنه دراسات الفلسفة التي تتلقاها أبنائنا في الجامعات والمعاهد من حيث يتلقون هذه النظريات المادية على أنها علم ومسلّمات في محاولة لاحتواء العقول الشابة وراء تفسير مادي

للوجود أو تفسير مادی التاريخ أو هما معا . وعلينا أن نعرف أن الفلسفة الهلينية القديمة حين غوت الفكر الإسلامى فى القرن الثالث طرحت هذه السموم من الإلحاد والاباحية وخلقت جوا ملبدا بالاضطراب العقلى والروحى الذى كلفه علماء الإسلام وأزالوا خطره وأبانوا عن سمومه وفساده وهامى الفلسفة الأوربية المعاصرة تعود اليوم لتغزو علم الإسلام تحت تأثير سيطرة النفوذ الأجنبى على بلاد الإسلام ، وهى فلسفة غلب على مدارسها ومذاهبها ، الإلحاد الصريح ، نتيجة الغرور بتقدم العلوم المادية والصناعات فى أوربا ثم أفرزت مفاهيم الوجودية والهيئية ؛ نتيجة للتشاؤم الذى ساد المجتمعات الأوربية بعد الحرب العالمية الثانية ولقد كان لانتشار هذه المفاهيم التى طرحتها فلسفات الرأسمالية والماركسية أثرها فى نشر الفقرة والصراع وتعدد المذاهب مع الجذب والجفاف ، مع الحيرة والقلق فأصاب المسلمين سنة التشقت ، وما كان من غلبة العقلانية غير المسئولة ، بينما يدعو القرآن للإيمان بالغريزة والقطرة والاكتساب ومن هنا كانت دعوة الإسلام صريحة فى أن العقل لا يمكن أن يستقل بمعرفة الله تبارك وتعالى ولا أن يهتدى إليه إلا إذا صحب فى تطوافه إلى تلك الغاية قلب يتلقى عنه كل حركاته وقد اعتمد دعاة الاعتزال على العقل فأنحرف بهم عن الجادة وعن وسطية الإسلام الجامع بين الروح والعقل وقد كان الإسلام أوفى ما تكون العقائد حقيقة تمس شغاف القلب وأشواق الروح وتمنع العقل ولذلك فإن الذين كتبوا عن الإسلام عن طريق الفلسفة (فريد وجدى ، محمد عبده ، العقاد) لم يستطيعوا أن يصلوا إلى القلوب .

وكما جاء هذا الخطر من جانب العقليين ، فقد جاء الخطر الآخر من المتصوفة أهل الوجدان ، حين إنحرفوا إلى تعبيرات فلسفية حلولية وعنوصية غاية فى الغرابة ، أما الطريق الصحيح فقد رسمه القرآن الكريم الذى جاء المثل الأعلى فى العطاء والعقل والروحى للنفس الإنسانية فقد صقل القلوب وهذب النفوس وقوم الاخلاق ، وبذلك تكشف خطر الدراسات المصبوبة فى قوالب المنطق الجدلى التى أدت إلى تعدد الفرق والمذاهب وتوسيع شقة الخلاف وهذه غاية دعاة الفلسفة والعقلانية فى العصر الحديث .

ولقد كان الإسلام سهلاً ميسراً ، من روح الفطرة ، فهو لا يحتاج إلى منهج فلسفي ليكشف جوهره اليسير ، كما احتاجت تفسيرات الأديان المعقدة وكان موضوع الفكر الإسلامى الدعوة إلى عبادة الله تبارك وتعالى وحده وغايته إقامة النظام الإسلامى الذى يضمن استمرار هذه العبادة وعلى هذا الأساس لم يكن فى حاجة إلى فلسفة ميتافيزيقية لكي يثبت صلاحيته أو يركز دعائمه .

يقول الأستاذ عبد الواحد الناصر : أن الفكر الإسلامى ينطلق من الإيمان بالله لينتهى بزيد من الإيمان ، أما الفكر الفلسفى فيبدأ من نقطة الصفر بتساؤله عن المصدر الأول للكون والأشياء ينتهى بإنكار الخالق والإيمان به على الطريقة الفلسفية ، هذه النتيجة تجعلنا نرفض الفكر الفلسفى فى أصوله وإمتداداته لأن فكر الإسلام فكر مؤمن منذ البداية ، موضوعه الدعوة إلى عبادة الله وحده وغايته إقامة النظام الإسلامى الذى يضمن استمرار هذه العبادة ، ومن ثم فليس فى حاجة إلى الفلسفة ليثبت صلاحيته ولا فى حاجة إلى مسامرة الفلسفة المادية الحديثة والأخذ بمعطياتها الفكرية والعلمية ، والإسلام يرفض جميع الاتجاهات التى توصف بالعلمية إذا قدمت مفاهيم مغايرة لمفاهيمه عن الله تبارك وتعالى وعن الحياة والمجتمع والإنسان . ومحاولة التوفيق بين مبادئ الإسلام والفلسفات الديقراطية أو الماركسية هى محاولة باطلة وزائفة وقدما فشلت محاولة التوفيق بينه وبين الفلسفة اليونانية .

ولما كانت مطروحات الفكر الغربى كلها مطروحات بشرية فإنها تعجز عن العطاء المتجدد ، وعن العطاء الجامع ، وتعجز عن أن تقدم أحكاماً مجردة صادقة بعيدة عن تحديات العصر والتاريخ وعن الهوى ، فضلاً عن أن الغرب لا يملك منها متكاملاً جامعاً بين العقيدة والمجتمع وأن النظرية المادية هى رد فعل الكهنوت وأن الماركسية هى رد فعل الرأسمالية وأن الفلسفة الغربية تعتمد على معطيات العلم التجريبي المتغير الذى يفسد بسرعة ، ويقرر بعض الباحثين أن جميع الفلسفات التى نادى بها مفكرو العصر تقوم على تويض دعائم الاعتقاد بوجود إله واحد بغض النظر عن البديل المقترح فيها من اقترح ألوهية المادة ومنها ألوهية الإنسان ومنها من يجعل الغريزة محور تفسير الوجود وأن الدين

الوحيد الذى صنعت فيه عقيدة الوجدانية من شوائب الشرك إنما هو الإسلام وترمى طرح هذه الفلسفات التى تدمر العقيدة الإسلامية لأنها العقبة الكؤود على طريق سيطرة الأهواء الخبيثة على مصائر البشر وإذا كانت الماركسية فى حقيقتها تدميراً لفكرة الألوهية وربطاً للإنسان ومصيره بمصير المادة المحسنة وتفسيراً لحركة التاريخ بعوامل ليس منها إرادة الله ، على أية حال فإن عداها الصريح لم يتوجه فى الحقيقة إلا إلى الإسلام باعتباره معقل الفكر الدينى ورمزاً يجسد العلاقة بين الله الواحد والمخلوق . وهى تعد فى ذلك أصرح حملة وجهها الفكر الحديث إلى معقل الوجدانية وإن بدت عاجزة عن تحقيق أهدافها بعد أن شاخت ، وهناك محاولة أقل غلوا منها ولكنها أشد مكرًا : هى محاولة الفلاسفة الوضعيين الذين يهونون من شأن الإسلام وحركة التاريخ وقد بدأ ذلك واضحاً فى الكتابات التى قدمها (أوجست كونت) عن الإسلام وجمعها تليذه (كريستيان شرفيش) وقد سلك فيه المؤلف مسلكاً ياتلف بالنغمة الموضوعية فقد أشبع الرجل الإسلام مدحاً وتمجيذا ولكنه لم يزد على أن عدة ، مرحلة . كانت ضرورية كحلقة فى سلسلة تطور البشرية نحو الدين الجديد والنهائى (الوضعية) .

ويقول الدكتور عبد الحليم محمود : الفلسفة لامقياس لها فى ظنية : أخفق منهج أرسطو وأخفق منهج ديكارت ، أنها ظنية لأنه لايتأتى لها أن تفرق بين الحق والباطل ومادام لاسبيل إلى اليقين فى موضوعات الفلسفة فإن اختلاف الآراء فيها دائم ، هذا الاختلاف عبر القرون والجدل دائم مستمر ، الاختلاف داخل المدرسة الواحدة ، يعلمون أن كل فيلسوف أتى قبلهم هدم آراء سابقه جميعاً ويقيم مذهبه على أنقاض مذاهب سابقة فيأتى من بعده ويهدمه .

وبعد فإن ثلاث أخطار تواجه أصالة الفكر الإسلامى : (الأول) تفسيره فلسفياً ، والثانى تفسيره صوفياً ، والثالث تفسيره على أساس العقل وحده ، أو مجادلة تجزئته مع مذاهب القزمية أو الديمقراطية أو الاشتراكية وللإسلام منطلقه الخاص وذاتيته المطبوعة بطابع الفطرة والإنسانية والتوحيد المستمد من

القرآن الكريم أساساً ومنهجاً وأسلوباً للعرض والتفسير فإذا أريد إخضاعه لمنهج آخر غير منهجه فقد ذاتيته وطبيعته ، ولقد جرت المحاولات لإخضاعه في مرات متعددة ، وأخطرها مرحلة الاحتواء التي يمر بها الآن - ولكنه كان قادراً على مقاومة التبعية أو إلتباس الأصالة والعودة إلى منابع كلها اضطربت الأجواء أو برزت الأزمات أو قامت التحديات والاضطراب بالغز العسكري أو الفكري جميعاً .

وعلى الفكر الإسلامى في مرحلة الانتقال من اليقظة إلى النهضة في مطالع القرن الخامس عشر اليوم تحرير الإسلام من التبعية لآى مذهب فلسفى باسم التحديث أو التقدم أو العصرية ، كما يجب إخضاع مشكلاتنا المعاصرة لمبادئ الإسلام وأساسه وروحه لأن الإسلام وحى ثابت وما عداه من آراء البشر حادث متغير ولا يجوز إخضاع ما هو ثابت لما هو متغير .

الفصل السادس

بعد تهويد الفكر البشري

الآخطار التي تواجه الفكر الإسلامي

تنقل الفكر الغربي في مراحل متعددة :

(أولا) كان فكراً يونانياً رومانياً أغريقيا قائماً على المفاهيم الوثنية الإباحية وعباد الأجساد واستعباد البشر في نطاق نظرية السيادة للحكام والعبودية للجنس كله .

يظهر ذلك واضحاً في أفكار سقراط وأرسطو وفي جمهورية أفلاطون وهي مفاهيم تقوم على : إعلاء الرق ، والتمييز بين خلق الله وقصر الاستعباد على جماعات الشعب وإعطاء السادة مكان النفوذ ، وتلك سمّة تجمع بين الثلاث الكبار أما سقراط فينحو نحو الاتحاد من الأخلاق سبيلاً لتقييد حرية الفرد وإخضاع الدولة الحاكمة في المجتمع اليوناني ، أما أفلاطون فإن يفترض السوء في طبيعة المجتمع ويدعو إلى عبادة الجسد وعبادة القيصر الحاكم .

(ثانياً) ثم أصبح الفكر الغربي فكراً مسيحياً تحرر من أشياء كثيرة ، من هذه الوثنيات ولكنه وقع في أخطاء أخرى ، وقع في الحلول والاتحاد ، وفكرة الخطيئة الأولى وفكرة التثليث والصلب وانحراف المسيحية إلى الرهبانية على ذلك اللون البشع الذي عرف في الغرب والشرق ، ولقد حاربت الكنيسة المعلم وقتلت جاليلو .

(ثالثاً) ثم حاولت مفاهيم الإسلام أن تحرر الفكر الغربي من هذه الأسواء غير أن قوى اليهودية العادرة ردت مرة أخرى إلى وثنية اليونان وجرفته في طرق المادية والإباحية والعلانية على طريق الرأسمالية والديمقراطية ومفاهيم مداروني في حيوانية الإنسان ومفاهيم فرويد .

(رابعاً) : ثم تفجر الفكر الغربي عن رد فعل شديد بالنظرية الماركسية التي قدمها اليهودي «ماركس» ، والتي قسمت المجتمع الغربي قسمين ، وكانت الماركسية فكراً يهودياً تلبودياً واضحاً .

وبقي الفكر الغربي يدافع بما بقي لديه من مفاهيم المسيحية ومثالياتها ردحاً من الزمن غير أن الفكر التلبودي مالم يث أن سيطر على الفكر الغربي فاصبح تلبودياً على نحو من الانحاء في مواجهة الفكر الماركسي الذي هو تلبودي أصلاً وجاءت فكرة التفسير المادي للتاريخ واستغلاء النظرية المادية أساساً لاشتقاق الفكر الغربي الرأسمالي كله وبذلك سيطرت اليهودية التلبودية على جناحي هذا الفكر وقذفت بذلك كله (الفكر الإسلامي) الذي كان خلال قرن ونصف قرن خاضعاً للنفوذ الغربي وتتموج فيه نظرياته ثم جاء الفكر الماركسي أيضاً ليؤدي دوراً ومن ثم لم يكن في الامكان للعالم من تجاه الاعن طريق فكر واحد ليس بشرياً على الاصح هو الفكر الإسلامي المستمد من منهج القرآن المنزل بالإسلام دين الإنسانية الخاتم على محمد ﷺ .

ولذلك كان من مسئولية الفكر الإسلامي الرباني المصدر أن يكشف هذا الانحراف ويدفع هذا الخطر ، فالفكر البشري اليوم الذي يسود العالم هو فكر مسيحي يهودي ، مما صاغته الفلسفات الوثنية الاغريقية الرومانية التي أخذت تسود مرة أخرى منذ أنهارت الفلسفة المسيحية المدرسية والفلسفة المثالية وغلبت الفلسفة المادية ويمكن القول أن الفكر الغربي اليوم معارض تماماً لمفهوم التوحيد الخالص وبحاف لمعطيات الدين الحق الذي جاء به كل الانبياء والذي تبلور بصورة أساسية في الإسلام إذ تغلب عليه معارضات كثيرة للدين الحق .

(أولاً) : عبادة القرد وعبادة الجسد الجميل (أساس الفن الاغريقي) .
(ثانياً) : عبادة الحياة والمادة ، واعلاء الجمالي على الاخلاق (نظرية

الفن للفن) وأجيج الشهوات وإثارة الشهوة واستتارة الشهوة والعري
ودفع العواطف إلى أعلى مراحل الهياج (ثالثاً) النظر إلى الإنسان ككدة
وجسد وحيوان (رابعاً) أحياء الوثنية بالتهاويل وتغليب الأهواء والغزوات
والجنس والقبح وتجميل القبح وإدعاء تحسين الطبيعة والتفوق عليها بالفن وهذه
كلها من علامات سقوط الحضارة ، وهي نفس العلامات التي شهدتها المجتمعات
قبل انهيار الحضارات الفارسية والرومانية والفرعونية وما يزال العالم الغربي
(وقد نقل ذلك إلى المجتمعات الإسلامية) يعمل على تجديد الأساطير والخرافات
القديمة وصياغتها في صور جديدة .

وما يزال الفكر البشري كله غارقاً في صراعه القديم حول : نظرية أرسطو
العقلانية ونظرية أفلاطون المثالية ، وما يزال العالم إلى اليوم في صراع حول نبات
أرسطو وجدل هيجل مع أن الفكر الإسلامي يصنع أحسن قاعدة لذلك وهي
نظام الثوابت والمتغيرات .

والناس في الغرب اليوم بعد أن أفرزت المسيحية الغربية (وهي غير المسيحية
المنزلة) الرأسمالية وأفرزت الرأسمالية المادية والاشتراكية ، وهم اليوم يبحثون
عن نظام جديد بعد أن فشل النظامين وهم يحاولون أن يأخذوا المسلمين
(عن طريق الحوار) ليكونوا رديفاً للمسيحية في محاربة الشيوعية وعداءهم للإسلام
قديم وما محاولة الحوار إلا محاولة للاستفادة من الإسلام لخدمة الرأسمالية .

والمجتمع الغربي يواجه اليوم حالة من الاضطراب بعد تناقص المواليد ،
وتحرق الأسرة وتزايد نسبة متعاطي المخدرات وإزدياد عدد اللقطاء والمجانين
والمرضى بالسرطان وهناك من ناحية أخرى تلك الحقائق التي تكشف عن طريق
محاكاة الكتب المقدسة لحقائق العلم الحديث والشكوك المثارة حول بشرية هذه
الكتب ، فقد كشف العلماء خطأ الكنيسة في القول بأن الأرض مركز الكون ،
وكشف تقدم علم الفلك والآلات الرصد والحساب عن أن الكون يذخر بإعداد
لا حصر لها من الأجرام مختلفة الأحجام والأبعاد ، كذلك كشف تطور العلم
عن فساد نظريات المادة التي تدعى إزلية الكون والمادة والطاقة وإنتهاء الخلق ،

وقد أصبح ذلك كله هباءً وكذباً ولقد كشفت الأبحاث أن هذا الكون كانت له بداية في الخلق وإنه خلق منذ خمسة آلاف مليون عام وأن مصير هذا الكون هو البرود المطلق بعد أن يستنفذ طاقته وما كان أغناهم عن البحث وقد قدم القرآن ذلك كله فضلاً عن فساد نسبة كل شيء جهلاً إلى الطبيعة أو رد الخلق إلى العشوائية والصدفة فتلك كلها أذاليل الفكر الغربي الذي تحطّمها الكشف وتحقق آيات الله الآفاق وصدق رسالات السماء ولقد كان من أخطر ما قدمته نظريات الفلسفة المادية والوجودية والاقتصادية الماركسية والرأسمالية أنها تحاول أن تستغنى عن مبدع الكون وخالقه ، وهي إذ تفعل ذلك تتصدع وتضطرب وتنهيار ، كابتين فساد نظرية ريبوى وفرويد في التريه التي تقول : أفعل ما يشاء والتي تطلق حرية الأبناء في التعرف إلى الأخطار دون توجيه وإرشاد ، كما تحطمت نظريات فرويد في القول بترك الأبناء دون توجيه ولتبين خطر مقررات علم النفس المادى والنظرية الماركسية ونظريات الآدب في فهم الشخصية الإنسانية على أنها مادة وحيوان وجسد .

ولقد كان من دعائم الفكر المادى اليوم عدم الإيمان بالعنف وأن كل مافى الكون فهو مادى حتى قيل أن القيم التي يتعامل بها الناس ماهى الا صورة منعكسة من غرائزنا الداخلية النابعة من بعض التفاعلات في أجزاء معينة من الجسم أو من بعض التوافقات في بعض خلايا المخ ، وكشفت الحفريات عن فساد نظرية دارون التي أفسدت الفكر الاجتماعى والنفسى والتربوى منذ مائة عام بالقول بأن الاجناس صدرت عن أصل واحد ، وتبين أن الإنسان الذى مضى عليه خمسة ملايين سنة كان مستقيم القامة وقد خلق مستقلاً عن أى نوع من الأنواع وأن كل نوع من الأنواع خلق مستقلاً .

وفمن نرى الحضارة الغربية اليوم تنكس وتعود إلى الخرافة والاساطير بعد أن أعلنت شأن النظرية العلمية المادية التي لا تؤمن بالمحسوس . ونرى اليوم سقوط النزعة العقلية والعلمية حين نرى أربعدون ألفاً يعملون بالتنجيم فى ألمانيا الغوية ، ومحاولة إضفاء صفة علمية على التنجيم وتغليفه بشيء من المنطق ولا ريب أن التلمودية اليهودية هي التي تدخل حضارة الغرب الآن فى مرحلة الخلق : الوجودية .

والهيبز ، والعري ، والتنجم ، والخمر وكراهية الام للولادة ، والافتحار فى قة
الثراء ، والخوف من المستقبل ، والفراغ واستباق الاحداث والترف والتحلل
والتمزق ويرى البعض أن هذا دليل على أن العقل الاوربي أصابه الهدم فعاد
فريسة للوهم ، وأن الازمات المتلاحقة جعلت الفكر المستنير عاجزاً عن التصدى
للحلول فليجأ الإنسان الى نهج الاسطورة من جديد أم أن نهاية الحضارة تحول
المجتمع يستشعر الخوف بالغريزة فيبحث عن التنبؤات التى تسمح له بالتعبير عن مخاوفه
وقد برزت فى الغرب فئه من الكتاب الثائرين على قيم مجتمعهم المتمردين
على أوضاعهم ودوافع الثورة عندهم مصدرها إيمانهم بان الحضارة الغربية قدأدت
إلى سحق أنسانية الإنسان بسبب الحربين العالميين وبسبب تعبد الغرب للمادة
والآلة والعلو فى تقدير المال ، ومنهم من آمن بالتشرد وإرخوا العنان لملاذاتهم
وتحدوا جميع المقدسات وهم يعتقدون أن كل منجزات الحضارة ليست سوى
قشرة سميكة من الجليد تغطى مياه المحيط ولكن هذه الحياة سرعان ماتسحقه
وتبدده .

إن هناك ثورة صريحة على القيم السائدة فى المجتمع الغربى الذى أصبح
العنف أخلاقيته والقلق جزء لا يتجزأ منه .

وقد تذاعت الصيحات من أهل الفكر الغربى داعيه إلى التشكيك فى النظريات
والآراء المطروحة التى تقوم عليها دعائم الاعتقاد والنفس والأخلاق والاجتماع
وما كانت فى يوم من الأيام موضع الشك ، وكان يظن أنها خالدة ، تقول هذا كله
ليتعظ مفكروننا وليحذروا من صيحات الاغيار ودعاة التغريب الذين يدعوننا
إلى السقوط فى هذا الماخور القذر ، بينما أن هذه الأمور التى وصلت إلى هذا
الحد من الانهيار تكشف عن مسؤوليتنا أمام البشرية فى تقديم الإسلام كمخرج
وحيد لها من الأزمة ، فيجب أن نكون هداة دعاء للخروج من الظلمات إلى
النور لا أن ندعى إلى الظلمات وإلى حضارة غارقة بأمدة متحللة .

أن الإسلام اليوم هو أمل البشرية المنكوبة خروجا إلى الإنسانية الربانية
حيث يمتاز الإسلام بالنظرة الجامعة (الماضى والحاضر والمستقبل) وإلى

(النفس والروح والجسد) وإلى (الدنيا والآخرة) والنظرة الإنسانية التي تخاطب الناس أجمعين ، فهو دين ونظام إجتماعي يقوم على أساس العقيدة والشريعة والأخلاق والقرآن هو كتاب الله الوحيد الباقي على الأرض اليوم دون تحريف حيث لا ياتيه الباطل من يكن بديه ولا من خلفه وهو الذي قدم سنن المجتمعات والأمم والحضارات وقدم منهج العلم ، ومنهج المعرفة ذي الجناحين .

أن علينا أن نحذر الخطر الذي يرد احتواء الفكر الإسلامي بعد تهويد الفكر البشري لأن المطروحات عن طريق النظريات الماركسية والفرويدية والمادية والعلمانية والوثنية قد تغلغلت في فكرنا الاصيل القائم فعلينا أن نتقى صفحة التوحيد الخالص ونعيد لها إلى طابعها القرآني الرباني وأن نحافظ على ذاتنا التي أعطاناها لنا الإسلام من أن ننصر في بوتقة الامية والعالمية حتى نستطيع أن نقوم بمسئوليتنا في تبليغ الإسلام إلى العالمين في هذه المرحلة الخطيرة من تاريخ البشرية .

مفصل السابع

يا قومنا: إن ما عندكم هو الحق فلستم بحاجة إلى غيره
ما يزال الفكر الغربي يحاول الخروج من الازمة . أنه يبدأ من فراغ ،
يبدأ من الفروض التي تفترضها عقليات خاضعة لاهواء عصرها ، تعتمد الاساطير
في رسم التجارب ، ولذلك فهي مازالت تتخبط ، ذلك لأنها لا تعتمد الفطرة
ولا التجربة ولا منطق الحق الذي ينطلق من مفهوم الدين الحق . ولذلك فإن
كل هذه النظريات يجب أن تظل في موضع الفروض ولا ترتفع ابداً إلى مستوى
الحقائق العلمية .

وليس أبعد من نظرية فرويد وافترضه في رد كل دوافع الإنسان إلى
الجنس وحده ، هذه النظرية التي اعتمد فيها على أسطورة قديمة ، كأنما لا تقوم
نظرية العلم الا على الاساطير ، وقد عورضت نظرية فرويد بنظريات أخرى ترى
أن دوافع الإنسان أشياء أخرى غير الجنس ، غير أن فرويد أصر على موقفه ،
وذهبت القوى التي أقتنعت بالنظرية في إذاعتها في كل مكان ، وأدخلتها الجامعات ،
وفرضتها على الاداب والقصص والمسرح بالرغم من فسادها وضلالتها وما راضتها
للفطرة والتجربة .

إن أسطورة فرويد التي أقام عليها نظريته جاءت من مصادر لا يقبل بالاخذ
بها أى عالم ، لأنها تستمد من ميدان مختلف تمام الاختلاف ، هو ميدان الحيوان .

أن أدعاء فرويد بأن الاولاد أحسوا برغبة جنسية نحو أمهم ، ووجدوا
آبائهم حائلاً فقتلوه ، هذه النظرية الضالة يقرر فرويد أنه أخذها عن أسطورة
أوردتها (دارون) عن عالم البقر ، في عالم البقر تهيج الثيران في موسم الاحصاب
فتمتثل آباها الشيخ ثم تقتل فيما بينها على الأم فتموت الثيران الضعيفة أو تخور
قواها ويبقى الثور الأقوى فهل يعقل حقاً أن ينقل فرويد هذه النظرية أو
الأسطورة من عالم الحيوان إلى عالم الإنسان .

الحق أن فرويد بمفهومه المادى وتكوينه اليهودى إنما يهدف إلى تحقيق غاية أساسية هى تدمير البشرية عن طريق أشاعة الفحشاء فيها ولذلك فهو يقبل أن يعتمد أسطورة فى بناء نظرية ويعتمد أسطورة عن الحيوان فى تقرير شأن الإنسان، لقد نقل فرويد هذه الظاهرة الحيوانية إلى عالم الإنسان ونسبها إلى البشرية الأولى وغفل عن أن بعض الحيوانات ذاتها يأبى الولد منها أن يطأ أمه ولودفع إل ذلك دفعاً .

لقد نسى فرويد أو تناسى أن الدين كان موجوداً من أيام المشاعية الأولى ومن قبل أن يوجد التحريم بين الأم وأبها ومن قبل تظهر عقدة أوديب على الإطلاق .

ولقد طيرت القوى التلودية أفكار فرويد وفروضه إلى كل مكان ووصفتها بأنها علم وأنها منهج علمى كذباً وتضليلاً ، لقد انحسرت الدراسات بعد فرويد وخلال السنوات العشر الأخيرة عن حقائق كثيرة كشفت زيف فريد فى نظرية الجنس ، وفى محاولته اصطناع منهج كامل يطبق على الإنسان ، دون تقدير لفساد ذلك بوصفه مختصاً بالبحث فى التحليل النفسى ، فضلاً عما وصفه به العلماء من أنه أقام كل منهجه العلمى على تجربة مائتى مريض هم كل من التفتى بهم فى عيادته النفسية وأنه لم يستطع أن ينظر إلى الأسوياء والأصحاء ، فضلاً عن أنه كان مضطرب النفس ، وكان حاقداً على البشرية وكان على صلة بالمخططات الصهيونية وعلى علاقة أكيدة مع هرتزل فى تطبيق مخطط كامل يرمى إلى أفساد الحياة الإجتماعية والنفسية والأخلاقية العالمية وذلك ما كشفت عنه دراسات فريزر فى الخرافة ودوركايم فى الاجتماع وفرويد فى النفس والأخلاق ولقد كشفت الإحصائيات فساد نظرية فرويد فى رفع التوجيه عن الشباب أو الادعاء بأن التسامى عن الإتهراف الخلقى من شأنه أن يؤدى إلى مرض العصاب وقد تبين أن ذلك كله من أوهام فرويد اتى حطم بها أجيالا من شباب العالم الغربى وكان من أخطر الأخطار أن نقلت دراسات فرويد المسمومة إلى أفاق الجامعات العربية والإسلامية دون أن يكشف زيفها ألا منذ وقت قريب .

تقول الأبحاث العلمية الجادة : أن الإنسان في فطرته الحققة يحتاج إلى التكامل بما نطلق عليه الفضيلة أو سمو أو الصدق أو الإيمان وأن هذا الاحساس يحتاج إلى رعاية وإنماء قبل أن يضر نتيجه تجاهله وعدم الاستعمال .

يقول الأستاذ يحيى الرخاوى : أن حاجات الإنسان تجرى في ترتيب تصاعدى يسمح بظهور الحاجة الأعمق متى أشبعت الحاجة الأولى ، والمفروض في التطور الطبيعى أنه بعد انقضاء حاجة الجسم (طعاماً وجنساً) أن يتنبه إلى بقية حاجاته المعنوية ، فالفضيلة والحضارة ليست أعلاء للغريزة الجنسية بل هى أكمال لما بعدها إذ أنها حاجة أصيلة في تركيب النفس البشرية ، وما اغتراب الإنسان ووحدته وشقاؤه إلا بأهمالها وكبتها أو أنكارها .

وكما أن غرائز الفضيلة أنصح هذا التعبير قد آن لها أن تجد طريقاً شرعياً من خلال العلم أيضاً في حياتنا وكما أن فرط الحرمان من الطعام قد يؤدي إلى الحقد أو سوء التغذية وفرط الحرمان من الجنس قد يؤدي إلى الكبت فأن فرط الحرمان من الفضائل يؤدي إلى أمراض محددة لها من الأضرار والمضاعفات ما يفوق مثيلاتها من أمراض نفسية ، ألا أن انتشار أمراض نقص الفضائل لا يظهر بيننا بشكل صريح لسببين : الأول : أنها أمراض شائعة شيوع الوباء ، وكأنها القاعدة وليست الاستثناء ، والثاني أن الحديث عن الفضيلة كثيراً ما يغنى عن ممارستها وكأنها التخدير المسكن .

فرض الزيف هو نتيجة الحرمان من فضيلة الصدق ومرض الظلم هو نتيجة لنقص في إطلاق فضيلة العدل ومرض التعقيد والغموض ناتج من كبت فضيلة البساطة .

هذه المدرسة الجديدة في الغرب فهل هى قادرة حقاً على أن تمحو أثر فرويد . وأن ترد المفاهيم النفسية إلى الأصالة والفطرة .

أن دده المفاهيم الجديدة التي تقول بها مدرسة أو حركة علم النفس الإنسانى إنما يستمد مفاهيمها من الفكر الإسلامى وأن كل ما تقول به مستمد من

الدراسات التي قدمها الامام الغزالي حين تحدث عن مرض الجسد والجرح والطمع، ولكن الغرب مازال سادراً في غيه.

وكل ما يهمننا نحن أن يفهم قوما العرب والمسلمون أن لديهم أصول كل هذه العلوم، منطلقة من الفطرة والوحي ومن الاصلالة ومن فهم الإنسان فهماً صحيحاً كما رسمه لنا القرآن الكريم، وذلك كله يدعوننا إلى أن نعلن سلامة مصادرتنا وأكتفائنا فلسفاً في حاجة إلى نظريات وفروض باطلة زائفة مستمدة من الاساطير والافواه وقد ثبت فشلها وأنهارها في ميثاتها الاصلية.

الفصل الثامن

الخطار التي تواجه الأمة الإسلامية

أولاً: ما يطرحة الفكر الغربي

أن المعركة اليوم هي معركة تأكيد الذات ، فعلياً أن نعمل على حماية الذات الإسلامية من التحول أو الاحتواء أو الانصهار في بوتقة الفكر الوافد أو الانتمية العالمية ، هذه الذات الإسلامية التي تتميز بطابعها الخاص من التوحيد والعدل والرحمة والاخاء الإنساني ، التي كونها القرآن الكريم علينا أن نحفظها من الانهيار والتدهور ، ومن الجود والمداخلة ومن الانصهار في الفكر البشري العالمي . فهذه فريضة من فرائض العقيدة والأمة ، إذ تبين أن الهدف الحقيقي وراء المؤامرة التي تقودها القوى العالمية في هذا العصر : هي تذويب المسلمين في الكيان الأثمي والعالمي . أن المرحلة المبسطة الآن من وراء مؤامرات التغريب (التبشير والاستشراق) في مجال الفكر والثقافة والتعليم هي الاحتواء بهدف إزالة اهوية الإسلامية كاملة وصهر الاحيال الجديدة في بوتقة الفكر الأثمي تحت اسم الحضارة العالمية والثقافة العالمية ، هذه الحضارة التي تمر بأسوأ مراحل أنهارها وتمزقها ، والثقافة الغربية التي تصارع في مجال الوثنية والمادية والباحية والتي أفلست في نفوس الغربيين وأصبحت عاجزة عن العطاء ، مما دفع القيادات السياسية والاجتماعية إلى التطلع إلى نظام إجتماعي جديد .

من أخطر التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية ما يطرحة الفكر الغربي في أفق الفكر الإسلامي من مفاهيم منحرفة وتفسيرات مسمومة .

حيث ما يزال العالم الغربي (والفكر البشري كله) غارقاً في صراعه القديم حول نظرية أرسطو العقلانية ونظرية أفلاطون المثالية ومحاولة الفارابي الباطلة في المزج بينهما وما يزال العالم إلى اليوم في صراع حول نبات أرسطو وجدل

مهيجل . وما تزال الخرافة القديمة والأساطير تتجدد على أيدي الصهيونية في صور جديدة وتحت أسماء جديدة لامعة .

وهناك عشرات من أخطاء كتابات تحت اسم العلم منقولة من الفكر الغربي منها الادعاء الباطل بأزلية المادة والطاقة ثم إزلية الكون وارتقاء الخلق ثم قولهم أن المادة والطاقة لا يمكن خلقهما أرفناؤهما وقولهم أن المادة والطاقة لانفنى ولا تستحدث ، وقد نسب كل شيء جهلا إلى الطبيعة أو رد الخلق إلى العشوائية والصدفة .

وهناك الدعوة الرائقة المسماة بالإنسانية المستمدة من تولستوى وغاندى والمسيح وهى دعوة الاستسلام والضعف وهذا تيار خطير يرمى إلى القضاء على مفهوم الإسلام الجامع بين المادة والروح والقائم على فريضة الجهاد الماضية إلى يوم القيامة .

وقد دفع الاستعمار واليهود الفكر التلودى إلى أرض المسلمين تحت أسماء كثيرة ، تحت اسم الفكر الحر وتحت اسم البهائية وتحت اسم الماسونية وتحت اسم العلانية ...

ويتسم الفكر الغربى بالجمع بين المتناقضات ، بين دعوى العلانية التى ترفض كل ما ليس عقلانياً وقبول الأساطير والشعر والمهاريشى والفكر الوثنى الذى لا يقبله أى عقل وبالرغم من أن الغرب فى حيرة شديدة ، بحثاً عن نظام اجتماعى يحقق الأمل واليقين فهو يعمل على تصدير هذه المواد المضطربة إلى المسلمين التجرم من يقينهم إلى دوامة الشبهات والاضطراب .

والغرب بعد أن فقد إيمانه بالأيديولوجيات الموجودة لديه ، فردية وجماعية وأسمالية واشتراكية فإنه ذهب إلى المشرق بحثاً عن البوذية والزفانا والمهاريشى الذى يتأمل وهو رافع قدميه إلى فوق ، وبعد أن فشلت الوجودية دخولا إلى الهندية ، تدخل الآن مرحلة المهاريشى وتصدرها البلاد الإسلامية .

ولقد أدرك الغرب أن ماديته تحمل عوامل فثائه . وأن دعوة الإسلام الجامعة

هي القدرة على العطاء ، ولكن هناك قوى تؤخر هذا العطاء ، فإن الدعوة التي نتحدث الآن عن ضرورة تجربة الإسلام تواجه بحملة عاصفة من الكنائس ، وتجري فكرة الحصول على كتابات من المسلمين ترمى إلى القول بأنه لاخلاف بين الأديان الثلاثة وأنها كلها من عند الله .

هذه الحركة : حركة الحوار ، تحاول أن تتخذ هؤلاء المتطلعين إلى آفاق جديدة بأنه ليس هناك فوارق بين الأديان ، والقول بأن أساس الأديان واحد هو حق ولكن واقع بعض الأديان قد انحرف بإدخال تفسيرات عليه أخرجته عن طريقه ولم يبق إلا الإسلام الذي حفظه الله من التحريف ، وهو ما يزال المؤمل للعطاء .

ولقد يستطيع الباحث أن يجد تلك الفوارق العميقة واضحة بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي مهما جرت المحاولات للقول بوحدة الفكر الإنساني ، والمعروف أن خامة الفكر الغربي يسودها الوجدان المتشائم بكل أبعادها ومظاهرها في الآداب والفنون والفلسفة والأخلاق والسياسة ، وأن هذه الأيدولوجية السوداوية المتشائمة تنشر في أوسع نطاق في عالم الغرب أفكاراً عن لامعقولية الحياة وعبث الوجود وقد أصبح المفكرون المتشائمون يشنون هجمات هستيرية — كما يقول سمير كرم — على فكر يؤمن بالتطور الإنساني ومن هنا فإن الوجودية هي آخر صيحات الفلسفة التشاؤمية ويرد كثير من الباحثين مصدر التشاؤم إلى القول بالخطيئة التي تطارد كل إنسان في الغرب ، والخطيئة مصدرها تفسيرات المسيحية الخاصة بتأليه السيد المسيح وهو مفهوم لا يقره الإسلام .

كل هذه العوامل تدعونا إلى تطهير مدار علومنا وثقافتنا ومجري فكرنا الإسلامي من تلك الدخائل وخاصة في مجال العلم الطبيعي والتربية والتعليم والفكر السياسي وعلم النفس وعلم الاجتماع والاقتصاد وعلم الإنسان وفلسفة الآداب والنقد الأدبي .

هذه العلوم كلها متصلة بالعقيدة في الإسلام وليست حرة مطلقة ويجب أن ندرس من مفهوم إسلامي ، ووفق المنطلق الإسلامي الأصيل . وأساسها

الاعتراف بخالق الكون وضرورة توجه كل العلوم إلى الغاية الربانية الأصلية
في سبيل إقامة المجتمع الرباني على أساس العدل والرحمة والاخاء البشري .

وفي هذا يقول محمد إقبال :

يجب أن نكون مؤمنين بأنفسنا كافرين بالافرنج ، فالكفر بقداسة الغرب
وانكار كونه معيار الصدق والصلاح هو الخطوة الاولى وتخطوة الوحيدة التي
توصلنا الى تجديد العلوم والآداب فبعد تجديد الايمان بصدق فكرنا الإسلامي
وصلاحية شريعتنا الإسلامية والكفر بالفكر الغربي العلماني والفكر الشيوعي
الاحادي تتمكن من أحياء المناهل الإسلامية التي تبدو كأنها جفت وذبلت بعد
سيطرة الغرب الحضارية والفكرية والعلمية ، فإذا أحيينا هذه المناهل تصبح علومنا
الإسلامية وآدابنا ذات حيوية وفعالية ، وتنطلق من حيث وقفت وجفت ،
أن واجبتنا أن نراقب تطور الفكر البشري بكل يقظة وانتباه ونحتفظ بوجهة
نظر حرة انتقادية تجاه هذا التطور .

أن الامة البالغة لمواجهة هذا الخطر هو تجديد العلوم وتدوينها على أسس
أصلية وتطهيرها من وجهة نظر المادية والاباحية والوثنية التي تحفل بها النظرية
الغربية . أن علينا أن نطلع الغربيون واتباع التغريب المنبشين اليوم في كل الاقطار
الإسلامية أن هناك مقاييس ذات أصالة وعمق قد قدمها الفكر الإسلامي في النظر
إلى أمور الثقافة والبحث العلمي والتاريخ يختلف أختلافاً واضحاً عن تلك المفاهيم
الوافدة . هي مفاهيم مستقاة من الفطرة الأصلية ومتوازنة مع الكون والطبيعة
البشرية .

الفصل التاسع

ما يطرحة الفكر الغربى

ثانياً : محاولة تحريك الفكر والمشاعر فى دائرة التفاهات

لا يزال أمام أمتنا مهمة شاقة صعبة هى الدفاع عن شخصية الأمة الإسلامية ومقوماتها واستقلالها الفكرى والأيدىولوجى وهذا لايعنى فقط مقامة الغزو الفكرى والهجوم الخارجى على معتقداتنا ومبادئنا وإنما يعنى قبل كل شىء معالجة التخلف الفكرى والركود العلمى الذى جعل شعبنا أدنى بكثير من مستوى مبادئها السامية وعقيدتها الخالدة .

ولعل أخطر ما فى ذلك هو عملية « التمسيع » التى تقوم بها أجهزة مختلفة وعملية طرح التفاهات وأساليب التسلية والإضحاك والخرافات وتحريك الحوار الاجتماعى على أقل مستوى من الثقافة على نحو ساخر وسخيف بينما تقضى أصول الثقافة رفع مستوى الحوار الاجتماعى وطرح قضايا تسمو بالنفس الإنسانية والعقل الانسانى إلى التطلع نحو عقلية رفيعة تفكر فى قضايا الكون والوجود وتتعرف إلى التيارات السياسية والاجتماعية العالمية وتعرف موقف الإسلام والمسلمين منها .

ولارب أن محاولة تحريك الفكر والمشاعر فى دائرة التفاهات إنما يرمى إلى حجب المجموعات العامة عن التعرف على قضايا المجتمعات والتحديات التى تواجه الأمم ولقد كان الاسلام دافعاً لاهله منذ اليوم الأول إلى معرفة قضايا المسلمين وفى ذلك قول الرسول ﷺ (من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم) .

وتجدنا اليوم نتقوقع داخل حدود وهمية أقليمية ، ونغرق فى تفاهات التسلية والأضحاك بينما كان المطلوب هو افتتاح مجالات المعرفة وآفاق الثقافة ولارب أن هذا الفراغ فى الثقافة الإسلامية هو عامل مقصود يراد به تمكين (١٥م - الصحوة الإسلامية)

هجمات الغزو الأيدلوجي الخارجي من عقول ابنائنا التي أن لم تجد زائدها في العطاء الإسلامي بمحت عن تفاهات الأمم وركام الأساطير والخرافات، كل هذا من شأنه أن يهدم ذاتية الأمة ويوهن من عمل الدعاة الأصالة والمدافعين عنها ولا ريب أن هدفهم هو أن تنحرف شخصية الأمة عن طريقها الصحيح وأن تحتويها الأيدلوجيات الوافدة التي تصدرها دول كبرى وتكتلات سياسية عالمية، ولكن الوعي الإسلامي اليوم يعرف هذه الأهداف ويرفض هذا الاحتواء، ولا بد أن يصمد في المقاومة للضغوط، وأن يكشف المغالطات والدعايات وأن يصير على السير في الطريق الذاتي : طريق الأصالة .

ولقد جرت المحاولة مرة ومرة وما تزال تجرى لاجراء المسلمين من دائرة الاحتواء، وقد جرت وتجري حول الإقليمية وحول الوطنية وحول القومية وحول الاشتراكية، وكل دورة من هذه تأخذ زمنا طويلا ووقتا وجهدا، ثم تنفث كما تنفث الكرة أو كاوتش السيارة وتجري المحاولات مرة أخرى للعودة إلى شيء جديد، المحاولات كلها ترمى إلى ضياع الوقت، وإلى اللعب في ملاعب الآخرين، وإلى امتصاص الفورة، وتذويب النهضة، أن هناك عشرات المحاولات منها محاولة الفلكور، والكتابة بالعامية والشعر الحر، وهناك محاولات المسرح والمسلسلات والموسيقى الصاخبة والأغاني والكرة، وإحياء الأساطير، ومفاهيم التصوف الفلسفي (الحلاج وابن عربي وابن سبعين) واللهو بالرحلات والسياحات (وكل هذا مدون في برتوكولات صهيون) وهناك الدعوات الماكرة إلى تعلم اللغات أو ترجمة كتب الغرب، كل هذا يجري بطريقة تبدو عشوائية لأنها لا تلتزم بتقديم شيء نافع ولكنها ليست عشوائية في تقدير القائمين عليها والداعين إليها، الشعارات الطنانة، والعبارات الرنانة، ومن وراء ذلك تكبات متواليات لأن الطريق غير صحيح والوجهة مكذوبة خادعة مضللة، أن الذين يمسكون بالخيط من وراء الستار غاية في الذكاء وقادرون على التخير في الوقت المناسب لتقديم فصل آخر .

ومن ذلك أدخال الوطن الاسلامى مرحلة الترف الفكرى بينما يعيش مرحلة القحط الاقتصادى وفى الغرب يتحدثون عن أحدث النظريات الغربية المترفة (عن السريالية والرسم ، والتجريدية تثير الجدل وهناك قضية الاعتماد على العقلانية . باعتبار العقل وحده هو الجدير بالتقدير ، ويهاجمون دعوى الاعتماد على الله باعتبار أنها مسألة تقود الإنسان إلى التواكل وتدفع الأمم إلى التخلف ويضربون المثل بالدول المتقدمة التى تعتمد فى انجازاتها على ما كشفه الله تبارك وتعالى للعقل البشرى من علم ، ونسوا أن العقلانية وحدها لا تكفى ، وأن الوجدانية وحدها لا تكفى ، وأن مفهوم الإسلام جامع متكامل ، أنهم يريدون أن أن ينسبوا هذه الكشف إلى العقل ولا ينسبونها إلى الله تبارك وتعالى وهنا الخطر ، ذلك أن العقل يعمله وبريقه محدود ، والمعتمدون على العقل البشرى ينهارون تماماً عند أول صدمة ، فيظهر عجزهم عن تحقيق ما يريدون وفشلهم فى تنفيذ ما يخططون وحيث توجد أعلى نسب الانتحار والجنون بين الناس الذين يتعبدون للعقل ، ومن أخطر القضايا التى تطرحها قوى التغريب والصهيونية اليوم فى أفق الإسلام محاولة تجميع مفهوم الإسلام بذاتيته الخاصة وطابعه الجامع ، وصهره مع الأديان فى بوتقة واحدة تحت اسم دين الله الواحد بمقولة أن النصارى مسلمون واليهود مسلمون وأن كل دين من هذه الأديان يعبد الله فهو اسلام ، وهذه مقولة باطلة مضللة ، ذلك أن الأديان كلها من مصدر واحد ولكن القائمين عليها حولوها عن وجهتها ، وفسروها على نحو قومى أو عنصرى ، فتوقفت عن الاعتراف بتسلسلها الذى رسمه لها الحق تبارك وتعالى ولقد جاءت المسيحية معدلة لليهود ومبشرة بمحمد ﷺ ولكن هذا المعنى قد انحراف ، وأن المضللين الذين يقولون أن الفوارق بين الأديان اليوم هى خلافاً شكلية فرعية غير صادقين ، فإن الخلاف عميق بين التوحيد فى الإسلام وبين التشليث والصلب والحطية فى المسيحية وبين رب الجنود : فى اليهودية .

ولارىب أن هناك عديداً من أوجه الخلاف العميق بين الفكر الإسلامى وبين الفكر الغربى ، وهناك دعاوى عريضة باطلة وشبهات زائفة ، كلها تستهدف

ضرب الإسلام في العميم ، وما الحلة على اللغة العربية إلا مظهرأ من مظاهر الحلة على الإسلام ، من ذلك خلق لغة عامية بدلا من العربية الفصحى تحت اسم اللغة الوسطى بدعوى مسابقة النهضة الحديثة هذه الدعوى تهدف إلى القضاء على لغة القرآن على مر السنين .

وهناك محاولة تغليب القانون الوضعى على الشريعة الإسلامية وأخضاع الشريعة الإسلامية لأهواء العصر تحت اسم المواثمة والتأويل واصطناع الرخص ، وهناك أحياء الحضارات التى سبقت الإسلام والادعاء بأن الحضارة الإسلامية رافده من الحضارة الرومانية القديمة وهناك الادعاء بأن هذه المناطق التى بسط الإسلام ثقافته عليها ولغته كانت رومانية والمطالبة باعادتها إلى أهلها ، ونسوا أن موجات عربية منذ آلاف السنين انداحت فى هذه المناطق قبل قيام الامبراطورية الرومانية بوقت طويل وأن الرومان كانوا مستعمرين مكروهين ومغتصبين .

وأن هناك محاولات خطيرة تجرى عن طريق قوى التبشير والاستشراق ترمى إلى الدعوة إلى تحريف النصوص باسقاط رحلة إبراهيم واسماعيل (عليهما السلام) إلى الحجاز ، ومحاولة اسقاط الفرائض بالدعوة إلى الفكر الباطنى الذى يرمى إلى اسقاط التكليف واعلاء بطولات زائفة كالخللاج وابن عربى وبشار وابى نواس وتكنيس أعلام من أمثال المتنبى والغزالى وابن خلدون ، وهناك تشويه التاريخ الإسلامى وفرض التفسير المادى عليه وهدم التراث الإسلامى بابرار الزائف منه والسيئ والمنحرف والأغضاء عن الذخائر الحقيقية . ثم هناك عملية الترجمة التى يراد بها تقديم كل فاسد من آثار الغرب أو ما ليس لنا به حاجة ، هناك القصص الجنسية وكتابات اللامعقول والآفصة والآداب وكلها تفاهات يراد بها تدمير مقومات اليقين والايمان فى النفس الإسلامية .

وهناك محاولات هدم الأسرة عن طريق مفاهيم دوركهيلم ولينى بريل وهدم الاخلاق عن طريق الفرويدية والوجودية .

لقد كشف الإسلام عن وجوه الاختلاف العميق بينه وبين الفكر الغربي ، وما كانت البشرية وتثنية ثم عرفت التوحيد ولكنها كانت موحدة منذ يومها الأول وكانت تعتر بها قنرات من الوثنية ، وليس الدين علاقة بين الإنسان وربه فقط ولكن علاقة بينه وبين ربه من ناحية وبينه وبين المجتمع من ناحية أخرى ، وأن الذين ليس مانعاً من الرقي والتقدم ، وأن مذاهب الشك والارادية والاحاد مفاهيم زائفة ، فالإنسان موحدة بفطرتها وهي تبحث دائماً عن الخالق الصانع المدير مالك الملك ، ولقد طرح الفكر الغربي عن طريق الاستشراق والتبشير شبهات كثيرة ولكن حركة اليقظة الإسلامية استطاعت أن تكشف زيفها وأن تدحضها .

الفصل العاشر

ثالثاً : ما يطرحه الفكر الغربي

المعلومة والفكرة والخبر

أن هناك قدراً ضخماً من المعلومات والأفكار والأخبار تطرح يومياً في المجتمع الإسلامي عن طريق الصحافة والإذاعة أو الكتب المترجمة أو وسائل الإعلام المختلفة ، هي وجهات نظر متراكمة لمجتمعات أخرى : فيها مادة نافعة قليلة وفيها زيف كثير ، فكيف يكون موقفنا نحن المسلمين وهي تمثل وجهات نظر قد تختلف وقد تتعارض مع مفاهيمنا الأساسية وقيننا الثابتة ؟ ذلك لأن ما يطرح من خبر أو فكرة إنما يشتمل على جزئين متداخلين :

(١) حقيقة ما : هي عبارة عن خبر .

(٢) وجهة نظر أو تعليق أو تحليل لهذه الحقيقة تمثل رؤية ، الذين بثوا هذا الخبر ونحن نعرف أن هناك غرايبيل دقيقة جداً لا تنفذ منها الأخبار حين ثبت في العالم الثالث إلا وهي مطعمة بوجهة نظر الصهيونية أو النفوذ الغربي أو الشيوعية . فكيف يكون موقفنا نحن المسلمين من هذا الأعصار الضخم المدمر الدائم المستمر يوماً بعد يوم وساعة بعد ساعة ؟

لقد علينا الإسلام أن نقف من المعرفة المعروضة علينا موقف التعرف الصحيح عليها في ضوء قيمنا وعقيدتنا وأن نفرق بين العلوم وبين الثقافات وبين المعارف النافعة والمعارف الضالة من هو الحديث ولغو القول بما يضل به الناس وعلينا أن نتأكد من أن المعلومات المطروحة علينا ليست وسيلة للسيطرة الاممية علينا .

أن هناك فوارق دقيقة وعميقة بين مفاهيم الإسلام ومفاهيم الفكر الغربي
للقائم الآن على نظريتين هما :

المادية والماركسية والذي لا يجعل لتكامل الإنسان الروحي والمادى سيلاً .
دور الطوائف اليهودية والمسيحية في العالم العربى والإسلامى .

وقد تبين لنا عندما درسنا المذاهب الوافدة التى طرحت فى أفق الفكر
الإسلامى إن الذين دعوا إليها لم يكونوا من أصل المجتمع ولا من مادته ولكنهم
كانوا شعوبين وافدين ، وقد عرف أن دعاة الطورانية (اشقورا واغاييف)
لم يكونوا أتراكاً ولا عثمانيين ، وقد عرف أن الذين أدخلوا الشيوعية فى العالم
العربى (سواء فى مصر أو فى الشام أو فى العراق) كانوا يهوداً غربيين ، وكذلك
كان دعاة القومية العربية من نشأوا فى أحضان الاتحاديين الأتراك أو فى أحضان
الكنيسة الكاثوليكية ، وكذلك هم الذين أعانوا فى دخول الفرنسيين إلى الشام
أو دخول الانجليز إلى مصر وكذلك الذين حاربوا السلطان عبد الحميد وحلوا
عليه وأسأموا إلى صفحته النقية .

وقد أشار د مورويرجر ، إلى أن بعض الطوائف اليهودية والمسيحية فى
العالم العربى الإسلامى كانوا هم الوسطاء الرئيسيين فى بث أفكر التغريب
والشيوعية والإلحاد والإباحية وكانوا التجار المصرفيين للربا الذى أوقع المسلمين
فى براثن الديون ، كذلك أولئك الذين سافروا إلى الغرب دون حصانة من دين
أو وطنية فالتقطتهم أجهزة دقيقة هناك واصطنعتهم للعمل ضد أمتهم تحت اسم
التجديد والتقدم والاصرية وحرية الفكر ونظرية الشك وتلك هى بضاعة اليهودية
العالمية لإفساد الجماعات وهدم الأديان .

هؤلاء هم الذين طرحوا تلك الشبهات العديدة ومهدوا لأكبر تحول علمانى
ذلك الذى قام به مصطفى كمال أتاتورك حين نقل دوله الخلافة العثمانية إلى دولة
(دنيبة) ، هذه الحركة الخطيرة التى استهدفت إلغاء الشريعة الإسلامية وإسبدها

بالقانون الوضعي من ناحية وإسقاط الخلافة الإسلامية التي كانت علامة تجمع بين المسلمين وكانت ظاهرة ، اللاتسكية ، هذه موضع حفاوة من الغربيين في مصر والبلاد العربية الأخرى .

ولكن سرعان ما استطاعت حركة البقطة الإسلامية أن ترفع صوتها بالدعوة إلى الاصاله وإلى العودة إلى المنابع ، وإلى المنهج الرباني في المجتمعات الإسلامية . ويعد سقوط الخلافة الإسلامية عام ١٩٢٦ من أكبر الطعنات التي وجهت إلى قلوب المسلمين وجاء ذلك على أثر رفض السلطان عبد الحميد بيع فلسطين لليهود وتهديد الزعيم اليهودي (قراصو) رئيس المحفل الماسوني في سالونيك للخليفة وقوله : (سترى كم يكلفك هذا الرفض) وقد جاء إسقاط الخلافة بعد وعد بلفور ببضع سنين . وكان هذا تمهيداً للقضاء على الوحدة الإسلامية الجامعة ، وإحلال مفهوم الاقليات بديلاً منه ، حتى يفسح الطريق للعنصرية اليهودية ، ومن هنا فإن الفكرة العربية في حقيقة لم تكن هدفاً نهائياً ، واسكنها جات بعد أن سقطت الوحدة الإسلامية وكانت في نظر القائمين بها مرحلة تجمع في سبيل الوصول إلى الجامعة الإسلامية فإن الذين حاولوا أن يجعلوها هدفاً كانوا مضادين لطبيعة الاشياء ولرغبات أهل البلاد أنفسهم ، ذلك أن الوحدة الإسلامية قد قامت أساساً على وحدة الفكر والعقيدة والمشاعر الروحية والنفسية ، وهذه لا يمكن ان تفسر في ظل فكرة أخرى جزئية كالفكرة العربية ولكن النفوذ الاجنبي كان يعمل على تفريغ الفكرة العربية من مضمونها الإسلامي أساساً ليجعلها أشبه بمفهوم القومية الغربية الوافد ، الذي يقوم على الصراع وعلى الدماء وعلى الاستعلاء بالجنس والعنصر .

ولقد تبخر بعد ذلك : ذلك الجهد الضخم الذي بذل لتحقيق الوحدة العربية بمفهوم عربي ، وانكشف فشل هذا الجهد وفساده لأنه لم يبدأ من نقطة الاصاله وعلى طريق الإسلام ، ولقد ظن كثيرون أن الوحدة العربية غاية بينما لم تكن ولن تكون إلا مرحلة على الطريق : طريق الوحدة الإسلامية ، ومن ثم فقد

كانت كل المحاولات التي قادها دعاة القومية معوقا لهذه الوحدة عن أن تتخذ طريقها الصحيح .

القومية ولدت في مدارس التبشير

ونحن نعرف أن فكرة « القومية » ولدت في أحضان المدارس التبشيرية وعلى أيدي نصارى الشام الذين أرادوا أن يجعلوها الرابطة البديلة مكان الرابطة الأصلية : الإسلام .

والقومية بالمفهوم الغربي تعني الانسلاخ عن الإسلام تحت شعارات ومسميات شتى وبأساليب وأفكار تلوى أعناق الحقائق والوقائع ولكنها تعني الفصل بين العروبة والإسلام وهي تهدف إلى بعثرة وحدة المسلمين إلى جنسيات معزولة ومحبوسة وراء أسوار العلمانية ، أو هي عروبة مقطوعة عن الإسلام فكراً وعن المسلمين جغرافياً ، ، وقد حاولت الدعوة إلى القومية أن تتمثل في نظام شامل فكانت لها آراؤها في التربية والقانون والاجتماع والاقتصاد واستعلى فيها مفهوم الاجناس والدماء والعناصر وفصل اللغة عن الإسلام كفصل التاريخ عن الإسلام والإدعاء بأن التاريخ عربي والحضارة عربية والثقافة عربية ، والهدف هو إخفاء صوت الإسلام وإحلال عاطفة لها صورة العقيدة محل الإسلام ومن إخطارها إعادة تفسير التاريخ الإسلامي على أنه تاريخ قومي والبحث عن سبيل لوضع صيغة القومية عليه منذ أول عصوره وقبل أن تعرف كلمة القومية أو مدلولها وواضح أن هذا هو المدخل الخطير لهدم الوحدة الإسلامية الفكرة الجامعة والترويج للعلمانية والمادية والاشتراكية وكلها مفاهيم وافدة تستهدف القضاء على الذاتية الإسلامية في الأسس وصهر وحدة المسلمين في أتون الأمية العالمية

الفصل الحادي عشر

الماسونية تكشف وجهها - ١

بعد أن تنسكرت عصرًا طويلا

تكشفت خفايا الماسونية في الغرب عن أخطار بعيدة المدى بعد أن أذيع أن المحفل الماسوني الإيطالي وبه ٩٦٢ شخصية سياسية وعسكرية تقوم بأنشطة غير مشروعة في إطار المحفل الماسوني من عمليات تهريب أموال ونجس سياسي وعسكري وفساد في الجهاز القضائي . وقد أجبرت إحدى هذه الفضائح الحكومة الإيطالية على الاستقالة .

وما تكشف في إيطاليا هو جانب ضئيل من أعمال الماسونية في الأقطار الغربية ، بل لقد أشارت دراسات ضافية إلى الدور الذي قامت به الماسونية في الأحداث الثلاثة الكبرى التي واجهها العالم في القرنين الأخيرين وهي : الثورة الفرنسية وسقوط الخلافة الإسلامية في تركيا وسقوط النظام الروسي القيصرى .

وكانت هذه البدعة قد قامت من أجل أهداف اليهودية العالمية التي تختفي وراء قناعين أولهما الماسونية والثاني الصهيونية .

وقد استطاعت الماسونية في الغرب أن تتسع وتسيطر في مختلف الأقطار وأن تكون مصدرا لتحقيق أهداف الصهيونية العالمية بخداع جماعات البسطاء بأنها تدعو إلى البر والخير والحرية ولم يكن يعرف أهدافها الحقيقية إلا الذين وصلوا إلى الدرجة الثانية والثلاثين كما كشف ذلك الأدب لويس شيخو السوعي منذ ١٩١١ في بحث ضاف في مجلة المشرق كما كشف ذلك السيد رشيد رضا في المنار وفي العصر الحديث لا تزال كتابات الدكتور محمد علي الزغبى والدكتور أحمد علوش من المصادر الأساسية في الكشف عن هذه النحلة الخطيرة التي تسربت مع يهود الدونمة

في تركيا إلى العالم الإسلامي وكان لها تأثيرها في جماعة الاتحاد والترقي وتركيا الفتاة التي استطاعت إسقاط السلطان عبد الحميد وإلغاء الخلافة الإسلامية وتمكين اليهود من الوصول إلى فلسطين بعد أن وقف السلطان عبد الحميد وقفة حاسمة أمام أغراءات هرتزل ومؤامراته وكان أن فقد عرشه مقابل هذه الوقفة الشريفة . وقد بدأت بعد سقوط السلطان عبد الحميد تتكشف خفايا الماسونية وأبعادها الخطيرة التي لم يكن يعرف مداها أمثال جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وغيرهما عندما اتصلوا بها وظنوا أنهم يستطيعون عن طريقها خدمة العالم الإسلامي وتحريره من النفوذ الأجنبي الزاحف إذ ذاك .

وقد تعرضت الماسونية في العقود الماضية إلى هجوم عنيف من الكنيسة الكاثوليكية في مختلف بلدان أوروبا باعتبار أن هذه المحافل معادية للمسيحية حيث يؤمن أعضاؤها إيمانا مجردا بوجود ما يسمونه (مهندس عظيم الكون) وحيث يزاولون طقوسا خاصة لا تمت للدين بصلة وحيث يزاولون نشاطهم بشكل سرى وحيث تتدرج العضوية في هذه المحافل بشكل هرمي ، وقد أعلن البابا كليمنت الثاني في ذلك الوقت أن الماسونيين يشكلون تهديدا خطيرا للكنيسة وأمر أن يحرم من الانتماء للكنيسة الكاثوليكية أي كاثوليكي يصبح عضوا في محفل ماسوني وتند اتخذ البابوات اللاحقون موقفا شبيها بذلك : البابا بنيدكت الرابع عشر ، البابا بيوس السابع ، البابا ليو الثاني عشر (١٨٢٥ - ٧٥١) كما اعتبر الماسونيين أيضا مجرمين سياسيين وحاربتهم الممالك الإيطالية قبل القرن التاسع عشر . وقد تبين أن عددا من القادة السياسيين في إيطاليا كانوا من الماسونية أمثال (جاريبا لذي) الذي ترأس أحد المحافل الماسونية ، وكذلك كرومويل الذي قام بثورة في إنجلترا من أجل اليهود ، بل أن هناك مصادد تشير إلى مدى صلة مارتن لوثر ودعوته البروتستانتية بالهدف اليهودي الماسوني .

والذي يضاف إلى هذا أن الغرب الآن لم يعد يحكم إلا من خلال المحافل الماسونية وأن الكنيسة الكاثوليكية سمحت في العقد الآخر لأعضائها بالاشتراك

في المحافل الماسونية بل أنها خطت خطوة أبعد من ذلك حين أعلنت وثيقة براءة اليهود من التحريض على قتل المسيح وهي خطوة لم يكن يمكن تحقيقها إلا بعد تغلغل الماسونية في أضلاع الفاتيكان .

وقد أشار د. ولفرد كانثول سميت ، إلى أن الدور الذي قام به مصطفى كمال أتاتورك بإلغاء الخلافة الإسلامية وتحويل تركيا إلى دولة علمانية بعد أن كانت الدولة العثمانية قائدة الإسلام يرجع إلى أنه عضو في الدرجة الثالث والثلاثين في الماسونية .

وقد جندت الماسونية في السنوات السابقة لظهور إسرائيل عددا كبيرا من المثقفين - تغلغلت إلى حد معين في مختلف مجالات الصدارة في البلاد العربية والإسلامية وكانت كل محاولات تغريب المجتمع الإسلامي وتزييف مفاهيمه وقيمه صادرة من هذه الجماعات ، بل لقد تبين أن جميع الفنانين العاملين في ميدان المسرح والسينما والأغاني هم من خدام الماسونية الذين تعلدوا فيها الخطط التي تقضى على كيان الأمة الإسلامية وأخلاقياتها .

وفي الأخير عندما تكشف خطط الماسونية وانفضحت مخططاتها حاولت أن تستعص عن ذلك بتنظيمات جديدة منها الروتاري والليونز .

بل أن كثيرا من قادة الماسونية فكريا أمثال جرحى زيدان وصروف ومكاربوس الذين قادوا الصحافة العربية في العشرينات استطاعوا من خلال كتاباتهم تسريب عديد من مفاهيم الماسونية التي ترمي إلى القضاء على الأخلاق والعرض والعفاف ومآثرال كتاباتهم تشهد بذلك وقد جاء في أثرها جيل أشد خطورة في مقدمته طه حسين وسلامه موسى وحسين فوزي وتوفيق الحكيم ولويس عوض .

ونحن نخدر أمتنا في هذه المرحلة الدقيقة من حياتها من أخطار الماسونية التي لم ينته دورها بعد والتي كانت سببا في سقوط القدس في أيدي اليهودية العالمية الإسلامي ورصد ثرواته واقتصادياته وما اعتقد أن المسلمين في حاجة إلى مزيد

من التذكير بأخطار هذه المنظمات وما تولد منها فقد كشفت عشرات الدراسات عن أخطارها التي استطاعت أن تقضى على كثير من الحكومات والأنظمة من حافظوا على مقومات بلادهم وحالوا دون نفاذ اليهود إليها وقد تكشفت في السنوات الأخيرة وثائق كثيرة تكشف عن الصلح بين الماسونية والصهيونية من ناحية وبين الصهيونية والشيوعية من ناحية أخرى ، وقد سمى بعضهم بروتوكولات صهيون - الانجيل البلشقي - ونحن نعتبر أن الشيوعية والماركسية كلاهما خطر على العالم الإسلامي على درجة واحدة في هذه المرحلة .

الفصل الثاني عشر

إعادة صياغة المجتمع الإسلامي

ما يزال المجتمع الإسلامي في حاجة إلى التماس الأصالة بالتخلف من الزيوف والمهرجة والصور الساخرة والمكشوفة والعلامات المرفقة التي تحاول أن تحطم تماسكه وقوته وأصلته وقدرته على الصمود في وجه التيارات الزاحفة ، أن أغراق المجتمع الإسلامي بصور الترف وأسبابه وعوامل الاغراء والإباحات ونظرية عبادة الأجساد والتمتع بالذات والاسراف في حب الحياة كلها من العوامل التي ترمي إلى تدمير المجتمع الإسلامي بحيث يصح عاجزاً في المرحلة الثانية عن مقاومة أي غزو يوجه إليه .

وهناك قوى كثيرة تعمل على تحقيق هذه الغاية حتى لا يستطيع والمجتمع الإسلامي من أن يؤكد وجوده وقدرته على إنبات حضارته الإسلامية لتعطى الإنسانية زائداً الجديد الذي تتطلع إليه .

هذه القوى تعمل على تغيير النمو الطبيعي للحضارة والمجتمع والتاريخ ، وتفرض أعرافاً جديدة تمسكها من السيطرة وتحول دون وصول الأمة إلى الأصالة ومن ثم نجد تلك الأطروحات الغربية قائمة في أفق المجتمع الإسلامي عن طريق مناهج التعليم والثقافة والصحافة ، بما يحول بين المجتمع الإسلامي وأمنلاك إرادته الحرة ، في إقامة نظامه الإسلامي المنبعث من ترائه وقيمه وشريعته ، وما تزال هذه القوى تحول وتضع السدود والقيود ومن أخطر الدعوات المطروحة في سبيل هدم المجتمعات الإسلامية :

(أولاً) نشر المفهوم الربوى عن طريق أساليب خادعة تحت اسم الاقتصاد السياسى والتفرقة بين الربا والفائدة ، ولاريب أن نشر الربا غاية أساسية في هدم المجتمع الإسلامى ومن أجل تحقيق مصدر الدعوة إلى الإباحيات والقمار وعلب الليل وتنتشر الدعوة إلى أفساد الأخلاق وتدمير المجتمعات وأشاعة

الانحلال الذي يمكن من دفع الناس إلى الانفاق في بذخ واسراف وإلى الاقتراض والرهن وضياع الثروات وبعد اقراض تم السيطرة على اقتصاديات الدول ، الأمم ومن أجل ذلك يشرف اليهود على إذاعة مفاهيم الوجودية والفرويدية ونظرية الفن للفن والإباحيات والمكشف والجنس الذي تحفل به القصص والآداب الغربية والمترجم والمطروحة يقدر ضخهم في محيط الفكر الإسلامي اليوم .

(ثانياً) إفساد العلم ومنتجات الأرض وذلك عن طريق دفع المصانع إلى إنتاج الكاليات وأدوات الزينة والترفيه وعوامل الإفساد وتجارة المراقص والبغاء والمسارح والإباحيات بحيث تقلص الثروات البشرية الحامات العالمية ويقع العالم في دائرة الأسراف وفقدان الثمرات ومن أجل ذلك انتشرت الدعوة إلى اللذات .

(ثالثاً) وحتى لا يتمكن المجتمع الإسلامي من امتلاك أرائه والسيطرة على مبادئه تقوم الدعوة اليوم إلى تحديد النسل بعد أن عقلت الأرحام في الغرب بنتيجة أعراض المرأة عن الزواج والولادة واسرافها في اقتناص اللذات بعيداً عن روابط الأسرة ، ومن حيث بدأت في عالم الإسلام علامات التفوق البشري الذي يراد القضاء عليه بالدعوة إلى تحديد نسل المسلمين وحدهم بينما تعمل كل الوسائل والمغريات لزيادة نسل غير المسلمين .

(رابعاً) الدعوة إلى محاربة الفهوم الإسلام الجامع القائم على أنه دين ودولة والترويج لمفهوم باطل زأف هو مفهوم العلمانية الذي عرفه المجتمع المسيحي تحت ضغط ظروفه الخاصة وتأتى هذه الدعوة في إطار قصور مفهوم المسلمين في التفرقة بين المسيحية التي هي عبارة عن مجموعة وصايا وبين الإسلام الذي يجمع بين العبادة وبناء علاقات المجتمع .

(خامساً) محاولة طرح مفهوم وحدة الأديان والغناء الفوارق بينها ومحاولة القضاء على مفهوم ذاتية الإسلام الخاصة القائم على أنه دين التوحيد الخالص

الوحيد الآن في الأرض كلها والذي يختلف عن تفسيرات الآديان المختلفة ، التي انحرفت عن مفهوم التوحيد .

(سادساً) محاولة القضاء على مفهوم الجهاد الاسلامى باشاعة مفهوم التسليم للعدو في امتلاك جزء من الأرض الإسلامية ، وقد جاءت هذه الخطة على أثر حركات الجهاد الإسلامى التى حققت نتائج هامة مادفع القوى الأجنبية إلى طمس هذه التيارات ، ومن الضرورى على المجتمع الإسلامى ابقاء مفهوم الجهاد الإسلامى قائماً في وجه القوى المضادة ليسكون قادراً دائماً على القضاء على السيطرة الأجنبية .

(سابعاً) محاولة القضاء على مفهوم الإسلام للحضارة من حيث أنها تقوم على أطروحة جامعة بين الفردية والجماعية وعدم الاستعلاء بالعنصر أو الجنس أو اللون وأن تكون ثمرات العلم والحضارة للبشرية جميعها .

(٢)

ويبقى بعد ذلك على المسلمين أن يتعدوا من عبرة التاريخ البشرى وليس في التاريخ البشرى التجربة واحدة مستمرة على مدى الاجيال تلك هى الخضوع لله تبارك وتعالى أو الأعراض عنه فالمجتمعات التى قامت حضارتها واتسعت ونمت هى المجتمعات التى قامت على أساس الاذعان لإرادة الله تبارك وتعالى والإيمان به ، فإذا أعرضت المجتمعات أصابتها سنة الازالة والإبادة ، ومن ثم تحطمت الحضارات الباذخة واحدة بعد أخرى لأنها فسدت حين انحرفت عن سنن الحق إلى الترف والفساد وازنا والإباحة والبغاء ، هنالك كان هلاكها ، وهذه هى عبرة التاريخ قائمة بالحضارة التى يعيشها العالم اليوم ، فالمسلمون مطالبون بالتماس سنن الله الحق والسير في طريقة المستقيم وتحرر مجتمعهم من العوامل الضاغطة التى تفرضها القوى الاستعمارية واليهودية والشيوعية لاحتواء عالم الإسلام والحيلولة دون تميزه وتفرده بذاتيته الخاصة ورسائله العالمية ، وبذلك يسقط في اتون التيمية والاحتواء وينهار مع هذه الحضارة حين تنهار .

ولاريب أن الطريق الذي يسير فيه المسلمون الآن وهم محاصرون بالتيارات اليهودية التلودية من حيث تجاهلهم إرادة الله تبارك وتعالى وانكار قدرته وعطائه واستسلامهم للنظريات المادية التي تتحدث عن الطبيعة وعن دورات السكون المنتظمة ، وكل هذا خطأ ، فإن الصانع في الحقيقة هو الله تبارك وتعالى وليس الطبيعة ، وإن هذه الدورات المنتظمة لا تقيم مفهومها جبريا فإن الله القادر على تنظيمها قادر على تحطيم نظامها وتعتبر طبيعتها متى شاء كيف شاء أي شاء .

لقد دخلت على المسلمين منذ اتصلوا بالفكر الغربي أخطاء كثيرة ومفاهيم زائفة ، تسيطر الآن على مناهجهم الدراسية والتعليمية والثقافية وتحاول أن تحتوى مفاهيمهم الأصلية القرآنية سواء في مجال الإجتماع أو الاخلاق أو السياسة أو الاقتصاد أو التربية فهم يعتمدون مقياس الفلسفة المادية في تقدير الأمور ، وينسون مفهوم الإسلام الجامع بين المعنويات والماديات والذي يجعل للجوانب الروحية والمعنوية والنفسية قدرها الموازي بل السابق للتقدير المادية (وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بأذن الله) فالإسلام يرجح ميزان التقدير بالمعنويات إزاء الماديات الزائدة في الجانب الآخر .

ومن أخطاء المسلمين في مقياس الأمور إعتداد التفسير المادى للتاريخ وتغليب الجانب الاقتصادى على الجوانب الروحية والمعنوية وينسون قدر العقيدة الدينية في ترجيح كفة الأمور .

وفي مجال الاقتصاد ينحرف المسلمون إلى مفاهيم الاقتصاد السياسى الذى وضعه الرزيون أصحاب أمبراطورية الربا على أساس امتلاك السيطرة العالمية على مقدرات الأمم والشعوب ، وهم يسلمون ثرواتهم ومقدراتهم لتخضع لتيارات عالمية ظالمة ، بينما يستطيعون أن يمتلكوا أرادتهم وثرواتهم ويحركوها في مجتمهم بأرادتهم الذاتية ويحققون بها المفهوم الإسلامى للاقتصاد من حيث مقومات الاتفاق والزكاة والوجه الصحيحة للكسب الحلال .

(م ١٧ الإسلام)

أننا في حاجة إلى إعادته صياغة المجتمع الإسلامي من جديد على طريق
الاصالة والتماس المنابع الاسلامية بالعمل على :

أولاً : العودة إلى فريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ثانياً : العودة إلى فريضة الجهاد

أن الاسلام لا يواجه الواقع آياً كان ليقره أو يبرره ، وإنما يواجه
الواقع ليزنه بميزان الله تبارك وتعالى فيقر منه ما كان على طريق الله ويعمل على
أنشاء واقع جديد يتفق مع حدود الله لما اختلف عن الطريق .

إننا نؤمن بأن التغيير الحقيقي لا يأتي من خلال التغيير في
الهيكل التنظيمي أو في الأدوات والتقنيات ، بل يأتي من خلال
التغيير في القيم والمبادئ التي تحكم المجتمع . إننا نؤمن بأن
القيم والمبادئ هي الأساس الذي تقوم عليه الحضارة ، وأن
التغيير في القيم والمبادئ هو التغيير الحقيقي . إننا نؤمن بأن
القيم والمبادئ هي التي تحدد مصير الأمم ، وأن التغيير في
القيم والمبادئ هو التغيير الذي يحدد مصير الأمة الإسلامية .

إننا نؤمن بأن التغيير الحقيقي لا يأتي من خلال التغيير في
الهيكل التنظيمي أو في الأدوات والتقنيات ، بل يأتي من خلال
التغيير في القيم والمبادئ التي تحكم المجتمع . إننا نؤمن بأن
القيم والمبادئ هي الأساس الذي تقوم عليه الحضارة ، وأن
التغيير في القيم والمبادئ هو التغيير الحقيقي . إننا نؤمن بأن
القيم والمبادئ هي التي تحدد مصير الأمم ، وأن التغيير في
القيم والمبادئ هو التغيير الذي يحدد مصير الأمة الإسلامية .

إننا نؤمن بأن التغيير الحقيقي لا يأتي من خلال التغيير في
الهيكل التنظيمي أو في الأدوات والتقنيات ، بل يأتي من خلال
التغيير في القيم والمبادئ التي تحكم المجتمع . إننا نؤمن بأن
القيم والمبادئ هي الأساس الذي تقوم عليه الحضارة ، وأن
التغيير في القيم والمبادئ هو التغيير الحقيقي . إننا نؤمن بأن
القيم والمبادئ هي التي تحدد مصير الأمم ، وأن التغيير في
القيم والمبادئ هو التغيير الذي يحدد مصير الأمة الإسلامية .

(مستطاب)

الفصل الثالث عشر

دعوة إلى الأصالة التربوية والفقهية

طرحَت القوى الأجنبية الواغدة على المجتمع الإسلامي أسلوباً جديداً للحياة وفرضت عليه مفاهيم جديدة في مجال السياسة والاقتصاد والتربية بعد أن كانت أجيالاً من المتعلمين وفق مفهوم الديمقراطية الغربية، بدأ هذه العملية رجال الاستعمار في البلاد الغربية الذين اتصلوا بطلائع الشباب المثقف فاحتصنهم ووجههم وجهتهم، وافنعوهم بأن الأسلوب الوطني المتقد بالحماسة المتطلع إلى أجلاء المستعمر وأخراجه من البلاد لن يحقق نتيجة ما، وأن الأسلوب الصحيح هو قبول التعاون مع المستعمر الذي لا يقصد الإيتمدين البلاد كأنما كانت هذه تعبش في همجية قبل ذلك ولقد كان أحدهم (كرومر) يعلن كل عام في تقريره السنوي أن الاستعمار لن يخرج إلا بعد أن يكون ركاثر من أبناء البلاد يحملون رسالته قبل أن يرحل وقد امضى لورد كرومر ربع قرن كامل وهو دائب على تحقيق هذه الرسالة، ولم يفكر في مغادرة البلاد إلا بعد أن وضع بدائل على الصحافة والثقافة والتعليم كانت أشد إيماناً بدعوته وأشد ولاء للنفوذ الأجنبي من المستعمر نفسه.

هذه هي قصة الأخطار التي تواجه الأمم في الحقيقة، وهي تكمن في تغيير نظام المجتمع من ناحية، بحجب الشريعة الإسلامية والنظم الإسلامية وفرض نظم وآفدة وقانوننا اجنبياً وضعياً لا يعترف بالأعراض ولا بالاخلاق ولا يحفظ للامة كرامتها أو للمجتمع روحه وهو في نفس الوقت قد حرف أسلوب التعليم فصرفه عن الإسلام والقرآن وفرض عليه طامعاً لادنيا لا يستهدف إلا تخريج أصحاب ولاء

للمحضارة الغربية وأعجاب بأبطال الغرب وتنكر واحتقار للتاريخ الإسلامي
واللغة العربية .

وبالرغم من أن الاجبال الجديدة التي نشأت في ظل النفوذ الاجنبي لم تتعرف
إلى خصائص الامة الإسلامية ولا قيمها إلا في القليل الذي عرفته عن طريق الاسرة،
أو عن طريق بعض الدعاة وائمة المساجد فإن المجتمع الإسلامي قد رفض
تلك الافكار الوافدة التي طرحتها الانظمة الاستعمارية من رأسمالية ولبرالية يهودية قراطية
وماركسية . ووجد أنها لا تستجيب لظروته ولا تعطيه مظاعه النفسية ولا الروحية
وبذلك افلست تجربة الديمقراطيين ثم افلست من بعدها تجربة الماركسيين ، وكان
معنى هذا أن الروح الإسلامية العميقة الكامنة في الأعماق قد استجاشت وتطلعت
إلى الاصاله- نعم : أن حركة التيقظة الاسلاميه لم تلبث أن برزت من خلال هذه
التيارات الانحاديّة والاباحية والمادية التي فرضتها المدرسة الحديثه والتي كانت
تصدر الصحف والندوات والجامعات ، ولم تكن حركة اليقظة تملك إلا الجهد
اليسير في مواجهة هذه القوى العاتية ولكنها استطاعت أن تنصر عليها وأن
تواجهها وتديل منها .

لقد كان هدف النفوذ الاستعماري هو القضاء على هوية هذه الامة وذاتيتها
الخاصة ، وكان يرى أن ذلك هو وحدة الذي يمكن الغاصب من إلامه السيطرة
وبالرغم من أن الامة كانت مكبله بالنفوذ الاجنبي المسيطر عسكريا وسياسيا
فإن روح الاسلام القوية النافذة استطاعت أن تبرز وأن تقاوم .

ولكن التبعية ثقيلة والمسئولية مازلت ضخمة فإن هذا النفوذ الاجنبي
المسيطر قد أقام واقعا فعلا وأقام أعرافا وهو مازال يدفع الأوضاع على الطريق
الممهد وما تزال قواه تعمل من وراء ستار شفاف : هو ستار المناهج الدراسية
والابحاث الثقافية والمسرح وقد حقق أكبر هدف سياسي وهو تمزيق وحدة
المسلمين وأقام القوميات والافليات التي ترى أنها حدوداً طبيعية وقد أقامت لها
تاريخاً وكيانا بحيث يكرن من العسير إعادتها إلى الوحدة الطبيعية .

وعندما قامت البلاد الاحتلال والنفوذ الاجنبى وكانت تطلع ن
ورائه إلى امتلاك إرادتها، كانت القوى الغاصبة تخطط لنفوذ مشترك، من صهيونية
إلى ماركسية إلى غزو فكرى يعمل على تغريب الامة نفسها عن أصولها وقيمها ،
على النحو الذى حدث فى تركيا وإيران ثم كانت المعركة مع الصهيونية هى
أكبر المعارك وأشدّها وأعقدها ، وهى معركة لاكتفى بالسيطرة على أرض
فلسطين ومقدسات المسلمين فى القدس وإنما تجرى المعركة من جوانب أخرى
عديدة وخطيرة تستهدف تمزيق الوحدة الإسلامية ، وإيقاع الخلاف بين العرب
والمسلمين وبين الاقطار العربية نفسها وبين الطوائف المختلفة والاقليات ، وأثارة
الوان الصراع بين الامة الواحدة التى تجمعها كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله .

وهى حرب منظمة تقوم بها منظمات تبشيرية واستشراقية وشعبوية موجبة
أساسا ضد الإسلام الذى هو الجامع الوحيد لهذه الامة ، والمصدر الاساسى
لوحدها وقوتها وقدرتها على المقاومة وحل مشاكلها وإعادة مجتها إلى طريق
الرشد والعدل وتتمثل هذه الحرب فى مواجهة كل ما يمثل العرب والعروبة كواقع
تاريخى فى مواجهة الصهيونية . ويتمثل فى الجملة على شكل ما يحمله العرب والمسلمون
من عقيدة وخلق وشمال تاريخ فالصهيونية تحمل لواء الحملة على العروبة وعلى
تاريخ إبراهيم وتحاول تزييف مفهوم الارتباط الإسلامى بين حنيفية إبراهيم وتوحيد
محمد وتزييف أوضاع اليهودية والمسيحية فى هذا الاطار .

وهى حرب موجبة إلى مفهوم أهل السنة والجماعة وعلاقة بالفكر الصوفى
والباطنى والشيعى والإعتزال ، ومحاولة الدعوة إلى فهم التراث الإسلامى على أنه
اعتزال أو تصوف وأحياء مفاهيم الغرب والقرامطة وغيرهم وأشاعة مفاهيم
الحلول ووحدة الوجود .

وهناك الدعوات المسمومة المنبعثة من مذاهب الماسونية والبهائية والقاديانية
وهى دعوات تحاول أنكار البحث والجزاء والجنة والنار ، وتدعو إلى سقوط

التكليف واحياء نظريات الفيض والاشراق والاتحاد والحلول ودعوى الروحة الحديثة وتحضير الارواح .

وهي تهدف إلى افساد مفهوم الاسلام الاصيل الجامع ، القائم على التوحيد الخالص ، إلى دعوات تفصل الدين عن المجتمع ، وتطرح مفاهيم القومية الضيقة والاقليمية والشيوعية والقانون الوضعي ، والدعوة إلى العالمية والامية ، وإلى طرح للنظرية المادية المنكرة لوجود الخالق تبارك وتعالى والدعوة إلى التحلل والاباحية والحرية الدينية والاخلاقية .

وبالرغم من أن كل هذه الدعوات قد سقطت ، وتكشف زيفها ، ودحضت حركة اليقظة الاسلامية مخططاتها فانها ما تزال تتجدد ، وتغير أسلوبها مرة بعد مرة . لتحاول إخضاع أجيال جديدة فما أجوح المسلمين اليوم إلى التماس مفهوم الإسلام الاصيل القائم على التمييز الواضح في أسلوب العيش بين المسلمين وبين الغرب ، فالمسلمون يملكون منهاجاً تربوياً أصيلاً قد نشأت في ظله أجيال وأجيال ، أجيال كانت قادرة على حمل الامانة وحماية الزمار وبناء الحضارة الاسلامية التي عرفها العالم بالعدل والرحمة وأعلام شأن الاخاء الإنساني فلماذا نخضع المسلمون لمناهج تربوية وافدة ثبت فشلها في بيئاتها التي انشأتها ، وهي مناهج علمانية لا تعترف بالاخلاق ولا بوجود الله الخالق .

والمسلمون يمتلكون منهاجاً ربانياً في السياسة والاقتصاد والإجتماع يمتاز عن الايدولوجيات الوافدة بالعدل والتكامل ما أحوجهم إلى تطبيقه وأعلانه للبشرية كلها لتجد فيه ضالتها التي افقدتها خلال قرون طويلة .

واليوم تنعقد في مختلف اجراء العالم الاسلامي مؤتمرات تحمل الدعوة إلى الاصاله في مجال التربية ، والاصالة في مجال الفقه ، والاصالة في مجال الوحدة الاسلامية ، ذلك أن أخطر ما أدخله الاستعمار هو القانون الوضعي بأنظمتة وقضائه .

والتعليم بمدارس ومناهج، هذه هي التي قطعت رقبة وحده الفكر الاسلامي، ولذلك قد تعالت الصيحة بالانطلاق مرة أخرى من تشريع اسلامي أصيل ومراجعة التشريعات التي كانت في عهد الحماية التي سنّها نظامها لحماية مصالح الاستعمار التي كانت قوانينه أبعد ما تكون عن ذاتيتنا وتاريخنا وعقيدتنا، بل لقد كان وضعها (كما يقول عبد الكريم بن جلون) يرمى أساساً إلى محو مقوماتنا الأصلية بالتدريج عن طريق نسخ النظام القانوني البلاد، وأن الخطر المنتشر في مجتمعنا الذي يتجرع نفس القلق كذلك من تصدع وإفناء الثقافي الناتج عن التعليم المحدث بنفس التشويه والتضليل للقيام مقام اللغة العربية وثقافتها بدعوى تخلفها عن ملائمة ضروريات الحياة المعاصرة والعلم الحديث، وكان من الطبيعي أن تؤدي هذه المناهج الفاسدة التي تخلى فريق من المواطنين الشباب عن التراث القومي والاستسلام للثقافة الأجنبية والتقليد الأعمى إلى حد انصهار في حضارة الفاتحين بدون قيد أو شرط.

ومن أهم ما يوجه إليه العمل تلك المدارس التي أنشأتها السلطة الاستعمارية وورثها التغريبيون العلانيون إتباع ديوى وغيره، هذه التي درست للشباب المسلم القوانين الوأفدة وأهملت الفقه الإسلامى المعمول به إلا في مسائل معينة كالأحوال الشخصية وأصبح كل رجال القانون تقريباً يجهلون أحكام الشريعة ومقاصدها. وأن هذا الجهل التي يفسر النصوص الفقهية عند تطبيقها حسب تأويل تمليه في ذلك مناهج القوانين الوضيعة ويرى رجال القانون المسلمون اليوم: أن دعوة الأصالة الفقهية هي في الحقيقة دعوة إلى تصحيح أوضاع لم يبق أمرها قابلاً للمأطلة والتسويق وتناد إلى استرجاع حق مسلوب.

فالأصطلاح المستعمل الآن عند الكلام على الأصالة يجري بمعنى الالتزام بالاستقلال الذاتي دون أن يقصد بهذا المعنى الشذوذ والاعتزال.

كذلك فإن دعوة الأصالة تضىء الفهم الصحيح للدين ورسالته الشاملة

الحياة واصالة الروح الإسلامية الحقيقية في النفوس وحملها على استكشاف
ذاتها وتعلقها بالاصول وترويضها على رفض كل سيطرة أجنبية تفرض
سلطانها بالقوة أو ثقافتها عن طريق الحيلة والاستدراج ، حيث أن مبادئ
الإسلام لا ترضى للدؤمن أن يكون ذيلًا لغيره في أفكاره وسلوكه .

معرفة الذات وفهم الواقع هما واجب الفكر الإسلامى المعاصر .

الفصل الرابع عشر

لابد من عودة منهج التربية الإسلامية الاصيل

على طريق الاخطار التي تواجه الامم يجب أن يتجه البحث حول القضايا المصيرية : وأهمها هذا الواقع الذي يعيشه المجتمع الإسلامي في مختلف أنحاء العالم الإسلامي . هل تقبل واقع المجتمع المضطرب الآن ونبرره أم ندعوه إلى تصحيحه في ضوء مفهوم الإسلام الصحيح ، أننا نطالب المجتمع الاسلامى باعادة النظر في تشكيله بالعزائم لا بالرخص ، في مجالات كثيرة ، في مجالات المعاملات الاقتصادية مع سيطرة الربا ، وفي عمل المرأة ، وفي مسألة الفنون والاضحاك والتسلية . كل هذه الأمور في حاجة إلى معرفة رأى الاسلام فيها والتزامه . أننا نتطلع إلى تشكيل أعراف المجتمع الإسلامي من جديد بحيث ترفض الزيف المادى الاباحى الذى تقدم الاطروحات الوافدة في مجال الازياء والفنون وبحيث تطرح النظام الغربى بيقين واعتقاد وباعتراف أن هناك جزاء أخرى ومستولية أخلاقه وفردية أن هناك محاولة مستمرة للقضاء على الفطرة النقية التي جاءت الاسلام متجاوبا معها ، وفرض أعراف وافدة معارضة للفطرة تدفع الإنسان إلى الانحياز إلى الشهوات والغواية والأهواء لينهار كيانه الخاص ولينهار الكيان الإجتماعى نفسه بينما يدعوه مفهوم الإسلام إلى حماية نفسه ومجتمه وراء ضوابط وحدود ومقومات عليه أن يقف عندها ولا يتعداها .

ولايتأتى تصحيح مسيرة المجتمع إلا بتعديل مناهج التعليم وإعلاء منهج التربية الإسلامية على منهج التعليم الوافد .

ذلك لأن الغربيين قد صاغوا منهج التربية وفق معتقداتهم وأخلاقهم وآدابهم فهي لاتصلح لنا أصلا ولا بد أن تعود الامة الإسلامية إلى نظرتها القرآنية الإسلامية المستمدة من عقيدتها وكتابتها فتجعل ولائها للإسلام عقيدة وشريعة وسلوكا ، ولقد بين الكثير من الباحثين في السنوات الاخيرة وأن ما يدرسه الطلاب المعدن ليسكونوا معلمين من علوم تربوية ، إنما هي آراء ترجمت أو اقتبست من أقطار

غربية أو شرقية وهي نادرأ ما نخدم واقعنا التربوي أو ثقافتنا الإسلامية المعاصرة، وفي هذا تقول دكتور الرحمن النقيب : أن ما يحدث في معاهدنا وكلياتنا من قطع الطلاب عن حضارتهم وثقافتهم الإسلامية وشغلهم بالكامل بفكر تربوي وافد قد ترجم أو نقل أو اقتبس من الغير ليمثل جناية على شخصية هذه الأمة ممثلة في الاعتداء الكامل على شخصية أهم عنصر من عناصر تلك الأمة وهو المعلم فالمعلم (العربي) يتخرج من كليات التربية وقد عرف عن التربية اليونانية والرومانية والعصور الوسطى المسيحية والعصور الحديثة ما لا يعرفه عن التربية الإسلامية من عصورها الزاهرة وهن عصور انحطاطها . أن أعداد المعلم تربويا بصورته الحالية لا يعده في الواقع ليكون معلما في مجتمع مسلم ، يعتز بفكرة التربوي وتراثه الاسلامي وانتمائه إلى أمه إسلامية واحدة ، إنما يهده ليكون عبدا مردداً للفكر الوافد بدون نقد لهذا الفكر أو تمحيص لمبادئه النظرية وتطبيقاته العملية دون أن يمد نظره إلى ما يحدث في الدول الإسلامية .

د أن العلوم التربوية التي تلقى إلى طلابنا على أنها حقائق علمية إنما هي في الواقع مجرد نظريات أو تأملات أو آراء خاصة بمجتمعات أخرى وراثة هذه العلوم لانهم في معظمها إلا في تنمية الشعور بالتبعية الثقافية .

(٢) فإذا ذهبنا نستقصي واقع النظرية التربوية الوافدة وجودنا أن أخطر ما تنسجم به هذه النظرية هو انفصالها وأنشطتها ، أي أنها تفصل بين الدين والخلق وبين العلم والإيمان وأنها تنادي بفلسفة مؤداها د دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله . وهي نظرية جائرة تمثل أجيالها قديما في التفكير ويمكن أن نتعرف على أصولها في فكر الجاهلية الغربية كما يقول السيد محمد القاضي الذي يرى أن الذين ينظرون إلى أمور التعليم على المستوى العالمي يهولهم أنه قد أفرغ من كل مضمون ديني أو إيماني أو قيمي وأنه أنجاز بكلية إلى الدنيا وإلى المارة ، وهذه هي المحنة التي تورطت فيها البشرية .

ومن هنا فقد تبين للسليين في مختلف أنحاء العالم الإسلامي فساد هذه النظرية الوافدة ومن ثم فإن عليهم أن يتخلصوا منها وأن يعودوا إلى مفهومهم الأصيل

في التربية ، وأن يعودوا إلى منهجهم الرباني الذي يتفرد عن سائر النظريات والاجتهادات بالاحالة والشمول .

ونحن نجد أن النظرية التربوية الغربية قد افسدت كل المجالات حتى مجال دراسة الشريعة الإسلامية حيث فرضت دراسة القانون الوضعي ، وفي مجال الاقتصاد فرضت دراسة الاقتصاد السياسي وهو العلم الذي وضعه أصحاب أمبراطورية الربا لفرض مذهبهم المعارض للإسلام على البشرية كلها .

وهكذا فإن النظرية الوافدة في التعليم والتربية قد افقدت الشخصية الإسلامية أصالتها واستقلالها وتكاملها وغرست فيها روح التبعية والانقسام ، ويرى الدكتور أسحق أحمد فرحان أنه بالرغم من أن الاستعمار قد ذهب فإن موارثه لاتزال قائمة في البلاد الإسلامية يحرسها إتباع له ، وعلى الرغم من حصول الكثير من البلدان الإسلامية على الاستقلال إلا أنها ما زالت تتوارث النظم التربوية التي وضعت في عهد المستعمر ولذلك فلا بد من إعادة الصياغة لمناهج التعليم والتربية وفق مفهوم الإسلام فاسرائيل عند احتلالها لفلسطين حرصت على تغيير مناهج الكتب المدرسية حتى لا يبقى فيها ما يدعو الناشئة إلى الجهاد والبذل والتضحية أو الانتماء لهذه الأرض المقدسة مع التأكيد على تصويرهم بأنهم غزاة قساة لاحق لهم في أرض ولا وطن .

وما فعلته إسرائيل هو ما فعله من قبل اللورد كرومر والقس دتلوب في مصر وما فعله كثير من رجال الاستعمار في الغرب وفي كل مكان بالعالم الإسلامي ، وما تزال هي دعوى قوى جديدة كالينسكو ووحدة الحضارة العالمية التي هي مفاهيم الماسونية القديمة مجمدة في صور أخرى وكلما ترمى إلى إذابة مفهوم الجهاد الإسلامي في دعوات مضللة تحمل طابع الاستسلام والأذعان للقوى الأجنبية المحيطة والمسيطرة على أجزاء من العالم الإسلامي .

وفي هذا يقرر (دون ناغل) : أن المسلمين لا يمكن أن يقبلوا بوجود إسرائيل ولا بسيطرة اليهود على المنطقة إلا إذا تعرضوا لعملية إعادة تعليمهم

(أى غسيل مخ) وكل ما حدث في هذا المجال للأمة لا يمكن ، تغير عقائدهم الراسخة ، وتمحو من تراثهم وسلوكهم وكتبهم المدرسية وتفكيرهم كل الافكار المعادية لليهود ، أى أن اليهود يعلون على جعل عملية اعادة التعليم من البنود الملزمة فى أى تسوية مع العرب .

ونحن فى مواجهة هذه المحاولات الخطيرة التى تحاولها الصهيونية ويحاولها النفوذ الغربى وتحاولها الماركسية على اختلاف الجهات الاسلامية المتأثرة بهذا الفكر أو ذاك نجد أنه لا ميسل إلى الخروج من الأزمة الا بتربية جيل جديد مسلم ، تربية إسلامية هى طريقة الخلاص لهذه الأمة مما تعاني وهذه هى الخطوة الأساسية لتطبيق النظام الإسلامى .

هذه التربية الإسلامية التى توازن بين الفرد والجماعة وتعنى بالنظرية والواقع وتعتمد العقل والوجدان معا ، والروح والمادة فى آن وبعد أن تكشف النتائج الخطيرة لتطبيق المناهج التربوى الوافدة التى تشويها روح الشك والارتباب فى الدين والاستخفاف بفرائضه وواجباته والاستهانة بالآداب والأخلاق والاهتمام بالظواهر والقشور .

وإبرز ما تعنى به التربية الإسلامية هى تربية روح ، الرقابة الذاتية ، (ولا نقول الضمير فى كلمة وافدة ليس لها أساس فى الفكر الإسلامى) من داخل الفرد وتنمية حسه الدينى . ومسئوليته المباشرة أمام الله عز وجل بالتقوى فيكون حارسا أميناً للنظام الذى آمن به .

فالإسلام يعرف الإنسان بنفسه ويصمره بمقوماته ويطلعه على حقيقته المادية وحقيقته الروحية ويولى الاهتمام بأداء فريضة الأمر بالعروف والنهى عن المنكر وتغيير الباطل فقد أكد الإسلام على تثبيت الحق والقيم الصحيحة .

ويقوم بناء التربية الإسلامى على بناء القدرة فى الأسرة (الوالدين) فالرجل هو الذى يصنع زوجته ثم يصنع أولاده وقدوة الوالد أعظم من قدوة المدرس

وأمام المسجد ، وعلى المسلمين أن يكونوا أنفسهم وأولادكم ولا ينتظروا أن يكونهم أحد ، وعلى الرجال أن يكونوا أولادهم وزوجاتهم .

وعليهم تحصين الشباب من الغزو الفكري والمطبوعات المتحللة .
ولا بد أن يكون رب البيت مستقيماً ، يحافظ على عمله ويقوم مبكراً ولا يرى متهاوناً ولا يترك امرأته لحظة ، وعليه أن يسألهم عن أمورهم ساعة بعد ساعة ويهدي لهم التوجيه الكريم ، ذلك أن الفجوة التي تنشأ إنما مصدرها تقصير الآباء وتفريط الآباء ومن صلاح الولد أن يحاط بمجموعة صالحة ولا بد من تحصين الشباب أمام التيارات الفاسدة ، ولا بد من كشف الشبهات عن الحضارة المتحللة والاختطار المحيطة بالامة الإسلامية .

My dear Mr. [Name], I have the honor to
acknowledge the receipt of your letter of the 10th inst.

and in reply to inform you that the same has been forwarded to the proper authorities for their consideration.

I am, Sir, very respectfully,
Your obedient servant,
[Signature]

الباب السادس

بناء المجتمع الإسلامي الجديد

الفصل الأول : المجتمع الإسلامي والحضارة الغربية المتناهية

الفصل الثاني : العودة إلى منهج السنه والجماعة

الفصل الثالث : بناء الشباب المسلم وفق منهج الإسلام

الفصل الرابع : الطفل المسلم

الفصل الخامس : فجر جديد لعلم وإجتماع إسلامي

الفصل الأول

المجتمع الإسلامي : والحضارة الغربية المنهارة

(مازال المجتمع الإسلامي كالكيان الحي قادر على رفض الجسم الغريب)

مر المجتمع الإسلامي في مواجهة الحضارة الغربية بمراحل ثلاث : مرحلة الانهيار ومرحلة التقليد ومرحلة التحفظ : هذه المرحلة التي نعيشها الآن والتي ستحقق في النهاية التماس الأصالة والرشد الفكري وإعادة بناء الحضارة الإسلامية التي توقفت عن العطاء خلال القرون الثلاثة الماضية تحت تأثير النفوذ الأجنبي الذي سيطر على العالم الإسلامي وحجبها عن التماس وسائل الحركة في اتجاه الإنماء العلمي والتكنولوجي ، فضلا عن تلك المحاولات التي فرض بها النفوذ الأجنبي الحيلولة بين المسلمين وبين بناء الصناعة والقوة ليطولوا مستهلكين وتظل بلادهم موردا للخامات ومصدرا لبيع المصنعات الغربية .

واتخذت تعالت صيحات دعاة التغريب منذ وقت بعيد بالدعوة إلى حضارة عالمية واحدة تكون الحضارة الإسلامية جزءا منها وقد عارض المسلمون هذا المفهوم معارضة حاسمة وكشفوا عن أن في العالم حضارتان هما حضارة التوحيد وحضارة الوثنية وأن حضارة الغرب القائمة الآن إنما هي امتداد لحضارة الغرب اليونانية والرومانية بعد توقف استمرار ألف عام وبأسلحة إسلامية نتيجة إمتلاكهم مفاهيم (المنهج الإسلامي العلمي التجريبي) الذي وصل إلى أوروبا عن طريق جامعات المسلمين في الأندلس . غير أن الغرب لمطعن أساليب المنهج التجريبي الإسلامي دون أن يقبل أصوله الفكرية والاجتماعية وصهر تلك المفاهيم في إطار النظرية المادية الوثنية اليونانية ومن ثم نشأت هذه الحضارة الغربية المعاصرة في هذا الإطار أما حضارة الإسلام التي قامت ببزوغ فجر الإسلام فقد تشكلت وفق مفاهيم التوحيد والعدل والرحمة والأخاء الإنساني وتحرير العقل الإنساني من الوثنية وتحرير الإنسان من العبودية ، وقد استفادت هذه الحضارة من

تراث البشرية القديم كله فراجعته وكشفت عن زيوفه وإنحرافاته واستطاعت أن تأخذ منه للعناصر الإيجابية الصالحة لتشكّلها وتصرّحها في دائرة الفكر الإسلامي في صورة مختلفة كل الاختلاف عن مفاهيم الحضارات القديمة وفي خلال ألف سنة كاملة قدمت الحضارة الإسلامية للبشرية عطاءها الوافر الخصب في مرحلة أطلق عليها اسم (العصور الوسطى المظلمة) التي كانت قاصرة على أوروبا بينما كانت أضواء الحضارة الإسلامية تغمر هذا الكوكب من حدود الصين إلى حدود نهر اللوار .

غير أن هـ . دورة التاريخ ، لم تلبث أن لحقت بالحضارة الإسلامية فتوقفت عن العطاء بينما بلغت الحضارة الغربية ذروة العطاء المادى مع عجز واسع عن العطاء النفسى والروحى والمعنوى ، ومن ثم فقد آفاق المسلمون بعد فترة من الانغفاء على تخلف واضح إزاء غزو غربى كاسح لبلاد المسلمين لم يحمل معه إلا الجوانب السلبية من حضارته في مجالات الإباحية والتحلل والترف والمظاهر المادية الاستهلاكية فغدعت أجيالا من المسلمين ثمة ، ثم لم يلبث المسلمون أن انتقلوا إلى مرحلة التقليد حتى جاءت صدمات (الهزيمة والنكسة والتكبة) لفتحت عقول المسلمين وقلوبهم إلى حقيقة واضحة : هى أن أسلوب العيش الغربى ليس صالحا تماما ليسكون أسلوبا للحياة فى المجتمع الإسلامى وأن على المسلمين أن يلتمسوا منهمجهم القرآنى الاصيل .

كذلك فقد كشفت الحضارة الغربية عن إنحرافها وفسادها وعوامل انهيارها التى استطاعت أن تخفف من مظاهر الانبهار والتبعية ورأينا أعلامها من مفكرى الغرب يكشفون عن عجز الحضارة الغربية عن العطاء فى مجتمعها الذى شكّلها فكيف بها فى مجتمع يختلف من حيث العقيدة والفكر والذاتية الخاصة وهو مجتمع له حضارته الخاصة وأسلوبه المتميز أصلا : ذلك هو المجتمع الإسلامى .

يقول الدكتور اليكس كاريل : فى كتابه . الإنسان ذلك المجهول ، أن الحضارة العصرية تجد نفسها فى موقف صعب لأنها لا تلائمنا . لقد انشئت (١٨م - الإسلام)

حون أية معرفة بطبيعتها الحقيقية إذ أنها تولدت من خيالات الاكتشافات العلمية وشهوات الناس وأوهامهم ونظرياتهم ورغباتهم . أن أهم سمات هذه الحضارة : أن المادية البربرية التي تنقسم بها حضارتنا لانقاوم السمو العقلي فحسب ، بل إنها أيضا تسحق الشخص العاطفي واللطيف والمفيد وأولئك الذين يحبون الجمال ويبحثون عن أشياء أخرى غير المال . ويقول عن سبب انحراف الحضارة ومصيرها : يجب أن يكون الانسان مقياسا لكل شيء ، ولكن الواقع هو عكس ذلك فهو يرغب في العالم الذي ابتدعه . إنه لم يستطع أن ينظم (بناء بنفسه) لانه لا يملك معرفة عملية بطبيعته ، ومن ثم فإن التقدم الهائل الذي احرزته علوم الجماد على علوم الحياة هي احدى الكوارث التي عانت منها الإنسانية فالبينة التي ولدتها عقولنا وأختراعاتنا غير صالحة ، إننا قوم تعساء لأننا ننحط أخلاقيا وعقليا .

أن الجماعات والأمم التي بلغت فيها الحضارة الصناعية أعظم نمو وتقدم هي على وجه الدقة الجماعات والأمم الآخذة في الضعف والتي ستكون عودتها إلى البربرية والهجمية أسرع من عوده غيرها إليها ولكننا لا ندرك ذلك ، إذ ليس هناك ما يحميها من الظروف العدائية التي شيدتها العلم حولها . وحقيقة الأمر أن مدينتنا مثل المدينت التي سبقتها أوجدت أصولا معينة للحياة عن شأنها أن تجعل الحياة نفسها مستحيلة لأسباب لاتزال غامضة ،

(٢)

ويقول جبرالد هيرد في كتابه القيم الخلقية الثالثة : أن الغرب تعس ومتخلف بتحكيمة القانون العلي في كل شيء حتى غدا الإنسان آلة قابلة للتحكيم والتحكم مادام كل شيء ملائكة فكل شيء لاهداف له ولا أخلاق له ، ولا قيم له . كل ما يملك الغرب هو القدرة على التصنيع والقدرة وحدها قد تدمر .

ويقول باحث آخر : أن تبعية الحضارة الحديثة لأخلاقية الحضارة الرومانية واليونانية في عبادة الجنس فقد أسلمتها بمرور القرون إلى حياة الاباحية وتحطيم

الضوابط التي لابد منها في توجيه الطاقة الجنسية إلى بناء الحياة لا تدمرها وقد عمت هذا الاتجاه عوامل كثيرة من أهمها موقف مفكرى الكنيسة الأوائل من الجنس واعتباره خطيئة وقذارة يجب السامى عليها دون مراعاة حقيقة وجود الدوافع الجنسية فى الإنسان عليهم بذلك يخففون نزعة عبادة الجنس فى الشعوب الأوروبية التى ورثتها عن الحضارة السابقة بحثت أدنى على انعكس وولد رد الفعل العنيف وذلك لعدم قدرة الإنسان على قتل غرائزه نتيجة الصراع العنيف فى داخل النفس الإنسانية ، انفجر الكبت الجماعى فى صورة إباحية مستورة أحيانا متسرلة بسر ايل التدين الظاهرى وغلبيته واضحه أحيانا أخرى ومنها تخطيط اليهودية العالمية فى العصور الأخيرة لتقويض المجتمع الغربى المسيحى من الداخل وتفجيرة جنسياً .

وقد وجه جارودى فى كتابه ، من أجل حوار مع الحضارات ، نقداً لازعاً إلى الحضارة الغربية المعاصرة الى انهبر بمظاهرها الملايين من المسلمين وأعلن أن سيادة هذه الحضارة أنما يثل أعظم كارثة فى تاريخ الإنسانية .

ويقول عن . عصر النهضة ، : أن هذا العصر كالم يكن كما يصوره الأوروبيون قمة الحضارة التى أظت أرقى القيم الإنسانية بها ، أنها بداية احلك فترة فى تاريخ الإنسانية ، إذ بدأت معها فترة الاستعمار الاقتصادى والسياسى فى العالم ، عندما بدأ الرجل الأبيض فى نهب الموارد الأولية من القارات الأخرى لتشييد بناءه الاقتصادى ثم استمر إلى اليوم فى عملية الاستنزاف الاقتصادى .

وينتقد الحضارة الغربية بسبب تحطيمها القيم الإنسانية فيقول : أن الحضارة الأوروبية التى بنيت على فلسفة (إفاوست) والتى جعلت من الإنسان الغربى مجرد آله للإنتاج والاستهلاك تسير دون هدف ولهذا السبب فإن الحضارة الغربية ستقود الإنسان إلى هلاك عثم إلا إذا خرج الرجل الأبيض من جهله ومن غروره وعطرسته وتفتح على الحضارة العريقة الأخرى .

ويقول : أن الإنسان الذى انتجته الحضارة الغربية يسير بلا هدف كالأق : اتاجه واستهلاكه . وهدفه الوحيد هو أن ينتج أكثر فأكثر ، ويطلق على ذلك النمو (الاقتصادى) وجعل من كمية هذا النمو الاقتصادى المقياس الوحيد الذى يفرق بين دولة متحضرة ودولة متأخرة .

(٣)

فإذا ذهبنا نستعرض وقائع الحصار الغربية نجد صوراً قائمة غاية القناعة وإليك هذه الصورة : الصحف ١٩٧٣/٢/٢٠ = أعلن الدكتور لويس هيلان مخطط الاسرة الأمريكية : أن العقم الذى يقصد به تحديد النسل يتزايد الاقبال عليه فى امريكا بسرعة مذهلة وأن ٢٠ فى المائة من الأزواج والزوجات الأمريكان سوف يصبحون عقماء بحلول عام ١٩٨٥ وذكر أن حركة تعقيم الرجال والنساء فى مدن الساحلين الشرقى والغربى قائمة على قدم وساق ولكنها تسير ببطء فى الولايات الوسطى وفى الجنوب ، وقد اجريت عملية مسح فى (سان فرانسيسكو) أوضحت أن ٢٦ فى المائة من الأزواج والزوجات الذين طلبوا تعقيمهم قد عقمو بالفعل والأمهات اللواتى بلغن سن ٣٢ قد أعلن أسرهن بما يكفى من الأولاد والبنات وبقي لهن ١٥ سنة تقريباً من الخصوبة والانجاب وانهن يظنن ذرعا بتناول حبوب منع الحمل وتخشين آثار نسيان تناول الحبة يوماً ويؤمن بأن التعقيم مضمون جداً ، وقد بدأ تعقيم النساء فى أمريكا منذ ست سنوات ، أما تعقيم الرجال فقد بدأ ينتشر انتشاراً سريعاً منذ أربع سنوات ، هذا وقد اثبت علماء جامعة فلوريدا الأمريكية انخفاض معدل الخصوبة لدى الرجل الأمريكى واثبتت الدراسات المتعددة انخفاض معدل الخصوبة لدى الرجل بوجه عام فى الدول الصناعية .

(٤)

هذه بعض مظاهر الحصار الغربية التى تحاول القوى الأجنبية طرح مفاهيمها فى أفق المجتمعات الإسلامية حتى تنهار بها وتدمرها ، فهل تقبل المجتمعات الإسلامية هذا الاحتواء وهذا الانصهار فى توقعة حصاراً توشك على الغرق والانهار .

أن هذه الحصار التى تمر بمرحلة الانهيار والدمار تنكشف عن مجموعة من الحقائق لاسبيل إلى تجاهلها :

أولاً : عجزها عن إعطاء السكينة لقلب الإنسان بعد أن هزت أعماق الثقة والطمأنينة النفسية بالعطاء المادى الذى وصل فى بعض الأنظار الأوروبية إلى درجة عالية بما أدى إلى ظهور موجه عاصفة من الانتحار والتمزق النفسى ويرجع ذلك إلى أغفال الجواب الروحية والنفسية والحلقية التى هى جزء أساسى من طبيعة الإنسان وأن فى أغفالها تدمير لشخصية الإنسان من الداخل .

ثانياً : مضادتها للفطرة الإنسانية وانها أهدرت خصائص الإنسان كجنس وفرد ونوع ، وذلك أنها بدأت فى ظروف جعلتها تنفر من الدين بل عادة وحاربه ولذلك كانت المادية اقصى سمات الحضارة المعاصرة ولم يكن للقيم الإنسانية بمفهومها الشامل مكان فيها .

ثالثاً : أن الخطأ الفادح الذى وقعت فيه الحضارة المعاصرة هو عزل العلم عن القيم ومازال هذا الخطأ قائماً ومازال العلماء فى الشرق والغرب لا يرون للقيم سلطان عليهم أو مدخلا فى معاملهم .

رابعاً : لم تعد تملك الحضارة الغربية حل أزمتها الخائفة ، وذلك يعود إلى عقم التربة التى تقف فوقها وفساد الهواء الذى يكتنفها وهى تفقر كالمحبوس من النقيض إلى النقيض إلى أن وجدت أغرب حل حين اقترح (الدوس هكسلى) تعميم المخدر وجعله فى متناول الجميع كالمشروبات الروحية والتبغ ، فهى تؤمن بالقوة أكثر من إيمانها بالحق ويخلى ذلك فى إرادتها السيطرة على الشعوب وتسخير جنس من البشر لخدمة جنس آخر ، وعدم إيمانها بالقانون الأخلاقى للبشرية وإنما لمعاملة أبناء جنسها .

(٤)

أن البشرية اليوم فى أشد الحاجة إلى عقيدة تنقذها مما هى فيه فقد أفلست كل النظم الوضعية التى سادت فى العصر الحاضر فلم تستطع أن تكفل للناس حياة السلام والاستقرار ، وقد دخلت الحضارة الغربية مرحلة المحاق ولم يعد فى استطاعتها أن تعطى شيئاً إيجابياً . أنها تعطى الآن القلق والتمزق وأزمات التدمير

الإجتماعى والحلقى وأن الأمل معلق بالقوة القادرة على منح الإنسان مطالبه الروحية إلى جانب المعطيات المادية ، وأن المعطيات المادية نفسها لم ولن تكون قادرة على إسعاد ، هذه القوة القادرة هى الإسلام الذى يقدم للبشرية نموذجاً مختلفاً يقوم على أخلاقية العمل الذى هو حجر البناء الأول للحضارة القادرة ، فإذا فقدت الحضارة هذا الأساس فإنها مهما تطل بها الحياة مستظل الملايين القائمة بها مدمرة منهارة ولذلك فإن الخطأ الأكبر الذى يجب أن يتحرر منه المسلمون هو الاستسلام للنمط الغربى ونسيان الهوية الإسلامية وفقدان الأصالة القائمة على التوحيد . أن الهدف من الغزو الغربى القائم من القوى الثلاث : النفوذ الأجنبى والشيوعية والصهيونية هو أن ينصر المجتمع الإسلامى فى يوتقة الأمية وبذلك تضع ذاتيته الخاصة ويصبح جزءاً من القطيع الضال . أن الأنماط الحضارية الإجتماعية التى يراد إحداثها فى داخلها هى إنماط فاسدة مدمرة . ولذلك فنحن نطالب بالعودة إلى منابع ولشجب أسلوب العيش الغربى .

أن اكتشافنا للعبة الاستعمار الرامية إلى تجريدنا من مصدر القوة فى نفوسنا وتحطيم إيماننا بقدراتنا الذاتية على التطور وقدره حضارتنا على العطاء هو الذى يدفعنا الآن إلى الاعتماد على ذاتنا . أن منهج الإسلام هو المنهج الوحيد القادر على بناء الحضارة الإنسانية الأصيلة ، ليس للمسلمين وحدهم بل للبشرية كلها .

أن المجتمع الإسلامى مازال الكيان الحى قادراً على رفض الجسم الغربى ..

الفصل الثاني

المودة إلى منهج السنة والجماعة

يواجه المسلمون اليوم موقفا شبيها بموقف المسلمين في القرون الثالث الهجري ابان ترجمه فلسفات اليونان وذلك الركام الضخم من الفكر الغنوصي القديم ، وما اتصل بفكر المانوية والمزدكية والبوذية والباطنية والاشراق فقد تراكت هذه النظريات القديمة المرتبطة أساسا بالوثنية والتعدد والمتصلة بما دخل على الدينين السابقين للإسلام (اليهودية والمسيحية) من مفاهيم الأديان القديمة كالاشراق ووحدة الوجود والحلول والاتحاد والدهرية والتناسخ والتثليث — تراكت وزحفت على مفهوم الإسلام السصح المضى البعيد عن التعقيد فاصابته بتلك الانثار التي ظهرت على افلام الفلاسفة المسلمين (الكندى والفارابي وابن سينا) والمتصوفة (ابن عربي والجلاح وابن سيعين) وعلماء الكلام بل الشعراء والأدباء أمثال بشار وإبى نواس فى مجال الاباحة والمعرى وإبى العتاهية (فى مجال الشك) واليوم يمر المسلمون بنفس القضية بصورة أخرى وعلى نسق مختلف ولكنه يصدر من نفس المصدر ، فقد توالى منذ وقع المسلمون فى أسر النفوذ الأجنبى — ترجمات فلسفية يونانية وغربية حملت معها رياح السموم شكوكا وشبهات واطروحات تتصل بالأديان والعقائد والفلسفات التى تعيشها هذه الأمم وماكان للمسلمين من صلة بها .

ويعيش مفكرو الاسلام ودعاته منذ سنوات طويلة على نفس ما عاش عليه علماء المسلمين ومنكريهم إذ ذاك يدحضون هذه الشبهات ويكشفون زيف هذه المعطيات ويبينون للمسلمين مدى الفوارق العميقة بين ما طرحته هذه الفلسفات وما يتصل بالمسلمين الذين يملكون منها مخلفا ، وعقيدة متباينة ، هى فى ذاتها بعيدة عن التعقيد والاضطراب وليست فى حاجة إلى أدوات الفلسفة والمنطق

فهي بطبيعتها سمحة يسيرة ، نابغة من مفهوم التوحيد الخالص الذي لا يحتاج إلى محاولات واسعة كما تحتاج المادية أو مفاهيم التعدد والتثليث والشرك وأنكار الخالق .

وكما دارت هذه المعركة طويلا واشتركت فيها أجيال عديدة فكذلك تدور المعركة الآن وتشترك فيها أجيال لأنها في كل جيل تطرح شبهات جديدة وقضايا جديدة تصدر عن تحولات الفكر الفلسفي الغربي وتنقلاته من مذهبي الفردية والجماعية كما عرفه أرسطو وأفلاطون وكما تعرفه اليوم مذاهب الليبرالية والاشتراكية وبين ذلك مطروحات أخرى من الدارونية والفرودية والماركسية ، وغيرها وإذا كان العامل الوحيد الذي التمس به المسلمون واعتصموا به في الماضي هو مفهوم أهل السنة والجماعة فإنه مازال العاصم الوحيد الذي يجب أن نلتزمه اليوم ونعتصم به فهو الميزان الصحيح لقياس كل ما تطرحه المذاهب اليوم من خلال الفلسفة أو العلم أو التصوف .

فإنذ اليوم الأول لظهور هذه الدعوات عن طريق مترجمات الفلسفة اليونانية والفارسية والهندية فقد تصدى لها أهل السنة وقاوموها مقاومة أضخمة واجهت مفاهيمها وردت عليها ونقضت شبهاتها وكشفت عن أنها حركة مادية ، وأنها مؤامرة خارجية ترمي إلى هدم المجتمع الإسلامي والدولة الإسلامية عن طريق مفهوم التوحيد نفسه ، وأنها وثيقة الصلة بالحركات الهدامة التي ترمي إلى إحتواء عالم الإسلام وقد تبين أن هناك معاهدات وعقود بين دولة الروم وبين هذه القوى وكشف الباحثون أن الذين وضعوا أساس الشعوية والباطنية كانوا من أولاد الجوس وكانوا مائلين إلى دين أسلافهم وقد حرص أهل السنة على تعقب الملحدين والكشف عنهم كما عارضوا إخضاع الإسلام للجدل العقلي ودعوا إلى الأخذ من المعين الأول والمنبع الاصيل : القرآن والسنة ، وكشفوا زيف آلهيات أرسطو ورفضوها لأن مقدماتها ونتائجها كانت متعارضة اشد التعارض مع مفهوم التوحيد الخالص ونحن نجد الآن أن دعاة المذاهب الشعوية جميعا ليسوا من المسلمين .

(١) تحديات النزعة العقلية :

ووقف العلماء المسلمون موقفا حاسما إزاء النزعة العقلية التي دافع عنها المعتزلة ، فقد انكر أهل السنة اخضاع للمعتزلة العقيدة الإسلامية للعقل والتأويل العفلى لأيات القرآنية ، إيمانا منهم بأن الإسلام ليس عقلانيا ولا جدانيا خالصا وإنما هو منهج جامع وأن الانحراف نحو العقلانية بأسرافها واستعلائها يحول العقيدة الإسلامية السمحة إلى مذهب فلسفي عميق ومعقد يبتعد بها عن روح الإسلام وعن أسلوب النبي ﷺ فقد إنصرف أهل السنة عن البحث في مسائل الصفات والذات الإلهية والقياس وقالوا أن صحابة النبي ﷺ آمنوا دون قياس أو مجادلة .

أما تحكيم العقل فقد كشفوا عن محاذيره ، فالعقل ليس واحداً في الناس والعقل دون أن يستمد ضوؤه من الوحي لا يمكن أن يستقيم فالعقل ليس حكما على (ما وراء الطبيعة) أو في شان الله تبارك وتعالى والقضاء والقدر وليس حكما فيما جاء به الشرع (العبادات والمعاملات) والعقل عاجز عن ادراك ما وراء الحس .

وقد أثارت حركة التغريب والشعوبية اليوم هذه القضية مرة أخرى وظهر من يدافع عنها ويروج لها ، وهناك محاولات لفرض العقلانية على مفاهيم الإسلام . والإيمان والعبادات ، يروجه لهذا عقليون وفلاسفة ومتكلمون وقد ترر ابن تيمية أن منهاج السلف ليس واحداً من هؤلاء بل هو غيرها ، لأن العقائد لا تؤخذ إلا من النصوص ولا تؤخذ ادلائها إلا من النصوص ، وليس للعقل سلطان في تأويل القرآن وتفسيره وتخرجه إلا بالقدر الذي تؤدي إليه العبارات وما تضافرت عليه الاخبار ، وإذا كن للعقل سلطان بعد ذلك فهو في التصديق والأذعان وبيان تقريب المنقول من المعقول وعدم المناقرة بينهما فالعقل يكون شاهداً ولا يكون حاكماً ويكون مقررراً ولا يكون ناقضاً ولا رافضاً ويكون موضحاً لما اشتمل عليه القرآن من الأدلة .

(٢) تحديات الفلسفة :

وكما وقفت هذه المدرسة أمام العقلانية وقفت أمام الفلسفة والفلاسفة (الكندي والفارابي وابن سينا) الذين حاولوا الربط بين العقيدة الإسلامية والفلسفة اليونانية فاضطربت بهم المسالك وعجزوا عن تحقيق هذه الوحدة لاختلاف المصادر والأسس ، وقد عد هؤلاء الفلاسفة ومن تابعهم من المشائين اليونانيين لمتابعيهم قضايا الفلسفة اليونانية التي كانت تسمى علم الأصنام والتي تعارض التوحيد الخالص الذي هو السمة الأساسية للإسلام .

وقد كان وقف الشافعي وابن حنبل والغزالي وابن تيمية وابن حزم موقفا حاسما ازاء ازدهار الفلسفة الباطنية وفي مواجهة من بهرتم قشور الفلسفة اليونانية وأوهام أرسطو وأفلاطون وردوا على الشبهات وعادوا إلى التمسك بالمفهوم الأصلي .

ولقد كان أبرز سموم التيار الفلسفي أنكار النبوات واحتقار الأخلاق وازدراء الحدود والابحراف عن طوابع الإيمان الخالص ، وبانتشار الفلسفة اليونانية انتشر الكفر والاحاد وغلب الميل إلى الإباحية والانحلال .

وظهرت « المدرسة القرآنية الأصلية » ، التي تعتمد على الكتاب والسنة فتأخذ من القرآن أصل العقيدة والدليل الذي تقوم عليه العقيدة .

وقد مررنا في العصر الحديث بهذا الدور فقد ظهرت المدرسة الكلامية والفلسفية ممثلة في جمال الدين ومجد عبده وأقبال وغيرهم ، وقد أدت دورها في مواجهة أخطار الفلسفة الغربية ومفاهيمها الوثنية والمادية ، ثم تبين عدم كفاية هذا المنهج ، ومن ثم ظهرت المدرسة القرآنية الأصلية في إهاب حركة اليقظة الإسلامية .

وقد أعلنت مدرسة أهل السنة والجماعة أن النظر الفلسفي الخالص لا يمكن أن يكون أساسا للفكر الإسلامي وأنه لا يمكن الوصول إلى الحقائق الأولية إلا عن طريق الوحي ، وأن الفلسفة ليست قرينة الوحي ولا مناظرة له ، فهي

لاتزيد عن كونها استخداما للعقل وتفكيراً منظماً يمكن أن يستخدم الناس في الدين أو في أى موضوع آخر ، وهى فى أحسن صورها تعمل على أن تعصم الذهن من الخطأ فى الاستنباط والبرهان اللذين يمكن لمادتها الأساسية فيما يخص الدين أن تأمن طريق الوحي .

وقد قاوم زعماء السنة الفلسفة اليونانية وقاموا إنحرافات المعتزلة وقاوموا إنحرافات الصوفية فى القول بوحدة الوجود والجلول والاتحاد وحاولوا امتصاص كل ما فى النظر العقلى والنظر الوجدانى فى دائرة مفهوم السنة والجماعة .

وقد نجحت حركة (الانبياء السنى) كما يطلق عليها بعض المؤرخين فى استئصال الباطنية وتحطمت مفاهيمها بصوغ عقائد سننية فى رسائل حاسمة ، وكانت الباطنية محارلة لتدمير الإسلام ولتشويه جوهره القائم على إلغاء الوساطة بين الله والإنسان والدعوة إلى إسقاط التكليف وكان للشرعية الإسلامية أثرها فى إعادة بناء المؤسسات الاخلاقية والاجتماعية وقامت مفاهيم أهل السنة والجماعة على إقامة الوحدة الفسكرية والاخلاقية تثبيت الدعائم الأساسية وقبول الاختلاف فى الفروع ، ومن أهميتها الجمع بين روح التصوف وروح الاعتزال فى إطار واحد جامع هو الوجدانية والعقلانية معا وهو مفهوم الإسلام الأصيل ، وذلك حفاظاً على وحدة الجماعة وصبرا لمقوماتها فى تكامل جامع بعيدا عن انحرافات المعتزلة والباطنية والصوفية الفلسفية التى انهارت .

يقول ابن قيم الجوزية فى « شفاء العليل » ، وأهل السنة لا مع هؤلاء ولا مع هؤلاء ، لا مع الأشاعرة أو الرافضة أو الشيعة أو غيرها . بل هم مع هؤلاء فيما أصابوا فيه وهم مع هؤلاء فيما أصابوا فيه فكل حق مع طائفة من الطوائف فهم يوافقونهم فيه وهم براء من باطلهم . فذهبهم حق جميع الطوائف بعض إلى بعض ، القول به ونصره وموالاه أهله فى ذلك الوجه ونفى باطل كل طائفة من الطوائف وكسره ومعاداة أهل من هذا الوجه فهم حكماء بين الطوائف لا يقابلون بدعة ببدعة ولا يردون باطلاً بباطل ولا يحملهم شئان قوم على إلا يعدلوا فيهم بل يقولون فيهم الحق ويحكمون فى مقالاتهم بالعدل . .

(٣٠) وكما نشأت فكرة تعطيل عن طريق التأويل وتصدي لها الأئمة من سلف الأمة بالكشف عن ضلالها وانحرافها فنجده اليوم جماعة المعطلة الذين يشبثون بهم . ويعارضون تطبيق نصوص الشريعة بدعوى باطلة كقولهم بأعداد الأئمة ، أو أن مفهوم الإسلام دين ودولة ليس وارداً وأن الإسلام ليس إلا هذه العبادات من الصلاة والصوم ودخول المساجد وليس هو كذلك قطعا .

ونحن نعرف أن نشأة التأويل في الجولة السابقة قد اعتبرت أصل الفتنة في تعطيل النصوص وللتجاوز بها عن معانيها التي وضعت لها لغة وشرعا إلى معاني وأراء مدخوله تتحملها الباطنية والغنوصية ومن إليهما من الجمعيات السرية التي كانت ترمى إلى هدم الشريعة وإخلال معتقديها وبليلة ما إستفز في قلوبهم وامتزج بنفوسهم من عقائد واضحة لاليس فيها ولاشائبة .

وكذلك . رد أحمد بن حنبل على المشككين في القرآن حين يأخذون منه آيات معينة مقطوعة عن سياقها وعن جملة القرآن ويدعون أنها متناقضة مع آيات أخرى وقد أخذوا بعض المتشابه من القرآن وضلوا به واضلوا .

وأعلن أن الاعتماد في تفسير القرآن يكون على القرآن نفسه مع الاعتماد على أصول اللغة العربية ومواصفاتها وعلى لسان العرب وقانونه في مخاطبتهم ومحاورتهم ، بتلك اللغة التي لم يكن هؤلاء على معرفة بها وإلا على اطلاع على أسرارها اطلاع ابن حنبل عليها وعلى كل ما يتصل بها من مواصفات الشرع والفاظه واستعمالاتها .

كل هذه التيارات تحتاج إلى النظر والمراجعة اليوم في المقارنة بين الأئمة التي واجهها الفكر الإسلامي بعد ترجمه الفكر اليوناني والفارسي والهندي ، وبين الأئمة التي يواجهها اليوم بعد ترجمة الفكر الغربي الليبرالي والاشتراكي وما يتصل بهما من مدارس في علم النفس والاجتماع . كل هذا يدعونا إلى التماس مفهوم أفضل السنة والجماعة فانه هو الطريق الوحيد لحماية الإسلام من التبعية والاحتواء والانصياع في الفكر العالمي والائمني .

كل هذا يدعو إلى البحث في الفكر الإسلامي في ضوء هذه التيارات الحديثة .

الفصل الثالث

بناء الشباب المسلم

وفق منهج التربية الإسلامية هو منطلق المد الإسلامي
في القرن الخامس عشرة الهجري

بسم الله الرحمن الرحيم : نقول وبالله التوفيق .

أن قضية التربية في المجتمع الإسلامي المعاصر على أبواب القرن الخامس عشر
الهجري هي أخطر القضايا وأهم التحديات التي تواجه المسلمين والتي يتوقف على
موقفهم منها أهم ما يمكن أن يتحقق لهم ، فقد كانت التربية من أكبر التحديات
التي واجهت مجتمعهم في القرن الرابع عشر بأشد الأخطار حين استسلم المسلمون
بالتبعية لاساليب التربية الغربية وخضعوا لها وانحسر مفهوم التربية الإسلامية
بمضامينه الأخلاقية والروحية والمعنوية ، عن حياتهم ومجتمعاتهم فاستشرت
فيهم نزعة النظرة المادية المغرقة والمقاييس المادية والمطامع والأهواء .

لقد كان المسلمون يعيشون قبل الغزو الاستعماري في مجتمعات تطبق فيها
الشريعة الإسلامية وتقوم بناء الأفراد والجماعات على أساس القرآن والسنة وينشأ
الشباب والفتيات المسلمات في إطار معرفة الله تبارك وتعالى ومهما كانت حالة
التربية في عالم الإسلام قبل الغزو الاستعماري فإنها كانت مؤهلة للتجدد والابتعاث
على طريق الله بعد أن ارتفع صوت دعوة التوحيد في الجزيرة العربية والأزهر
ومناطق أخرى في عالم الإسلام ، فلما جاء النفوذ الاجنبي قضى على كل هذا وحجب
هذه الصورة ، وفرض أسلوبا جديدا وأفدأ على تربية الاجيال وبناء الشباب
وأصبحت المدرسة في عالم الإسلام عبائية خالصة لا تعنى باللغة العربية ولا بالقرآن

ولا بتاريخ الإسلام ومن ثم تكونت الاجيال على مفهوم غامض مضطرب فلم
تورث ذلك الإيمان الصادق بالتميز الإسلامى الواضح عن الاجنبى ولا بالقدرة
القيورة على حماية الثغور والتمسك بالذاتية الإسلامية فى مضامينها الحقيقية التى
كانت تؤهلها لنشر الإسلام فى العالمين وقد صاحب ذلك حجب تطبيق الشريعة
الإسلامية فى المجتمعات الإسلامية على نحو أسلمهم للقانون الوضعى وللربا
والانطلاق الاجتماعى فى مجال العلاقات بين الرجل والمرأة على نحو ضمنت فيه
الغيرة والحماية وحماية العرض وتعالك صيحات الفنون المستوردة والمسرح
والرقص والغناء الخليع ومن هنا كانت التربية الإسلامية هى المنطلق الحقيقى
لبناء المجتمع الإسلامى الجديد فى القرن الخامس عشر بعد أن انتهت تلك التجربة
المريرة بالهرطقة والنكبة والنكسة .

وقد كشف أسلوب النقل والاقباس والتبعية لمنهج التربية الغربية لمعن
نتائج خطيرة أخرت سير حركة اليقظة الإسلامية وحالت دون قدرة المسلمين
على أملاك ارادتهم وإقامة مجتمعهم الربانى سنوات طويلة واليوم والمسلمون بين
تلك التحديات الثلاث المنبعثة من النفوذ الغربى والصهيونية والماركسية على اجزاء
من العالم الإسلامى كراس جسر لتغريب هذه الأمة وحجبها عن منهجها القرآنى
الأصيل والحيولة بينها وبين امتداد مكانها الصحيح الذى تؤهله لها مقدراتها
وحجمها ومكانها الاستراتيجى وتفوقها البشرى وأمتلاكها للثروة فضلا عن
تاريخها الحافل وتراثها الضخم ودررها الواضح فى بناء الحضارة الحديثة حين
قدمت المنهج العلمى التجريبى الذى يقوم عليه التقدم المعاصر كله ، نقول أن
المسلمين اليوم فى مواجهة هذه التحديات يجب أن يكونوا قادرين على أملاك
ارادتهم فى بناء منهج التربية الإسلامى وتطبيقه فى مجتمعاتهم .

ولقد أولى الإسلام الطفولة اهتماما واسعا وكبيرا حين فرض على الآباء
حسن إختيار الزوجات وحسن إختيار الأسماء واعداد الأبناء لأجيالهم ،
وتنشئتهم على الخلق والمودة والإيمان بالله .

ولقد كانت العلاقة بين الآباء والابناء على مدى تاريخ الإسلام هي علاقة التوجيه والرعاية وإضاءة التاريخ أمام الابناء وتقديم التجربة التي أحرزها الآباء لهم دون أن يفرض عليهم الاختيار في الأمور ، وكان الابناء يؤمنون بهذا الدور الذي يقوم به الآباء ويطالبون به مستفيدين بتجربة الآباء ، وعالمين بأن بناء الغد لا يتم إلا على الأساس ، الذي قدمه الآباء ناظرين إلى تجربة الأجيال السالفة بعين الإسلام نفسه ، فإذا كانت صالحة بنوا عليها وإذا كانت غير ذلك التمسوا الأصالة والمتابعة الحقيقية المستمدة من جوهر الإسلام .

ولم تنشأ هذه المفاهيم التي تتحدث عن حقوق الابناء أو استغلال الآباء إلا في ظل مفاهيم التربية الوافدة ولم تنسب تلك العبارات المسمومة إلا من مفاهيم فرويد ودوركايم وديوي وغيرهم ، هؤلاء الذين ضلوا شبابنا بالحديث عن حرية الابناء في اختبار الطرق ، دون دليل أو معين أو دون خبره ، وماذا تكون الطريق أمام الشباب الغض الذي يفتح عينيه للظور لأول مرة ، إلا مضطربة ، وما تكون خطواته عليها إلا واهنة ، ولذلك فقد كان حقا واجبا ملزما على الآباء أن يرعو هذا الخطو وأن يقدموا تجربتهم ، وأن يحموا هذا الثبته حتى تنموا ، هذه الأبوة الرحيمة المتابعة لأمور الابناء ساعة بعد ساعة بالرحمة والحب والمواخاة ، ودون أي قدر من التقصير ، أو الغلظة أو التجاهل ، لقد كانت التربية في نطاق الجو الغريب الذي عاشت فيه الأجيال غير اسلامية ، فهي لم تستوف ذلك الحق من المتابعة والاحسان والتعاطف وتقديم المشورة ، هذه الأبوة الحانية المثقفة الموجهة التي تعقد صلات الود والحب مع ابنائها فتزيد من نفوسهم الخوف وتخلق فيها الثقة ، وتدفع عنهم متاعب المراقبة بالساحة والتبشير ودفع الشباب بالإيمان والرعاية على احتياز الخطر .

ذلك هو فهم الإسلام الحقيقي للعلاقة بين الآباء والابناء ، أما تلك الصورة التي نراها الآن في مجتمعاتنا فهي ليست صورة أصيلة .

ولقد كان الآباء المسلمون آية في الرحمة والحب والوفاء وحماية النبت بالخنان حتى ينمو ، تخلق ذلك في قلوب الأبناء إعجاباً وتقديراً ووفاء للآباء وللدرسين والموجهين ، أما الآن فإن ذلك كله يختفى تحت صور باهة فالأب مشغول عن ابنائه بملذاته واموائه ، والمدرس لا يودى حق التربية الحقة ، والابن معرض للضياع لأنه لا يجد من يثق به ، فكيف يبني على بناء الآباء وكيف يكتشف النافع من الضار كذلك فإن التربية الإسلامية في شأن الفتاة تختلف اختلافا نوعياً ، فالفتاة يجب أن تصنع على أنها أم المستقبل وحامية الأسرة ومكونه الاجيال وراعية الزوج وأن كل تعليم لها لا يحقق هذه الغاية أولاً فهو تعليم غير نافع ولقد كان للسليدين تعليمات : تعليم للفتى وتعليم للفتاة ، يؤهل كل منهما لوظيفته ولعمله ، وبناء الاجيال مقدم على كل أعمال المرأة ، ولا يجوز أن تضحي الامة باجياها الجديدة من أجل عمل للمرأة لا يحقق عائداً الا بمفاهيم الماديات وهي مفاهيم ضالة ، وتتاح عمل المرأة العاملة كله لاشيء ونحن نعرف أن عمل المرأة مؤامرة ، يراد بها هدم الأسرة أساساً وتخريج هذه الاجيال الجديدة مدمرة محرومة من الحنان والعناية والتوجيه الاموى والابوى الدائم المستمر المتلاحقه يوماً بعد يوم وساعة بعد ساعة ولما كان الإنسان مادة وروح ، فإن الاصول الثابتة في بناءه قائمة ، على مدى العصور واختلاف البيئات ، ولا يعتز اختلاف الازمة في القيم الثوابت كالحلال والحرام والخير والشر ، أما المتغيرات التي تجرى عليها المجتمعات بالانحراف فانها لا تقيم القيم ، ولكن يطلب إلى المجتمعات أن تعود إلى منهج الاصاله .

ولايسطع الإسلام أن يقبل التأويل أو التحويل في قيمه الاساسية من أجل ارضاء انحرافات المجتمعات او فساد الحضارة على النحو الذي نراه الآن في المجتمعات الغربية وما كدنا نقع نحن فيه في مجتمعاتنا .

أن الاساليب التربوية الوافدة التي يقدمها الغرب هي اساليبه ومفاهيمه المستمدة من عقيدته وثقافته وعاداته ، فعليه أن يطبقها كما يشاء ، أما نحن فلنا

عقيدتنا وثقافتنا وقيمتنا التي إنبجى عليها مجتمعنا منذ أربع عشرة قرناً فلا سبيل لنا إلى قبول غيرها وعندما قبلنا غيرها في مرحلة الاضطراب حين فرضت علينا لتفوذ الغرب فنحن نرى الآن نتائج الانحراف والأزمة والاضطراب التي وقع فيها مجتمعنا والتي لن ترفع إلا إذا عدنا مرة أخرى إلى الأصالة والمنابع الأولى.

وبالجملة فإن القيم الأساسية للتربية في الغرب مأخوذة من مفكرى الإسلام ولكنها انصهرت في مجتمعات تقوم على الفلسفة اليونانية والقانون الرومانى القديم، ولذلك فقد انحرفت وانصهرت ولم تعد تصلح لنا إذا التمسناها مرة أخرى، ونحن مطالبون بأن نشكل ابنائنا على تربية إسلامية أصيلة قبل أن نبعث بهم للتعليم في الغرب.

وآية الخلاف بين منهج التربية الإسلامية ومنهج التربية الغربية أننا نعتبر الإنسان روحاً ومادة ونؤمن بالعقل والقلب ونتصرف على أن الدنيا والآخرة مرتبطتان. أما في الغرب فالحياة مادة والإنسان حيوان والدنيا هي آخر المطاف ومن هنا تختلف الأصول باختلاف الغايات.

أن المسلمين اليوم وبعد أن مرت بهم التجربة كاملة (نكبة ونكسة وهزيمة) نتيجة الاستسلام لمنهج الغرب التربوي، ونظامه الاقتصادي والاجتماعى ، يرون أن الطريق الصحيح هو منهج الإسلام والمسلمون اليوم يتجهون نحو تحقيق قيام المجتمع الإسلامى فى بلادهم فإذا صدقت العزيمة فإن هناك ما يسمونه (تعليم المعلمين وتربية الآباء) وذلك بإعداد الأجيال القائمة على بناء الأجيال الجديدة على الرحمة والحب والمواولة ومن ثم لاتصبح بين الأجيال فجوة ويقوم ، التقاء الأجيال ، بدلا من صراع الأجيال الذى لم يكن يوماً من الأيام مفهوماً إسلامياً .

واعتقد أن بلاداً كثيرة في العالم الإسلامي اليوم تتجه نحو تطبيق
منهج التربية الإسلامية ، أما اعداد هذا المنهج فقد تم فعلاً وقدم كثير
من أعلام الفكر الإسلامي وحركة اليقظة دراسات حافية في هذا الشأن
من أهمها ما كينة الأستاذ المودودي والشيخ أبو الحسن الندوي والأستاذ حسن
البنّا وعشرات من الباحثين الإعلام الملتزمين .

الفضل الرابع

الطفل المسلم

بين قتلص الجنس والجريمة في الكتاب والشائفة

تتصاعد اليوم في العالم الإسلامي صحبات مدرية تحاول أن تصف الفكر الإسلامي بالتقصير في توجيه الطفل المسلم وتحاول أن تسد هذا الفراغ بان تقدم فكرا واحدا ملونا في مجموعات زاهية براقة من القصص الخرافية والاساطير والاشباح والجريمة لتسد هذا الفراغ المدعى في مجال الفكر الإسلامي .

وهذه الصيحة في حقيقتها لا تخرج عن المخططات الصهيونية التي رسمتها بروتوكولات صهيون والتي نفذت بدقة في أوروبا وأمريكا لاجتواء الطفل الغربي (كاثوليكي وبروتستانتيا) ليكون اداة طبعه لتقبل مناهيم التربية الحديثة التي غرسها ديوى ومكدوجل وغيرهم وهي التربية التي ترفض رفضا باتا توجيه الطفل أو تقديم الاستشارة له أو تعليسه معرفة ربه أو دينة أو تهديه إلى أسلوب الخير الذي جاءت به رسالات السماء .

ولا ريب أن الصيحة لاحتواء الطفل العالمي قد بدأت منذ سنوات قليلة في ملحق المخطط الذي يقوم به الصهيونية العالمية لتنفيذ مخططاتها بالسيطرة على العالم عام ١٩٨٢ أي بعد عشر سنوات من الآن ولقد بدأت هذه الخطوة متعجلة مدفوعة إلى عشرات من الأعمال في وقت واحد من بينها تقديم الجنس نفسه إلى الأطفال وتقديم موسوعات كاملة عن الأعضاء الجنسية وعمليات الالتقاء بين الرجل والمرأة وتقديم الفكاهات والنكات المتبذلة المتدارلة حول هذه العمليات وذلك لتعويد الطفل منذ أيامه الباكرة على النظر إلى هذه المسألة نظرة طبيعية

وبذلك تحتفى تماما من مفاهيمه روح العرض والشرف والكرامات والغيرة والحفاظ على مالا يحوز كشفه من أدوات الجسم ، وبدأ أن المخطط يعارض تماما كل ماتدعو الآديان إلى الاحتفاظ به ، ومنذ بدأ هذا التيار المسموم الذى يحمل لواء الدعوة إلى تقديم نظام جديد يركز على الطفل بدأت تتدفق على المكتبات فى الغرب وأنهار من الكتب عن عالم الطفل ، وقد ركزت هذه المؤلفات على أمور أساسية هى الجنس والمنف والعري وسرعان ما وصلت هذه المؤلفات إلى بلاد الإسلام وترجمت وقدمت فى طبعات ملونة على ورق فاخر ، واستهدفت البلاد المتعددة وهى كلها تمجد المغامرة والعنف والاستغلال والتحرر من الحدود والضوابط وقد كان هناك تقدير واضح لنوع الكتب التى تقدم إلى المسلمين والعرب وهى كتب تعلى من شأن بطولة الرجل الغربى من أمثال (مارزان) الرجل الأوربى القوى الذى يعيش فى مجاهل وغابات أفريقيا وهو بطل آلاف القصص والأفلام التى تخدم الاستعمار والتى تصور الغرب فى صورة البطولة الخارقة بالنسبة للمسلمين والعرب الذين يعيشون فى الكواخ والفقر ، وكذلك صورة (جيمس بوند) ورجل المؤامرات الذى لا يتحل بفضيلة ما لأن الغاية عنده تبرر الوسطة ، وهو يحمل بغرور القوة وغرور الثراء وهناك عشرات القصص الأخرى التى ترجمت وقدمها اعلام التفرير ودعائه فى بلادنا العربية ونشرتها المكتبات المشهورة وهى قصص تحمل جرائم الانحلال والزيلة لأنها ترجمت عن كتاب غريون أباجون وتباع بأسعار زهيدة وقد صاحب هذا التيار الذى يبلغ الآن ذروته فى البلاد العربية مجموعة أخرى من أفلام العنف والجريمة يقدمها التليفزيون فى الاوقات التى يسكون فيها الأطفال مستيقظون ومتنبهون إلى متابعتها .

ومن هنا فمن حين نخضع لهذا التيار التلوى المفروض إنما نحقق هدف التفرير والغزو الثقافى وهو ما يضاد ما ترمى إليه التربية الإسلامية من حماية الطفل من الخوف وتأمينه النفس وذلك من حيث لا ندرى حين ندفع الطفل إلى الخوف فتدمر أمنه النفسى

وقد كشفت الابحاث العلمية عن مدى خطر القصص التي تحمل صورة البطل الخارق للطبيعة (السوبرمان) وتقول الدراسات أن هذه الشخصيات لها مضمون واحد يدور حول محور واحد هو أن الحياة في أى مجتمع تقوم على الانسجام بين أفرادها وإنما تقوم على تحدى المجموعة بعمل غير عادى ، بذل الجميع ويهرم وتهدف إلى تحقيق ذاتية الفرد باخضاع الجماعة له والحقيقة أن البطل الخارق للطبيعة غول يجب إبادته وحماية الأطفال من تأثيره السىء على نفسياتهم ، وأغلب مبتكرى هذه الشخصيات يهود ، وظفتهم الاوساط الصهيونية لاشاعة هذه السموم .

أما بالنسبة لمعرفة أثر أفلام العنف والجريمة على الاطفال وهم يشاهدونها على شاشة التليفزيون فقد ألتقى أكبر علماء النفس فى العالم مع خبراء الشاشة الصغيرة فى مؤتمر أقيم فى فنلندا وكان أثر أفلام العنف على الاطفال واحدة من أهم المشاكل التى درسها خبراء هذا المؤتمر ، وقدم أحد خبراء علم النفس والإجتماع خلاصة تجربته فقال : أنه جمع مجموعة من الاطفال الذين يتراوح أعمارهم ما بين أربع أعوام وخمسة أعوام وعرض منهم بعض أفلام الجريمة التى يعتدى فيها أبطال الفيلم على شخصية مهرج السرك ثم نقل هؤلاء الاطفال إلى قاعة جمع فيها بعض الالعب ونموذجا لمهرج السرك وقبل أن يغلق باب القاعة ضم إلى هؤلاء مجموعة أخرى لم تشاهد الافلام التى عرضها عليهم ومن مكان ما وقف يراقب تصرفات الاطفال وهم ينظرون إلى نموذج المهرج من بعيد والبعض الآخر اعتدوا عليه بالفعل كما شاهدوا وتبين من ذلك قاعدة أن الاطفال ميالون بطبعهم إلى التقليد وانهم حسب البيئة التى نشأوا فيها فاذا تربوا على العنف نشأوا عليه .

كذلك فإن الخطر من مثل هذه القصص والافلام أنها كتبت على نحو يرمى إلى تصغير الامم فى نفوس أطفالها وتكبير الامم الغازية .

ولعل أخطر ما فى هذه الغزوة التى يراد بها تدمير الاجيال المسلم الجديدة هو تقديم قصص الخرافات والاساطير وبفاهيم السحر والمجون والاباحية عن خلال المؤلفات التافهة .

ولاريب أن هذه المحاولات جميعا تحول بيننا وبين تشكيل أطفالنا تشكيلا
إسلاميا وفقا لمفاهيم الإسلام وتعاليمه .

يقول باحث تربوي مسلم :

فليس العطف من القيم التي عرّض عليها في تربية أطفالنا، كأن المغامرة
أيضا ليست من القيم التي يجب أن ينشأ عليها الأطفال ولو تأملنا الشخصيات التي
أخترها الغرب، مثل شخصية (سيني ماوس) أو شخصية البحار (آكل البسلة)
لاكتشفنا أنها شخصيات مثيرة ولكنها تخلو من أي مضمون روحي أو أخلاقي
إسلامي وذبذوب هذه الشخصيات في عالمنا الإسلامي مع عدم وجود منافسة
حقيقية تعني إننا نترك مهمة تسليّة أطفالنا وتثقيفهم على عائق الشرق والغرب
ولا تقوم بدور أساسي في ذلك، مع أن الاهتمام بأدب الأطفال فريضة دينية
ومن المدهش أن الغرب يهتم بالكتب الدينية للأطفال يرسمها بالالوان والتصوير
وهذا يقتضيها (حراسة عقل الطفل المسلم) عن طريق تقديم قصص لا يقل مستواها
في الكتابة والطباعة والرسم عن قصص الغرب والشرق وليس هناك أعظم من
قصص القرآن، وعلينا أن نقدم لهذا العمل جماعة الأبرار المخلصين الفاهمين للغايات
العليا المقدرين للاخطار التي تتناشأ ابنائنا (ومع الأسف فإن المتصدرين للكتابة
للطفل اليوم بعد أن مات جيل (كامل كيلاني، وبراتي وسعيد العرياني) لا يقدر
المسؤولية وأما مسلم لا يحمل مفهوما صحيحا للإسلام وأما من اتباع المذاهب الإباحية
والملاحدة) ولما كانت الكتابة للطفل أصعب من الكتابة لعالم الكبار لأنه هو للعالم
الذي تدور فيه الحواجز بين الواقع والخيال والذي يلعب الخيال دوره العظيم
فإن كتاب أدب الطفل يجب أن يكونوا من أصدق الناس إيمانا بالدعوة الإسلامية .

ومن المحاذير والأخطار في كتابة القصص تلك المضامين التي تتضمنها هذه
القصص والأسلوب الذي يكتب به والمستوى اللغوي والسن يقول الأستاذ علي
الجديدي : أنه يجب تقدير مدى الضرر الذي يقع على الأطفال ما دون السادسة،
إذا ما احتوت قصصهم مواقف الفزع والخوف وجوارح المرعب كقصص الجن
والمفاريت والمردة والغيلان وما فيها من تعذيب وقتل الأطفال وسجنهم في

الظلام دون طعام أو شرب أو مواقف السحرة ومضخم الإنسان إلى حجارة وحیوانات أو الموضوعات الشريرة . كقتل الإنسان والأطفال وطبخهم طعاما يؤكل ، فهم يصدقون ما يقال ، ومن ثم تشكل عندهم مفاهيم فاسدة عن السحرة والجنات والأساطير ويعيشون حياتهم في خوف ورعب شديدین .

وأخطر من ذلك كتب القصص التي تمجد الجريمة والمجرمين ، والخارجين على القانون وعلى نظام الأسرة والمجتمع ، وتصوير القتل والنهب والجنس بصورة بطولية مبهرة تفتن الأطفال فيعشقونها ثم تدفعهم إلى التهور بتقليدها والقيام بمغامرات حمقاء .

ويقول : أن كتب المخاطر والمغامرات كتبت لتعجيد الرجل الأبيض وحضارته ومعتقداته ولترفعه إلى مصاف المثل والقُدوة ولتضعه موضع البطولة دائما بينما تحط من شأن الشعوب الأخرى .

وهكذا فنحن نحذر تحذيرا شديدا من هذا الركام المطروح في السوق الغربي من كتابات الأطفال المليئة بالسموم .

(سوبر مان وارسين لوبين وشرلوك هولمز ، ميكي ، تان تان) والمهدف هو تدمير المجتمع الإسلامي فالبروتوكول الثالث عشر من بروتوكولات صهيون يقول : لكي نبعد الجاهل من الامم غير اليهودية عن أن تكتشف نفسها أى مخطط عمل جديد لها سنلجأ بأنواع شتى من الملامى والألعاب وسرعان ما نبدأ في الاعلان في الصحف داعين إلى الدخول في مباريات شتى من كل أنواع المشروعات كالفن والرياضة وما إليها ،

ولاريب أن كتب الأطفال وكتب المراهقين المطروحة الآن في السوق لاتلائم مع هدف مطالبنا لاعادة بناء مجتمع مسلم وفق شريعة الإسلام : أن كل ما ينشر في صحف الأطفال أو في كتبهم متقول منترجم من مصادر أجنبية وهذه المجلات العربية المنشورة كلها مجلات أجنبية مكتوبة باللغة العربية .

وقصص الاطفال الذائعة تحكى مشاكل مجتمع أجنبي وهي معارضة لمفهوم الإسلام وليس فيها أى حديث عن مجتمع المسلمين أو تاريخهم أو أبطاخم ولا تعالج مشاكل مجتمعات المسلمين .

وقد تبين لمؤسسة التربية الصحية في شوبجارت بالمانيا الإتحادية نتيجة دراسة أجرتها بأن أفراط الاطفال في التفرج على التلفزيون يلحق بهم إضراراً جسيمة ويجمع الأطباء والأخصائيون في علم النفس أن التهيج المتواصل الذى يمتلك الاطفال عند التفرج على التلفزيون مدة طويلة وعدم تفريقهم بين ما يشاهدونه على الشاشة من أفلام بوليسية وبين الحقيقة ، يعمل على إلحاق الأضرار الجسيمة والنفسية بهم ، وقال العلماء إنه كثيراً ما يترك الوالدان أطفالهم بحسب مدة طويلة أمام التلفزيون ، مما يسبب التوتر وفقد الهدوء والارق وقلة تركيز الفكر والصداق وآلما في العنين ، وقال العلماء أنه لايجوز ترك الاطفال يتفرجون على التلفزيون أكثر من ساعة في اليوم على أبعد تقدير ، والابتفرجوا أثناء ذلك الا على البرامج المخصصة لهم فقط . وقد استندت مؤسسة التربية الصحية في التقرير الذى قدمته في هذا الشأن على نتائج التحقيق الذى قامت به هيئة محطات الاذاعة الالمانية قبل أشهر قليلة ، فقد تبين لها في ختامة بأن ١٥ ٪ من الاطفال الذين تتراوح أعمارهم من ٨ سنوات و١٢ سنة وخمس الاطفال الذين تتراوح أعمارهم بين ٣ و ٧ سنوات يتفرجون على الافلام البوليسية في البرنامج المسائي ، هذا ، كما وجد بأن خمس الاطفال الذين تتراوح أعمارهم بين ٨ و ٩ سنوات يتفرجون على التلفزيون أثناء تناولهم طعام العشاء وأعربت المؤسسة عن قلقها بعد أن تبين لها أن الاطفال غالباً ما يتفرجون على التلفزيون على أفراد ، ولما كانت الافلام البوليسية التى يشاهدونها تتخللها أعمال العنف والقتل وتثير الرعب فانه يجب على الوالدين أن يكونوا مع أولادهم أثناء تفرجهم ليشرحوا لهم ما لا يستطيعون فهمه .

ومن هنا قلن على قادة حركة اليقظة الإسلامية التنبه إلى هذه المحازير والتقدم لمسلأ هذا الفراغ بتقديم أدب الطفل الإسلامى القائم على تقديم البطولة الإسلامية إلى الطفل الذى يحب البطولة والمخاطر (من ١٢ - إلى ١٨) وأن يقدم معها

مفهوم الإسلام للمثل الأعلى في الإنسان كرامة وخلقا وسماحة وإنتقالا من الفردية إلى الغيرية ومن الذاتية إلى الجماعية وأن تدريس الطفل المسلم مفهوم رسالة الإنسان في الإسلام ومهمته على الأرض ومسئوليته الفردية والتزامه الأخلاقي وعمله في إقامة المجتمع الرباني والتعرف على البشرية كلها بروح الاخاء الإنساني والنظر إلى الحياة نظرة جادة بعيدة عن الأساطير والأشباح والخرافات ، وعليه أن يعرف مدى التحديات التي تواجه المسلمين في هذا العصر لينشأ مسلحا بالإيمان متجها إلى النضال والكفاح والمقاومة وحماية الثغور والمرابطة حتى يسترد وطنه وأرضه المغتصبة ويعود فلسطين ويبيت المقدس إلى المسلمين وعلى هذه القصص أن تقدم باللغة العربية الفصحى بما يتناسب مع تدرجه في السن والتعليم وأن تبنى هذه القصص لأول ما يتبنى في الطفل على الإيمان بالله تبارك وتعالى الخالق الرازق الذي يتصرف في الكون كله (إلا له الخلق الأمر) فان قيام هذا الإيمان في النفس هو الذي سيمكنه من أن يفهم الإسلام بوصفه منهجا بجامعا للدين والدنيا وللدين والآخرة وللروح والجسد والعلم والدين وأن من شأن هذا أن يحرسه من أن يقع في ألتأخ النظرية المادية والعلمانية والآباحية ومغريات الحضارة المادية المهارة .

الفصل الخامس

فجر جديد لعلم اجتماع إسلامي

أعتقد أنه قد آن الاوان بمطالع القرن الخامس هجري الهجري أن يقوم المسلمون بتأصيل العلوم باستمدادها من منابعها الإسلامية ، بعد أن عاشوا خلال هذه للفترة الطويلة يتعلمون ويطبقون مناهج وافسدة صاغتها طبيعة وظروف وتحديات مجتمعات أخرى تختلف عن المجتمع الإسلامي عقيدة ووجهة وثقافة ، وفرضتها محاولات احتواء خطيرة سيطرت على التعليم والثقافة لادخال المسلمين في إطار الفكر العالمي الأسمى القائم على النظرية المادية وعلى المفهوم الاباحى .

فالمجتمع الغربى الذى صدر للعالم الإسلامى تجربته ، قد تشكل على نحو مختلف عن مجتمع الإسلام الذى كان قد عاش أكثر من ألبى عام فى إطار رسالات السماء هذا المجتمع الغربى الذى تشكل أبان الإمبراطورية الرومانية على نحو غاية فى استعلاء السادة والامراء وذلة الطبقات المستعبدة ، وعلى نحو من العرف والإباحية والفساد والطغيان . مجتمع القياصرة والفرعنة والباطرة والاكامرة ، الذى كان يعبد الحاكم ويسجد له .

هذا المجتمع لم يلبث أن عرف الرحمة والسماحة عندما دخلت النصرانية فآزالت كثيرا من غروره وخطرسته ، وأحلت محلها رهبانية ابتدعوها ما كتبها الله عليهم فما رعوها حق رعايتها ، فأصبح مجتمعا منفصلا عن الحياة ، راغبا إلى العزلة منقطعا عن الدنيا .

ثم جاءت مرحلته الثانية مع النهضة ، انقلابا آخر بالعودة إلى الاستعلاء بالجنس والاستعمار والحضارة ، وانصرافا عن الدين جملة فى محاولات متعددة ، لا قامه منهج حياة ونظام مجتمع يقوم على المطامع والاهواء والتسلط ، منكرا حاجات الروح والنفس والمعنويات ، مما نتج عنه ما يعيشه الآن المجتمع الغربى

من صراع شديد بين الفرد والمجتمع وبين المجتمعات الرأسمالية والمجتمعات الماركسية، وما يتصل من دعوات إلى المادية والابلاحية والوجودية والهيئية، ومن اضطراب في علاقات الامرة والمرأة والشباب على النحو الذي يهدد كيان الحضارة كلها بالانهيار ويهدد كيان النفس الإنسانية بالتمزق :

في إطار هذا التحول الخطير من الرهبانية إلى الاباحية ، وضعت مناهج علم الاجتماع الذي سيطر على الثقافة الغربية والذي نقله علماء الجامعات الغربيون الذين استقدموا لهذا الغرض في بلاد العرب والمسلمين والذين سافروا الى الغرب من شباب المسلمين أمثال منصور فهمي وطه حسين ومحمد عزمي وعلى عبد الواحد وفي وعبد العزيز عزت :

وقد تلقى هؤلاء علوم الاجتماع ، على قادة مدرسة العلوم الاجتماعية ، التي كانت قد ظهرت في فرنسا في العشرينات ، والتي ظلت مهيمنة على مناهج الاجتماع حتى اليوم وهم دور كايم ولبن بريل وموسى وفوكونيه ، وهي مدرسة تقول بأن قواعد الاخلاق ليست إلا ظواهر إجتماعية لا نستطيع في علاجها شيئا ، وكل ما يجب علينا عمله هو أن نرصدها لنستخرج منها قواعد عامة ، وأن الإنسان مادة خسب ، وأن مبادئ الاخلاق التي هي ظواهر إجتماعية ، إنما تبنى على الافراد دون أن يكون لهم دخل في بنائها أو فضل الإيمان بها ، وأن ارادة الإنسان الحرة التي يعتز بها ليست إلا وهما لان المرء لا يملك لنفسه شيئا وإنما هو مسير بغرائز وقوى .

ولاريب أن هذا المفهوم لا يتفق مع الدين المنزل ولا الفطرة البشرية ، وأنه يحاول أن يهدم مفهوم الاخلاق الديني الذي عرفته الاديان السماوية جميعا وأن جامعة مدرسة العلوم الاجتماعية اليهود إنما يسرون في نطاق الخطط الذي رسمته الصهيونية لهدم الارادة الفردية والاخلاق والاسرة .

وتقوم نظرية مدرسة العلوم الاجتماعية المادية ونظرية دارون على مفهوم الفلسفة ونظرية فرويد ، وتحاول أن تنضج مفهوم العلوم الاجتماعية الى النظرية

التجريبية المطبقة على المادة من ناحية أو على مفهوم الحيوان من ناحية أخرى ،
ولا ريب أن ذلك كله يختلف مع مفهوم العلوم الإنسانية المتصلة بالنفس والروح
والاخلاق مما لا يمكن إخضاعه للمناهج العلم المادى .

ذلك أن الجوانب النفسية والروحية والوجدانية التى تشكل السلوك والاحاسيس
والتصرفات إنما تتصل أساسا بالعقائد وترتبط بالإيمان بالله ، ولقد وجدت
هذه الدعوى معارضة شديدة وأثبتت الابحاث العلمية عجز المناهج التجريبية المطبقة
على المادة عن تحقيق نتائج صحيحة بالنسبة لمشاعر الإنسان وعواطفه وأخلاقه
وتصرفاته .

وتستهدف النظرية الاجتماعية المطروحة القضاء على الشخصية الفردية قضاء
تاميا ، بدعوى خضوع الفرد للجبرية الاجتماعية التى تقول بأن الإنسان محكوم
بعدة عوامل ، هى التى تدفعه فى طريق الحياة ، وهى بذلك تحاول القضاء على
قاعدة وطيدة فى الإسلام وفى المجتمع الإسلامى : وهى قاعدة الارادة الفردية
والالتزام الاخلاقى :

كذلك تحاول هذه المدرسة أنسكل أصالة قيام الاسرة منذ العهود البشرية
الاولى ، وفى مفهوم الإسلام أن الاسرة تكونت فى بداية البشرية ولم يخل منها
جيل من الاجيال .

ولا يعترف الإسلام بأى نظرية عن تطور العائلة أو القول بأن المرأة كانت
مشاعه فى عهد البشرية الاول ، فالقرآن الكريم يقرر صراحة أن نظام الاسرة
نظام أصيل فى الطبيعة البشرية :

« يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها
وبث منهما رجالا كثيرا ونساء » (سورة النساء) .

ولاريب أن مدرسة العلوم الاجتماعية تستهدف التشكيك فى نظام الاسرة ،
تروطها للدعوة إلى القضاء عليه على النحو الذى يحدث الآن فى المجتمعات الغربية .

وقد جرت محاولات للقضاء على الاسرة على مر التاريخ ، ولكنها عجزت عن ذلك وسيظل نظام الاسرة ثابتا مكيئا على مر الازمان ، وسيظل أى نجاح يتحقق بخصوصه فى القضاء عليه عملا جزئيا يسقط بمرور الزمن ، ولا يأخذ صفة الشمول أو الاستقرار .

وتتعلق نظرية علم الاجتماع من مسبقه فرضية ، هى أن الإنسان مادة وجسم وأنه ليس له قوى أخرى (شأنها فى ذلك شأن علوم النفس والتحليل النفسى) ولا ريب أن مثل هذه العلوم الاجتماعية والنفسية إنما تخضع لاهواء الفلاسفة ومزاجهم الشخصى وهى نتائج عامل واحد من عدة عوامل تسيطر على المجتمعات والفكر البشرى ، هذا العامل هو العصر وأحداثه .

وأغلب هذه العلوم تعتمد على الاسطورة الاغريقية وتتخذ منها تصورا عاما كالظاهرة للحياة ، ومع أنه قد تكتشف لمداية العلوم الاجتماعية أن الظاهر الانسانية ليست كالظاهرة الطبيعية وأنهما من نوعية مخالفة ، وأن الظاهرة الاجتماعية ليست شيئا ملموسا يقاس كاتقاس الظاهرة الطبيعية ، فإن هناك خطه للأضرار على الخطأ وقد أشار العلماء التجريبيون إلى أن الظاهرة الإنسانية لا تخضع للقياس المادى وتشذ عنه وتتميز بجمرية باطنية فيها ، ولا يمكن التنبؤ بمجرأها أو وقت وقوعها ، وأن الظاهرة الإنسانية أقرب إلى الذات ، والإنسان ذات وليس موضوعا ، بالرغم من هذا كله فإن أصحاب الفلسفات المادية ما زالوا ينادعون ويغالطون .

وفى الجامعات المختلفة فى العالم الإسلامى درست مواد علم الاجتماع مقولة ومترجمة من كتابات الغربيين ، الذين قايسوا هذا العلم وفق مفهوم النظرية الليبرالية الغربية والاساتذة الاجانب الذين كانوا يقدمون هذه المادة فى الجامعات العربية كانوا ينتقون المدرسة التى ينتمون إليها والمتخرجون من الجامعات الفرنسية كانوا يتبعون منهج المدرسة الفرنسية وكذلك المتخرجون من الجامعات الانجليزية والامريكية ، كل حاول توجيه دراساته ومؤلفاته وفق الثقافة التى تخرج فيها والولاء الخاص بها ، لذلك لم تكن

الأصالة على وجه العموم، واضحة والأصل لا تظهر على العموم، إلا عند محاولة دراسة
النظم الإسلامية ومقارنتها بالنظم الأوربية الحديثة، أما فيما عدا ذلك فهي تروى
للأفكار الوافدة، وكل الكتب التي صدرت عن علم الاجتماع في هذه الفترة متأثرة
بمؤلفات أصحاب النظريات العضوية التطورية التي كانت سائدة في أوروبا - على
حد تعبير الدكتور شحاته سيفان - مثل كتاب بقولا حداد الذي وصف بأنه
أول مؤلف باللغة العربية في علم الاجتماع وكذلك كتابات سلامة موسى وطه حسين
وكتبا متأثرة بنظرية التطور، وقائمة على حدود المفهوم المادي للفرد، وتقوم
على أن الإنسان حيوان خاص، لا يمتاز بشهوات الطام (ماركس) والغريرة (فرويد)،
وأنه مسوق بهاتين الشهوتين في كل تصرفاته، وهو مفهوم لا يعترف بالقيم المعنوية
والروحية، ولا يحفل بأثر الدين ودعوته في تغيير نظم المجتمع، كما أنه متأثر
بمفاهيم جمهور فلاطون التي تقوم على أساس الاعتراف بالفصل بين السادة
والعبيد، وهو من وجود مجتمع العبودية في حضارة السيادة وقد أفرأسطو
هذا المفهوم.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فقد أكد الباحثون أن (علم الاجتماع)
النظم اليوم في المجتمعات العالمية، ليس علمه قائما بذاته يعمل على النحو الذي يفرض
العلم الصرف، ولكنه يعمل في خدمة النظام الغربي وما يتصل به، من تثبيت
سلطانه ونفوذه في عالم المستعمرات أو البلاد الخاضعة له اقتصاديا، ومن هنا
فقد أشار باحثون كثير إلى أن علم الاجتماع الأمريكي مثلام يقف عند حدود
مجتمعه بل تمده إلى بحوث استهدفت مقاومة التغيير في العالم الثالث وضرب
الحركات التحريرية.

وأثبت علماء آخرون ارتباط البحث الاجتماعي في الغرب بأدوات السياسة
والقوة العسكرية، وأن بحوث علم الاجتماع تستخدم كوسيلة في الفراغ العالمي
وتثبيت تبعية العالم الثالث للنظام الرأسمالي فتكرار وتوجيها.

كذلك يفتي الاتحاد السوفيتي فيبدأنا جالسا كبريا من الفكر الاجتماعي موجه نحو كشف مآسى وتناقضات المجتمع الرأسمالي على وجه الخصوص ، وأن الباحثين السوفيت يدرسون قضايا المجتمعات النامية بهدف كشف أثر الرأسمالية والاستعمار على أوضاعها وتغييراتها ، ومعنى هذا أن علم الاجتماع في الغرب ليس علما أصيلا وإنما هو علم موجه ، فهو في داخل المجتمعات الغربية لخدمة أهداف النفوذ والسيطرة ، وفي داخل المجتمعات الماركتسية لكشف عوامل أو اضطراب السيطرة الغربية ، ومعنى هذا أن علم الاجتماع الآن بصورته الحالية هو علم يقرر الواقع ، وأنه ملتزم بتوجيهات الايديولوجية والحزب .

يقول الدكتور عبد الباسط عبد المطلب الذي يكشف في هذه الخاتمة في كتابه (اتجاهات نظرية في علم الاجتماع) أن هود كايم وفيلبر ومن قبلهما أوجست كوتل أرادوا جميعا التنظير لصعود الرأسمالية الأوروبية والحفاظ على منجزاتها وقبني توجه ليبرالي غالى في الفردية التي هي جوهر المشروع الرأسمالي ، وأن الرواد لعلم الاجتماع لم يكونوا قادرين على وضع نظرية عامة شاملة ، وأنهم خصصوا لمجتمعاتهم ولتحديات عصرهم وبيئتهم في حدود فرنسا وألمانيا ، وبذلك جعلت ملاحظاتهم متعاشية مع هذا الواقع متحدة به .

كما أن هؤلاء جميعا كانوا منظوري للطبقات الحاكمة والسيطرة ، فتحول العلم لديهم إلى تحكم ذي بعد واحد ، قضى على واحدة من خصائص العمومية أى نسج البناء الاجتماعي بطبقاته وجماعاته وقطاعاته . وأنهم اتخذوا جميعهم موقفا تبريرا من أوضاعهم الاجتماعية ، وتك أقوى مقابل علم الاجتماع الذي نقله المسلمون في مدارسهم وجامعاتهم ، وحاولوا أن يصوغوا مجتمعاتهم على ضوئه الكتيب .

كذلك فقد أشار الدكتور عبد الباسط في أحدث دراسة عن علم الاجتماع عن تأثر هذا العلم بمنهج العلم الطبيعي ، كما أشرنا من قبل ، كذلك فقد أنكر الباحثون أن علم الاجتماع قادر على الوصول إلى قواعد عامة للتطور الاجتماعي .

ويرى الباحثون أن علم الاجتماع على هذا النحو - يمكن أن يكون

علما أناسيا ويمكن أن يكون هذا الإنسان بمعنى آخر الله يمكن أن يسلم
في حل المشكلات ويمكن أن يؤكد التخلف ويخدم الأقلية .

وقد بلغ الأمر أن يقول أحد علماء الاجتماع : هوارد بيسكر : إلى جانب
من تقف : هل تأخذ جانب المسيطرين أم الخاضعين : الحكام أم المحكومين ؟
وليس أقصى من هذا التساؤل الكشف أمام أبصار المسلمين فساد تجربة علم
الاجتماع الذي يخضعون له منذ أكثر من سبعين عاما .

وفي مراجعة لفكر الاربعة الكبار في علم الاجتماع : أوجست كونت
ودور كايم وماكس فيبر وليني بريل ، تجد أن القاعدة الأساسية هي : نظرية
دارون التي تقول أن الإنسان حيوان ناطق وتدرجه في نظام الحيوان ، وتفرض
عليه أحكامه متجاهلة جوانبه الروحية والمعنوية ، وهي أساس النظرية المادية ،
بالإضافة إلى نظرية فرويد في الجنس والتفسير المادي للتاريخ الماركسي .

ولا شك أن القانون الذي وضعه أوجست كونت وأطلق عليه اسم
(المراحل الثلاث) قد فشل فشلا ذريعا ووجهت إليه انتقادات جمة ذلك لأنه
تجاهل ظاهرة الدين الموحى به والقادر على تغيير المجتمعات ، ويقف عند النصرانية
ولم يجد من الشواهد التاريخية ما يؤيده عمليا فضلا عن خضوعه لفكرة التطور
المطلق الذي لا يعترف بالثوابت .

وكذلك يقوم الاطار الفكري لمفاهيمه على أساس الفلسفة الوضعية التي
تحكم المجتمع على أساس القوانين الطبيعية التي لا تتغير وهو يؤمن بأن الفرد شيء
لا قيمة له .

ويهدف علم الاجتماع عنده لأن يكون أداة للمحافظة على الواقع القائم
وتأكيد السلطة الحاكمة ، ولذلك نادى بالحد من حرية التفكير وهلل عندما
قوض نابليون على ناصية السلطة بيد من حديد ، ونادى بضرورة محاكاة علم

الاجتماع للعلوم الطبيعية ، وقد حرص على أن يكون علم الاجتماع الوليد أداة محافظة وتبرير ، وهو يرى أن على الانسان أن يتواءم مع ما هو قائم ، فليس له من إرادة ولا يجب أن تكون له ، وأن العيب كل العيب في الإنسان وأخلاقه ، لا في الظروف المحيطة به ، وهذا تصور - كما يقول الدكتور عبد الباسط عبد المعطى - ليس ضد الانسان فحسب بل هو مشوه ومزيف لتاريخ الانسان .

وكان دور كايم قد انتقل بعلم الاجتماع نقلة حاسمة إلى أفق التلودية ، التي صيغت مفاهيمها في قوالب عليية مرتين : في نظرية فرويد (النفس والآخلاق) وفي نظرية دور كايم (الاجتماع) .

فدعوة دور كايم تقوم على الجبرية المطلقة للفرد في إطار المجتمع وإقراره بعجز الإنسان عن تغيير المجتمع وضرورة خضوعه له وقوله أن العامل الفعال الذي يؤثر في المجتمع هو البيئة الاجتماعية ، وهو الغاء كامل لدور الفرد ، وقد شهد عليه الباحثون بالتناقض والخلط وكان يثير التساؤلات ولا يجب عليها ، ويتركز خطؤه في دعواه أسبقية المجتمع على الفرد ، وخضوعه لفكرة البرجمانية والنفعية . وتسير كتاباته المتنوعة في مسار تأكيده ضرورة انصياع الانسان لما هو قائم ولما هو محيط ، فالظاهرة الاجتماعية عنده إجبارية والزامية وأن دراساته في نظر كثير من العلماء وأراءه يعوزها كثير من الصدق العلمي .

ومن أخطائه : اعتباره الجريمة هي الفطرة والأسرة هي الشذوذ ومنهجه خليط من جميع المذاهب المادية الماركسية والفردية والبرجمانية وبه تحول علم الاجتماع إلى دراسة الطواهر دون أن يكون له أثر في تغيير المجتمع ولا شك أن من أكبر أخطائه دعواه العريضة بأن المجتمع هو الذي أنشأ العقيدة وأن الدين لم ينزل من السماء ، وإنما أوجدته الجماعة على النحو الذي حمل لواءه الدكتور طه حسين ودعا إليه في الثلاثينات .

ولاريب أن مفاهيم دور كايم ربيب المذاهب الماركسية أحسلا والنظرية المادية ، معارض تماما لكل القيم الأساسية التي تقوم على الخطوة والتي جاءت (م - ٢٠ - الاسلام)

بها الأديان في منهجها الرباني القائم على الأصالة وعلى التكامل بين المادة والزوج .

وقد بدأت خطوات التبعية في العالم الإسلامي لمفهوم علم الاجتماع الغربي ، عندما قدم الدكتور منصور فهمي أول رسالة في فلسفة الاجتماع لجامعة باريس ١٩١٣ تحت إشراف اليهودي لينى بريل عن (حالة المرأة في التقاليد الإسلامية) وقد صاغها في إطار مفهوم المدرسة الفرنسية الاجتماعية ، التي كان عبيدها دور كايم ، وقد وقع تحت تأثيرات تفسير كثير من المستشرقين المتعصبين ضد الإسلام فأنت رسالته بجافية تماماً لقواعد الإسلام وما يجب أن يتصف به المسلم ، إذ تناول سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وتعدد زوجاته بكثير من الخلط والفساد وقال أن المرأة بعد الإسلام ساء موقفها لأنها أصبحت تعامل كفرد لا كقريبة ، وقال أن محمداً (صلى الله عليه وسلم) يشرع للجميع ويستثنى من ذلك نفسه ، ومضى يتحدث عن ذلك كله بأسلوب المستشرقين ، واحتوى فصل من الرواية نقداً لا أكثر من موقف للنبي صلى الله عليه وسلم وحياته الزوجية والاجتماعية ، وقال أن الإسلام هو الذي فرض الحجاب على المرأة والاستقرار في المنزل (وقد رجع الدكتور منصور فهمي عن هذه الآراء فيما بعد وكتب عن الإسلام كتابات رائعة) ومن ذلك ما ردد الدكتور طه حسين في آرائه عن أن الدين خرج من الأرض كما خرجت الجماعة ، ومحمود عزمي الذي كان يفرق بين مفهوم الاقتصاد السياسي ومفهوم الإسلام ويقول : إذا ذكر الاقتصاد فلا يذكر الدين .

كما أعلن طه حسين أن ابن خلدون غير كامل الأهلية العلمية ، ونقده نقداً جارحاً وأعلن عدم اعترافه بأن ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع أو حتى مبشر بعلم الاجتماع الحديث ، مخالفاً بذلك الأغلبية الساحقة لعلماء الاجتماع المعاصرين الذين اعترفوا لابن خلدون بفضل سبقه والأصالة ، ومنهم توينبي البريطاني وفريرو الإيطالي وجملبوتز البونندي وذلك جرياً وراء التبعية لرأي اليهودي دور كايم في ابن خلدون حقداً وغلوا .

كذلك فإن الدكتور علي عبد الواحد وافي الذي وكل إليه إنشاء قسم الاجتماع

في الجامعة المصرية ، ظل وإلى اليوم خاضعاً لمفهود دور كايم المدرسة الفرنسية ، وهو الذي روج له وقدم مفهومه بالعربية في كتاب ضخيم ولقد كان كل أساندة الاجتماع على هذا النحو ومن جاء بعدهم عبد العزيز عزت والساعاتي والخشاب ، فقد تعلوا على فوكونيه وما سينيون وكان هـ-ؤلاه يبحثون على المفكرين المسلمين الخاضعين للفكر اليوناني أمثال ابن مسكويه الذي تأثر في بحثه في الأخلاق بأفلاطون في جمهوريته وبارسطو في كتابة الأخلاق .

وقد خضع الدكتور حسن الساعاتي والدكتور مصطفى الخشاب لمفاهيم علم الاجتماع الغربي وتلقاه على أيديهم عشرات من المثقفين في العالم العربي ، وقد عالجوا جميعاً المجتمع العربي الاسلامي على أنه مجتمع محكوم عليه بنظام علماني خالص في اقتصاده وسياسته وقوانينه ، فلم يكن هناك ما يفتح الباب أمام المفاهيم الاسلامية في علم الاجتماع وقد أحيا هؤلاء دراسات أوجست كونت صاحب المذهب الوضعي وسان سيمون وفكر المدرسة الفرنسية (دور كايم وليني بريل) كما عتوا بالانثروبولوجيا والاساطير والفلكلور على اعتبار أنها المادة التي تصنع منها المجتمعات البدائية ، وجروا شوطاً طويلاً وراء مفاهيم علم الاجتماع الغربي الوافد الذي لم يكن يلتقي مع الفكر الاسلامي في أي أساس من أسسه ماعدا بعض علامات بسيطة أظهرت مفهوم الاسلام ، منها كتابات الدكتور حسن سغفان عن رفض المجتمع الاسلامي للنظرية الماركسية في تفسير التاريخ ، وقد قال أحدهم : أن كل مالدينا من علم الاجتماع هر من صناعة الاربعة الغربيين الماديين أوجست كونت وهربرت سبنسر وأميل دور كايم وما كس فيسر .

ولسكن الامور لم تسكن لتمضي على هذا النحو بعد أن علت صيحة حركة اليقظة الاسلامية بالعودة إلى منابع ، والبحث عن الاصاله وترشيد الفكر وتحريره من التبعية وتصحيح المفاهيم ، وهي الدعوة التي تمالك في العقدين الاخيرين من القرن الرابع عشر ، والتي امتدت إلى كل جوانب البحث والثقافة ، وخاصة في مجال الاقتصاد والسياسة والاجتماع والتربية ، ومن ثم ظهرت خيوط رفيقة

من الدراسات التي استحصدت وقويت ، وخاصة ما قدمه الدكتور مصطفى محمد حسنين في كتابه « نحو علم اجتماع اسلامي » ، الذي صدر منذ عشر سنوات .

ويرى الدكتور مصطفى حسنين أنه حيث يجعل دور كايم الظواهر الاجتماعية أساس الدراسة وتجعل المدرسة الانجليزية والامريكية النظام الاجتماعي أساس الدراسة ، فإن الاسلام يجعل من واقعات العمران البشري موضوع الدراسة ، وأن كثيراً من علمائنا قد أخطأوا في ظنهم أن واقعة العمران البشري - كما عرفها ابن خلدون - هي بذاتها الظاهرة الاجتماعية عند دور كايم ، ولكن طبيعة الواقعة الاجتماعية تختلف في وظيفتها وبنائها الاجتماعي اختلافاً جوهرياً عن وظيفة المظاهر الاجتماعية وبنائها الاجتماعي ، وأن واقعة العمران البشري - كما قدمها ابن خلدون - نسيج وحدها في الوظيفة والتركيب الاجتماعي على السواء ، وأن دور كايم أهدر كل تقييم أخلاقي حتى أنه يقول : أن الجريمة ظاهرة ضرورية وهي ليست ظاهرة مقيدة ، ولاريب أن هذا لا يستقيم إطلاقاً مع النهج الاسلامي في النظر إلى مجتمع المسلمين ، بل هناك ما هو أسوأ ، فإن دور كايم ينتهي في نظريته في الظواهر الاجتماعية إلى القول بأن أصل الاديان أصل أوضى يرجعها إلى الطبيعة .

وهناك فارق كبير وعميق بين المدرسة الاسلامية والمدرسة الاجتماعية يكشف عنه الدكتور مصطفى حسنين (ذلك هو أن ابن خلدون يربط بين قيام الواقعة الاجتماعية ووظيفتها ربطاً شديداً . إذ جعل العمران في هدفها وغايتها ، وإذا كان الإسلام قد شد بين صالح الفرد وصالح الجماعة في نطاق واحد ، وجعل كل مصلحة منها تساند الاخرى وتدعمها فإن ابن خلدون على أساس الفهم الاسلامي كان يبنى واقعات العمران على أساس ما تحققه من مصلحة للجماعة والافراد على السواء .

ويشير الدكتور مصطفى حسنين إلى أن بحوث دور كايم ، وأن جعل موضوعها ، العرب في شمال أفريقيا وبلاد الشام والبدو بصورة عامة ، كانت

تتجه إلى وصف هذه الجماعات على أنها (بدائية) متخلفة بالاضافة إلى آراء دور كايم المرفوعة في الدين الوضعي .

من أجل هذا رأى الدكتور مصطفى حسنين أن يرجع إلى أساس المدرسة الاجتماعية الاسلامية التي أرسى دعائمها ابن خلدون ويقول : أنه لا بد لنا ونحن أصحاب المنهج الاصيل الاول إذا أردنا مقاومة هذه الافكار الهدامة ولسكى نصلح أمرنا ، ونعود إلى الاضالة ، أن نؤكد على منهجنا في التفسير وأن نصد كل رأى مخالف بنفس الأسلوب الذي يتخذونه في محاربتنا ، أنهم يقولون : أنهم أصحاب أسلوب علمي ونحن نقول لهم : أن لنا أيضاً أسلوبنا العلمي المكين ، وأسلوبنا العلمي قائم على هذا العلم الذي هو فقه الشريعة الاصيل : قرآننا وسنة رسولنا - صلى الله عليه وسلم - ، أسلوبنا واحد غير مسبوق بمثله ، لم يتبدل ولم يتغير ، هو القرآن الكريم وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وذلك ما قام للدليل الشرعي عليه بأنه طاعة الله ورسوله .

الباب السابع

التغريب والأدب العربي

الفصل الأول : تحديات التغريب في مواجهة إصالة الأدب العربي .

يواجه الأدب العربي في الوقت الحاضر مجموعة من التحديات الخطيرة تحتاج إلى دراسة ومراجعة، وتتطلب العمل على فتح الطريق إلى بناء منهج عربي إسلامي في كتابة تاريخ الأدب العربي وهذه، خاصة وأن المنهج الغربي الوافد ما زال مسيطراً على الدراسات الأدبية في الجامعات والمعاهد وكليات الآداب واللغة العربية في إجراء كثيرة من بلادنا العربية الإسلامية .

واعتقد أننا بدخول القرن الخامس عشر الهجري قد دخلنا إلى عصر الإصالة والرشد الفكري الذي يدعونا إلى التحرر من الخضوع للمناهج الوافدة وخاصة بالنسبة للأدب العربي واللغة العربية العلى : . لغة القرآن ، رغبة في تحرير الفكر الإسلامي كل من المناهج الوافدة والتي فرضها التغريب والغزو الثقافي .

ولا ريب أن مهمتنا في هذه المرحلة من حياة امتناهي التعرف على ذاتنا ومزاجنا النفسي وطابع أمتنا وأدبنا. وأدبنا، وإبراز ذلك واضحاً أمام الأجيال الجديدة لتسكون قادرة على شق طويقها في وسط هذا الركام من المذاهب والدعوات ومحاولات التغريب والغزو الثقافي والتحرر من التبعية للغرب في شتى صورة ، وامتلاك الإرادة القادرة على ربط أدبنا العربي بالقرآن ليكون ذلك منطلقاً إلى تبليغ الإسلام للعالمين .

أولاً : فساد نظريات النقد الأدبي الوافدة :

أخطر ما أصاب الأدب العربي المعاصر أنه وقع تحت تأثير المذاهب الأدبية الغربية فاحتوته في مجالين كبيرين : مجال تاريخ الأدب ومجال نقد الأدب فخضع لهذه المذاهب الوافدة خضوعاً شديداً ، ولقد كان من أسوأ تحديات التغريب أن جرت المحاولة لعزله عزلاً تاماً عن مجرى الأدب العربي منذ عصر الإسلام تحت اسم جديد وتيار جديد وبدأت الكتابات الأدبية كلها وكأنها منفصلة اتصالاً تاماً عن المسلك المتتابعة للأدب العربي بل إن الكتابات التي قدمها بعض الأدباء

المتأثرين بالمذاهب الغربية بدت وكأنها منفصلة تماماً كدراسات أبي العلاء المعري والمتنبي وابن الرومي وغيرها .

فقد جرت المحاولة لإخضاع الأدب العربي (القديم كما يسمونه) إلى مذاهب غربية كالذهب التحليلي والمذهب النفسي وجرى إخضاع هذه الشخصيات وغيرها لهذه المذاهب مع الاختلاف الواسع والعميق بين العصور والبيئات كذلك فقد جرت المحاولات لإحياء شخصيات متكرة لا وزن لها في تاريخ الأدب العربي الحقيقي من الصامليك والزنادقة أمثال أبي نؤاس وبشار بن برد والضحاك وحamad عجرد وغيرهم على أنهم - كما ادعى الغربيون - يمثلون عصرهم أصدق تمثيل .

هذا هو الجانب الخطير الذي وددت أن أتحدث عنه في مؤتمر إسلامي للأدب العربي لا يغفل عن تحديات التغريب وأخطار الغزو الفكري للأدب العربي وفرض نظريات تين وسانت بيف وبرونتيير ، وهي نظريات قائمة على الفلسفة المسادية المستمرة من نظرية دارون وما بعدها والتي تنظر إلى الإنسان على أنه حيوان شهوة ومعدة .

وهو بالقطع ليس كذلك في مفهوم الفكر الإسلامي الذي يعتبر الأدب العربي حلقة من حلقاته ووجه من عقده ، فقد حاولت مدارس الاستشراق والتغريب التي فرضت نفسها على الأدب العربي أن تعطي للأدب مجالاً أكبر من حجمه الحقيقي ، وتفسح له مكاناً أكبر من طبيعته فأصبح من حق الأدباء التحدث في مختلف القضايا الاجتماعية والعقائدية وتقديم وجهات نظر في مجالات لا يحسنونها وليسوا من فرسانها كالفقه والشرعية والأخلاق .

كذلك فإن محاولة الدعوة إلى استقلالية الأدب العربي عن الفكر الإسلامي فتحت الباب وإسماء (لأخلاقية الأدب) وغلبة المفاهيم التي يسمونها الأدب للأدب والفن والفن وهي مفاهيم يفكرها الفكر الإسلامي تماماً ويردها رداً غير جميل . فهي

تحرر الادب من طابع الاخلاق وتدفعه إلى تصوير الغرائز والاهواء من غير ما قيد وذلك باسم حرية الادب .

وفي ظل هذه الدعوى اتسع الحديث عن الشعراء الاباحيين والكتب التي تتصل بأنثائهم أمثال ألف ليلة والاعاني وغيرها من هذه المصادر كتب طه حسين فصول كتابه (حديث الاربعاء) كما انفسخ المجال أمام ترجمة القصص الغريبة الإباحية وانكشف عن جوانب الفراغ والعلاقات الشاذة في المجتمع الغربي ومن ثم حفلت الكتابات الادبية بالاستخفاف بالقيم الدينية والأخلاقية والغمز لكل ما يتصل بالعقيدة ، والسخرية بالفضائل والبطولات والدعوة إلى الاطلاق بدون حرج والجرأة على المقدسات .

وانتهى هذا الانفتاح الخاطئ إلى بروز أسلوب الشكك واستعلاء هذه الدعوى واستشرائها في أسلوب ما كرم من أساليب الغزو الثقافي برادبها وضع علامات استفهام متعددة أمام الشباب دون أن يجد أجابة صحيحة تهدى قلبه الفض أو ترعى نفسه البسيطة ، بل أن الدكتور طه حسين قد فاض يوماً بأنه أخضع للشك بعض المعتقدات التي ورد ذكرها في القرآن وأحاديث الرسول .

ولقد كان من أخطر الآثار التي ترتبت على سيطرة المنهج الغربي الوافد على الأدب العربي: ضعف أصالة البحث، والتخفف من المصادر الأصلية ، والاعتماد على المصادر الزائفة من كتب المحاضرات وماسجله الرواه والقصاصون من أخبار من أجل ترويح آراء كاذبة مضللة ، وهي مؤلفات لم يكتبها علماء موثوق بهم ولم تكتب وفق أصول البحث العلمي ، وإنما جمعت للتسلية والترويح ، وقصد بها جمع الفكاهات والنكات والاحاجي والقصص الكاذب لاغراق المجتمعات بالالوهم والاباطيل ولعل الدكتور طه حين هو أول من اقتحم هذا المجال حين تعمد ودعا طلبته في كلية الأدب بالاعتماد على كتاب الاعاني كما دعا المبشرون إلى

اتخاذ ألف ليله مصدر الدراسة المجتمع الإسلامى وكذلك ثمار القلوب للشعالي
ومى كتب حافلة بكل فاسد وغاش ، وليست لها طبيعة المصادر العلمية .

وقد اتصل هذا الانحراف بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم عند ما طبق طه
حسين مذهبه على السيرة فأدخل إليها عشرات الأساطير التي لم يكن يعرفها العرب
من قبل ، ولقد عاش المؤرخون المسلمون يحرقون سيرة النبي وينقونها من كل
شبهة ، حتى جاء طه حسين فأدخل إليها هذا الحشد الضخم من الأساطير والامرائيليات
التي خدعت الكثيرين حتى ظنوا أنها عمل أدبي رائع وإن كانت لم تخفى على الباحثين
منذ اليوم الأول وقد وصفها المرحوم مصطفى صادق الرافعي وصفاً صحيحاً حين
قال : أن هامش السيرة تهكم صريح .

ثانياً : فساد تحقيق التراث وتجديده

وفي مجال التراث الإسلامى للأدب العربى جرى التحريف والانحراف عن
المنهج الصحيح فقد كانت حركة أحياء التراث قائمة منذ وقت طويل وكانت
ماضيه في طريقها الصحيح قبل أن يفد المنهج الغربى بمفاهيمه المسمومة التي لا تتفق مع ذاتية
الأدب العربى وبمحاولاته الخطيرة في أحياء جوانب معينة من تراث النحل والفرق
وأصحاب الشبهات الذين كان لهم دورهم الخطير إبان حركة الترجمة من الآداب
اليونانية والفارسية وغيرها وخاصة الفكر الغوصى والمجوسى والوثنى ، ولقد
حرصت مدرسة النقد الأدب الغربى (طه حسين وأتباعه من بعده) على أحياء
كل ما اتصل بالشبهات والزنادقة والعزل الحسمى والكتب الخافلة بالمفاهيم الوافدة
من الثقافات الهندية واليونانية القديمة وجميعها تلتقى بهدف تدمير قيم الفكر الإسلامى
الذى قام أساساً على التوحيد الخالص ونظرة واحدة إلى هذه المؤلفات التي إنبعشت
والتي أعيد أحيائها يكشف في وضوح عن الغاية والمهدف :

(أولاً) الفكر الغربى وكل ما يتصل بمنطق أرسطو وفلسفة اليونان وتلك

المحاولات التي قام بها الفارابي وابن سينا للربط بين الفكر اليوناني والفكر الاسلامي في محاولات ثبت من بعدها فسادها وعجزها .

(ثانياً) أحياء كتاب ألف ليله وليله والاغانى ورسائل اخوان الصفا التي كتبها دعاة الباطنية .

(ثالثاً) أحياء الفكر الوثني المتصل بالتصوف في كتابات الحلاج ومحيي الدين بن عربي والسهروردي وابن المقفع وحنين ابن اسحق وابن الراوندي .

(رابعاً) أحياء شعر الخمر والحس بأحياء شعر أبي نواس وبشار بن برد والضحاك وحamad عجرد . ودراسة عصرهم ومحاولة القول بأنهم يمثلون عصرهم وإن هذا العصر الذي هو القرن الثاني للهجرة كان عصر شك ومجون كما قال طه حسين .

وهم حين يتحدثون عن التراث يغضون الطرف عامدين عن الغزالي وابن تيمية والمتنبي والبيروني ولا يذكرون إلا ابن سينا وابن رشد، وحين يذكروها لا يذكرون آثارهم في الطب أو العلوم وإنما يذكرونهم من حيث هم اتباع ارسطو ، وحين يذكرون المعري يذكرون شعرأله يغمط التوحيد ويذكر التعدد وإذا ذكروا ابن حزم لم يذكروا غير كتابة طوق الحمامة في محاولة لاتهام الفقهاء بالحب ويتجاهلون كتابة المحلى في أحد عشر مجلداً .

وهم بالطبع يكرهون ابن حزم وابن تيمية لأن المستشرقين الغربيون يكرهون هجومهم على الفرق الضالة التي ظالموا أيديها ، ولا يذكرون المعتزلة إلا لانهم ربابب الفكر اليوناني وأنهم أصحاب فتنة خلق القرآن ويدعون أن الإسلام قد ضعف بعد سقوطهم ويهاجمون الخليفة المتركل هجوما عنيفاً لأنه نصر السنة وقضى على فساد المنحرفين .

وحملت جماعة التغريب على كتب التراث الاسلامي وقالوا إن الكتب الصغراء تعوق تطورنا الفكري وأنه من الخير أن تزول هذه المخلفات من الطريق بأن نقدمها للنيران .

وجرى التغريديون على طريق المستشرقين والمبشرين فلم يحفلوا إلا بشاعر داعر أو فيلسوف منحرف أو بصوفي ضال ، أما الإصلاء جميعاً فقد أغضوا عنهم وهاجمهم وانتقصوهم . وحاولوا الإدعاء بأن العبقريات لم تكن عربية وإنما كانت فارسية ونسوا أن الإسلام هو الذى ضنع العقلية الاسلامية التى قدمت هذا النتاج وأن العنصر لم يكن له دخل ورد ، إسماعيل مظهر عبقرية بشار إلى صلحهما الفارسى وابن الرومى إلى أجداده اصرو .

وحين عرضوا للحاجط قدره فى كتابة البخلاء وهاجموا كتابة البيان والتبيين لانه الكتاب الذى فضح شبهات الشيوعية وقد هاجم طه حسين وسلامة موسى كتاب البيان والتبيين بشراسة لاحد لها ، وانهموه بكل نقيصه لانه دل عليهم وكشف المعين الذى منه يفترون شبهاتهم وأباطيلهم . ودافع أمثال عبد الرحمن بدوى عن الملتخدين والمنحرفين وعن طه حسين بالجهان والعشاق ، وغيره بشعراء المهجاء المقتنع وأنارت هذه الدراسات روح التشكيك فى الادب العربى واتهامه والتحامل عليه وإعلان أسوأ صفحاته القلقة والتوسع فيها كأنها الادب كله والوقوف عند الشعراء وأدباء الصنعة وتجاهل ذلك الحصاد الضخم من الفكر والثقافة والعلوم والفقه والادب الرفيع الذى قدمه عشرات التوابيع .

بل أن طه حسين ذهب إلى أبعد من ذلك حين قال أن ما فى الادب العربى من ثمر فى إنما أصله من الفرس ، وإن أعظم مقومات الادب العربى والفكر الإسلامى إنما استمدته من اليونان والإغريق .

(راجع كتابنا : محاكمة فكر طه حسين) .

ومن للبعث الزائف للتراث إعادة نشر رسائل إخوان الصفا الذى أتأكد أنها من تراث الباطنية ، كما عمد لويس ماسنيون إلى إحياء تراث الخلاج ، يوماً تزال بعض الفئات تماود نشر ما أطلق عليه تفسير ابن عربى للقرآن وهو كتاب مليء بالسوموم ، ومن هذا أيضاً تلك الاكذوبة الخطيرة بنسبة عدد من

أشعار الفرس القديمة إلى العالم الفلسكى الجدير عمر الخيام وقد كشف الباحثون المسلمون فساد هذه المحاولات كلها .

وهناك محاولات أخرى أشد خطورة في مجال بعث التراث وهى إعادة كتابة التراث بصورة تغريبية على النحو الذى قام به طه حسين فى كتبه : هامش السيرة والفتنة الكبرى والشيخان وغيرهما ، فقد أخضع هذه الكتابات لمذهب التفسير المادى للتاريخ وجرت المحاولة لتصوير الصحابة رضوان الله عليهم على أنهم مجموعة من السياسيين المحترفين الذين يتصارعون على الحكم ، فنحن فى تحريف التراث بين أمرين أحلاهما مر : هى إعادة صياغته لإفساده أو نشر المنحرف منه .

ثالثاً : فساد الترجمة من الآداب الأجنبية

وفى مجال الترجمة من الآداب الأجنبية كانت محاولات التغريب والغزو الفكرى بعيدة المدى . فقد حرصت مؤسسات التبشير ومدارس الإرساليات ومطابعها على تقديم عدد ضخم من الترجمات الهزيلة الأسلوب الفاسدة المضمون التى أغرقت القارئ العربى والمسلم بقيم ومفاهيم تتصل بالفسق والزنا والفاحشة والاثم على نحو يحسن هذه المعانى ويرممها كأنها أمور طيبة أو مشروعة ، ليست محرمة ولا هى إنحراف فى هذه المجتمعات نفسها وقد امتد هذا اللون المسموم إلى الفقه والآداب والشعر والعلوم والمباحث النفسية والاجتماعية والفلسفة .

فى مجال الآداب فقد قذفت الترجمة الآداب العربى بركام ضخم من القصص الفرنسى الخليع ، وقدمت هذه القصص فى أسلوب ردىء فى طباعة جيدة ، وقد استهدفت كلها الآثارة دون المنفعة وقام طه حسين بدور كبير فى ترجمات المسرحيات الفرنسية المكشوفة وشعر بودلير وغيره ، وبرزت مع ذلك مدرسة ترى إطلاق الفن من قيود الفضيلة ، هذه المدرسة التى نشأ فى اكثافها

القصاصون الحاليون، وقد أحصى يوسف أسعد داغر اثني عشر آلاف قصة ترجمت حتى أوائل الحرب العالمية الثانية وهو رقم مخيف مفزع وترجمت قصص تحاول أن تنتقص بطولات الإسلام وعظمة المسلمين أمثال صلاح الدين وإعلاء روح التعصب الأوربي، وفي الأخير ترجمت قصص وكتابات يهودية وصهيونية ترمى إلى إدخال مفاهيم زائفة في النفس المسلمة. ومن كتابات امرسون وول ديورانت وغيره تجسد محاولة للسخرية بالقيم الأخلاقية والدين وتسفيه الشعائر الدينية واحتقار البطولة والكرامة والعفة وعرض تاريخ اليهود عرضاً جذاباً مشرباً بالعطف والمحابة.

ولقد توسعت حركة الترجمة في مختلف مجالات الفكر والأدب والفن مترجمة القصص الأباحي والمسرحيات اليونانية بمفاهيمها الوثنية التي قام عليها المسرح والرواية وهي نظرية الصراع بين الإنسان والآلهة مع أن الإسلام ينفي مثل هذا المفهوم ويدحضه كما قدمت الترجمة مختلف النظريات الوافدة المتأثرة بالمفهوم المادى والإلحادى أمثال نظرية دارون ونظرية فرويد ونظريات العلوم الاجتماعية والأخلاق التي قدمها دوركايم وسارتر وكلها تحاول أن تعرض مفاهيم ونظريات وافدة معارضة لمفهوم الإسلام الأصيل الجامع الواضح في مختلف مجالات النفس والأخلاق والسياسة والاقتصاد والاجتماع.

وأما ما في ذلك أن هذه الترجمات قدمت للفكر الإسلامى على أنها علوم أصيلة وليست فروعاً قابلة للخطأ والصواب أو وجهات نظر تمثل أمماً وأصحابها ودون أن تلحق هذه الترجمات أو تسبق بدراسات توضيحية يعرف منها القارئ المسلم، موقف أمته وفكرها من هذه القضايا.

وفي نفس الوقت حجبت الترجمة ما يحتاج إليه المسلمون في هذا العصر من مفاهيم العلوم التجريبية والطبيعية والرياضية التي نحن في حاجة إليها واستبدلت بذلك ركائماً مضطرباً عاصفاً يرمى إلى هدم ذلك الحائط النفسى المرتفع القائم في

لنفس المسلمة بالحق والتقوى والكرامة والفضيلة والعفاف وصبور الآباحيات
الجنسية على أنها شرعة المجتمع المباحة ، كما تصور الجريمة على أنها ظاهره طبيعية
ومن شأن هذه المترجمات أن تطرح في مجتمعتنا الإسلامى موجة من اليأس
والقشاؤم والملل والشك وازدراء الحياة مما لا يتفق مع طبيعتنا المتفائلة المؤمنة
بالله تبارك وتعالى .

رابدا : محاولات هدم اللغة العربية المنهجى

وقد حاول التخريب والغزو الثقافى أن يتوجها بخطرة خطيرة من التآمر نحو
اللغة العربية الفصحى : لغة القرآن لهدمها وعارلة لإحلال العاميات والحروف
اللاتنية بديلامها وذلك لقطع الصلة بين البيان العربى وبين القرآن من ناحية
وقطع الصلة بين أجزاء الأمة العربية بإعلاء العاميات ، وقد نالت هذه
الدعوة منذ وطأ الاستعمار البلاد العربية وحمل لوائها المبشر الإنجليزى ولیم
ويكوكس وعنه تلقاها عشرات فى مختلف أجزاء البلاد العربية ثم جاء جيل
من التخريبيين حمل هذا اللواء ودعا هذه الدعاوى من أمثال لطفى السيد وسلامة
مومى وحسين فوزى ولويس عوض .

وما تزال هذه الدعاوى تتجدد فى مختلف أجزاء البلاد العربية على صورة
وأخرى منذ دعا لويس ماسنيون إلى كتابة العربية بحروف لاتينية وتابعه
عبد العزيز فهمى وآخرون ، وتجددت فى السنوات الأخيرة دعاوى ما يسمى
باللغة الوسطى) وتلك دعوة حمل لوائها فريد أبو حديد وتوفيق الحكيم وأمين
الحولى وهى محاولة ماكرة لفضل اللغة العربية الفصحى عن لغة الكلام ولغة الكتابة
بإعلاء اللهجات وإعتماد اللغة الصحفية لغة أساسية ، فلا هى عامية ولا هى فصحية
ولسكنها تنزل درجة عن الفصحى لتنفصل عن بيان القرآن وليكون مقدمة لمرحلة
أخرى تصل بها إلى العامية .

وجاءت مرحلة أخرى فى محاولة خطيرة تولاها وتهدى لها الدكتور طه حسين

وهي تبديل الخط العربي وقواعد النحو باسم (تطوير اللغة) تحت اسم تهذيب أو تيسير أو إصلاح أو تجديد (وهي أسماء لبقية مرتبة تخفى وراءها هدفاً خطيراً) وصفه الدكتور محمد محمد حسين بأنه التحلل من القوانين والأصول التي صانت اللغة خلال خمسة عشر قرناً أو يزيد وهي القوانين التي ضمنيت لنا القدرة على طالعنة تراث المسلمين والعرب خلال أربع عشر قرناً .

فإذا تحققت هذه الخطة التي تسمى بالتطوير أو التي ترمى إلى هدم الأصول والقوانين والقواعد التي صانت هذه اللغة هذه القرون ، كانت النتيجة هي تحقيق الهدف في تبليط الألسنة بين المصري والشامي والمغربي ، وتصبح قراءة القرآن والتراث العربي الإسلامي متعذرة على غير المتخصصين من دواشي الآثار ومفسري الطلاب وعندئذ تصبح وحدة العرب مقدمه لوحدة المسلمين عمل باطل ، .

وبدعة إصلاح اللغة هي إحدى هذه الخطط فقد ظن الكثير من البسطاء أن المسألة يراد بها سهولة الأداء ، ولكن الحقيقة كما كشف عنها الدكتور علي العناني هي فيما يأتي : « أن الإصلاح في الألفاظ والتراكيب والأساليب لا يكون إلا بتغيير قواعد إبنية اللغة وهي (الصرف) وتحويل ضوابط إعرابها والأحوال العارضة على الألفاظ باختلاف الوضع في الجملة وهو (النحو) وتبديل الموضع اللفظي في المفرد والمركب من حيث الحقيقة والمجاز والاستعارة والكتابة وهو (البيان) وتغيير وإهمال ضوابط الفصاحة والبلاغة وهي (المعاني) ومعنى إصلاح قواعد الصرف انتقالاً من الصعب إلى السهل إنما يعني أن نهدم علم (الصرف) من أساسه ونفسخه نسخاً تاماً لتعدد تواعده (وتنوع ضوابطه ، وبعد أن يتم الهدم يبنى المصلحون على أنقاضه صرفاً جديداً محدود القواعد ، قليل التنوع ، خفيفاً على العقل والفكر سهلاً على الذهن والفهم ، كذلك الأمر في إصلاح قواعد

النحو وإصلاح علوم البلاغة وبهذا يكون معنى الإصلاح في اللغة نسخ العقلية العربية وما فيها من ثقافة نظرية ، وعملية ذلك أن الإصلاح هو التغيير ، والتغيير يعنى الإزالة والوضع ، وهذا يعنى أحداث لغة جديدة بقواعد جديدة ، وهذه اللغة العربية الجديدة أن صح اتصالها بالعربية الحالية المعروفة اتصال اللهجة بالأم فإنها تبعد عنها شيئاً فشيئاً حتى تختفي معالم الصلات بينهما أو كلاهما عندئذ تكون اللغة العربية الحالية من اللغات الميتة .

ومعنى هذا أن يصبح تراث العربية البالغ ثلاثة عشرين من الفقهاء في مختلف مجالات الشريعة الإسلامية والآداب والحضارة والفكر والفقه عن توابيت دار الآثار والمتاحف .

والحق أن قواعد اللغة العربية وضعت طبقاً لنصوص القرآن والحديث والمسموع من العرب فالتغيير في هذه القواعد هجر للقرآن والحديث ، كذلك فإن الإسلام وهو عقيدة وشريعة قد استنبطت أحكامه فيما يختص بالعقيدة والتشريع في العبادات والمعاملات من الكتاب والسنة وعمل الرسول والقياس والاجتهاد ، وكل هذه الأركان والتنايع لا يمكن أن تستنبط من أحكام إلبواسطة مبادئ خاصة وقوانين معروفة بعلم الأصول وأساس هذه المبادئ والقوانين الراسخ أو دعائم علم الأصول إنما هي فهم اللغة العرب : لغة القرآن والرسول بما وضع له من القواعد الصرفية والنحوية وضوابط علوم البلاغة وإذا أصلحت هذه الضوابط وتلك القواعد بالازالة والوضع إنهم أساس عدم الأصول وتداعت دعائمه وإذا انهدم الأساس وتداعت الدعائم انهدم أيضاً ما يرتكز عليها وهو هذا العلم وإذا وصل هذا العلم الأساسى في استنباط أحكام العقيدة ومسائل الشريعة إلى التداعى ، تداعت معه أيضاً طريقة الاستنباط وفهم ما استنبط ودون بالفعل ، وضاعت العقيدة واحتجبت الشريعة وعدنا إلى الجاهلية الأولى . هذه هي حلقة الصورة البراقة كما يصورها الدكتور على العناني الذي حمل لوائها اليوم بمجموعة من أعداء الإسلام واللغة العربية يدافعون عنها وينقلونها من (٢١م - الإسلام)

نوب إلى نوب ومن أسلوب إلى أسلوب وكلما انكشف زيفهم في جانب أعادوا تشكيلها في صورة أخرى .

خامساً : المؤامرة على عامود الشعر

لما كان الشعر هو ديوان العرب ولما كان عامود الشعر هو الركيزة الأساسية في بناء القصيدة : ولقد جرت المحاولة أولاً للقضاء على الشعر العربي الذي كان عاملاً هاماً عن عوامل اليقظة ومواجهة النفوذ الأجنبي ومن ثم بدأت الحملة عليه وإتهامه بأنه شعر مناسبات وذلك للقضاء على دوره التاريخي الخطير الذي هو النفوس في مواجهة الأحداث ، في قضايا الوحدة الإسلامية والنفوذ الأجنبي وفي الترابط بين العرب والمسلمين فظهرت الدعوة إلى الشعر الداعي للقضاء على الشعر السياسي والاجتماعي وبذلك تبدد ذلك الصوت الضخم القوي الإداء الذي آرز الحركات الوطنية والإسلامية وواجه الاستعمار والنفوذ الغربي والصهيونية .

هذه هي الضربة الأولى التي وجهت إلى ديوان الشعر ، ثم جاءت مرحلة أشد خطراً هي مرحلة الشعر المشور وقصيدة النثر أو شعر التفعيلة أو الشعر الحر .

تلك الدعوى المسمومة إلى حمل لوائها الماوكسيون والشعوبيون لإخراج الأدب للعربي من عامود الشعر ومن كل الآثار القوية الضخمة التي أثر بها في محيط الإسلام ومجتمع المسلمين . وقد وصف شاعر عربي أصيل معاصر هو عمر أبو ريشة هذه الظاهرة بأنها موجة منحسرة وظاهرة مرضية وأنها صناعة وافدة وإن الصهيونية حتى وراء هذا الشعر ، فالصهيونية هي مبتكرة البدع والمهرطقات في هذا المضمار أو ذاك لملء الفراغ عند الشباب ولمنحهم من العودة إلى التراث والإصالة .

وتؤكد الدلائل على أن شعرنا العربي كان عمودياً طيلة حياته التي تمتد أكثر من ألفي عام وإن كل التجديدات التي دخلت عليه - كما يقول الدكتور عبد المنعم خفاجي - كانت تلتزم بهذه العمودية أو تسير في إطارها وأن هذا الشعر العربي قد أصبح

صورة فكر ودراسة حضارة وأمة وقد جاء اليوم من يدعو إلى التخلي عن هذه العمودية كلياً للسير على نظام التفعيلة وحدها ولنبعد بالشعر عن أصوله العمودية وعن موسيقاه الشعرية كذلك هناك ومن يدعون إلى تحطيم هذه العمودية ونبذ جميع شعرائها في القديم والحديث والظر إليهم على أنهم متخلفون لا يصح أن أن نسير على منوالهم ويؤكد كثير من الباحثين وفي مقدمتهم الدكتور محمد حسين : أن الشعر الحر في أصل نشأته شعبة من إتجاه عام يدعو إلى تقليد الغرب في فكره وحضارته فإطلاق الشعر من القافية التي ظل يلتزمها طوال هذه القرون ، منذ عرفنا الشعر العربي دعوة تستمد حججها ومبرراتها من الشعر الغربي الذي لم يعرف القافية إلا في حدود ضيقة من آثار إحتكاكه وتأثره بالأدب العربي في الأندلس .

ولقد كان من أثر هذه الموجة هو ضعف هذا الجيل وعجز أكثره عن تذوق الشعر العربي الأصيل في ترائه الطويل ، هذا وقد حمل الشعر الحر جميع سموم الفكر الغربي من تشكيك ولا ادرية وانحلال ومعاني مرتجلة ساذجة وحاول إبتعاث تراث قديم من الأساطير التي جاء الإسلام للقضاء عليها وإعلان أنها من عصر طفولة البشرية ولقد نشأ هذا التيار ونما قليلا في مرحلة الضعف والهزيمة والنكسة وجيل الضياع الذي صنته مفاهيم الماركسية والوجودية والفكر المادى .

وكل الدعاوى التي يحماها أهل الشعر في صميمها تدعو إلى هدم قواعد الأدب العربي والبلاغة العربية عن طريق عمادها اللغوى وقد حفل الشعر الجديد بكل صور الوثنية والإلحاد والتفاهات وقد اتخذ الشعوييون المنحرفون أداة لمعاربة اللغة العربية الفصحى ومطية لهدم مفاهيم الإسلام الصحيح .

سادساً : إنحراف القصة

لا شك أن القصة بمختلف أساليبها وفنونها هي فن غربي خالص مستحدث تختلف إختلافاً كبيراً عما عرفه الأدب العربي من فنون يمكن أن توصف بأنها

فقه أو ما عرف عن طابع القصص القرآني ، فقد بدأت بالترجمة ثم التفسير ثم مع تغيير معالم البلاد وأسماء الأبطال مع بقاء جوهرها الأجنبي .

وما تزال القصة والمسرحية تستوحى ذوق وتصرف المجتمعات الأوربية بكل أخلاقياتها ومفاهيمها وحلول مشاكلها التي تختلف في جوهرها عن ذوق وتصرف المجتمعات الإسلامية ولا شك أن هناك فروقا بعيدة بين النفس العربية الإسلامية وبين النفس الغربية من جهة الأحداث نفسها ومن جهة الاستجابة للأحداث كالحياة الزوجية واضطراب الأسرة ، وهناك أيضاً فروقا وتباينا من ناحية التصرف إزاء الأحداث .

فالقصة العربية المطروحة الآن في أفق الأدب العربي لا تمثل حقيقة روح الأمة العربية الإسلامية لأنها تخضع للمنهج الغربي وهي مغايرة تماماً للقصص الذي وصفه القرآن الكريم بأنه (القصص الحق) البعيد عن الخيال الجارف والهووى والتشهير والتفاصيل وقد انسم الأدب العربي منذ ظهور الإسلام بخاصية واحدة هي تمثل الصدق والحق مع الوضوح والإيجاز ، وإلتباس العبرة ، والدعوة إلى الخلق والسمو والارتفاع فوق الأهواء ، وكلها عناصر مضادة للقصة العربية الحديثة بل ومعارضة لها ، وذلك أن العربي كان يفكر دائماً في أفق مفتوح مشرق طليق ، طبيعة الحياة الحرة الجريئة المكشوفة ، وطبيعة الفارس المقاتل الحفيظ على العرض والسكرامة . الذي يقول كلمته في صراحة ووضوح ، هذه الطبيعة الواضحة لم تكن في حاجة إلى القصص المصطنعة القائمة على الحبكة والمفاجأة والظلال والرموز ، فلذلك أن العقيدة الإسلامية كانت بسيطة سمحة تقوم على التوحيد أساساً فلم تكن في حاجة إلى هذه المفاهب الغربية التي تقام في المعابد والاديرة لتشرح للناس مقاصد معقدة .

ولما كانت ذاتية الأمة العربية ومزاجها النفسي وتركيبها الاجتماعي والعقائد في البسيط السمج ، وقد حققت من الأدب العربي المسرحية والملحمة والقصة

الاسطورية وحين ظهرت ألف ليلة وليلة وأدب المقامات والسجع كان ذلك كله غريباً عن طابع الأدب العربي المتحرر من طوابع الوثنيات والرمزيات .

فهذه القصة العربية التي يقدمها الأدب العربي اليوم ليست أصيله ولذلك فهي ان تستمر طويلا لأنها معنادة للفساد والطبيعة العريضة الإسلامية ، وأنها قد أفسدت عقول الشباب والفتيات نتيجة تلك العبارات المكشوفة والتصورات الهابطة وتلك الدعاوى الباطلة من الإغراء والخداع وأساليب الاغتصاب وصور الاباحية والفساد .

والقصد بهذه الصورة المعروضة اليوم هي من سموم الغزو الفكري والتغريب التي تهدف إلى تحطيم القيم الأخلاق والكرامة وإفساد المجتمع .

* * *

البَابُ الثَّامِنُ

عالمية الدعوة الإسلامية

- الفصل الأول : أفاق جديدة أمام عالمية الدعوة الإسلامية .
- الفصل الثاني : الفقه الإسلامى معجزة الإسلام الفكرى .
- الفصل الثالث : دور مصر فى بناء الحضارة الإسلامية .
- الفصل الرابع : العقيدة الفكرية للكاتب المسلم .
- الفصل الخامس : حقيقة الإسلام .
- الفصل السادس : على المحجة البيضاء .
- الفصل السابع : أمانة المستقبل لجيل شباب الإسلام .
- الفصل الثامن : على طريق الله فى مطالع القرن .
- الفصل التاسع : البحث عن الحقيقة .

المَقْصَلُ الأول

آفاق جديدة أمام

عالمية الدعوة الإسلامية

أن المتتبع لخطوات الدعوة الإسلامية في العالم الإسلامي اليوم في هذا العام الثاني للقرن الخامس عشر الهجري يجد علامات كثيرة توحي بأن هذا القرن هو قرن النهضة الإسلامية إن شاء الله ، انتقالا من (مرحلة اليقظة) التي كانت علامة على القرن الرابع عشر إلى (مرحلة النهضة) وهذه العلامات والاشارات هي بمثابة مؤشرات ومضمرات تحتاج إلى متابعتها ورصدها وإضافة كل جديد على طريق نماتها وقلك حتى يمكن متابعة تطور حركة الدعوة الإسلامية العالمية :

أولا : في مجال الكلمة الصادقة .

كتب تتحدث عن الإسلام وأهم هذه الكتب في الفترة الأخيرة .

١ - كتاب روجيه جارودي الجديد (بشائر الإسلام) بعد كتابة حوار الحضارات الذي تحدث فيه عن دور الحضارة الإسلامية في بناء النهضة الغربية .

٢ - كتاب الدكتور موريس بوكاي الذي أشير إليه آنفياً والذي رصد فيه عدداً من النتائج الهامة وذلك بعد كتابة الذي أحدث ضجة منذ سنوات (الكتب المقدسة والقرآن والعلم) .

٣ - ظهور كتاب المائة الأوائل في تاريخ البشرية والرسول محمد صلى الله عليه وسلم أولهم تأليف المؤلف الأمريكي (مايكل هارت) .

وقد حدد المؤلف سبب إختياره للرسول صلى الله عليه وسلم على أنه الشخصية الأولى في العالم على هذا النحو :

(أولاً) : دوره في نشر الاسلام وتديم وارساء قواعد شريعته أكبر مما كان لعيسى عليه السلام في الديانة المسيحية فهو المسئول الأول والأوحد عن ارساء قواعد الاسلام وأصول الشريعة والسلوك الاجتماعي والأخلاق وأصول المعاملات بين الناس في حياتهم الدينية والدنيوية .

(ثانياً) : القرآن الكريم قد أنزل عليه وحده وفي القرآن وجد المسلمون كل ما يحتاجون إليه في دنياهم وآخرتهم ، والقرآن الكريم نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم كاملاً وسجلت آياته وهو ما يزال حياً وكان تسجيلاً في منتهى الدقة فلم يتغير منه حرف واحد، وليس في المسيحية شيء من ذلك، فلا يوجد كتاب واحد محكم دقيق لتعاليم المسيحية يشبه القرآن الكريم وكان أثر القرآن الكريم على الناس بالغ العمق لذلك كان أثر محمد أكبر وأعمق من الأثر الذي تركه عيسى عليه السلام على الديانة المسيحية . وأن كل ما حدث خلال حياة محمد وبعد وفاته ما كان يمكن أن يتحقق بغير وجوده .

(ثالثاً) : أن القرآن الكريم العظيم هو الذي حفظ للعرب لغتهم وأتقدها من عشرات اللهجات العامية .

(رابعاً) : الامتزاج بين الدين والدنيا في شخصيته الفذة هو ما جعله يؤمن إنا مطلقاً بأن محمداً هو أعظم الشخصيات في تاريخ الانسانية بأسرها .

ثانياً : الكتب المعارضة :

كذلك فإن علينا أن نتابع مراجعة المؤلفات المعارضة التي يكتبها أعداء الإسلام وأن نرد عليها وأن نتابع خطوات الاستشراق الغربي والاستشراق الصهيوني والاستشراق الماركسي .

ومن أخطر كتب التي ظهرت في الفترة الأخيرة كتاب (هل يمكن الاعتقاد

بالقرآن) الذي وضعه الكاتب السوفياتي ، رحمتوف ، والذي قدم فيه عديداً من الشبهات والسموم وقد عني العلامة عبد الله كنون أمين جمعية العلماء بالمغرب بالرد عليه تفصيلاً . وفي هذا المجال نجد أن اللجان الإسلامية في مختلف المنظمات الإسلامية تحاول أن تتابع هذه الخطوة . ومن أبرز ما عرض أخيراً : تلك الأخطاء الخطيرة التي احتوتها دائرة المعارف البريطانية في طبعاتها الأخيرة وقد تصدى المجلس الأعلى للشئون الإسلامية لهذا العمل وقدم الدكتور محمود دياب ردوداً هامة في هذا الصدد . كذلك فقد أعلن عن تشكيل لجنة بمقر مركز التربية العربي لدول الخليج بالرياض لإصدار مجلد يكشف عما جاء في كتب المستشرقين من تحريف للحقائق ، وقد رأت اللجنة أن يكون الهدف من هذا الكتاب ، الكشف عن عيوب المناهج ، التي يتبعها المستشرقون في دراساتهم العربية والإسلامية بحيث يكون ذلك طريقاً لوضع هذه الدراسات في موضعها الصحيح ، وتصويب النظر إليها على نحو لا يجعل أجيالاً من الباحثين وطلاب المعرفة ينظر إليها نظرة التقدير والاحترام التي ينظر بها الآن أو التي ينظر بها كثير من العرب والمسلمين بحجة يكون المجلد المقترح تأليفه مدخلا أساسياً لتتبع أعمال المستشرقين مستقبلاً بصورة أكثر دقة وتفصيلاً .

وسيصدر هذا البحث تحت عنوان : مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية ويضم البحث القرآن الكريم وتفسيره والسيرة النبوية والعقيدة الإسلامية والقانون والشريعة والتاريخ واللغة والأدب والفلسفة والعلوم والجغرافيا والنظريات السياسية والحياة الاجتماعية والسيرة النبوية والفن العربي والإسلامي والمعاملات المصرفية والحضارة الإسلامية في الأندلس وجنوب أوروبا .

ثالثاً : نظريات دارون وفرويد وكارل ماركس وانشتاين :

وفي تطور آخر عقدت ندوة إسلامية في باكستان حضرها ثلاثون خبيراً إسلامياً أعلنت الندوة أن نظريات دارون وفرويد وكارل ماركس وانشتاين

معادية للمعتقدات الإسلامية، ولقد عملت الندوة على تطوير التعليم تمشياً مع المعتقدات الإسلامية وحماية الشباب المسلم من العقائد الأجنبية وقد دعا بروحي رئيس جامعة باكستان الإسلامية إلى تطوير المعرفة الحديثة من عناصر مؤذية هي في حالة حرب جالياً مع قدسية معتقداتنا وعلومنا الدينية وأبلغ الندوة أن داروين وفرويد وماركس هم مفكرون غير دينيين قدموا صورة للعالم تنكروا فيها للخلق عز وجل وأن نظرية انشتاين لتصرف الجزيئات المحركة تعتبر خاطئة من وجهة المنظور الإسلامي وانتقد الدكتور اسماعيل الفاروقي (جامعة تاميل في نينيلفانيا) نظرية التطور لداروين وقال إذا جاء هنا داروين وأبلغني أنني ابن فرد أنا بالتأكيد اسفقد طباعتي ويمكن أن يتبع أجداده إلى أي مكان ولكن أجدادي هم آدم وعمر بن الخطاب وانتقد الدكتور الفاروقي النظام العلماني للتعليم الذي قال أنه استورد معتقدات أجنبية وأنه يغذي الشباب المسلم بأفكار معادية لتراثه ومستقبله وقال أن الندوة وضعت خطة من تسع نقاط تعمل موسوعة معرفة إسلامية وهي ستصدر في وقت قريب .

رابعاً : أحياء التراث :

كذلك في مجال أحياء التراث نجد الآن أن خطوات جديدة تجري في طريق تقديم الفكر السياسي الإسلامي وفي مقدمتها تلك الأعمال التي يقوم بها الدكتور فؤاد عبد المنعم حيث قدم .

الشفاء في مواعظ الملوك والخلفاء لابن الجوزي ٥٩٧ هـ .

: التحفة الملوكة في الآداب السيادة .

: كشف السرائر عن معنى الوجوه والأشباه والنظائر في القرآن الكريم .

لابن العماد المصري المتوفى ٨٨٧ هـ

خامساً : الاقتصاد الإسلامي :

هناك ندوات عن الهدى الإسلامي للبنيوك الربوية ، وهناك اتجاه واسع في طريق استجلاء مظلمة الاقتصاد الإسلامي وفي مقدمة ذلك ما أعلنه : (جلك

أو ستري) أستاذ الاقتصاد بجامعة السربون في باريس حيث قال : أن النظامين الاقتصاديين العالميين : الرأسمالي الحر والشيوعي المقيد قد عجزا عن حل مشاكل العالم الاقتصادية إلا أن هذا الحل موجود في النظام الإسلامي الذي جمع الخير بيني البشر ، وبقي على المسلمين أن يمسحوا الغبار عن كنوزهم الثمينة وأن يحسنوا عرضها للناس لتصبح طريق تصحيح وهدف انجاز .

سادساً : في عالم الغرب خطوات جديدة على طريق الإسلام :

وفي أسبانيا صحوة اسلامية : أعلن رئيس مركز الدعوة الاسلامية في غرناطة بأسبانيا الدكتور منصور عبد السلام بأن أسبانيا تشهد هذه الايام وبعد خمسة قرون من غياب الحكم الاسلامي صحوة اسلامية كبرى حيث نشاهد الرجال والنساء الأسبان يقبلون على اعتناق الدين الإسلامي مما يؤكد أن هناك زيادة مستمرة في أعداد المسلمين لإسبان الذين يتمركزون في مدينة غرناطة ، وقال أن المسلمين هناك يعقدون الاجتماعات والمؤتمرات لشرح الاسلام وتقديمه لغير المسلمين كما أن هناك برنامج تعليمي دائم للمسلمين الجدد لتدريس قواعد الدين والشريعة وتحفيظ القرآن الكريم وعلم الحديث إلى جانب تعلم اللغة العربية .

هذه النظريات التي توحى بتيارات جديدة على طريق الدعوة الإسلامية العالمية تكشف عن أن الخطط التي بدأها دعاة اليقظة منذ عقود قد دخلت في مرحلة أكثر إيجابية فإن الحديث عن أخطاء التبشير والاستشراق قد بدأ منذ وقت بعيد منذ كتب الدكتور عمر فروخ والدكتور الحالدي كتابهما (التبشير والاستعمار) ومن بعده كتبت عشرات الأبحاث وقدمت اطروحة ضخمة في جامعة الأزهر ومن هذه الدراسات كتابنا (الاسلام في وجه التغريب : الاستشراق والتبشير) ونحن نجد الآن أن هناك خطوات أكثر تقدماً إلى الطريق الصحيح عن طويق الهيئات الثقافية والجامعة الكبرى . وفي مجال الاعتراف بفضل الحضارة الاسلامية بدأت هذه الخطوات منذ سنوات طويلة (درابر ، كارليل ، جوستاف لوبون) . ثم جاء ذلك التحث الضخم الذي قدمته الاستشرفة : سجيريد هونكه (شمس الله - تشرق على الغرب) وهانحن الآن نجد خطوات أخرى على الطريق .

ومنذ سنوات طويلة تكشفت أخطاء فرويد ودور كايم وسارتر وماركس،
وكتبت عنها عشرات الأبحاث ، واليوم نجد مؤتمرات عالمية تضع الحقائق أمام
المسلمين وتقوم هذه الشبهات في ضوء حقائق الاسلام .

وهكذا نجد أن القرن الخامس عشر يقدم صورة جديدة للقضايا التي أثارها
حركة اليقظة الإسلامية خلال القرن الرابع عشر عندما استغلت مفاهيم الاسلام
الصحيح بوصفه منهج حياة ونظام مجتمع، وبوصفه منهجاً متكاملًا جامعاً بين الروح
والمادة والعقل والقلب والدنيا والآخرة وصارت هناك مفاضلة واضحة بين أحالة
الاسلام وبين العلمانية والفلسفة المادية .

وكل يوم يمر تتضح الصورة أكثر وتتكشف الحقيقة ليس للسليين وحدهم
بل للعرب نفسه يمر بأزمة نفسية خطيرة لا يجد لها حلاً إلا أن يلتزم الطريق
الوحيد الباقي للانسانية بعد كل هذه الأيدولوجيات المضطربة : طريق الاسلام .

الفصل الثاني

الفقه الإسلامى

معجزة الإسلام الكبرى

لقد لفت الفقه الإسلامى أنظار كبار رجال القانون فى الغرب لفتاً شديداً بل يمكن القول أنه هز نفوسهم هزاً فقد وجدوا فى تراثه الواسع العميق ثروة ضخمة عجيبة ، غطت على كل محارلاتهم واجتهاداتهم الشخصية وكشف عن عظمة مصدر هذا الفقه ، بل أنهم لمشوا أزاء ما تكشف منه بين أيديهم ، فقد كانوا كلما حاولوا الوصول إلى قانون فى موضوع ما ، بعد الجهد الجيد وجدوا أن الإسلام قد سبقهم إليه وعلى نحو باهر معجز . وبدأت صياغتهم للقانون ساذجة وقد أداهم هذا التأثير إلى القول بحقيقتين كبيرتين :

(١) أن هذا الفقه قد شمل كل مطالب الحياة وأن أوروبا تكون أسعد ما تكون لو أنها طبقته على مجتمعا ولو بعد مائة عام .

(٢) الدهشة الشديدة لأن يكون هذا الكنز الشديد البر موجوداً لدى المسلمين ومع ذلك فإنهم ، يقتبسونه ، أو بمعنى آخر يشهدون من ذلك القليل الضئيل الذى لدى الأوربيين وهو ليس صالحاً لهم ولا محققاً لأشواق النفس الانسانية .

ومن العجيب أن الغرب كان يعقد مؤتمراته الواسعة واجتماعاته الضخمة التى تنضم كبار ورجال القانون فى مختلف عواصم الغرب سنوات متصلة (عام ١٩٣٥ مؤتمر الحقوقيين فى أثينا ، ١٩٣٧ مؤتمر القانون الدولى فى لاهاى ، ١٩٥٠ مؤتمر القانون المقارن فى لندن ، ١٩٥١ دورة الفقه الاسلامى فى باريس) .

فى نفس الوقت الذى كان التغريب والغزو الثقافى ورجال الشعوبية من أمثال محمود عزمى وطه حسين وسلامة موسى وغيرهم يخذعون المسلمين فى بلادهم بأن

القانون الوضعي هو الأساس الصحيح لقيام المجتمع الإسلامي ويهللون ويصفقون لمصطفى كال أتاتورك عندما حجب الشريعة الإسلامية في الدولة العثمانية وأنفذ القانون السويسري . وكانت بلاد المسلمين والعرب قد خضعت منذ النفوذ الأجنبي البريطاني الفرنسي — الايطالي — الهولندي) للقانون الوضعي وتوقف تطبيق الشريعة الإسلامية منذ نزول الاسلام لأول مرة تحت تأثير النفوذ العسكري المفروض على بلاد الاسلام والعرب ما عدا (الجزيرة العربية) التي نجت وحدها من هذا الغزو المتسلط . غير أن حركة اليقظة الاسلامية ما لبثت أن انتفضت بعد سقوط الخلافة الاسلامية في تركيا لتحمل لواء الدعوة إلى العودة إلى تطبيق الشريعة الاسلامية وجرت خلال هذه الفترة أبحاث عديدة ومحاولات كثيرة حتى أصبحت صيحة العودة إلى الشريعة الاسلامية اليوم أمراً لا بد من تحقيقه في مطالع هذا القرن الخامس عشر الهجري علامة على تحرر هذه الأمة من النفوذ الغربي الذي فرض عليها خلال القرن الماضي والذي لم تستسلم له يوماً من الأيام .

وقد سجلت الدراسات مدى الاثر العميق الذي تركته الشريعة الاسلامية في القانون الدولي والعالمي كما كشفت الابحاث الحديثة عن جوانب كثيرة من الشريعة الاسلامية أصبحت مادة خصبة للقوانين الاجنبية ومن ذلك :

أولاً : ما توصل إليه الامام ابن القيم ما يسمى نظرية المنفعة في أعمال الفضولي ومبدأ حرية التعاقد ، ومبدأ تقرير قيمة الشهادات وعدم تجزئة الأقرار وفسخ عقود الديون المضرة ، ومبدأ تغيير الاحكام بتغيير الزمان والامكنة والاحوال ، وكلها قوانين جديدة عرفها الغرب في السنوات المائة الاخيرة بينما كشف عنها الامام ابن القيم قبل ذلك بخمسمائة عام .

ما كشفه الاستاذ عمر لطفي في دراسته عن حرمة المنازل التي استمدها من القرآن الكريم : يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غريبوكم ، وكان الفرنسيون قد استمدوا من التشريع الاسلامي قانون حرمة المساكن فقال الدكتور فرنان

داجين : يكاد يكون الاعتقاد السائد في فرنسا أن إحترام المسكن لا يشغل في تقنين العالم الاسلامى إلا مكاناً حرجاً فقد ثبت أن الشريعة الاسلامية تحرم مثل هذا الاتهام تحريماً طلقاً ، فقد ذكر عمر لطفى أن القرآن مفسر يحرم على كل شخص أن يدخل بيت الآخر بعير رضاه إلا في أربع حالات :

الاولى : إذا كان مرخصاً له الدخول فيه عادة .

الثانية : إذا ادعى إليه فإن الدعوة تساوى الإذن بالدخول .

الثالثة : إذا ادعى في حالة حريق وفيضان أو ارتكاب جريمة .

الرابعة : إذا كان البيت مفتوحاً للأفراد كالحانات والحمام .

وكل من يتهك حرمة مسكن يستحق التعذير هو عقاب لكل جريمة ليس لها حد ، حده الأول التوبيخ والافعى القتل حسب جسامه الجريمة وسحاول المجرم ، ومع ذلك فإن تحريم دخول المساكن من غير استئذان ليس قاصراً على الأفراد بل يتناول السلطة الحاكمة .

ثالثاً : توصل الإمام الشاطبى إلى نظرية تسمى في القوانين الحديثة : نظرية التعسف في استعمال الحقوق فأثبت بعد تحليل وتفصيل دقيقين : أنه يجب منع الفعل المأذون به شرعاً ، إذالم يقصد منه فأعله إلا الأضرار بالغير ، وفي هذا الموضوع قدم الدكتور محمد فتحى أطروحه دكتوراه في فرنسا عام ١٩٠٧ عن مذهب الاعتساف في استعمال الحق ، وقد علق العلامة كبير العالم القانونى الألمانى على هذه الرسالة فقال : لقد كان العلماء الألمان يتهنون عجباً على غيرهم في ابتكار نظرية الاعتساف والتشريع لها في القانون المدنى الألمانى عام ١٧٨٧ اما وقد ظهر بحث الدكتور فتحى وإفاض في شرح هذا المذهب عند رجال التشريع الإسلامى . وبأن أن رجال الفقه الإسلامى تكلموا طويلاً ابتداء من القرن الثامن الميلادى فإنه يجدر بالعالم القانونى الألمانى أن يرد مجد العمل بهذا المبدأ لأهله الذين عرفوه قبل أن يعرفه الألمان بعشرة قرون وأهله هم حلة الشريعة الاسلامية .

وهكذا تكشف الدراسات الغربية مدى عظمة الفقه الإسلامى، ومدى ما يوجد فيه من ذخائر تحاول المجتمعات الاجنبية أن تستفيد منها ومع ذلك فإن القوى الاجنبية تحاول أن تحترم أهلها من أبسط الحقوق وهى استعمال شريعتهم وتطبيقها فى مجتمعاتهم (ونجد مثل ذلك فى كل جوانب التراث الإسلامى فإن أكثر من ثلاثة ملايين كتاب مخطوط للمسلمين يوجد فى خزائن المكتبات الاوروبية والغربية وبعضها محرم على المسلمين الاطلاع عليه) لانه يحوى كنوزاً فى مجال العلوم التجريبية يستأثر بها الغرب ولا يريد للمسلمين أن ينتفعوا بها ليخرجوا من أزماتهم ويحققوا ذاتهم ووجودهم وكيانهم فقد كان عطاء الإسلام فى مختلف المجالات وافراً وأن أنكر ذلك التغريبيون الذين يدعى بعضهم (طه حسين وعلى عبد الرازق) بأن الإسلام ليس له فكر سياسى أو فكر اقتصادى مع أن المسلمين يملكون فى هذا المجال ثروة ضخمة من مؤلفات الماوردى والشافعى والغزالى والجوينى وابن حزم الذين اشتركوا فى رسم خطوط النظرية السياسية فى مختلف مجالات الامامة والولاية والحكم والعقد السياسى .

وكذلك فقد كشف الباحث عن المبادئ القضائية الاسلامية التى تتمثل فيما يلى :

أولاً : العدل يجب أن يصل إلى الناس بلا تميز وقبل أن يطلبوه .

ثانياً : أعفاء صاحب الشكوى حتى من أثمان الورق الذى يكتب عليه شكواه .

ثالثاً : إقرارات الذمة للولاية وكبار الموظفين وحصر أموالهم حتى يتضح ماقد يزيد منها أثناء توليهم مناصبهم .

رابعاً : تحريم الهدايا على كبار الموظفين وعمال الدولة لأنها أما ثمرة ظلم وقع بالفعل أو هى ثمرة ظلم يمكن أن يقع .

خامساً : أن القصاص لا يقف عند حد من وقع منه الاعتداء مباشرة بل يتعداه إلى من كان لنفوذه وسلطانه دخل في هذا الاعتداء وكشف الباحث عن أثر هذا النظام القضائي الإسلامي على أنظمة العدالة الأوروبية فيقول أن معرفة أوروبا لهذا النظام قد تمت من خلال ثلاث طرق :

(١) المخالطة العربية الأوروبية أثناء الحرب الصليبية .

(٢) المخالطة العربية في الأندلس (أسبانيا الإسلامية) .

(٣) طريق البعثات الدبلوماسية بين الدولة الإسلامية وممالك أوروبا .

من هذه النقاط كلها مجتمعة نستطيع أن نقول بكل ثقة بأن القانون الإسلامي هو مصدر أساسي للقانون الدولي والعالمي القائم الآن ومع الأسف فإن المسلمين لا يزالون محرومون من تطبيق قانونهم الذي أعطى للعالم كله وما يزال يعطى إلى يوم الساعة .

الفصل الثالث

دور مصر

في بناء الحضارة الإسلامية الجديدة

أن مصر هي كنانة الله في أرضه وهي قلب العالم الإسلامي ومصدر الثقافة والفكر والعلم في كل المنطقة. وأن هذا السكان المصري مؤهل لحياة البلاد العربية والامة الإسلامية : هذا هو منطق الدعوة الحقيقية إلى الجامعة الإسلامية فمصر هي خط الدفاع الأول عن مقدسات المسلمين ومن أجل ذلك فإن الرسول صلى الله عليه وسلم شدد على هذا المعنى حين قال :

« ستفتح عليكم مصر فاتخذوا منها جندا كثيفا فإنهم خير أجناد الأرض وهم في رباط إلى يوم القيامة » .

والغرب بشقيه . وبقواه الاستعمارية (صهيونية وماركسية وغربية) ، يعلم هذه الحقيقة ويعلم أن هذه (القارة الإسلامية) كما أطلق عليها نابليون هي مطمح الغزاة وصرة الأرض ومستقر الثروة المذخورة (البترول والكوبلت والفوسفات وغيره) .

وستظل هكذا مطمح الأمم والدول إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها فأكبر مهمتها هي أن تحافظ على ذاتيتها ووجودها وأن تكون مؤهلة لتكون في رباط إلى يوم القيامة ببناء أجيالها بناء قائما على الصمود والرباط والقدرة على مواجهة القوى الغازية لايضعون أساحتهم ويكونون بتركيبهم الاجتماعي قادرين على أداء هذه الرسالة .

رسالة حماية البيضة والمحافظة على الذاتية الإسلامية الخالصة .

ولقد حرص النفوذ الأجنبي على أن تفقد الأمة الإسلامية هذه الذاتية، وكان منطلق تدمير هذه الشخصية هي (الارساليات) وبناء مناهج تعليمية وافدة تزيج العقيدة عن مفهومها الصحيح، والأخلاق، ونحول دون تطبيق الشريعة الإسلامية ولقد أقامت نظام الربا والقانون الوضعي وبذلك فسد الاقتصاد والإجتماع والشخصية الفردية والمجتمع كله .

بل أن هناك ما يشبه الاجماع على أن القوى الأجنبية تتجمع لتضرب قارة الإسلام ضربة قاتلة وأن عام ١٩٨٩ الذي إحدده بروتوكولات صهيون ليس ببعيد وأن العمل في سبيل إنجازه قائم ومستمر، ولذلك فإن علينا لاستعادة وجودنا الحقيقي وأداء دورنا الحق في هذا الكوكب وأن نبدأ من حيث بدأ النفوذ الأجنبي بإعادة صياغة الشخصية الفردية وفق مفهوم الإسلام الاصيل ، وإعادة نظام التربية الإسلامية التي يستطيع أن ينشئ الشخصية القادرة على مقاومة الاهواء والمطامع .

ولقد كانت قضية الترف هي مصدر الهزيمة والتدمير للأمم والمجتمعات الإسلامية على مدى التاريخ ، ولكن الأمر الذي كان ولا يزال أشد خطراً هو: الاستسلام للأمن وضياغ الإحساس بالتحدي والخطر الداهم المرتقب . ولقد حرص القرآن الكريم على تثبيت هذا الإحساس في النفس المسلمة حيث قال تعالى : (والذين كفروا لو يغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة) ، (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) .

ولقد كانت البلاد الإسلامية تعيش حالة التحدي فلما انسحب الاحتلال العسكري تراخت قواها وأندفعت وراء موجة الترف والتحلل الذي هو أقتل مقاتل معنويات الأمم .

ولذلك فإن مفتاح العمل كله هو بناء الأجيال على أساس التحدي المستمر وعلى أساس توقع الخطر الدائم ، وهذا هو ما أطلق عليه القرآن الكريم مفهوم

(المراقبة) الدائمة . ولقد كان للمسلمين في القرن الثامن عشر آلاف وابط على طول البحر الابيض المتوسط من طوروس الى الدار البيضاء يقيم فيها المسلمون ويتوارد عليها المجاهدون طوال العام في مواجهة الغزو الغربي ، ولا ريب أن النفوذ الاجنبي يخطط الآن من جديد لالتهام العالم الاسلامي من خلال أبرز مقاتله : وهو الامم من والترف والتحليل الذي قدمته الحضارة الغربية بينال يحول الغرب دون أن يمتلك المسلمون أدوات القوة الحقيقية وهي التكنولوجيا والقوة العسكرية المتقدمة .

ولا ريب أن الاجيال في النظام الغربي تبنى على أساس منهج الديمقراطية والبيرالية ، وتبنى على أساس منهج الماركسي حتى العلم التجريبي يخضع في كلا النظامين للايدولوجية . لذلك فإن علينا أن نطلق من ايدولوجية اسلامية ، لها مفهومها العميق في حماية الوجود الاصيل للقارة الاسلامية كلها وخاصة بعد أن تبين فساد التجريبيين الغربية والشيوعية في العالم الاسلامي وأن نصر رمضان إنما جاء من منطلق المفهوم الاسلامي الاصيل .

أن الحضارة الغربية قد أدخلت إلى المجتمع الاسلامي انحرافات خطيرة في مجال البناء الاجتماعي وكانت عملية التركيز التزريبي تهدف إلى تدمير الامرة الاسلامية وتغيير اعرافها وتحويل المرأة عن مهمتها الاساسية في بناء الاجيال الجديدة والحبولة دون بناء الفتاة المسلمة القادرة على حماية امانة البيت والامرة والطفل ومع الاسف فإن المناهج الدراسية تجاهلت تعليم الفتاة لرسالتها ومهمتها في البيت والزوج وتربية الطفل وتنشئة الاجيال الجديدة وهذا من أخطر عيوب مناهجنا التعليمية التي لم تفرق بين تعليم الفتى وتعليم الفتاة وجعلت هدف التعليم الحصول على وظيفة وأجر .

من أجل تحقيق هذا الهدف لابد من وضع مادة الدستور عن الشريعة الاسلامية موضع التنفيذ في كل مجالات الاقتصاد والسياسة والاجتماع وأن تكون التربية

الاسلامية هي المنطلق لتحقيق هذه الغاية العليا التي تكون بحق منطلق عصر النهضة الذي يبدأ مع بدء القرن الخامس عشر الهجري وأن يكون تطبيق الحدود الاسلامية هو الزاجر الذي يعطى حركة البناء التربوى طريقها لتحقيق لتكوين الاجيال القادرة على حمل الامانة التي وضعها الحق تبارك وتعالى على مصر بوصفها قلب العالم الاسلامى والحماية الحقيقية للفكر الاسلامى الاصيل وأن تراجع القوانين فى ضوء هذه المادة من الدستور ، كذلك فإن ، أسامة ، الاعلام والصحافة هو هدف اصيل وضرورى لتحقيق هذه الغاية الكبرى .

أن منطلق الغزو الخارجى جاء عن طريق تزيف قيم هذا الفكر الاصيل الناصع ، بوصفه نمثلا لمفهوم الإسلام الصحيح : نظام مجتمع ومنهج حياة والقضاء على قيمه الاساسية فى التربية والاجتماع والسياسة والاقتصاد ولذلك فإن القضاء على أزمة المجتمع الاسلامى يتطلب العمل فى الخطتين معاً :

(أولاً) : تطبيق الشريعة الإسلامية على مختلف القوانين المعمول بها فى البلاد .

(ثانياً) بناء الاجيال الجديدة على أساس منهج الاسلام التربوى فى مواجهة التحدى الخطير الذى لا يتوقف ولا ينتهى وهو يستدعى بناء الشباب على أساس الصمود والرباط وبناء المرأة على أساس أنها حاملة رسالة بناء الاجيال الجديدة ، وليس العمل فى مجمل الوظائف إلا فى حالة الحاجة الماسة وأن مليون سيدة تعمل الآن فى البلاد من شأنه أن يضع مليونين أو ثلاثة من الأبناء فى موضع الفراغ حيث لا يجدون معه رعاية أو حناناً حقيقياً فضلاً عما أعلنته التقارير الرسمية من ضعف حجم الخدمة التى تقوم بها المرأة وأنهيارها بعد الزواج وبعد الولادة الأولى مما يحقق خسارة كبيرة للدوارد الاقتصادية فضلاً عن الخسارة الحتمية فى مجال تربية الأبناء الذين يفقدون الحنان والحب والحماية فترة بناء شخصيتهم وتكوينهم : هذه الرعاية التى

يحتاج اليها الشباب فترة طويلة . ويتطلب هذا بناء الآباء وبناء المعلمين وبناء
الأمهات قبل بناء الشباب نفسه وحتى تتوقف المخاطر الخطيرة التي يواجهها المجتمع
الإسلامي وهي :

١ - فساد العلاقة بين الآباء والأبناء .

٢ - جهل الآباء لمهمتهم بالنسبة لزوجاتهم وبالنسبة لأبنائهم .

٣ - جهل المسلمين وتقصيرهم بالنسبة لتلاميذهم ولأبنائهم أيضاً .

٤ - كراهية الأم لأطفالها والضيق بهم رغبتهم في توجيه وقتها
لمتاعها الخاص .

٥ - نقص المناهج الدراسية عن توفير منهج تربوي للفتاة في حدود مسئوليتها
وعملها الأساسي وهو الامومة وحماية الأسرة .

ولاريب أن تربية الفتاة هي أساس البناء كله وأن مفهوم الإسلام لعمل المرأة
هو أصدق المفاهيم : أن الاسلام لا يمنع عمل المرأة ولكن ينظمه ويجعله مرتبطاً
بحاجتها ، ويغلب تربية الأبناء على العمل نفسه ، وعمل المرأة في إطار الإسلام
قاصر على أعمال معينة وحالات معينة وليس مطلقاً .

ولاريب أن الأمر كله من ناحية المجتمع الإسلامي دعوة إلى الاصلاح
وفي نفس الوقت نجد البشرية نفسها تتطلع إلى منهج الإسلام ، والغرب اليوم
ينطلق من مقولة فساد النظام الاقتصادي القائم ، ولقد تنادت دول الغرب إلى
مؤتمر عقد في الأمم المتحدة يدعو إلى نظام اقتصادي عالمي جديد أبعد فشل
النظامين الرأسمالي والماركسي ونعتقد أن الاسلام هو ، المبادرة الحقيقية ،

للإشورية اليوم فهو النظام الوحيد القادر على العطاء ، فعلى المسلمين أن يطبقوا
الإسلام ثم يقدموه للإشورية التي أحست بحاجتها الملحة اليوم إلى منهج جديد
فيكونوا بذلك أصحاب المبادرة الحقيقية لإنقاذ العالم الحر والمعاصر من
مشاكله ومعضلاته خاصة وأن هذا العالم الحائر يبحث عن مثل هذه المبادرة
ويستطلع إليها .

الفصل الرابع

العقيدة الفكرية

للكاتب المسلم

تتمثل عقيدة الكاتب المسلم الفكرية في إيمان صادق عميق بتكامل الاسلام وقصور المفهوم الوطني والقومى والا دنى ، وبتكامل المواجهة، ليس للماركسية وحدها ولكن للفكر الوافد جملة وتقرر هذه النظرية خطر المفهوم الجزئى والانشطارى الذى تنطلق منه النظريات الوافدة وكل منها يترقف عند بعد من الابداع لا يتعداه بينما يستقطب المفهوم الاسلامى جميع الابداع : من حيث الزمن وأخلاقه ومن حيث البيئة وتنوعها ومن حيث جمع العناصر كلها في منظوق واحد متكامل .

كذلك فإن مهمة الكاتب المسلم : هى جزء من مهمة الدعاة إلى الله عليهم أن يحرروا الشخصية الإسلامية من التبعية بكل صورها وألوانها والتوصل إلى تأسيس وتأسيس مدارس واتجاهات إسلامية تسعى وتستوعب العلوم الحديثة وتفرغها في إطار إسلامى ، وتعمل على تأصيل الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية .

ومن عقيدة الكاتب المسلم الايمان بأن حركات التحرر من الاستعمار في العصر الحديث لم تنجح إلا عندما ارتكزت على الاسلام ، وقد انتصر المسلمون في كل معارك الغزو بالمفهوم الإسلامى لا بالمعنى القومى وكل تضايهاهم التى عاجلها بالمفهوم الوطنى أو القومى لم تحقق نجاحاً .

ومن عقيدة الكاتب المسلم : الايمان بأن : لانهايار الامم أسباباً كثيرة من أخطرها قطع الصلة بالماضى (اتاريخ) ، أو قطع الصلة بما وراء الطبيعة (الغيب)

أو قطع الصلة بالمجتمع ، فإذا انقطعت الصلة بواحدة من هذا جاء الخوف والقلق والتعزق . وأن علاقات الإنسان بربه وبنفسه وبالسكون وبالناس هي مصدر قوته وإصالته ،

ومن عقيدة الكاتب المسلم : الإيمان بأن الحياة ليست منفعة أو مادة ولكنها جماع المعنويات والماديات وإن الإنسان تحركة إرادة حرة ولكنها حرة غير مطلقة لأنها تتحرك داخل إرادة الله . وأن القوانين قوانين ثابتة وسننا طبيعية ولكنها تخضع للعجزة الإلهية وإن الله تبارك وتعالى قادر على نقض هذه القوانين متى شاء وإيقافها متى أراد . وأن في الفكر عقلانية ولكنها ليست كل شيء فهناك الروح ، وإن حرية الإنسان مقيدة بالضوابط الأخلاقية والمسئولية الفردية التي أقامها الدين وهناك ضوابط وحدود والاقتصاد عامل مؤثر في مجرى التاريخ ولكن ليس الأكبر أو النهائي أو الوحيد .

ومن عقيدة الكاتب المسلم إن الفكر الغربي قد سيطرت عليه لفلسفة المادية فأصبح لا يعنى بالروح أو المعنويات وأصبح أنشطاريا غير متكامل . وإن حضارة الغرب تمر الآن بمرحلة الأزمة فقد عجزت عن أن تعطي سكينه النفس وإن الفكر التلمودي أصبح الآن مصوغا في مناهج وفلسفات منها الوجودية والفرويدية والماركسية ومدرسة العلوم الاجتماعية وأن فرويد ودور كايم وسارتر وماركس يمثلون سيطرة التلمودية على الفكر البشرى .

ومن عقيدة الكاتب المسلم التفرقة بين الشريعة الإسلامية وتاريخ الإسلام فهذه هي رسالة السماء وتلك هي تجربة الإنسان في محاولة إقامة المجتمع الرباني على الأرض ، والتفرقة أيضا بين التقاليد والأخلاق فالتقاليد من صنع المجتمع والأخلاق جزء من العقيدة المنزلة . والتفرقة بين الأصل والوافد ، بين الفكر الرباني والفكر البشرى الواقع في الوثنية والمادية والاباحية .

ومن عقيدة الكتاب المسلم أن يواجه ثلاثة تحديات خطيرة في المجتمع الإسلامي :

الاول : التحدي المنبعث من واقع المسلمين : الجود والجهرية وكبت البدع والخرافات .

الثاني : التحدي المنبعث عن الغزو الفكري والتغريب والشعووية .

الثالث : التحدي المنبعث من الهزيمة النفسية لإزاء أبحاث الحضارة .

وأن يؤمن بأن هدف التغريب (في خدمة النفوذ الاجنبي والشيوعية والصهيونية) هو هزيمة العقل الإسلامي بإذاعة الاتحاد وتعرض المجتمع والاسوة بنشر الاباحية ويكون مركب نقص في أعمالنا يشعروننا بالهزيمة إزاء حضارته المادية .

فضلا عن أنه يستنقص أنفسنا كامة لما تراثها وتاريخها وعقيدتها التي تتميز على كل العقائد والقيم بأنها ربانية وأنها سبيل الرشاد والهدى إلى الحق .

ومن عقيدة الكتاب المسلم : رفض التطور على حساب الإصالة ورفض التقدم على حساب التغريب في الجذور والقيم الاسلامية ، كما رفض تضحية القيم العليا في سبيل التقدم المادي وأن الإسلام لم يخضع مفاهيمه للحضارات وأهواء الأمم ذلك أنه ليس في المناهج والدعوات والایدولوجيات المطروحة من شيء إلا وعند المسلمين في ميراثهم وتراثهم نظيره أو خير منه وهو في الغرب مقطوع للصلة بالله ولكنه في الإسلام متصل الحلقات ، هو في الغرب إنشطارى ولكنه في الإسلام جامع متكامل .

ومن عقيدة الكتاب المسلم : أن المحاولات التي ترمى إلى استقطاب المسلمين وإحتوائهم في إطار الحضارة الغربية التي تمر بأسوأ مراحلها والتي يصرخ أهلها طلبا للتحرر منها هي محاولات باطلة غاشة زائفة ، فقد كان موقف الإسلام على

مدى تاريخه وحياته واضحا أنه لا يحتوى ولا ينصهر ولا يبرر الواقع الفاسد ولا يؤول ثرايت فنوجه لخدمة الحضارة الزائفة .

ومن عقيدة الكاتب المسلم أن إنطلاق المسلمين على كل المستويات الاقتصادية والاجتماعية لا يمكن أن يتم بدون الارتكاز على قاعدة أساسية تكون هي المصدر والمنطلق . منها نقطة البدء وإليها نقطة النهاية . هذه القاعدة ليست سوى المنهج الاصيل الذى قدمه الإسلام لبناء المجتمع وعلى هذه القاعدة تقوم الثقافة ويقوم النظام السياسى والاجتماعى والاقتصادى والتربوى .

ومن عقيدة الكاتب المسلم أن من طبيعة الإسلام الحسم والثبات وأنه لا يفسح مجالا لإنصاف الحلول ولا أنفاقا مع أعداء الإسلام على حساب المبدأ ولا قبولاً للتبعية ولا إستسلاما للاحتواء فى إطار الامية العالمية وإنما يطالب الاسلام المسلمين بتغيير وسائلهم وتحسين أساليب معيشتهم من وقت لإخر داخل الإطار العام لمبادئه الأساسية ولمواجهة الظروف دائمة التغيير فى العالم المتطور إيماناً بأن هوائى المجتمعات الإسلامية إنما هى نتيجة انحرافها عن الإسلام .

ومن عقيدة الكاتب المسلم أن كلا من التجربتين الغربية والشيوعية مرفوضة فى أفق المجتمع الاسلامى وأن التجربتين كانتا لمجتمعين مختلفين عن مجتمع الاسلام وأن الماركسية ماهى الا جزء من نظام غربى وإنها رد فعل لواقع الرأسمالية الغربية التى هجرت عن إقامة مجتمع سليم وأن كلا من الرأسمالية والماركسية من مصدر واحد قوامه سيطرة أربا على الاقتصاد العالمى :

وإن الفكر الغربى محاصر الآن بثلاث نظريات : هى النظرية المادية والدوافع الجنسية وأهواء الوجودية وكلها تحتقر الإنسان احتقاراً شديداً ، وهالك الجبرية التى تريد أن تخلى الإنسان من المسؤولية الفردية وتلقى هذه المسؤولية على المجتمعات وتلقى هذه النظريات على المجتمعات الغربية طوايح المتع الحسية والترف والقسوة

والجهد والبغض والاهتمام بالكم وتفضية النوع والسكيف وأن ذلك كله يقوم في نظام مفهوم ما أدى خالص .

على المفكر المسلم أن يكون على إحساس واعي بالنوافذ والابواب الخارجية وما يهب على المسلمين منها من رياح وتيارات وأن لا يغلق الباب عليه ويظن أنه أصبح في مأمن وأن لا يمنعه قضاء قضاءه أو رأى أرثاءه في يومه ثم هدى إلى الحق فيه أن يعود إلى الحق وأن يواجه الأمور والقضايا في أسلوب الإسلام الجامع واقعياً في دراسة المشكلات والقضايا متكامل النظرة في علاجها يجمع بين المثالية والتجريدية، بين خطرة الفكر ونفثة الروح، وبين العقلانية والوجدان ويجب أن يعي بأن هناك أخطاراً دخلت على المسلمين من شأنها أن تحطم الشخصية أو تدمر الأسرة هي أخطار عبادة الحياة واللذة والصور المعلقة فوق السرر ولنعلم أن أعلى درجات الرقي والثراء والفنى هي أعلى درجات التمرق والإلحاد والغربة وأن المجتمع المتحضر الآن في ذروته يعكف على الموبقات والمخدرات أو الانتحار ويواجه أزمة النهاية ليفسح مكانه لتجربة أخرى .

وعلى المفكر المسلم أن يؤمن بأنه لم يخلق ليندفع مع التيار ويسير الركب البشرى حيث سار بل خلق ليوجه العالم والمجتمع والحضارة ويفرض عليها مفهوم لا إله إلا الله وأن يوقن بأن النظرة الإسلامية هي النظرة الجامعة التي لا تقف عند الجانب المادى أو الدنيوى في أى من تجارب الحياة فهي تجمع العصر والعلم والحضرة والاخلاقيات بـنباس لذلك كله وجدان وأن يعلم بأن الجسم الإسلامى مازال يرفض العضو الغريب وأن الكيان الإسلامى مازال يرفض الجسم الغريب .

وعلى المفكر المسلم أن يؤمن بأن من أخطر المحاولات التي تجري هي ضرب الإسلام بالإسلام أو ضربه من الداخل أو ضرب الإسلام الأصيل ببعض الفرق الضالة والطوائف الدخيلة مثل القاديانية والبهائية وكلها تتلقى التوجيه والمعونة من المستعمرين والمبشرين واليهود، هذه الفرق التي تشرع لاتباعها من الدين ما لم يأذن به الله مستغلة اسم الإسلام لهدم الإسلام وأقد خدعت هذه الفرق بعض كتاب الإسلام وظنوا أنها من علامات البقعة والتهضة .

وبعد : فإن هناك قدراً ضخماً من المعلومات والاطار والاختبار تطرح يومياً في أفق المجتمع الاسلامى عن طريق الصحافة والاذاعة والكتب المترجمة أو وسائل الاعلام المختلفة ، هى وجهات نظر متراكمة لمجتمعات أخرى فيها مادة نافعة قليلة وفيها زيف كثير فكيف يكون موقفنا منها نحن الكتاب المسلمين المسلمين والصحفيين المسلمين وهى تمثل وجهات نظر تختلف في الاغلب وتعارض في الأكثر مع مفاهيمنا الاساسية وقيمتنا الثابتة ، ذلك لان كل ما يطرح من خبر أو فكر إنما يشتمل على جزئين متداخلين: حقيقة ما : هى عبارة عن خبر ووجهة نظر أو تعليق أو تحليل لهذه الحقيقة تمثل رؤية الذين بثوا هذا الخبر . ونحن نعرف أن هناك غرايل دقيقة جداً لا تنفذ منها الاخبار حين ثبت في العالم الثالث إلا وهى مطعمة بوجهة نظر الصهيونية أو النفوذ الاجنبى أو الشيوعية فكيف يكون موقفنا نحن المسلمين من هذا الإعصار الضخم المدمر الدائم المستمر يوماً بعد يوم وساعة بعد ساعة .

لقد علمنا الإسلام أن نقف من المعرفة المعروضة علينا موقف اليقظة والحذر: وأن نتعرف عليها في ضوء قيمنا وعقيدتنا وأن نفرق بين العلوم وبين الثقافات وبين المعارف النافعة والمعارف الضارة من هو الحديث ليضل الناس بغير علم .

ونعرف أن هذه المحاولة في طرح معلومات علينا بوجهات نظر تختلف عن وجهة نظرنا إنما يهدف إلى إحتوائنا والسيطرة علينا وإدخالنا في دائرة الائمة . ومن أجل هذا فإن علينا أن نفرق تفرقة واعية ودقيقة وعميقة بين وجهة نظر الإسلام في كل الامور وبين وجهة نظر الفكر الغربى بشقة على أساس أصيل ثابت: هو أننا نقوم على أمانة الفكر الربانى القائم على التوحيد الخالص والرحمة والعدل والاخاء الانسانى وأن ذلك الاعصار الجائح الذى يتحرك نجونا هو الفكر البشرى القائم على المادية والعلمانية والوثنية .

هذا وبالله التوفيق .

الفصل الخامس

حقيقة الإسلام

• تنوع في إطار الوحدة

• وحركة في إطار الثبات

حين يكتب التاريخ الإسلامي من خارج ، فإنه يحتاج إلى مراجعة دقيقة ونظرة فاحصة ، فإن الشعور التلقائي أن كاتبها له هدف واضح وغرض مبيت ، ومن هنا تختلف أغراض النظرة باختلاف الدول : وقد وجدنا كتابة إنجليزية لتاريخ مصر والسودان والعراق ، وكتابة فرنسية لتاريخ سوريا والمغرب . وفي كل هذه الكتابات كانت روح الانتقاص وطابع الاستعلاء واضحة . كذلك فإن هناك كتابات أخرى تحاولها قوى طامعة في العصر الحديث بالإضافة إلى الاستعمار الغربي منها الشيوعية بتفسيرها المادى ، ومنها الصهيونية بتفسيرها الشعوبي ، وقد طرحت في أفق الدراسات الإسلامية في العصر الحديث ، كتابات ماركسية وصهيونية بالإضافة إلى الكتابات الاستعمارية .

إن الهدف الذى تقصد إليه هذه التفسيرات هو القول بأن هذه الأمة قد عرفت إحتلال الفرس والرومان وغيرهم من الأمم ، وأن ذلك يور إحتلال الغرب لها .

والواقع أن الأمة الإسلامية منذ كانت فإنها لم تقبل الاستسلام لآى غزو . ولم تمكن أى قوة من السيطرة عليها إلا بقدر ما امتسكت إرادتها من جديد . وكذلك كان موقفها من الصليبيين والتتار والفرنجة .

كذلك فإننا نجد المحاولة الصهيونية ترمى إلى القول بأن هذه المنطقة قد حفلت بعناصر غريبة جاءت من الشرق أو من الغرب ، ولذلك فإنه ليس من الغريب

أن تقوم فيها إسرائيل ، وليكن الحقيقة التي تغيب عن حملة هذه الاضاليل أن
مصدر أى تجمع مثل إسرائيل ، كان مصيره دائماً الانهيار والذوال .

أما في المحاولة الماركسية ، فإن التفسير المادى للتاريخ يحاول أن يتجاهل دور
العقيدة في بناء الأمم والحضارات ويفسر الأمور تفسيراً مادياً أو اقتصادياً
صرفاً ، بينما لم يكن الاقتصاد إلا واحداً من عوامل عدة منها : العامل المعنوى
الذى يقوم على الدين ، والذى يضحى فيه المؤمنون بأنفسهم وأموالهم في
سبيل فكرة .

أما الذين يطرحون فكرة قيام المنطقة الاسلامية على التعدد فانهم لا يلتفتون
الحقيقة لانهم لا يريدونها ولا يحبون أن يعرفها الناس ، وإنما يفسرون الأمور
بأهوائهم ومطامعهم والواقع أن هذه الأمة منذ أقامها الإسلام فى « وحدة تامة »
تقوم على أساس وحدة الفكر والعقيدة والثقافة والمجتمع والتاريخ ، وأن التعدد
الذى يقع فيها إنما يتصل بالكيانات السياسية وحدها ، هذه الكيانات التى تحمل
طوابع الاختلاف فى الجنس أو العرق أو الدماء وهى خلاقات جذرية يعترف
بها الاسلام ولا يرددها ولكنه يدعو إلى أن تكون عامل تعارف وإخاء ومحبة
والتقاء وتبادل من حيث أن هذه الشعوب تجمعها المعنى الاسمى والروح الاعلى
روح التجمع حول فكرة أساسية هى فكرة التوحيد والبهت والجزاء والإيمان
بمفهوم واحد فى رسالة الإنسان فى الحياة وإرادته ومسؤوليته والتزامه الاخلاقى .

ففى لا تفهم اختلاف الاجناس فهما عنصرياً غالباً ولا ترى بين الأمم المختلفة
صراعاً أو خصومة تستدعى إعلاء الماضى القديم السابق للاستلام من فرعونية
أو فينيقية أو بربرية أو زيمية فان كل هذه العناصر قد صهرها الاسلام فى بوتقة
التوحيد وفى إطار النصيحى لغة القرآن التى هى لغة العقيدة والفكر والعبادة
والثقافة .

ومن هنا فإن المسلمين فى الأمة الإسلامية لا يرون الفوارق بين العرب والترك
والفرس والهنود كيانات خاصة أو عنصريات متعادية أو صراعات دموية ،
(م ٢٣ - الاسلام)

ولكنهم يرون ما عليهم ربهم ودينهم وقرأاتهم : (وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا) دون أن يكون وراء أى جنسية استعلاء بلون أو عرق أو لغة وإنما التفاضل بالعمل النافع .

والذين يرون أن هذا التعدد فى الاجناس من شأنه أن يمزق هذه الامة ويميدها إلى ما كانت عليه قبل الإسلام من عنصريات وكيانات متعادية . هم ضالون ومضلون . فإن الإسلام قد أقام بينهم الوحدة والأخوة أربعة عشر قرناً فلم يعد فى الإمكان لآى قوة أن تهدم هذا الجدار أو تحطم هذه الجذور الموغة فى التربة الإسلامية ، ولقد أثبتت حقائق التاريخ ووقائعه (لا أهواء الصهيونية أو الشيوعية أو الاستعمار الغربى) بأن هذه المنطقة قادرة على مواجهة كل الموجات التى ترد إليها من الشرق أو الغرب . وأن تصرعها وتحتويها أو تصهرها فى باطنها وأنها منذ ألف عام وقبل أن يزداد نموها ويتسع نظامها على النحو الذى هى عليه الآن استطاعت أن تصد القوة التتارية العارمة ، وأن تهزم القوة الصليبية الضخمة وهى الآن ، وبعد مرور هذا الزمن واتساع رقعة الاسلام أشد قدرة على هذه المواجهة وهذا الحصار وأن المرحلة التى مضت فى مواجهة إسرائيل والصهيونية خلال ثلاثين عاماً لم تكن مرحلة استسلام للوجود الدخيل وإلما هى مرحلة استكشاف وتجمع وإعداد على النحو الصحيح ، بعد أن خدعت القوى الأجنبية المسلمين والعرب عن أسلوب الأصالة وعن الطريق الصحيح وعن منهج القرآن الذى عليهم كيف يواجهون العدو الزاحف والغزو المندفع نحو أرضهم .

ولا ريب يعرف خصوم الاسلام أن أى موجة من موجات الهجرة لن تستطيع أن تصهر هذه الامة مهما بلغت قوة وعتوا وأن أى موجة من موجات الغزو لن تستطيع أن تقضى على هذا الكيان مهما استعملت أساليب القتال ذلك لأن الركيزة الأساسية العميقة القائمة فى ضمير هذه الامة ، سوف تنبعث فى الوقت المناسب بالقوة القادرة على دحر الظلم والعدوان وإن كانت المظاهر الخارجية اليوم لا تعطى هذا المفهوم ولكن التاريخ يرسم صوراً متعددة لمثل هذه المواجهة ، زاماً واضحة عبر تاريخ الاسلام كله فهى ظاهرة صحيحة أصيلة لا تتخلف : هى قدرة هذه الامة على الانبعاث من داخلها فى مواجهة الازمات فى اللحظة الحاسمة .

كذلك فإن محاولة القول بالتعدد يطلبا الإطار الإسلامى العام القائم على الوحدة والذى يسمح بالتعدد فى داخله على أساس طبيعة الحضارات وسنن المجتمعات ، هذا التعدد الذى لم يكن خطراً على للوحدة الأصلية القائمة إلا إذا عمدت القوى الغازية والوافدة على تعميقه ودفعه إلى طريق الخطر .

أما تعدد الأديان فى عالم الإسلام فهو أمر قد حسم الإسلام الموقف فيه بنظام الشريعة الإسلامية العادل الكريم بالنسبة لأهل الكتاب وأصحاب النحل والأديان الأخرى من حيث العدل والتسامح والرحمة : لهم ما لنا ، وعليهم ما علينا ، ولما كان الإسلام يعترف بالأديان السابقة له والكتب السماوية المنزلة ، فإن هذا التعدد لن يكون مصدر صراع أو أزمات إلا إذا حاولت القوى الأجنبية إستغلال الأفليات على النحو الذى يقوم به الاستعمار والصهيونية والماركسية فى العصر الحاضر لإثارة الفلاقل والاضطرابات .

ومن طبيعة المجتمعات الكبرى أن تتنوع فيها الأجناس وأن تتعدد فيها الأديان ولكن المجتمع الإسلامى يستطيع أن يحسم ذلك وأن يقيمه على أساس صحيح لأنه يصدر عن عقيدة سمحة كريمة تشجب العنصرية وتكر الاستعلاء بالدين ، وتقيم العدل على جميع الطوائف والعناصر فى إطار الاعاء والرحمة والسماحة والمساواة .

ولذلك فإن محاولات تفسير التاريخ على هوى الصهيونية أو الشيوعية أو الاستعمار لن يحقق شيئا إلا إثارة الشبهات فى نفوس الذين لا يعرفون الإسلام أو لا يعرفون محاذير الفكر الوافد وأخطار الفزو الخارجى الذى يتعرض لها عالم الإسلام دوماً وفى كل العصور .

ولا ريب أن محاولة السيطرة الصهيونية على أرض المسلمين وفى قلب عالم الإسلام عمل يتعارض تماماً مع سنن الحضارات وقوانين قيام الأمم ، لأنه يفقد عناصر الصلاحية ودعائم الوجود الحقيقى ، فهو يعتمد على نص تاريخى زائف فى تفسيره ، وعلى محاولة سيطرة قامت بالنصب ، وعلى وجود يستمر بالمعونة الخارجية وحدها ولا يستطيع إمتلاك إرادة الحياة وعلى كراهية شاملة من الجبهة العربية فى خط المواجهة الأول ومن الجبهة الإسلامية فى خط المواجهة الأكبر .

ومن هنا فإن هذا الوجود لا يبقى ، إذ أن عوامل إقامته سوف تنقطع حتماً ، وأن عوامل التخلص منه سوف تنمو حتماً وسيجد نفس المصير الذي وجدته للمملكة اللاتينية التي قامت في نفس المكان قبل ثمانمائة عام وانهارت لأنها فقدت أسباب وجودها .

ولن تتمكن قوة مغتصبة تقوم على التسلط والتوسع من فرض وجودها على أمة أصيلة عريقة الجذور تسير مع طريق التاريخ لا ضد تياره .
كذلك فإن محاولة القول بتعدد المذاهب في الدين الواحد ، هي محاولة باطلة معضلة بالنسبة للإسلام الذي لا يجعل من اختلاف مذاهبه أدياناً مستقلة أو نحلاً منفصلة بل إن اختلاف المذاهب الإسلامية كان وما زال سعة ورحمة ، ذلك أن هذه المذاهب جميعاً تلتقي في الأصول العامة وتقيم قاعدة واسعة من التوافق والالتقاء ولا تجعل الخلاف إلا في الفروع ، والإسلام يختلف عن تعدد المذاهب في المسيحية بين الكاثوليك والبروتستانت والأرثوذكس ، حيث تبدو كل فرقة وكأنها دين مستقل .

ومن هنا نجد أن كل أوامام الاستشراق ومفسري تاريخ الإسلام على الهوى والغرض زائفة باطلة لا تثبت لحظة واحدة أمام حقائق العلم أو الفطرة أو وقائع التاريخ نفسه .

والله اعلم بالصواب

والله اعلم بالصواب

الفصل السادس

على المحجة البيضاء

حقائق مضيتة في وجه شبهات مثارة
في الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (تركتم على المحجة البيضاء .
عليها كهارها لا يوبخ عنها إلا هالك) ونحن في مواجهة شبهات كثيرة مثارة بين
الفكر الإسلامي نجد أن هناك حقائق أساسية عجز التغريب عن تزويرها ووجد
من علماء الغرب أنفسهم من يركد وجودها وكان لحركة اليقظة الإسلامية دور
كبير في الكشف عنها .

١ - أصالة المسلمين في إقامة منهج كتابة التاريخ :

شهد الأستاذ مونشو المؤرخ البرجوني المشهور المسلمين بأنهم أصحاب منهج
أصيل في التاريخ - يقول : إذا كان الأستاذ عند العرب والمسلمين هو أساس نقد
الأخبار فقد كان أساس ضبطها هو التوفيق المذيق لها بالسنين والشهور والأيام
وهو ضابط إفرادها به عن نظراتهم عند اليونان والرومان وأوربا في العصور
الوسطى . وقال المؤرخ بكل - إن التوفيق على هذا النحو لم يعرف في أوربا
قبل ١٤٩٧ .

وقد جرت كتابات استشراف كثيرة تحاول أن تره منهج التاريخ الإسلامي
إلى مناهج الغربيين أو مناهج اليونان السابقة لها ولكن ذلك كله لم يستطع أن يصل
إلى حد الصدق ربوات كل هذه الشبهات ولا سند لها . كذلك فإن النقد عند
المسلمين قد اتخذ منهجين متكاملين : فاهب على الرواة من ناحية تحت اسم علم
الجرح والتعديل وجرى من ناحية أخرى في نقد النص نفسه وامتناعه والتأكد
من سلامته .

٢ - أصالة المسلمين في صناعة الأحداث :

وهذا يعني أن الإسلام نفسه كان منطلقاً لعصر جديد في العالم كله وقد أعلن الأستاذ بيرون في المؤتمر الدولي للعلوم التاريخية الذي عقد في مدينة أرسلو عاصمة الزريج في ١٤ آب ١٩٢٩ إلى اعتبار أن ظهور الإسلام هو خاتمة العصور القديمة وبداية إيقاظ الإنسانية في أول عصورها المتوسطة باعتبار أن الإسلام هو بداية العصر الوسيط - وخطأ المؤرخ الغربي ذلك القول المذاع بأن انقسام الدولة الرومانية إلى شرقية وغربية إلى أنه بداية عصر النهضة ، مع نسيان أن ظهور الإسلام هو أعظم حادثة في العصر الحديث ، بينما كثير من كتاب الغرب قد اعترف بهذه الحقيقة .

٣ - أصالة ارتباط العرب بالترك أبان الازمة :

أكد كثير من الباحثين سلامة الخطة التي خطاها العرب بالإندماج في الدولة العثمانية في النصف الأول من القرن السادس عشر ، وذلك لمواجهة خطر الغزو الاستعماري الذي كان قد تجدد بعد انتهاء الحروب الصليبية في محاربة جديدة لغزو العالم الإسلامي وكانت الرابطة التي قامت بين العرب والترك هي رابطة إسلامية أصيلة مع أكبر قوة عسكرية من أبناء الإسلام لصد خطر الإغناء الصليبي الذي صاحب نهضة الإفرنج وبدأ عصر السيطرة الاستعمارية ، كذلك فقد دخل أمراء لبنان وشریف مكة تحت الحكم العثماني باختيارهم - أما دخول الجزائر تحت هذا الحكم فقد تم دون حرب ، بل بمحض إرادة حاكمها خير الدين المعرف بياراباروس .

٤ - أصالة العرب بالنسبة للإحتواء الغربي :

إن تجربة الإتحاديين في تركيا التي احتوتها المحفل الماسونية والنفوذ الاجنبي قد فتحت عيون العرب إلى ما فيها من أخطار وما وراءها من قوى . فلم يترددوا في شجبها كذلك فهم قد رفضوا هذا التحول التغريبي الذي تورط فيه مصطفى كمال أتاتورك وشوه وجه تركيا الإسلامية وقد تبين اليوم فشل التجربة فشلاً تاماً - عندما تحاول أن تقيمها فإنها لم تحقق للأتراك ذلك اليوم الذي كانوا يمدعون به - فقالوا

دولة ضعيفة - إذ امتنع الغرب عن إعطائهم سر العلم والتكنولوجيا بل وسخر منهم لأنهم لم يقدموا شيئاً للحضارة وظلوا عالة على الغرب - وقد أشار إلى ذلك هاملتون جب الذي قال أن العرب لن يكرروا التجربة التغريبية التركية - هذا فضلاً عن أن الأتراك قد عادوا مرة أخرى إلى الاصلالة وأنهم بسبيل استعادة مكانة عقيدتهم وقيمتهم وأصوغهم التي عرفوها منذ أربعة عشر قرناً .

٥ - أصالة العرب بالنسبة للتجربتين الماركسية والليبرالية :

وبالرغم من أن التجربة الرأسمالية الليبرالية بدأت بنفوذ الاستعمار وبخلق أطر ومدارس وأجيال تؤمن بها وتحمل لوازمها فإنها وجدت أعراساً في العالم الإسلامي كله في التطبيق وعجزت الأيدولوجيات الوافدة أن تحقق مطامح النفس الإسلامية التي شكلها القرآن والتوحيد والشريعة الإسلامية - وكذلك جاءت التجربة الماركسية فوجدت نفس الإستجابة - لقد تبين أن النفس الإسلامية لا تقبل الانطواء تحت مفهوم إعلاء الفردية وصولاً إلى الرأسمالية الربوية - أو مفهوم طحن الفرد وصولاً إلى إعلاء طبقة خاصة .

٦ - أصالة المفهوم الإسلامي بالنسبة للقوميات والافليميات :

كشف المفكرون المسلمون فساد الدعوات التي طرحت في أفق الفكر الإسلامي في البلاد العربية عن إعلاء الأشورية أو البابلية أو الفرعونية أو الفينيقية وبينوا بدليل التاريخ أن هذه كلها موجات عربية خرجت من الجزيرة العربية ونزحت عن موطنها الأول وانداحت في هذه المنطقة العربية الحنيفية لإنهم أبناء إسماعيل - الذين نزلت عليهم رسالة التوحيد قبل أن تغلب العنصرية على الحنيفية .

٧ - أصالة المفهوم الإسلامي في مواجهة العلمانية :

كشفت حركة اليقظة الإسلامية عن أن المجتمع الإسلامي ينبذ فكرة العلمانية لأنها لا تجد مكاناً في أوضاع القائمة على تكامل الإجتماع ديناً ودولة من حيث أن الإسلام نفسه دين ومنهج حياة ونظام مجتمع - أما العلمانية فهي حركة غربية استهدفت إقصاء تفسيرات المسيحية عن الحياة الغربية بعد أن عجزت هذه

التفسيرات عن أن تقدم للجمع أو النفس الإنسانية ما يرضيها ذلك أن الإسلام لم يعرف الحكومة الشوفراطية أو حكومة رجال الدين ولم يحمل للأكليروس نفوذ أعلى الناس يبيع لهم صكوك العفران .

٨ - أصالة المفهوم الإسلامي في مواجهة العلاقة بين العرب والإسلام :

كشفت الأبحاث الإسلامية المعاصرة عن أن العلاقة بين العروبة والإسلام تختلف اختلافاً شديداً عن العلاقة بين الدوميات في أوروبا وبين الكيسة ويؤكد الذين درسوا في هذه الفكرة من الغربيين - أمثال ويلفرد كاتول سميت أن تاريخ الشرق الأدنى الحديث يدل على أن القومية المحردة ليست القاعدة الملائمة للموضوع والبناء وأنه ما لم يكن المدل الأعلى إسلامياً على وجه من الوجوه فإنه لن تثمر الجهود المبذولة من أجل النهضة وكذلك فإن العرب والمسلمين جميعاً قد استمدوا مقاومتهم في العصر الحديث للاستعمار واندفاعهم الوطنية من أجل الحرية من مفاهيم الإسلام نفسه كذلك تبين أن عروبة الفكر تعني إسلاميته فليس هناك فلسفة عربية في الفكر غير مستمدة من القرآن وأن محاولة خلق فلسفة عربية مداصرة معزولة عن الإسلام هي محاولة رائقة ولا استمرار لها إلا في الظروف المفروضة بقوة النفوذ الأجنبي ، كذلك تبين بما لا يدع مجالاً للشك أن محاولة خلق وجود عربي أو عروبة أو فكر عربي على السحور العلاني المنفصل عن الإسلام أمر بالغ الاستحالة وبالجملة الابتعاد عن الذاتية العربية الإسلامية الجوهر والمزاج النفس الذي نشأ القرآن ونما منذ أربعة عشر قرناً .

٩ - أصالة المفهوم الإسلامي بالنسبة للنهضة التربوية والتعليمية الوافدة :

كشفت الأبحاث والدراسات التي قام بها كتاب القطة الإسلامية في العصر الحديث أن مناهج الدراسة في المدرسة والحامسة في أجزاء كثيرة من العالم الإسلامي تخضع للنهج الغربي في التربية والتعليم ولذلك فهي تقصر عن إعطاء الحقن للشباب المسلم ولأنها تستمد مفاهيمها من الأيدولوجيات والفلسفات الوافدة فإنها أولاً لا تعطى بأمانة حقيقة الدور الذي قام به المسلمون في بناء العلوم التجريبية والطبيعية والرياضية - وهذا الدور الخطير : الذي كان أبرز معالمه إنشاء (المنهج العلمي

التجريب الإسلامي (أساس الحضارة الغربية القائمة كذلك فإن للفكر الإسلامي مفهوم الأصل في هذه المناهج المطروحة عن الاجتماع والفكر والفلسفة والسياسة والاقتصاد وهي تستند مقاديرها من الرأسمالية الغربية والماركسية وتسيطر عليها الفلسفة المادية والمفاهيم التلودية الصهيونية إنما لهذه الأمة الإسلامية فكرها الأصل ومنهجها الرباني الذي يختلف اختلافا عميقا عن الانشطارية الغربية حيث يقوم جامعا بين العلم والدين والمادة والروح والنفس والعقل والدنيا والآخرة بينما تقوم الأيدلوجيا الغربية (شرقية وغربية) على النظرية المادية والتفسير المادي للتاريخ ولقد كان من حق شبابنا المسلم المثقف أن يعرف الدور الذي قام به أجداده المسلمون في بناء العلم والحضارة وأن يعلموا في نفس الوقت أن هذه النظريات التي تدرس (ماركس وفرويد وبارتر ودوركايم وغيرها) ليست علوما حقيقية وإنما هي فروض ونظريات خاضعة للقبول والرفض وأنها تستمد وجودها من مجتمعات مختلفة عن مجتمعاتها وتواجه تحديات لا نعرفها وأن الأمة الإسلامية التي رباهما القرآن منذ أربعة عشر قرنا لها قيمتها ومفاهيمها المستمدة من التوحيد الخالص والقائمة على العدل والرحمة والإخاء الإنساني وأنها لا تقبل بديلا بأسلوب عيشها الأصل ، وأن الإنسان المشكل من روح ومادة لا يمكن أن يخضع لنظريات تطبق على المادة أو على الحيوان ، وأن كل ما يقدم تحت اسم العلوم الفسفية أو الاجتماعية لا يمكن أن يكون حقيقة علمية لأنه قائم على التفسير المادي والنظرية المادية ليست منهوما كاملا للوجود والحياة والمجتمع .

١. — أصالة المفهوم الإسلامي بالنسبة للإسلام إزاء الأيدلوجيات :

لقد كان واضحا أن الإسلام ليس مذهباً ولا نظرية ولا ثورة وأنه لا يجوز للكاتب المسلم أن يدخل الإسلام في مقارنة مع الأيدلوجيات أو الثورات العديدة التي قدمها أو قام بها الإنسان على مر التاريخ . ذلك أن الإسلام إذا كان ثورة فإن ذلك يعني أن له دور قد أدته وانتهى وأنه إذا كان مذهباً أو نظرية فإنه قابل للتغيير والتبديل والانتقاص والإضافة وهو ليس كذلك، ذلك أن الإسلام

هو ذلك المنهج الرباني الاصيل الجامع الذي يختلف عن المذاهب البشرية ، وقد صنع أمة من نقطة الفرد الواحد الذي هو النبي صلى الله عليه وسلم والذي أقام مجتمعه على أساس التوحيد الخالص وفي إطار شريعة سمحة كريمة عالمية ربانية المصدر إنسانية الطابع - تقوم على الاخاء الإنساني والعدل والرحمة ولها مفاهيمها الجامعة الكاملة في مختلف ميادين السياسة والاقتصاد والاجتماع والاخلاق والتربية وأن بعض لايدولوجيات قد تشبها ، ولكن يظل الإسلام متميزاً بأنه ليس نظرية ولا ابدولوجية لأنه ليس من صنع البشر فلا يقارن بعمل البشر الجزئي الوقى الزائل .

الفصل السابع

أمانة المستقبل لجيل شباب الإسلام

على جيل الشباب المسلم أن يعلم أنه لا يستطيع أن يبدأ من فراغ ولا بد أن يبني على الأسس التي قدمها جيل الآباء وأن يعلم أن المهمة وحدها لا تكفي وأن الرغبة لا تفي وأن الأمر يحتاج إلى معاناة ودراسة وعلم وثقافة ، وأنه لا بد من الأسلوب العلمي الاصيل لتصبح أشواق النفس صورا مصقولة ورحينة وأن الأدب لا يمكن أن يكون إلا في مستوى الأصالة والبيان العربي وأن على الأجيال الجديدة أن تصحح مسيرة من قبلها بالاحتكام إلى منابع الإسلام والتمس الفكرة الجامعة والوحدة الفكرية والتخلص من التبعية والافليمية والقومية ، ومن المناهج الوافدة في مجال السياسة والاجتماع والاقتصاد ورفض مفاهيم الانشطارية التي فرضها النفوذ الاجنبي التماسا لمفاهيم التكامل الجامع الذي علينا إياه الفكر الإسلامي استمدادا من القرآن .

إن الحرب الموجهة ضد الإسلام تتمثل في التشكيك في كل ما يمثل الإسلام من واقع تاريخي وثقافي في مواجهة الصهيونية والماركية والنفوذ الغربي ويتمثل على الجملة في كل ما يحمله العرب والمسلمون من عقيدة وخلق وشيائل وتاريخ ، فالصهيونية تحمل لواء الحملة على العروبة وتاريخ إبراهيم والحيفية السمحاء وتحاول ترفيف الارتباط بين الإسلام وبين حنيفة إبراهيم ، والماركسية تحاول أن تحطم مفهوم المنهج الإسلامي في الاقتصاد والاجتماع والنفوذ الغربي يعمل على الغض من شأن الشريعة الإسلامية دفاعا عن القانون الوضعي .

وهناك حرب غير معلنة على مفهوم أهل السنة والجماعة ومحاربة تزييفه بطرح مفاهيم صوفية وباطنية وفلسفية وكلامية اعتزاليه ترمي إلى التوهمين من التوحيد

المخلص ، وهناك محارلات لإحياء تاريخ الفرق والقراطة على أنها دعوات
تحريرية .

تقول مجلة تايم : « إن أصوات المؤذنين في أنحاء العالم زادت قوة عما كانت
عليه وعادت في قوتها إلى العصور الإسلامية الأولى التي امتدت فيها دولة الإسلام
حتى أوروبا وحدود شرق آسيا وأفريقيا وأن اختلاف لغات المسلمين لا يغير
من حقيقة وحدتهم الدينية إذ أن المسلمين يتحدثون بالروسية والفارسية والصينية
والفرنسية والإنجليزية والألمانية والماليزية والتركيز بالإضافة إلى اللغة العربية
التي نزل بها كتابهم وبها يؤدون الصلوات » .

أم إن ألف مليون مسلم اليوم يتنادون إلى الوحدة ليقدموا للبشرية نور
الإسلام لا للعدوان ولا للتعصب ، بل للاخاء الإنساني في إطار التوحيد والمعدل
والمرحمة ، لقد دخل الإسلام إلى كل قارة وعاصمة ، وبدأ نظامه يتسع ويشر كل
أمة الحق في قلب أورب وفي قارة أمريكا ، وفي الشرق الأقصى ووسط وجنوب
أفريقيا .

إن المسلمين اليوم يعرفون أبعاد المزامرة التي تريد توقيهم عن إقامة مجتمعهم
الإسلامي الأصلي يحذرونها ، وأن الصحوة الإسلامية القائمة الآن هي علامة من
علامات الانطلاق إلى آفاق جديدة مع مطلع القرن الخامس عشر الهجري ولقد
تواعدت هذه الدعوة مع كتابات غربية نقول :

إن الإسلام يخطو في هذا العام خطواته الأخيرة نحو القرن الخامس عشر ،
وهذا لا يعني أنه قد بلغ من العمر عتياً ، فهو أكثر الأديان العالمية قوة وشعباً
وانتشاراً ، وهو من ناحية يعد أحدث دين عالمي جاء بعد اليهودية والمسيحية ،
وهو من ناحية أخرى يعد أكثر الأديان حيوية وانتشاراً حتى الآن وفي أعداد
تصل أحياناً إلى مئات الألوف سنوياً يدخلون الإسلام طوعاً واختياراً وإيماناً

وخاصة في قارتي آسيا وخاصة إفريقيا التي تنبأ علماء الاجتماع والأديان المعاصرة بأنها قارة المستقبل بالنسبة لانتشار الإسلام .

هذه هي الأمانة التي نضعها بين يدي شباب الإسلام اليوم ليمضي على طريق الأصالة ويحقق الهدف الذي لم يتمكن من تحقيقه جيل الآباء وهو إقامة المجتمع الإسلامي الرباني وتبليغ الإسلام للعالمين .

وهناك دعوة إلى إطلاق الفن من قيود الأخلاق ، وهي من دعوات الماديين وهناك الحملة على الدين الحق بالقول بأن البشرية بدأت وثنية ثم عرفت التوحيد مع الأديان الثلاث مع أن التوحيد كان ملازماً لدعوة آدم ونوح ، وهناك تلك الشبهات المشارة حول أن الدين ظاهرة من الظواهر الأخرى نبتت من الأرض ولم ينزل من السماء وهذه شبهة باطلة من دعوات الملحدين والماديين وهناك شبهات كثيرة مثارة تحاول أن تقتحم أفق الفكر الإسلامي فلتحذر منها ولتحذر من خطر التبعية والتقليد والتأويل .

ونحذر من دعاوى بعض الصوفية الفلاسفة مثل قولهم مقووط التكليف أو عبادة قوى الطبيعة وهي الدعوات المسمومة التي أحيت نظريات الفيز والاشراق والإتحاد والحلول ودعاوى الروحية الحديثة وتحضير الأرواح وقد انبهت هذه الدعوات الضالة من مذاهب البهائية والماسونية والقاديانية ، وهي سحب سوداء كثيفة تتجمع في أفق الفكر الإسلامي فعلى شبابنا أن يتعرف مدى هذه الأخطار وليعلم أن الأجيال التي سبقت قد قاومت هذا الخطر وجاهدت في دفعه عن الفكر الإسلامي وأنها زيفت هذه الشبهات وكشفت عن أن الفكر الإسلامي يختلف عن الفكر الغربي في عديد من القضايا الرئيسية الهامة وفي مقدمتها فكرة التقدم ، وفكرة التطور . وفكرة نسيه الأخلاق .

فالتقدم في مفهوم الإسلام تقدم مزدوج مادي وروحي ، والتطور يعني التغيير وهو لا يكون دائماً إلى الأحسن ، ونسبة الأخلاق تجعل الأخلاق لباساً ضيقاً

ويقتنع مع العصور والبيئات بيننا الاخلاق في مفهوم الاسلام بمثابة قيم ثابتة على جميع العصور والبيئات بخلاف التقاليد التي تصنعها المجتمعات والتي تتغير لانها من صنع البشر ، أما الاخلاق فإنها جزء من الدين نفسه وليعلم شبابنا أن رسالة الإسلام مدعوة إلى أن تعود لتنقذ العالم كرة أخرى ، بعد أن سقط في براثن الوثنية والمادية والانهار الخلق ولن العالم اليوم وهو يتطلع إلى نظام عالمي جديد بعد فشل النظامين الرأسمالي والشيوعي الاشتراكي لن يجد سوى الإسلام منقذاً .

وقد استدار الزمن وأصبح عالم الإسلام الآن يتميز بمعطيات ثلاث : الثروة والطاقة والتفوق البشري .

الفصل الثامن

على طريق الله

في مطالع القرن الخامس عشر الهجري

إن مطالع القرن الخامس عشر الهجري تبعث في نفس المسلم عدة مشاعر متباينة لعل أبرزها : أن تستقبل البشرية قرناً جديداً في ظل دعوة الحق ، تزيد مساحة الإيمان والرحمة والعدل والاخاء البشري ، ويتغلغل فيها اسم الله تبارك وتعالى إلى أقطار جديدة وبلاد وقارات ، وتجذ كلمة الله من يستمع إليها ويدعن لها ، وبها يزداد عدد المسلمين وينادي باسم الله على المناثر ، وتضاء المسآذن وتزداد الأيدي المتوضئة ، ويرضى الله تبارك وتعالى على العائدين إليه المستمسكين بكتابه وشريعته ، والمطبقين لأحكامه ، البائعين أنفسهم في سبيله ، والمقرضين له قرضا حسنا .

وإذا نظرنا إلى وقائع القرن الرابع عشر لوجدنا مكاسب كثيرة وخسائر كثيرة ، ولكننا نجد أن الاسلام قد جاوز مرحلة التبعية ودخل مرحلة الرشد والاصالة ، وأنه قد عرف مداخل عدوه وخطط تأمره ، وأنه قد استطاع أن يكشف عن جوهر الشريعة الاسلامية وعظمتها وذخايرها ، وأن يضعها في مفرق الطريق ، وأن يدعو إليها أهلها أولاً ويجد أنه قد خرج من التجريبتين : تجربة الاحتواء الغربي الليبرالي ، والاحتواء الماركسي سالما عارفاً أن كلا الوجهتين لم نستطع أن نحقق له سكينه النفس ، أو سعادة الدارين ، وأنه قد تبين له أن هناك طريقاً واحداً لا خيار فيه هو طريق الله :

« إن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله .
الانعام : ١٥٣ »

ولست تستطيع حين تريد ان توجه المسلمين في مطالع القرن الخامس عشر
إلا كلمة واحدة . أن يقول : عودوا إلى القرآن .

أيها المسلمون : عودوا إلى القرآن واستمسكوا به ، وطبقوه على أنفسكم ،
وأقيموا المجتمع الرباني في بلادكم وبيوتكم وأنفسكم قبل أن تمسكوا ر امتحان
شديد وابتلاء خطير .

لقد أعطاكم الله تبارك وتعالى امتحانا خطيرا وأعطاكم للتغلب عليه عطاء
كبيراً ، إن الامتحان هو انتشار خطر الصهيونية والماركسية والنفاذ لأجنبي ،
وذلك بعد أن أقامت اليهودية العالمية رأس جسر في فلسطين وبيت المقدس ،
وأمدكم لمقاومة ذلك ، ذلك العطاء الوافر : أعطاكم الطاقة والثروة ، والتفوق
البشري ، فليس لكم حجة أمام الله في أن تنكصوا على الأعقاب ، ولا تواجهوا
عدوكم من أجل حماية العرض والأرض والعقيدة .

والطريق هو إعداد ذلك الجبل الذي يحمل لواء الجهاد في سبيل الله ، والمراقبة
في الثغور والمقاومة الكاسحة ، فلقد أراد الحق تبارك وتعالى أن يحمل هذه الأمة
الوسطى ، مستقر المقدسات ، وفي نفس الوقت مدخر الثروات الهائلة ، سواء
بالجغرافيا في الموانئ والمواقع أم فيما تخرج الأرض من كويت ومنجنيز وبترو
وعغيره ، أم في ثمارها وزرعها ومائها وخيرها ومن ثم فهي مطمع الغزاة في كل
عصر وترنو إليها عبون الامبراطوريات ، وخاصة امبراطورية الربا عن أشربوا
العجل . ذلك الجيش القوى الذي يجب أن يكون مرابطا في الثغور تحت اسم
. وأعدوا .

وستتحقق في مطالع القرن الخامس عشر وقبل نهاية العقد الأول منه كلمتان
لرسول صلى الله عليه وسلم تدل الأولى : أن الله يرسل لهذه الأمة كل مائة سنة
من يحدد لها أمر دينها ، وتوحى الثانية أن جند الاسلام الكشاف هو في رباط إلى
يوم القيامة .

إن المسلمين اليوم على أبواب القرن الخامس عشر هم ألف مليون مسلم على
أفق الاحصاءات . فلماذا يخسونهم ، وهم بتقدير كل الدوائر العالمية للإحصاء

ربع سكان الارض اليوم البالغ أربع مليارات ، وأنهم في نمو وتزايد مضطرد حيث غاضت الارحم في الغرب ، وحق لأصحاب لا إله إلا الله وأهل التوحيد أن يواجهوا جهودهم في سبيل بناء حضارة الإسلام الجديدة :

وط يقهم إلى ذلك يرتكز على ثلاثة أمور :

أولاً : تطبيق الشريعة الإسلامية في المجتمع الإسلامي وإقامة منهج الله .

ثانياً : إحياء فريضة الجهاد والمرابطة في الثغور .

ثالثاً : بناء جيل جديد من الشباب المسلم على مفهوم القرآن ، وفي مواجهة التحدي الخطير الذي جعلهم في رباط إلى يوم القيامة .

يقول المؤرخ هـ جـ . ولز في حديث إلى أمين الريحاني : ان القرآن هو عروة الإسلام الوثقى ، أو على الأقل وسيلة يحسن استخدامها في تحقيق الوحدة الإسلامية ، وإن وحدة أمة من الأمم مفيدة لها ولغيرها . فالوحدة تعيد إليها كرامتها ، وتوجب عليها القيام بعمودها ، أما الإسلام اليوم فشقت الشمل ، مبدد القوى ، ولولم يكن لدى المسلمين واسطة إلى الاتحاد لوجب عليهم اختراعها ، ولكن كتابهم خير واسطة ، وإذا كانت إنجلترا في خطر من الاحتلال الاجنبي العربي فرضا ، وكان أبناؤها مشقتى الشمل مبددين في أربع زوايا الارض دون رابطة تربطهم بعضهم ببعض ، فلا أتردد في دعوتهم إلى الإنجيل ، بل أتخذ من الكتاب المقدس شارة جنسية ، وعلماً وطنياً ، وعروة شاملة في الوحدة القومية .

وهكذا نجد في مطلع القرن الخامس عشر ، نجد أنفسنا مطالبين بالالتفاف حول القرآن علماً وماراً ، وعروة شاملة ، وشارة جنسية .

ونحن مقبلون خلال العقد الأول من القرن الخامس عشر على إمتحان عظيم يجب أن تثبت له وأن نواجه بقوة ، ولن نستطيع أى قوة من القوى أن تمكثنا من النصر ، إلا بالانتفاف حول القرآن منهج حياة ، ونظام مجتمع .

يقول بادل شميز في كتابه « الإسلام قوة الغد العالمية » :

(م - ٢٣ الإسلام)

سيعيد التاريخ نفسه مبتدئاً من الشرق عوداً إلى بدء ، من المنطقة التي قامت فيها القوة الإسلامية العالمية في الصدر الأول للإسلام ، وستظهر هذه القوة التي تكمن في تماسك الإسلام ووحدته العسكرية ، وستثبت هذه القوة وجودها ، إذا ما أدرك المسلمون كيفية استخراجها والعمل على الإفادة منها ، ستقلب موازين القوى ، لأن قوة الإسلام قادمة على أسس لا تتوافر في غيرها من تيارات القوى العالمية .

ولا ريب أن بعد نظر هذا الكاتب الغربي ، يلتقي مع كثير من إرهابات خدمها أعلام أفذاذ من رجال الإسلام .

° ° °

يقول محمد إقبال : إن المسلم لا تعرف أرضه الحدود ، ولا يعرف أفقه الثغور ، وليست دجلة والذيل والدنواب إلا أمواجاً صغيرة في بحر المتلاطم ، عصوره عجيبة ، وأخباره غريبة ، نسخ العهد العتيق ، وغير مجرى التاريخ ، هو في كل عصر ساقى أهل الذوق ، وفي كل مكان فارس ميدان الشوق ، شرا بهرحيق دائماً ، وسيفه ماض في كل معركة .

إننا اليوم تعود إلى الأصالة :

وجدنا طريق التعليم الغربي العلماني باطلاً وضالاً .

وجدنا القانون الوضعي فاسداً .

وجدنا التجربة المصرفية الربوية عفتة .

وجدنا أسلوب التغريب في الحرب يحطم القوى .

أين التربية الإسلامية ، والشريعة الإسلامية ، والمصرف الإسلامي ، والجهاد في سبيل الله ؟ لقد توهم القوم أن التقدمية إنكار الله ، وإن أسلوب الغرب يحقق النصر للمسلمين ، وأن التمسك بالدين رجعية ، وكذبوا ..

إن الزمن قد استدار مرة أخرى ، ليكشف للمسلمين كل الحقائق ، ويؤكد

الفصل التاسع

البحث عن الحقيقة في مطامع العام الهجري

(غرة المحرم ١٤٠٣)

يشرق العام الهجري الجديد والعالم الإسلامي في موقف لا يحسد عليه ، فهو مازال يبحث عن الطريق وقد اختلفت به السبل وهو يتطلع إلى الاصاله وما يزال المذاهب الوافدة تحاول أن تحتويه ، وما زال يرقب النظم العالمية ولديه أشرف منهج وأعظم منطق ، طريق الله بالقرآن ، لبناء المجتمع الرباني على الأرض بعد أن اجتاحت قوى النفوذ الاستعماري والصهيوني والماركسي عواصمه ، وفرضت عليه أنظمة ومناهج لم تحقق له الأمل ولم تدفعه إلى الغاية ولم تمكنه من امتلاك إرادته على أرضه ، وهو مطالع القرن الخامس عشر الهجري قد تكشفته الحقائق ، وعرف أن العدو طامع ، وأن المناهج التي قدمت له في التربية والاقتصاد والاجتماع والسياسة لا تقبلها النفس المسلمة ، ولا تجد فيها طموحها وأملها ، ولم يعد له أمل الا في منهجه الرباني الخالص ، وقد علم أن الغاية لا عداته ترمى إلى اجتياح ذاتيته الخاصة والقضاء على كيانه لينصهر في يوتقة الامة ويفقد مقوماته وينهار ويتحقق للنفوذ الوافد تحقيق غاية لن تتحقق ، وهي القضاء على هذا الوجود القائم الأصيل .

إننا يجب أن نسلم بأن هناك مؤامرة خطيرة تراد بالمسلمين بتجمع قوى خطيرة في سبيل تنفيذها ، وهناك مجموعة من الحقائق يجب أن تكون واضحة أمام الباحث عن الحقيقة :

أولاً : أن تكون معركة فلسطين والقدس ليست قضية عربية ، بل هي قضية إسلامية وليست قضية أرض ، بل قضية عقيدة ، وأن محاولة جعلها قضية عربية أو قضية أرض هي وسيلة من وسائل حجب الكثير من الحقائق عن المسلمين

أو تهميم الرقبة إزاء أبعاد التقديس الكبرى ، وعلى العالمين في هذا الحقل أن يعيدوا ترتيب خططهم على أساس مفهوم الإسلام فإن لم يفعلوا فسيبدورون في الحلقة المفرغة لا يخرجون منها .

(ثانياً) : إن المسلمين اليوم وهم على أبواب القرن الخامس عشر الهجري يطمعون إلى إمتلاك إرادتهم فإن القوى الكبرى تحاول أن تضرب هذه الصخرة بحيث لا تقوم لها قائمة ، وبينما كان المسلمون يطمعون إلى إمتلاك إرادتهم تقع الأحداث المتتالية التي ترغمهم على أن يدخلوا في الفوارز المغلفة التي تقيد حركتهم وتؤخر إنتقالهم من مرحلة اليقظة إلى مرحلة النهضة .

(ثالثاً) : إن المسلمين لا يزالون في غفلة عن — الحبل — الذي يطوقهم به النفوذ الأجنبي المترص والذي يتجمع من وراء حركات التبشير والاستفراق الغربي وانخطط الصهيوني والمؤامرة الشيوعية وهي جميعها تنسق في خط واحد إن لم تكن تصدر من معين واحد .

(رابعاً) : إن هناك سباق بعيد المدى بين النقطة الإسلامية وبين خطة مغامرة تريد أن تفرض بعد عقد واحد من الزمان على العالم الإسلامي سيطرة ثلاثي أممها كل منجزات حركة اليقظة الإسلامية .

(ولقد حدثت بروتوكولات صهيون عام ١٨٩٨ توقيتاً لتنفيذ خطتها) .

(خامساً) : إن هناك صورة تكاد تتكرر من محاولات الحروب الصليبية في التخطيط لحرق الإسلام مع حركات التتار والباطنية وما كان من محاولات « إرناط » للسيطرة على مداخل خليج العقبة ، وعلينا أن نواجه المؤامرة الجديدة بنفس الأسلوب الإسلامي الأصيل الذي واجه به نور الدين وبهبرس وقطر تلك المؤامرة هي :

العودة إلى الإسلام

والانطلاق من مفهومه الأصيل بوصفه منهج حياة ونظم مجتمع ، وأن نفشى الأجيال الجديدة على أساس الاحساس بالخطر الزاحف والتجدي المبين ، وأن

تكون التربية الإسلامية هي أساس البناء : تربية تقوم على بناء الإنسان المسلم القادر على فهم أبعاد المؤامرة ، المفطوم عن أهواء النفس وأساليب الترف والقدرة على الصمود في وجه الأخطار والتحرر من محاذير المؤامرة التي تدفع المسلمين إلى امتلاك ثرواتهم في الكماليات وإرضاء الغرائز .

(سادساً) : على المسلمين التعرف الواضح إلى الفخ المنسوب الذي يستهدف الحسد من نمو المسلمين ودفعهم إلى آفاق التحلل والغواية والحيلولة بين امتلاك إرادتهم وامتلاك أسباب القوة ، وفي نفس الوقت الذي تنمو فيه قوة الأعداء لتسكون قادرة على فرص إزالتها وتحقيق مخططاتها الذي يجري في حلقات متصلة منذ رسمت (أصوله) وليعلم المسلمون أنهم إزاء هذه المؤامرة الخطيرة التي تهدف إلى إجتياحهم ليس أمامهم إلا خيار واحد هو :

التماس منهج الاسلام

بوصفه نظام مجتمع ومنهج حياة ، وإقامة المجتمع الإسلامي على أساس من الشريعة الإسلامية والتربية الإسلامية والاقتصاد الإسلامي والتحرر من نظام القانون الوضعي والنظام الرئوي وأسلوب العلمانية والمادية وحماية الأجيال الجديدة من أخطار الحضارة الغربية التي لم تقدم للمسلمين إلا جوانب الاستهلاك والانحراف والتحلل دون امتلاك مقدرات العلم الحقيقية لبناء قوة صامدة على النهج الذي أمر به الله تبارك وتعالى :

(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) فإن لم يفعلوا بقوا على تمزقهم وتأخر قيام وجودهم الحقيقي .

(سابعاً) : إن أصحاب المؤامرة على الاسلام والمسلمين قد درسوا الطريقة التي طالما تجمع أعداء الاسلام عليها لهزيمة الاسلام ودحره ، وليست حملة غزو لبنان وتدمير الوجود الاسلامي فيه إلا شريحة واحدة من خطة واسعة النطاق ، يجري تنفيذها على مراحل ولها معقبات وذبول ترمي إلى إجهاد الصحوة الاسلامية . ولقد غفل المسلمون طويلاً خلال الثلاثين عاماً الماضية عن إبعاد هذا المخطط حتى حتى جاءت أحداث الخامس من يونيو ٦٧ لتقتحم القدس وأحداث الخامس من

يوليو ٨٢ لتسيطر على عاصمة عربية هي بيروت ، ولعل ذلك يكون كافيا لدق الطبول والتذكير بما وراء ذلك ، وما يمكن أن يحدث بعد ما هو أخطر وأشدّ عنفاً ، وليلعلم المسلمون أنهم مطالبون منذ اليوم بالأخذ بخطّة (التّعصّة السكّامة) لمواجهة الخطر الذي يهدد وجودهم ، وليس أمام المسلمين إلّاء الخطر إلّا التماس قرآنهم وتطبيق شريعتهم ، فهو منطلقهم الوحيد ، ولقد جربوا خلال السنوات الماضية تجربتين في متابعه الغرب : تجربة الرأسمالية الغربية ، وتجربة الشيوعية الماركسية ، وقد فشلت كلتا التجربتين ولم يعد أمام المسلمين إلّا طريقهم الأصل في التماس المورد القرآني : هذه المنايع الحقيقية (القرآن والسنة) الذي لا يمكن منه أن يتحقق لهم أي وجود حقيقي أو نصر حقيقي إلّا عن طريقه ومن خلاله .

(ثامنا) : إن قوى الأعداء تخطط من أجل إحتواء هذه الأمة التي يجب ألا يعلو عندها شيء على د إمتلاك إرادتها ، والحفاظ على ذاتيتها من الإحتواء في دائرة الأئمة العلمية ، وذلك في سبيل بقاء نية هذا الدين وحمايتها ، والدفاع عن هذا الوجود بالاجساد المتراسة إذا أعوزتهم القوة الحربية ويمتلك المسلمون اليوم كل مصادر القوة :

(الثروة والطاقة والتفوق البشري)

فليس لهم عذر عند ربهم في العجز عن حماية وجودهم والدفاع عن كياناتهم ، ولقد جاءت الثروات الخارجة من باطن الأرض (النفط والكوبلت والمنجنيز) لتسكون حجة عليهم إذا حاولوا الاعتذار عن المواجهة الصحيحة فإن حق الله فيه هو عشرون في المائة (حق الرّكاز) وبه يمكن أن يجعل العالم الاسلامي كله قوة لا تغلب .

١ (تاسعا) : إن السنوات العشر القادمة هي أخطر السنوات في حياة العالم الاسلامي وأنها تمثل نهاية مخطط رسم منذ تسعين عاما يرمي إلى إحتواء عالم الإسلام وكل ما يرى خلال هذه السنوات كان منفذاً له . (والله غالب على أمره) ولسوف يبدؤ هذا المخطط بالتحسران المبين ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز .

الباب التاسع

الفكر الإسلامي في مواجهة الشبهات

الفصل الأول : المواجهة مع الفكر الوثني .

الفصل الثاني : وسقطت مدرسة التبعية للحضارة الغربية .

الفصل الثالث : فلنراجع تراكمات الفكر البشري وزيفه .

الفصل الرابع : ملاح من أخبار التغريب في الوطن العربي .

الفصل الخامس : مواجهتنا القائمة مع الفكر الغربي الوافد .

الفصل السادس : عقبات في طريق النهضة الإسلامية .

الفصل السابع : من التبعية إلى الأصالة .

الفصل الثامن : في مواجهة النفوذ الأجنبي .

الفصل التاسع : مواجهة صريحة لتحرير الفكر الإسلامي .

الفصل الأول

مواجهة مع الفكر الوثني

المادى الماركسي الوافد

بسم الله الرحمن الرحيم (إقرأ باسم ربك) (ن والقلم وما يسطرون)
في مطلع القرن الخامس عشر الهجري ، مشرق عصر الأصالة الإسلامية يتحتم على
الدعاة إلى الله أن يعملوا على إحتواء المؤامرة على الإسلام وتعرف أبعادها
ومراميها من خلال ما طرحت في أفق الفكر الإسلامى عن طريق الاستشراق
والتشهير في محاولة ضخمة خطيرة تحت لواء التغريب والغزو الثقافي ، شاء الله
تبارك وتعالى أن نعكف عليها أمدأ يزيد الآن عن ثلاثين عاما منذ بدأت قضية
التغريب تشق طريقها وتكشف هدفها وتنفيذ مؤامرتها ، نقدمها بمثابة دأرضية
أساسية للبحث عن جميع التيارات والمذاهب والايديولوجيات التي تضطرب
الآن ، محاولة تمزيق وحدة هذا الفكر أو القضاء على ذاتيته وروحه الخاصة
وطابعه العميق .

(١)

إن أخطر ما تطرحه موجات الحوار المغلف بالمسكر العميق ، والدهاء البالغ
هو القول بأن ما يختلف فيه الفكر الإسلامى عن الفكر الغربى ليس إلا جزئيات
وفرعيات ، بينما أن الخلاف كبير وعميق وبعيد الأغوار ، ذلك أن مرجع هذا
الاختلاف يمتد إلى أعماق الجذور التي قام عليها الفكر الليبرالى والماركسي والوثني
الحديث وهذه الجذور تتمثل في :

(أولا) : ما يعتقده أهل الفكر الغربى من دعوى صلب المسيح والوهمته
وما يتصل بتاليه الفكر الغربى للإنسان . بالإضافة إلى مفاهيم الرهبانية القديمة

ومفاهيم الإباحية الحديثة ، بالإضافة إلى تحليل الربا وعبادة الذهب وإنكار الآخرة والبعث .

(ثانياً) : هناك تناقض السكتب المقدسة في مصادرها وتواريخها وما كشفت الأبحاث العلمية الحديثة من فساد تقديراتها في حساب الزمن وخلق الكون وغيرها فضلاً عن الخلاف والتناقض بين العهدين القديم والجديد .

(ثالثاً) : ما هناك من سقوط الغيرة أمام المرأة ، وتحطيم أخلاق المجتمعات ومسؤولية الفرد وسقوط الرحمة أزاء الآباء والأسرة .

(رابعاً) : ما هناك من فكرة التطور المطلق التي استمرت مفاهيمها من نظريات دارون وسينسر وما جاء به هيجل وهو ما يختلف مع مفهوم الإسلام لإزاء نظام الثوابت والمغريات .

(خامساً) : ما هناك من مفاهيم العبودية البشرية التي جددتها الاستثمار الحديث من راث العبودية لليونانية الرومانية ، والتفرقة بين الأجناس والعروق وإعلاء المنصر الأبيض صاحب الحضارة هذا بالإضافة إلى مشاعية المال والنساء .

كل هذه المفاهيم تختلف باختلاف عميقاً مع مفاهيم الإسلام وقيمه ودعوته إلى التوحيد الخالص ومسؤولية الفرد لبناء المجتمع الرباني وأخلاقه .

(٢)

يتساءل المستشرق هاملتون جب في كتابه (وجهة الإسلام) فيقول :

إلى أي مدى أصبح العالم الإسلامي غريباً ؟ ويجب على ذلك مستعرضاً نفوذ الثقافة العربية في العالم الإسلامي بلداً بلداً ، ثم يعقب على ذلك بقوله : نستطيع أن نقول حسب سير الأمور الآن (كتب ذلك عام ١٩٢٩) - أي قبل خمسين عاماً - إن العالم الإسلامي سيصبح خلال فترة قصيرة لا دينياً في كل مظاهر حياته ما لم يطرأ على الأمور عوامل ليست في الحسبان فتغير اتجاه التيار .

واقعد كذبت الأحداث نبوءة المستشرق المتعصب الطامح في أن يسقط العالم

الإسلامي في برائن العلمانية الغربية أو الامية الماركسية ، ولم يكن يدور في خلده .
أن حركة اليقظة الإسلامية التي كانت وليدة في ذلك التاريخ من تلك المحاولات التي
كان أول من أطلق عليها كلمة « التغريب » .

والواقع أن المعنى الذي حرص الاستعمار والنفوذ الأجنبي (غريبا وماركسيا
وصهونيا) على إسقاطه من النفس الإسلامية كما يعبر الأستاذ محمد المكي الناصري :
هو إبراز الإسلام كمقيدة وتربية ، لم يكن أبداً في يوم من الأيام راضياً بالذل
ولا مسانداً للخصم ولا معيناً على العبودية في أي وقت من الأوقات ، وأن
الإسلام ربي معنتقيه على الاعتزاز الكبير بكرامتهم ورباهم على الإحسان بأنهم
خلقوا ليفرضوا وجودهم فوق هذه البسيطة ، ويزعوا مكانهم تحت الشمس
لا ليكونوا عبيداً ولكن ليكونوا سادة ، ولم يكن الإسلام حليف الطغيان ولا
حليف الظلم ولا حليف الاستعمار ، ومن ثم فقد حاصر المسلمون مخططات التغريب
والغزو الثقافي ونشأت في ديارهم جامعات إسلامية تقوم على أساس القرآن ومنهج
الله الحق . وقاموا في كل مكان . القانون الوضعي بعد أن ثبت فشله وعجزه عن
تحقيق إقامة المجتمع الكريم كذلك فشلت الأيديولوجيتين الليبرالية والماركسية
حين طاعت إحداهما أو كلاهما في بلاد عربية . ومن ثم فإن العالم الإسلامي لن
يصبح لا دينياً بالرغم من السموم التي حملتها الأعاصير وسفت بها رمال العلمانية
والأباحية والمادية .

(٢)

هناك دعوة مبثوثة إلى أدب المتعة والشهوة والفن الخليع : وعائها الرواية
والمرحلية - السبئية ومسلسلات الاذاعة والتلفزيون ، وهي في مجموعها تقدم
مترجمات من أدب الفحاش والكتابيات الجنس الغربية بمناهضة المنحرفة والفاصلة
للمرأة والحب والحياة . وهي في مجموعها لا تتفق مع مفاهيم المجتمع الإسلامي .
هذه الدعوة ظاهرة الهدف ، وهدفها هو تدمير الرجولة في شباب الأجيال الجديدة
الرجى لحل أمانة المجتمع الإسلامي في مرحلة تالية فاذا تشكل من الآن على
الانحلال والانحلال فإن أمانته لهم الإسلام ستكون ضعيفة ، وسيعطى ذلك
فرصة للقوى الغازية التي تسطر ولا ريب إن المسلمين عقيدتهم وقيمهم ومفاهيمهم

الربانية المصدر الانسانية المهدف التي تصدر عليها حياتهم وسلوكهم ، وأن هذا الركام المطروح باسم التسلية وتزجية الوقت ليس إلا شراً خطيراً يهدم الوجود الاسلامي في نفوس الناس وفي تركيب المجتمع نفسه ، ولذلك فإن علينا أن نكشف موقف الإسلام واضحا صريحا من هذه الدعوة الخطيرة ، وإذا كان أدب الانحلال هو وليد انبهار الفلسفات الغربية والأيدولوجيات سواء منها الرأسمالية أو الماركسية فإن المجتمع الاسلامي الذي نشأ في أفق التوحيد وقام على العدل والرحمة والأخاء البشري يجب أن تكون فنونه وآدابه وقصصه ومسرحياته من نوع آخر . وأن من حقنا أن نرد هذا السيل السامع وأن نزنه بميزان قيمنا ومقاييسنا ، وعند ذلك نجد أنه يتعارض مع قيمنا ومفاهيمنا ، فليس في نطاق الفكر الاسلامي ما يدعو إلى الهزيمة واليأس أو إلى الإباحية والانحلال ، ذلك أن المسلم بطبيعته مرتبط بربه مؤمن بمسؤوليته ، مطمئن إلى غده ، واثق من أنه مهما ادلهمت به الاحداث فسوف تنقش الغيوم وتفرج الآفاق عن اليسر الذي يأتي بعد العسر ، فليس في أدبنا روح التشاؤم التي تصدر عن المفهوم المادي الخالص ، ولا روح اليأس والهزيمة التي صدرت عن مفهوم الخطيئة الأولى الذي لا يعرفه الإسلام .

آخر الممود

آن الاوان ليعود للمسلمين مجدهم ووجههم المشرق يسطع في أفق الحياة مرة أخرى . فإن الدراسات تشير إلى أن هناك إنجماً عالمياً الآن يهدف للبحث عن سماحة هذا الدين وعظمته الانسانية وذلك بعد أن عجزت الحضارة الاوربية أن تمد العالم بالطمأنينة والسعادة كما سبق أن أمده الاسلام بها من قبل في عصور ازدهار الامة الاسلامية ، ولكن المسيرة طويلة والعمل شاق والمسؤولية كبيرة فحاول أعداء الاسلام لمسأزال مرفوعة تحاول تقويضه وتقليص ظله . إنهم متمصبون والتعصب لا شفاء له إلا بازدياد دائرة الضوء واستنارة القلوب للحق .

زكي بدوي ،

الفصل الثاني

وسقطت مدرسة التبعية المحضارة الغربية

إن من أبرز معالم حركة اليقظة الاسلامية آخر القرن الرابع عشر الهجرى هو
تكشف الحقيقة التي ظلت معماة على العرب والمسلمين خلال الجبل الحائر الذي
قاده طه حسين وسلامة موسى وعلى عبد الرازق ، ومن بعده جيل آخر قاده زكى
نجيب محمود ولويس عوض ، تلك هي خدعة النفوذ الغربى التي كانت تقول بأن
المسلمين والعرب لن يستطيعوا امتلاك إرادتهم إلا إذا تغربوا ، فكراً وثقافة
وأسلوب عيش ، والذين كانوا يفرضون على الثقافة صوراً (تعلى) من حضارة
الغرب وبطولة رجال الغرب وتزدري حضارة الاسلام وبطولاته .

لقد حاول هؤلاء أن يفرسوا في ترثه الاسلام أن الفلسفة اليونانية هي مصدر
الثقافة الاسلامية ، وأن الحضارة الغربية هي مصدر النهضة في الشرق ، وانخدع
الجيل هذه المفاهيم المسمومة . واحتقروا قومهم ، وجعلوا ذلك الميراث العظيم
الذى قدمه لهم القرآن الكريم ، والذي كان مصدر تحرير العقل البشرى كله من
الوثنية والتعدد ، ومنطقاً لتحرر الانسان من ظلم الانسان ومن عبودية الحضارات
الفرعونية والفارسية والرومانية .. كان الغرب ينكر الحضارة الاسلامية ويعجبها
عن المسلمين والعرب حماية لوجوده في نفس الوقت الذى كانت دوائره ومنظوماته
تترف بفضل الشريعة الاسلامية وعظمة عطائها ، وتعترف بأثر المنهج العلمى
التجريبى الذى صنعه المسلمون على بناء الحضارة الغربية الحديثة .

ولكن صرت الحق ما لبث أن انبعث مجلجلاً مدوياً فقد أعلن رأس المدرسة
الحديثة الدكتور محمد حسين هيكل أن البذر لا ينبت وأن الطريق لا يودى وأن
تجربته التي قام بها من خلال الحضارة الفرعونية القديمة ابتعائاً ، والحضارة الغربية
إقتباساً قد فشلت تماماً ، وأنه لا طريق إلا طريق الحضارة الاسلامية فهو وحده
الطريق ، وأن سيرة محمد على الله عليه وسلم هي منطلق النهضة الحقيقية .

قال هذا هيكل رأس المدرسة الحديثة ، وأعلن بعد أن استعلنت كلمة المدرسة الإسلامية التي نادى بالاسلام منهج حياة ونظام مجتمع ، ودعت إلى التماس حكم الله ورفع المصحف بين أيديها نبراساً لمواجهة الغرب الزاحف لاحتواء المسلمين وتدمير حضارتهم .

ولكن المسلمين لم يستمعوا إلى النداء باكربين ، وكان عليهم أن ينتظروا حتى تنتطح قرن العز في الصخر فتتكسر ، وهكذا ظلت الأمة سادرة في مفهوم الحضارة الغربية كنتطلق للتحرر ومواجهة الغرب بأساليب الغرب ، وهي أخطر مؤامرة سقط فيها المسلمون في العصر الحديث حين تخلوا عن مقاييسهم وأسلحتهم وأسلوبهم القرآن في مواجهة الأحداث ولجأوا إلى أسلوب الغرب ودخلوا دائرة الإحتواء . . ظلوا كذلك حتى كشفت النكبة ثم الهزيمة ثم النكسة عن الحقيقة باهرة كفتل الصبح ، كشفت عن فساد دعاوى المدرسة الغربية الوافدة الغشالة المضلة التي قامت على الخداع والغش .

ولكن أصحاب الحضارة ، وهم أنفسهم أصحاب النفوذ الاجنبي المسيطر على بلادنا كانوا مكررة ، فهم لم يقدموا لنا العلم الذي نصنع به التقدم المادى ، وإنما قدموا لنا الفلسفة التي تزيغ القلوب وتفسد العقول ، لقد قذفوا هذا الشرق الاسلامى بالایدولوجيات والنظريات والنحل ، وتركوه يصارغاً وينقسم حولها ، ويضرب بعضه ببعض ، ماركسيين وليبراليين ، ومن وراء ذلك فسكر الصهيونية التلودية التي حولت قيمتها ومفاهيمها إلى مذاهب وعلوم تدرس بجامعةات العالم الإسلامى واستطاعوا أن يبهروا الناس ثمة بالبريق الخاطف الذى سرعان ما ينطفئ ، وانظر الآن فلا تجد فيما تركوه إلا ركاما مظلماً أسوداً ، وتجد جريرتهم واضحة فإنهم هم الذين خدعونا حتى أوصلونا إلى مرحلة التصدع .

لقد قطع هؤلاء الناس صلتهم بالماضى وبالتاريخ والتراث وباللغة والعقيدة والعروبة والإسلام ، وصنعوا صلات جديدة واهية ، هى صلاتهم بالغرب ، بالفكر الغربى وهو فكر مسيحي المصدر مادى النزعة وثى الهدف ، ثم الفكر الماركسى وهو فكر زائف جاء رد فعل للفكر الليبرالى الرأسمالى المتصدع ،

ولذلك فقد كانوا عاجزين عن أن يحدثوا في القلوب رضا أدنى النفوس ولاه ، لم يستطيعوا أن يقدموا مطامح النفس أو أشواق الروح ، لأنهم كانوا يسبحون ضد التيار ، فلما ارتفعت كلمة الله ودعوة الإسلام وجدت الاستجابة الحقيقية لأنها تمثل الفطرة وتقدم للنفس البشرية والقلب الإنساني والعقل الإسلامي مطامحه وأشواقه .

فلما وجدوا أن الدعوة الإسلامية تنطلق لأنها الفطرة حملوا عليها وهاجوها وحارلوا أن يدخلوا نفس المجال ويقتحموه بالكتابة عن السيرة والإسلام ليوجدوا بديلاً تحمله أفلام لامعة لها شهرتها وليكون ذلك عاملاً أساسياً في تقديم البديل الزائف قبل القضاء على الأصل الحق .

ولكن هذا البدائل انكشف أمرها ، وتبين فسادها ، وبان عوارها ، فقد صدرت من منطلق الفكر الغربي فلم تستطع أن تستوعب مفهوم الإسلام الحقيقي الجامع ، القرآني المصدر ، وقد قطت لأنها لم تكن خالصة لوجه العلم وإنما كانت تحاول أن تستجيب لاهواء دفعت الأفلام إليها .

خدعهم المستشرقون وأغروهم بالمناصب والمراكز والموارد وهم المسئولون عن تلك الأجيال المضللة الخائرة التي اختلطت عليها النظرية الليبرالية ، والنظرية الماركسية والنظرية الفرويدية ، والنظرية الوجودية ، لأن هؤلاء الرواد قدموا كل هذا الخليط إلى شباب أمتهم ليفسدوا عقليتها ويحطموا روحها ولكن حركة اليقظة استطاعت أن تفتح الطريق أمام ضوء الحق ، وأن تحدد أمام الأجيال نقطة البدء الأصيلة في كل أمور الثقافة والفكر وهي تبدأ من الإسلام نفسه ، ومن كلمة التوحيد ، ومن الإيمان برسالة السماء التي حددت مسئولية الإنسان في الأرض والتزامه الخلقى وجرازه الأخروى .

لقد أعاد هؤلاء الدعاة إلى الفكر الغربي كل مؤثرات الفكر الوثني القديم ، إخوان الصفا ، والباطنية ، والحلول والاتحاد ، وجروا وراء أوهام الفكر الغنوصي والأغريقي ، وكانوا قناطر في نقل سموم الفكر البشري إلى أفق الفكر الإسلامي ، (م ٢٤ - الإسلام)

ولم يستطع واحد منهم أن يكون مفكراً أيديولوجياً أو عالماً له نظرية ، أو قائم له منهج محدد ، يمكن أن يوصف بأنه فيلسوف أمته ، ذلك لأنهم جميعاً صدروا من فكر الغرب وفلسفاته وأقاموا كتاباتهم على هذه المذاهب التي تختلف كثيراً عن فكرنا وعقيدتنا ، ولذلك فإنهم لم يجدوا تجارباً حقيقية من النفس الإسلامية العربية كان يفجر نفوس هذه الجماعة شعور النقص ومحاولة الاستعلاء بالتقليد ، وكانوا يمحرون وراء فسكرة وهمية صنعت عندهم عقدة التخلف التي كان حلها عندهم هو تقليد الأجنبي صاحب عقيدة التفوق ، وعجزوا عن أن يفهموا أبعاد المسائل ، وخلفيات الأشياء وأن يعلوا أن مصدر النقص هو الغفلة عن المنبع الأصلي عن المصدر الأثر الرباني .

لقد عجزوا عن فهم روح أمتهم وفكرها وتغربوا ، وهزت نفوسهم ماديات الحضارة وخطف قلوبهم بريقها ، فكانوا لا يرون الحضارة في قيمها الخلقية والإنسانية ولكنهم يقصرونها على المعاني المادية ، على المتاحف والقصور والشوارع ، وكأنها كل شيء في الحضارة ، كان التقدم المادي يلبس عقولهم ويسيطر على نفوسهم فينظرون إلى أوطانهم المتخلفة على أنها فقر ويباب ، ولا يرون إلا باباً واحداً لتقدمها هو التحضر المادي .

كانوا يحاولون بذلك ضرب مفهوم الإسلام الصحيح ، وكانوا يحاولون بها إنكار المعجزات وفرض مفهوم ينكر الغيبيات ، ويفرض التفسير المادي للتاريخ .

وكانت من محاولاتهم حجب التراث الإسلامي الصحيح وراء فكرة الانقطاع الكاذبه بين ماضي الأمة وحاضرها ، فلما بدأ التراث الإسلامي يشرق من جديد ويكشف عن جوهره الأصلي زيفوه بكتابات طه حسين عن الفتنة الكبرى وهامش السيرة ، ثم جاءت المرحلة التالية على أيدي الماركسيين الذين اعتبروا أن طه حسين قد فتح لهم الطريق وأزال من أمامهم الكثير من العقبات ، ثم جاء زكي نجيب محمود ليكشف الصفحات المظلمة من تاريخ الفكر الباطني والوثني والشمعوني والمجوسى القديم الذى صارع الفكر الإسلامى الأصلى فى عصر الترجمة

لرذخا من الزمن وجاء إحياء إخوان الصفا والمعتزلة والباطنية والفكر الفلسفي ، وإحياء ذكرى أصحاب الزنج ، والقرامطة الذين سرقوا الحجر الأسود وقتلوا الحجيج إلى بيت الله الحرام باعتبار أن هذا هو التراث الإسلامي الذي يجب تجديده .

لقد جددوا التراث بالفعل ولكنه التراث الزائف المسموم ، لقد أعادوا إحياء التاريخ بالفعل ولكنهم صاغوه في أسلوب الصراع السياسي بين الصحابة الأجلاء كما فعل طه حسين في الفتنة الكبرى ، وهم في نفس الوقت قد حجبوا التراث الحقيقي ، هذا الذي تكشف عنه اليوم أفلام ظاهرة ونفوس نقية .

الفصل الثالث

فلنراجع كل تراكمات الفكر البشري وزبونه

ونحن في نهاية القرن الرابع عشر يتحتم إعادة النظر في كل الأفكار التي يرددها الاستشراق ودعاة الغزو الثقافي : هذه الأفكار التي يقف لها الدعاة بالمرصاد فإذا بهم يعيدونها ويغيرون جلودها بعد أن تضرب ويكشف زيفها ولعل أخطر ما يجب إعادة النظر فيه تلك السموم المبتوثة في الكتب المدرسية . وخاصة في مجال التاريخ الإسلامي من حيث تصوير تاريخ الإسلام على أنه حلبة صراع بين الخلفاء أو أو تصويره على أنه صورة مصطربة من الخلاف والصراع .

كذلك ظهرت الدعوة إلى إعلاء شأن حركات الهدم والتدمير التي كان من ورائها الباطنية والوجودية والمجوسية والقرامطة أمثال حركة الزنج والادعاء بأنها حركات تحرر بينما كانت في مصادرها الصحيحة محاولة للقضاء على الدولة الإسلامية وفتح الطريق أمام عودة الوثنية والفوضى في قلب المجتمع .

وكان من أخطر الدعوات الدعوة إلى تفسير تاريخ الإسلام تفسيراً إقليميياً أو قومياً أو مادياً إقتصادياً في محاولات متعددة قدمها دعاة الافليمية والقومية والماركسية وكلها زائفة وباطلة .

وكانت هناك محاولة لتصغير الدور الخطير الذي قام به المسلمون في سبيل بناء المنهج العلمي التجريبي الذي هو أساس الحضارة المعاصرة ، وهناك من أنكر هذا الفصل إنكاراً تاماً رغبة في القول بأن الغرب هو الذي صنع هذه الحضارة ومن هنا تمثلى نفوس شبابنا بالضعف أمام حضارتهم وعقيدتهم التي هي مصدر الحضارة العالمية مع الايجاب الزائف يحضارة الغرب ولو صدق هؤلاء الباحثون لنسبوا الفضل لاهله ولتكشفوا عن انحراف حضارة الغرب إلى المفهوم المادى الذي كان من أثره ظهور أزمة الانسان الحديث .

وأخطر من هذا كله محاولة تفسير التاريخ الإسلامى بمنهج غير منهجه وعن طريق فهم لا يدخل إلى تقديره رسالة السماء والنبوّة والوحى وتوحيد الله وقدره المعقّدة على تغيير المجتمعات وعلى إعطاء المحاربين القوة التى يتفوقون بها وهم العدد القليل على العدد والعدة .

كذلك فهناك الخطأ الكبير فى اعتبار العامل الاقتصادى عاملاً هاماً فى التأثير على المجتمعات والتاريخ وتطورها فى بلاد الاسلام دون تقدير أثر القيم الدينية والأخلاقية المستقاة من الاسلام والتى هى العامل الأول فى تشكيل الظلم وتطورها ومن هنا فإن نظرية التفسير المادى للتاريخ ونظرية ماركس الاقتصادية تحارب الاسلام تماماً أو كما يقول الدكتور حسن شحاته سعدان : أنه إذا صح أن الدول الأوروبية قد تطورت بحيث وصلت فى العصور الحديثة إلى دول تقدر المادة أولاً فإن ثمة دولاً بالعكس لم يطرأ عليها تطور يجعلها تضحي بالمثاليات الأخلاقية والدينية تحت تأثير العوامل المادية .

وأخطر ما نواجه به من عبارات قولهم : (القديم والقديما والسلف والتراث) وهم لا يقصدون من هذه العبارات كلها إلا معنى واضحاً لا يستطيعون الإفصاح عنه هو الاسلام إنهم ينظرون إلى هذا التاريخ الإسلامى والتراث الإسلامى والعقيدة الإسلامية على النحو الذى نظر به الغربيون إلى تاريخهم وتراثهم وعقيدتهم فنبتد الغربيون تراثهم وعقيدتهم لأنها لم تستطع أن تعطى المنطلق إلى النهضة فقد أنكرت تفسيرات المسيحية التقدم وحاربت العلم وعارضت النهضة ووقفت فى وجه البناء وفسرت نفسها على الرهبانية وكراهية الحياة واحتقار المرأة فحق للغرب أن ينبذ هذه التفسيرات وأن يخرج عليها لأن الدين الحق لا يدعو إلى مثل ذلك . ولكن ما بال المسلمين يجرون وراء هذه العبارات الخادعة ودينهم هو الذى كان مصدراً أساسياً لقيام المنهج العلمى التجريبي وقرآنهم هو الذى قدم للبشرية التفسيرات الصحيحة لما فى هذا الكون وعلم المسلمين البحث عن سنن الحضارات والمجتمعات وبذلك وضع أسس علم الاجتماع والاقتصاد وقدم أصدق تفسير لتاريخ البشرية .

وهناك تلك المحاولات الباطلة لتقديم مناهج: (القومية والعامانية والديمقراطية والماركسية) بديلاً لمفاهيم الاسلام الجامعة في سبيل الاخاء البشرى الجامع ارتفاعاً عن العنصرية والتعصب للأنساب والاروق والدماء ، وهناك العدالة الاجتماعية والشورى القائمة على الرحمة والحق . وهناك تكامل القيم بعيداً عن دعوى العلمانية الباطلة التي اصطنعها المجتمع المسيحي خروجا من سلطان البابوات وظلم رجال اللاهوت وسيطرتهم وحكوماتهم الشيوقراطية التي لم يعرفها الإسلام أبداً بل عاش الإسلام يدفع اتباعه نحو الرق المادى والروحى .

كذلك فهناك الهجوم الدائم على البيان العربى والبلاغة والدعوة إلى العامية وإلى أسلوب وسط بين العامية والفصحى . وكل هذا يستهدف النيل من القرآن الكريم وأسلوب القرآن ومحاولة دائبة على إيجاد فاصل عميق بين واقع أسلوب الكتابة وبين بيان القرآن .

ويتبع هذه الدعوة مهاجمة عامود الشعر وأوزانه وموسيقاه وفوافيه رغبة في القضاء على أصول البيان العربى والمهدف كله أن تحطم لغة القرآن وتدمر . وأن يملو شأن اللهجات الإقليمية وبذلك تعجز اللغة العربية عن أن تستوعب العلوم الحديثة والتكنولوجيا وأن تكون مصدراً للعلم وتطوره وآفاقه الواسعة التي من شأنها أن تنشئ الحضارة الإسلامية الجديدة .

إنها دعوة تصدر عن حقد شديد على وجود اللغة الفصحى وحروفها العربية وما تمثله من تراث مقدس وانتظام شمل العرب كأمة واحدة بالإضافة إلى مئات الملايين المسامين الذين ينتسبون إليها ثقافياً وعقائدياً .

وهناك أسماء لامعة كانت تبرز في صفوف الماركسية والشعوبية قد عادت لتظهر تحت اسم الاسلام ولكنها تحاول أن تدخل سموها ليقال مثلاً أن الشريعة الاسلامية مرحلية أو أنها يمكن أن تتطور أو يمكن أن تعطى أجزاء منها إرضاء لميلان الحضارة كالحذود مثلاً .

وهناك من الكتاب من ظهر تحت اسم الاسلام يحاول أن يتخذ من تفسيرات الباطنية ووحدة الوجود ومفاهيم الفكر الغنوصي القديم مستخرجات لإفساد أصالة القيم الاسلامية ومن ذلك يدعى أن العذاب في الآخرة معنوي أو غير ذلك من مفاهيم منحرفة أو مستفاعة من تفسيرات الأديان والنحل الأخرى المحرفة .

كذلك فإن هناك من يتحدث ويكتب عن الأديان فيقول إن البشرية كانت وثنية في أول أمرها ثم وحدث بنزول الأديان الثلاث وأن أول التوحيد اليهودية وقد وقع في هذا كاتب كبير ويردده الذين قرأوا كتابات اليهود عن تطور الأديان وهو مفهوم باطل فإن التوحيد جاء مع الإنسان الأول والنبي الأول وظل قائماً ثم ظهرت الوثنية ثم توالى الأديان تدعو إلى التوحيد وعاشت البشرية ولم تنقطع عن التوحيد يوماً ولم يتوقف الفكر البشرى عن الإيمان بالتوحيد . وما زال وسيظل إلى أن يزث الله الأرض ومن عليها .

وهناك فكرة التوحيد التي يرددونها عن أخاتون فرعون مصر وهي فكرة زائفة . فإن أخاتون وحد الوثنية حول عبادة الشمس وكانت الوثنيات متعددة الآلهة في أيامه .

وهناك من الكتاب من يتحدث عن السبعة آلاف عام من عمر الاوطان التي دخلت الاسلام: هذا الاسلام الذي جب كل ما كان قبله والذي أنشأ ذلك الانقطاع الحضارى بين عصور الوثنية والفوعونية وغيرها . وما تزال قصة السبعة آلاف عام من الأوهام والخرافات التي ابتكرها بعض دعاة الافليمية والاعتداد بالفرعونية فأين وحدة التاريخ أو وحدة الثقافة المتصلة سبعة آلاف عام فلم يبق اللغة واحداً قولا الدين واحد ولا مفهوم القيم ظل ثابتاً وإنما كل شىء قد تغير وبقي شىء واحد هو (الحنيفية السمحاء) دين إبراهيم وهذا لا يمثل مصر وحدها ولكنه يمثل المنطقة كلها التي تحرك فيها إبراهيم عليه السلام ورفع عليها علم التوحيد الخالص ، وجاء محمد صلوات الله وسلامه عليه بأكمل الأديان وأشملها وأرقاها وأكثرها إنسانية ورحمة للعالمين .

ثم أين ما يسمى بوحدة الثقافة المصرية أو السورية أو العراقية : أن الثقافة مرتبطة باللغة والدين وليست مرتبطة بالأرض .

إن فكرة السبعة آلاف عام هذه أسطورة خادعة بعد أن ثبت الانقطاع الحضارى وتبين أن كل ما كان قبل الاسلام إنما كان تمهيداً للإسلام وما كان في مجمله وثنية وانحرافاً عن مفهوم الدين الحق . فقد كان قائماً على تفسيرات رؤساء الكنائس وانحرافاً عن التسلسل التاريخى بين دين إبراهيم وما جاء به موسى وعيسى وصولاً إلى محمد خاتم الانبياء والرسالات .

إن كل هذا الترويج لأمير المصطلحات الإسلامية إنما هو إنحراف أعادنا الله وإياكم منه . وهذا الانحراف تولد نتيجة البعد عن الاسلام وعن تعاليمه وعن الحضارة وعن الحياة معه فدخلت الأفكار الغربية المدسوسة هذا وحسبنا الله ونعم الوكيل .

الفصل الرابع

ملاحم من أخبار التغريب في الوطن العربي

ما زال مؤامرة التغريب من أخطر المؤامرات التي واجهت الدعوة الإسلامية خلال القرن الرابع عشر الهجري وما زال آثارها ممتدة إلى اليوم ولذلك فنحن في حاجة إلى وعي كبير يمكننا من دفع خطر هذه المؤامرة . وليس من شك أن حركة « تغريب الشرق » أو « تغريب الإسلام » هي دعوة كاملة لها نظمها وأهدافها ودعائمتها ولها قاداتها الذين يقومون بالإشراف عليها ، وهي حلقة من مخطط واسع في تأكيد الاستعمار ودعمه ، قوامها « غزو فكري » يستهدف القضاء على معالم شخصية الأمة وتحويلها إلى صورة غريبة الملامح لعزل المسلمين عن القيم والمثل والتراث الذي يتصل بها والذي كان عاملا على تكوينها خلال الأجيال الطويلة .

كان الاستعمار يعلم أنه بعد أن سيطر على « عالم الإسلام » بجيوشه وقواه العسكرية ونفوذته السياسي لا بد يوماً أن ينسحب ف كان يرى أن يضع مخططاً دقيقاً لإبقاء نفوذه في المناطق التي احتلها ، وكان يرى أن يبقى مقبلاً حتى تتكون الطلائع التي تحلّفه من أهل الأقطار نفسها حتى تؤمن بفكره وتسير في إجماعه وتخدم مصالحه على أن تتكون تلك الطلائع عن طريق التعلم في مدارس وصحفه وكتبه وأن تسير وفق أهدافه وتكون أمانتها للغرب أكثر من أمانتها لأوطانها .

لقد كان الاستعمار والنفوذ الأجنبي يعلم أن السيطرة الكاملة على هذه الأمة أمر مستحيل فإن لها من مقومات شخصيتها القوية الصامدة العنيدة ، ومن أسس فكرها الإسلامي القرآن في ما يحول دون الإستسلام أو الركوع أو الخضوع لأي قوة خارجية أجنبية ، فكان لا بد من القضاء على هذه المقومات وتحويل وجه

الأمة إلى قيم أخرى تدمر كيانها وتفرض عليها التسليم للقوى الخارجية في أن تسود وتمتد وتتوسع ، وبذلك يبقى الاستعمار حياً في صور أخرى من صور النفوذ الفكرى .

إذن فالتهريب أساساً : هو محاولة لتغيير المفاهيم في العالم الاسلامى والفصل بين هذه الأمة وبين ماضيها وقيمها والعمل على تحطيم هذه القيم بالتشكيك فيها وإثارة الشبهات حول الدين واللغة والتاريخ ومعالم الفكر ومفاهيم الآراء والمعتقدات جميعاً .

ولقد صور كرومر منهج هذا العمل الذى اصطنعه الامتعمار حين قال : وأن الشبان الذين يتلقون علومهم في أوروبا يفقدون الصلة الثقافية والروحية لوطنهم ، ولا يستطيعون في نفس الوقت الانتماء إلى البلد الذى منحهم ثقافته فيتأرجحون في الوسط ويتحولون إلى مخلوقات شاذة ممزقة ، وكان هذا بالطبع هو الهدف من الارساليات المختلفة التى غزت مصر وبعض البلدان الأخرى في صورة مدارس وجامعات وفى البعثات الموجهة إلى أوروبا وإلى عواصم الدول المستعمرة وفى هذا يقول جبران : إن الشباب الذى تناول لقمة من العلم في مدرسة أمريكية قد تحول بالطبع إلى معتمد أمريكي ، والشاب الذى تجرع رشفة من العلم في مدرسة يابانية صار سفيراً لفرنسا ، والشاب الذى لبس قميصاً من نسيج مدرسة روسية أصبح ممثلاً لروسيا) وكان هذا هو الحق إلى حد كبير ، فقد غزا الغرب الشرق بحفاف من العلماء والمبشرين والمستشرقين والأثريين والصحفيين ، وشيدت مؤسسات ضخمة في مختلف عواصم العالم الاسلامى تفتح أبوابها لثقافات بلادها وبدأ هذا النفوذ الفكرى يعمل ويسيطر في مجالات المدرسة والجامعة والصحافة والثقافة والتربية والسينما والاداعة .

وهكذا كان التهريب عملاً خطراً دقيقاً قوامه محاربة القيم التى عاشت عليها أمتنا ، في أسلوب مغلف بالضباب ، يحاول أن يثير غمامة كثيفة من التشكيك

والاستهانة بكل مالدنيا من قيم باسـم القديم ، البالى الموروث ، ولم تمض سنوات قليلة حتى كان ابرز العاملين فى الصحافة من هذه الدول العربية من هؤلاء المتنكرين لقيمنا الذاهبين مع التغريب فى طريقة وقد ظلت الصحف الوطنية تسقط واحدة بعد أخرى ، نديما ظلت الصحف التى تخدم التغريب تقوى وتتسع . وفى مجال الترجمة كان الهدف هو بث فكر جديد هوامه القصص المكشوفة والآراء المسمومة وفى مجال المدرسة كانت تقدم الكتب التى تنقض من قدر أمتنا ، وتصمم تاريخنا بالضف وماضينا بالذلة ، وسيطر على الجو الفكرى كله بناء هدام قوامه الاستهانة بكل القيم وفى مقدمتها القيم الإسلامية وهذا ما تراه وضحا فى بعض الدول العربية كما فرضت الحضارة على بلادنا أسوأ ثمراتها ، ولم ترسل لنا الا تجارة الكماليات فى مواد الزينة والهوى بغية تحطيم كيان المجتمع ، وبدت فى جو مجتمعنا العربى تدعو إلى الزخاوة والمتعة واللذة والتخلص من كل القيود .

ولقد كانت هذه الدعوة تستهدف تدهير القيم الأساسية لهذه الأمة ، قيم المقاومة والصلابة والتصميم والعزم بغية تحويل نظر الأمة عن الجهاد والتضحية والفداء من أجل أوطانها . ودينها وقيمها ومثلها . .

عملت حركة التغريب فى عدة ميادين ، بدأ العمل فيها غريبون نزلوا إلى المعركة ثم اسلخوا مقاليد الأمور من بعد إلى كتاب من العرب من أصحاب التبعية والولاء للاسمعار ، وكانت كلمة حرية الفكر التقدمية ومقاومة الرجعية والتجديد والتطور من الكلمات البراقة التى لعبت دورا كبيرا فى خداع المثقفين .

ولقد اتخذت حملات التغريب على القيم والمقومات والتاريخ واللغة والعقائد مظهرا عليا براقا لم يخل من التعصب والهوى والحقد ، والاستعلاء ، وإنكار فضل العرب والمسلمين على الحضارة .

لماذا حرص الغرب على الغزو الفكر الاسلامي واخضاعه لسيطرته بادوته
ووسائله الممثلة في التبشير والاستشراق للاجابة على هذا لا بد من العودة إلى
ماض طويل : قال فيه « وزرائي ، رئيس وزارة بريطانيا أنه لا سبيل إلى بقاء
النفوذ الاجنبي في البلاد مادام مدة الكتاب باقيا في الارض وأشار إلى القرآن
الكريم وعندما وقف اللورد النوبي في القدس ١٩١٨ بعد أن دخلتها جيوش الحلفاء
وأعلن أنه لأن قد انتهت الحروب الصليبية وكانت الحروب الصليبية قد
انتهت عام ١٢٩١ م ومضى عليها أكثر من سبعة قرون . غير أن الغرب لم ينس
أنه يطمع في الثأر من الاسلام باعادة السيطرة على العالم الاسلامي مرة أخرى ،
فاذا كانت الحروب الصليبية قد فشلت من قبل فان الاستعمار قد استطاع أن

يحقق عام ١٩١٨ ما عجزت عنه الحروب الصليبية وهو تمزيق العالم الاسلامي
واسقاط الدولة العثمانية والسيطرة على مقدرات المسلمين . والواقع أن هذه
السيطرة العسكرية كانت الخطوة النهائية لخمسة قام بها الغرب في سبيل تأكيد
نفوذه منذ أوائل القرن التاسع عشر بغزو بريطانيا للهند وهولندا لاندونيسيا
وفرنسا للجزائر .

ولما كانت ثقافة العالم الاسلامي المستمدة من القرآن تقوم أساسا على روح
الحرية والقوة والجهاد ومقاومة كل من يحاول السيطرة عليها أو اغتصاب مقدراتها
فقد كان النفوذ الاجنبي حفيا بأن يقضى على هذه المقومات الاساسية بافسادها
وأدخال الشبهات والشكوك إليها ، ومن هنا بدأت حركة التغريب تنمو في ظل
التبشير والاستشراق وتجري محاولتها الاساسية في افساد مفاهيم الاسلام واللغة
العربية والقرآن وتزييف التاريخ وأدخال مناهج ومفاهيم مضطربة متناقضة
ودعوات تتعارض تجمل ألوية الالحاد والإباحية والتحلل والشعوبية ، وتدعو
إلى الاقليمية والقومية الضيقة والعنصرية والمادية والوجودية وتثير دعوات
الفرعونية والبابلية والاشورية والقومية الضيقة والبربرية على نحو مثير غريب لاحد

لأندفاعه وتحوله . ومن خلال حركة التغريب ، بررت دعوة الشعبوية ، التي تقوم أساساً على احتكار التراث الإسلامي وبث الشكوك في التاريخ والأدب واتهام الإسلام بالقصور والتخلف . ومن هنا تداخلت حركة التغريب والشعرية تداخلاً خطيراً وفيها يحمل اللواء كتاب غريزون ومستشرقون ويتبعهم كتاب عرب وتقوم صحف واسعة الانتشار ودور نشر ضخمة في بعض العواصم العربية بالدعوة لما يقدمونه إلى شباب العرب والإسلام من سموم .

وأبرز ما تهدف إليه حركة التغريب : هي تغير المفاهيم الأساسية والقيم الأصلية للأمة والقاء بذور الشبهات حول كل قيمة ومفهوم ، في مجال العقائد والاجتماع والتاريخ مستهدفة إحلال مفاهيم الفكر الإسلامي في قضايا المجتمع والمرأة والدين والسياسة والاقتصاد والترفيه . ولا شك أن محاولة فرض مفاهيم الغرب لقيمنا من شأنه أن يترك آثاراً بعيدة المدى ويحدث تحولاً غريباً في كل أوضاعنا ومقدراتنا .

ولقد امتدت حركة التغريب من خلال مؤسسات التبشير والاستشراق واستطاعت أن تكون لها مراكز وقوى ودعاة وأعوانا في ظل النفوذ الاستعماري في البلاد العربية ، هذه المراكز ظهرت أثارها بعد أن انحسر سلطان الاحتلال ، وفرض وجهة نظر خطيرة كان لها أبعاد أثر في تجول المجتمع الإسلامي من طابعه الإسلامي إلى طابع علماني .

الفصل السادس

مواجهتنا القائمة

مع الفكر الغربي الوافد

لا ريب أن أبرز مظاهر القرن الخامس عشر الهجري وأعظم طوابعه هو :
تمكن أهل الدعوة الإسلامية من الوقوف موقف المواجهة مع الفكر الغربي الوافد
بذوقه الغربي والماركسي ، أو في محاولاته من خلال مبادئ السياسة والاجتماع
والاقتصاد والتربية ، ومن آفاته المستمدة من النفوذ الاستعماري أو الهوية الماركسية
أو النحلة التلبودية الصهيونية ، فإن هذه الغيوم السوداء ما تزال قائمة في سماء الفكر
الإسلامي بهدف تطعيه أو احتوائه ، أو السيطرة عليه وتحويله عن جوهره
ووجهته .

التوحيد الخالص :

وإن هذه المحاولة قد قطعت شوطاً طويلاً خلال القرن الرابع عشر الهجري
عن طريق إرساليات التبشير ، ومخططات الاستشراق ، وعن طريق أساليب
الصحافة ، ومن خلال برامج التعليم ، وفي طوايا المسرحيات وروايات السينما ،
وفنون الرقص والغناء وعلب الليل ، وكلها تستهدف القضاء على الأصالة الإسلامية
وتجميع الطوابع الإسلامية الثابتة ، وهذا المدمم القيم الأساسية التي قام عليها التوحيد
الخالص ، شريعة الله الخالصة الحق التي لا يحملها في هذا العصر إلا أهل القرآن
ومن تابعوا محمد صلى الله عليه وسلم ومعتقدوا الإسلام في عقيدة خالصة ربانية ، قادرة
بسموها وكما لها على مواجهة الفكر الذمري المتجدد بوثنيتها وماديته ، ودحض أهوائه
وشبهاته ، وتقديم رسالة الفطرة والحق والخير إلى البشرية جميعاً .

ولقد بدأت هذه المواجهة مع الفكر الغربي منذ وقت طويل ، وما زالت قادرة

على مزيد من العطاء لاطلاع فلق الصبح الازهر لسكنة الله العليا ، ودحض كل زيف من رياح السموم .

ولقد انعقد العزم بين علماء المسلمين من خلال مؤتمراتهم المتعددة في السنوات الاخيرة ، إن الوقت قد حان لإزاحة الاضاليل والتغليطات التي بذرها وغرسها ودعا إليها بعض قادة الفكر الغربيين من المذاهب والمبادئ المادية المنحرفة ، وهي التي إنساق وراءهم فيها من يسهون أنفسهم بدعاة التحرر والتجديد .

النظريات الغربية :

وفي مقدمة هذا ، تلك النظريات المادية التي انطلقت أساساً من النظرية الدروانية التي تقول بانحدار الإنسان من سلالة القرود ، وقد تبين عن طريق البحث العلمي والحفريات فساد هذه النظرية ، ولكن دعاة الباطل اتخذوها أساساً لنظريات عديدة ظهرت واستثمرت لهدم العقائد ، ولتخطيط الشخصية الإنسانية .

ومن ذلك (نظرية الجنس) التي فلسفها ودافع عنها فرويد ، والتي تقوم بالتفسير الجنسي للتاريخ والمجتمعات وتصرفات الإنسان .

ومنها أيضاً نظرية التفسير المادي للتاريخ التي فلسفها ودعا إليها ماركس ، والتي تقول بأن هدف الحياة كلها له وجهة واحدة : هو الطعام والمعدة .

ومن هذه النظريات خرجت كل دعوات الوجودية والهيبة ، ومفاهيم الفساد الخلق والاجتماعي التي دمرت المجتمعات الغربية ، ودفعتها إلى أزمة الإنسان المعاصر ، ووجهت العلم والحضارة وجهة مادية خالصة .

هذه النظريات لم تتوقف عند حدود الحضارة الغربية والمجتمع الغربي ، ولكنها زحفت إلى المجتمع الاسلامي والفكر الاسلامي ، وحاولت التأثير فيه على الرغم من اختلاف الوجهة والهدف والمفاهيم بين الفكر العربي (بشقيه) المستمد من الفكر الوثني اليوناني بأساطيره وماديته ، وبين التفسيرات النصرانية الغربية التي كتبها السكهان والتي ليست من النصرانية المنزلة ، ومن حصاد ذلك الفكر التلويدي

القديم الذي صنعه اليهود على مدى العصور، وحاولوا به هدم دعوة التوحيد الخالص والذي استعلى في القرن الأخير حين حوله دهاقنة اليهود التلمودية إلى صورة علوم ومذاهب ونظريات خدع بها كثير من المسلمين فاعتنقوها تحت تأثير أهواء النفس ومطامع النفوذ والسلطان ، بد أن احتضنت الجامعات الغربية عديداً من أبناء المسلمين واستطاعت إحتواءهم ، ولقد خدعت هذه المواجهة التي أطلق عليها اسم: التجديد والتقدم المصرية ، الكثيرين ، ثم تم كشف بعد وقت طويل فساد هذه الوجهة وظهرت النتائج الخطيرة التي تحققت بالهزيمة والنكبة والنكسة، وكيف استطاعت الماهج الغربية أن تنشئ أجيالاً ضالة ضعيفة منحلة مهزومة ، لم تستطع مواجهة التحدي الخطير فاستطاع العدو النفاذ إلى قلب العالم الاسلامي والسيطرة على أرض المقدسات وتهديد القلاع الصامدة ، وضرب هذه الامة في أعز ما تملك ، وكان تماماً ذلك اللقاء الحثي بين القوى المعادية للإسلام في مخطط واحد .

تزييف مفهوم الأصالة :

ولعل أخطر ما يواجه الفكر الاسلامي في مطالع القرن الخامس عشر الهجري تلك المحاولة الماكرة التي يصطنعها نفر من يطهرون الوجهة الاسلامية في كتاباتهم ويتخفون أهدافاً ماكرة هدامة ، تلك هي مؤامرة ضرب الاسلام من الداخل التي دعا إليها دعاة الفكر الوافد وكشف عنها جارودي في كتابه (ماركسية القرن العشرين) .

هؤلاء الذين كانوا يقاومون الوجهة الاسلامية عامة فلما وجدوها قد رسخت انضموا إليها في محاولة للتشكيك في خطوات تطبيق الشريعة الاسلامية وفي محاولة لتزييف مفهوم أصالة الإسلام وذاتيته الخاصة اما بالادعاء بأن الأديان كلها واحدة من عند الله ، وهو قول ظاهره حق ولكن باطل في جوهره ، لأن الأديان السارية فيها عقد متصل يصل بين أولها وآخرها وأن؛ من أربابها قد أزالوا هذه الصفة وأعلوا طابع العنصرية وزيفوا كثيراً من الحقائق ، فانفصلت تلك الأديان عن

الحنيفية السمحاء التي جاء إبراهيم عليه السلام لإماماً لها ، والتي جاء محمد صلى الله عليه وسلم مكملًا لها وخاتمها .

فنحن نرى اليوم من دعاة الماركسية القدامى من يتحدثون عن الشريعة الإسلامية والتفسير القرآن للتاريخ ثم هم لا يلبثون بعد أن يكسبوا ثقة بعض القراء السذج أن يغمزوا الشريعة الإسلامية وينكروا حق تطبيقها في العصر الحديث أو يتولى بعضهم تفسيرات باطنية للجنة والنار ولأمور أخرى بما جاء به دعاة الحلول والاتحاد ووحدة الوجود وبما هو مخالف لمفهوم أهل السنة والجماعة .

ولقد واجهت حركة اليقظة تلك المحاولات المتعددة التي تخفت في أنواب الآداب والفلسفة لترويج الأفكار الباطنية على أنها أدب ، أو ترويج الأفكار الإباحية على أنها فن ، ومن ذلك الحديث عن العلاج والسرور ودي وابن عربي وأبي نواس وبشار ، ومحارلة تصوير الصحابة على أنهم مجموعة من السياسيين المحترفين كما حاول طه حسين ، أو تفسير تاريخ الإسلام على أنه هجرة إقتصادية بحثاً عن الطعام .

حركة التغريب :

ولقد حاول هاملتون جب ، في منتصف القرن الرابع عشر الهجري قياس ما أطلقوا عليه (تغريب الشرق) أو تغريب الإسلام فقساء في كتابه (وجهة الإسلام) فقال :

إلى أي مدى أصبح العالم الإسلامي غريباً ؟

وأجاب مستعرضاً نفوذ الثقافة الغربية في العالم الإسلامي بلداً بلداً ، ثم عقب على ذلك بقوله :

نستطع أن نقول حسب سير الأمور الآن : ان العالم الإسلامي سيصبح خلال فترة قصيرة د لا دينياً ، في كل مظاهر حياته ما لم يطرأ على الأمور عوامل لبست في الحسبان فتغير لإتجاه التيار .

(٢٥ - م الإسلام)

كتب ذلك ، هاملتون يجب ، عام ١٩٢٨م تقريباً ، ولم يدر بخلقه أن حركة اليقظة الاسلامية التي انطلقت في ذلك الوقت استطاعت أن تغير هذا الوضع وأن تكشف كثيراً من الحقائق وأن تدحض كثيراً من الشبهات حتى ليتمكن القول .

إن العالم الاسلامي الآن على إيمان جامع بخطور التحدى الذى طرحته شبهات التغريب والغزو الثقافى ، وأن حركة اليقظة الاسلامية قد نجحت في كشف هذه الوجهة الخفية والرد على تلك الشبهات .

يقول الفيلسوف الاسلامي محمد إقبال :

• على المسلم المعاصر أن يحذر الوقوع في الخطر الذى يكمن فيما ينطوى عليه الفكر الاوروبى الجديد من الحاد خصوصاً وأن أساليب الخداع فيه كثيرة فقد انخدع به كثيرون من المسلمين كما انخدع بالفعل به بعض الدعاة في الهند ، فعلياً أن نعيد النظر في فكرنا الإسلامى من جانب ونمحص هذا الفكر الجديد بروح مستقلة يقظة من جانب آخر .

إن أخف الاضرار التى أعقبت فلسفة الغرب المادية ، هى ذلك الشلل الذى اعتري نشاطه والذى أدركه (هكسلى) وأعلن تحفظه عليه .

والشيوعية الملحدة - ولها كل ما للدين الجديد من حمية وحرارة - نظرة أوسع أفقا ، ولكنها قد استمدت أساسها الفلسفى من المتطرفين من أصحاب مذهب (هيجل) فقد أعلنت العصيان على ذات المصدر الذى يمكن أن يمدّها بالقوة والهدف وهى ليست بقادرة على أن تشفى علل الإنسانية .

المسلم القوى :

• على المسلم أن يقدر وضعه وأن يعيد بناء حياته الاجتماعية على ضوء المبادئ القاطعة في الإسلام كبدا التوحيد وختم الرسالة .

إن المسلم القوى الذى أنشأته الصحراء وأحكمته رياحها الهوجاء أضعفته رياح
المعجم فصار منها كالنأى نحولاً ونوحاً ، وأن الذى كان تكبيره يذيب الأحجار
انقلب وجلاً من صفيير الاطيار ، والذى هز عزمه شم الجبال غل يديه ورجليه
بأوهام الإنكار ، والذى كان ضربه فى رقاب الأعداء صار يضرب صدره فى
اللأواء ، والذى نقشته قدمه فى الأرض ثورة كسرت رجلاه عكوفاً فى الخلوة ،
والذى كان يمشى على الدهر حكمه ونقف الملوك على بابه رضى من السعى والتفاعة
بذلة الاستخذاء والخنوع . ١ . هـ

الفصل السادس

عقبات طريق النهضة الإسلامية

في مواجهة الحضارة الغربية

إن حصار الغرب تمر اليوم بمرحلة الانهيار والهزيمة والتحلل وهو الدور الذي مرت به من قبل حضارات الرومان والفرس وكل حضارة خرجت عن القيم الدينية والأخلاقية وانحدرت إلى الترف والإباحية والفساد .

ومع أن هذه الظاهرة واحدة تماماً في عشرات من الصور والمواقف فإن دعاة التغريب ما زالوا أمثال حسين فوزي ولويس عوض وغيرهم يكذبون على أهلهم وغيرهم بتصوير هذه الحضارة على أنها المثل الأعلى والغاية المرتجاة لكل ثقافة وأمة ولو أننا قد برنا قليلاً ما يقوله أمثال جبريل جبر في كتابه (القيم الخفية الثابتة) حين يقول ، إن الغرب تعس ومتخلف يحكمه القانون العلمي في كل شيء حتى غدا الإنسان ما كينة فكل شيء لاهداف له ولاخلاق له ولاقيم له إن كل ما يملك هو القدر على التصنيع والقدرة وحدها قد تدمر والإسلام يحقق لا بالشفاه ولكن بالقلب والعمل معا :

وقد أشار إلى معاني الفساد في الحضارة الغربية باحثون كثيرون في مقدمتهم (والتر شوبارت) الذي يقول : إن الروح الغربية يتفشى فيها الخوف والقلق وهي شديدة الإثارة نزاعة إلى الفردية محبة النفس ، صحيح أن الغرب قد جعل الإنسانية ذات تراث واسع بتفوقه في الصناعة ولكنه جرد الإنسان من الروح وسيفقد الغرب زعامته ويصبح لا يمثل الطراز الإنساني في الغالب وكثير من ذوي العقول الراجحة يتوقعون أن يروا نهاية الثقافة الغربية البالية وهم يشعرون بفقرها وإفلاسها ويتطلعون إلى ثقافة تخلفها ، إن الفرد من خلال هذا النموذج

الثقافي - الغربي لا يعي روحه وإنما يهيمه فرض سلطانه وتوسيع دائرة نفوذه وقد ينجح الفرد في تغيير وجه الأرض ولكن هذه الثقافة أخذت تملأ سماها السحب وتومض حولها البروق وتقصف بها الأعاصير وأوربا تنزلق إلى الهاوية وتقرب من النهاية ولا شيء يستطيع دفع هذا المصير المظلم .

والحقيقة أن هذا المصير المظلم الذي يوجه البشرية يستطيع شيء واحد رفعه هو (الإسلام) من خلال مفهوم العودة إلى الله وربط الأسباب كلها بصانع الأسباب وخالق كل القوى في عالم الطبيعة وعالم الإنسان .

وقد وصف سولجستين الحضارة الغربية المعاصرة بالهزيمة والتدمير وقال إن أعجب ما يلاحظه المراقبون الأجانب في الغرب هذه الأيام هو الانهيار في روح الشجاعة في مواجهة الشوفينية والشيوعية أنهم مصابون بالشلل عندما يواجهون القوى المهددة لأمتهم ومنها الارهاب الدولي ويتساءل : هل انهيار روح الشجاعة هو بداية النهاية ويقول إنه لما يساعد على هذا الغزو الذي يثير الاشمئزاز لحياة الفرد الخاصة بواسطة البرامج الغبية في التلفزيون والموسيقى التي لا يمكن احتمالها أن الدفاع عن حقوق الغرب قد وصل إلى أبعاد متطرفة بحيث أصبح المجتمع كله أحياناً يقف عاجزاً عن مواجهة أشخاص معينين . إن السطحية والاستعجال هما مرض القرن العشرين يبدو ذلك واضحاً في الصحافة ، لقد أصبحت الصحافة أقوى من السلطة التشريعية والتنفيذية ومن سلطة القضاء .

إن المعركة من أجل بقاء كوكب الأرض قد بدأت فعلاً إن قوى الشر قد بدأت فعلاً هجومها ونسطيع أن نتحسس ضغطها في كل مكان ، ورغم ذلك فإن شاشات التلفزيونات الغرب وصحفه حافلة بالابتسامات والكؤوس المرفوعة

لتبادل الانتخاب ، لقد وضعنا كل أماننا في الغرب للإصلاح الاجتماعي والسياسي
واكتشفنا بعد ذلك أننا مخدوعون .

وهكذا نجد الأمور قد صارت واضحة لهم ولكن ما بال أهلنا في العالم
الإسلامي ما يزالون في خدعة عميقة تجاه هذه الحضارة المنهارة وما زال يريقها
بملاء عيونهم وأرواحهم :

إن الغربيين اليوم يبحثون بعد إفلاس الحضارة الغربية عن طريق : هذا
الطريق نشعر نحن المسلمون أن لدينا مفاعيلها ، نعم إن فكرنا الإسلامي الأصيل
قادر على أن يقدم لهؤلاء ما يبحثون عنه إن هؤلاء القوم معذورون لأن طبيعة
المفهوم الذي جاءهم عن الدين لم يكن كاملا والإنجيل الذي أنزل على نبي الله عيسى
عليه السلام لم يكن ديننا مستقلا ولذلك فإنه ما كان ليقود حركة الحياة . لقد أنزل
الله تبارك وتعالى الإنجيل على عيسى عليه السلام ليكمل النقص الذي وجد في
بنى إسرائيل حين انصرفوا إلى المادة انصرفا كاملا حتى أنك حين تقرأ التوراة
المكتوبة بأيدي الأحبار فلا تجد فيها كلمة واحدة عن اليوم الآخر ، لقد أعلوا
شأن المادية حتى دعوا إلى أن يروا الله جبهة ، من أجل ذلك كان لابد أن يأتي
الإنجيل ليقدم شحنة روحية ويكمل النقص الذي منى به بنو إسرائيل فلما
انفصلت المسيحية عن اليهودية كانت المادة كلها في جانب والروحية في جانب .
لما الإسلام فقد جمع المادة والروح وأمور الحياة ومطامع النفس ولذلك فقد
نص القرآن على أن نبي إسرائيل أهملوا القيم والروحانيات وأن أهل الإنجيل
أهملوا الدنيا أما أهل الإسلام قد جمعوا بين الجانبين .

لقد قدم الإسلام مفهوم الحضارة الانسانية الجامعة ، حضارة العدل والرحمة
والإخاء الإنساني على أساس تحرير الإنسان من عبودية الوثنية ومن عبودية
الإنسان وأن يكون الإنسان مستخلفا في الأرض لبناء المجتمع الرباني وأنه
مسؤول وملتزم أخلاقيا ويؤمن بالجوارح والبحث والحساب ويؤمن بأن الكون

قد خلقه الله تبارك وتعالى وأنه مصدر العلم الشامل والمعرفة الحقيقة لجميع البشر ولقد أعطت الحضارة الإسلامية البشرية هذا المفهوم العميق كما أعطتها المنهج العلمي التجريبي وإذا كانت قد توقفت عن العطاء فإنها مؤهلة للعودة كرة أخرى إلى أداء واجبها في بناء الإنسانية الراشدة بعد أن أثبتت الحضارة الغربية فشلها في أداء هذه الرسالة .

ولقد هوجمت الحضارة الإسلامية من طرف الغرب هجوما شديدا وتذكر لها بعد أحرز زبدة علومها ومعطياتها ولكن الحق يعلو مهما اشتد التنكر له فقد عاد المثقفون يعترفون بالفضل ويرون أن البشرية لن تستطاع أن تحقق مجتمع الرحمة والعدل والإخاء إلا إذا عادت إلى الإسلام كرة أخرى .

إن الحضارة الإسلامية بمفهوم القرآن تهدف إلى قيام المجتمع الإسلامي الصحيح الذي يجمع بين توفير الحاجيات المادية والحاجات النفسية وضمان تحقيق التوازن بين الأمرين ولقد أصبحت المبادئ الإسلامية على نحو يجعلها رمزا للضمان الحقيقي للأمن والكرامة والضوابط التي تحتويها لا تعارض سنن التطور في الحياة البشرية من جهة وتضمن توفير حاجيات البشرية بنوعها من جهة أخرى .

إن على المسلمين الذين ما زالوا مخدوعين في الحضارة الغربية والذين يحاكونها محاكاة عمياء ، وعلى هؤلاء أن يتذكروا ما قاله برتراند رسل الفيلسوف الإنجليزي من أن الناس في الغرب غير قادرين على تطوير الجانب الإنساني من الحياة بالسكمية نفسها التي تتقدم بها الناحية المادية وإن كل خطوة إلى الأمام في المخترعات المادية هي خطوة نحو فناء الإنسان فعلينا أن نكون دائما على يقظة فلا نلحق بأنفسنا تحت رحمة هذه الحضارة، إن علينا أن نأخذ منها ما ينسجم وإسلامنا ونلحق عن كواهلنا عفنها وفسادها وهذا أمر ميسور حين نؤمن بالإسلام عن بينة وهدى والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم أو كما يقول الألماني محمد صديق من أن الحضارة الغربية لا تضع حلا لغير مشكلات الحياة للمادية ونحن نشاهد أثرها المدمر على الحياة الإنسانية فقد تحطمت الأسرة كما جمدت صلوات المودة بين الأفراد ولذا فإذا شئنا أن نكون بشرا بحق ونتصرف تصرفات إنسانية أن نعرض لإعراضا كاملا عن التفكير الاعمي للحضارة الغربية .

الفصل السابع

من التبعية إلى الاصاله

كشفت حركة اليقظة الإسلامية ، فساد مفاهيم ومصطلحات كثيرة مطروحة ، كالمسلات في افق الفكر الإسلامى ، كان هذا الكشف هو أعظم ثمرة اقتطفها الفكر الإسلامى فى القرن الرابع عشر الهجرى . الذى لم يكذ ينتصف حتى كانت شعلة اليقظة قد اندلعت تضى وتحوق . تضى أمام المسلمين ذلك المفهوم الذى كان قد أوشك أن ينطوى ، وهو مفهوم الاصاله والحفظ على ذاتية الإسلام وتحرق آمال التغريب فى وجود حقيقى على أرض الإسلام .

كادت محاولات التغريب والغزو الثقافى أن تفرض مفهوما مسيحيا أو وثنيا يقصر الإسلام فى حدود المساجد والعبادات . يفتح الطريق أمام القانون الوضعى والاقتصاد الربوى ، والعلمانية فى التربية والتعليم ، بأن تنطلق لتخرج جيلا أطلق عليه بعد . قانون نابليون ، فقد كانت المحاولة كما عرفها عشرات من اعلام الإسلام هى ، اخضاع ثقافة الإسلام لمفاهيم الفكر الغربى المحتوى أساسا من اليهودية التلودية ، ، والذى استسلم بعد الثورة الفرنسية لها ، فأحل الربا وعزل التربية الدينية عن المدرسة ، وقد ظل كروهر فى مصر وأمثاله فى المغرب والمشرق يحملون لواء دعوى التغريب ، وقد امتد ذلك إلى تركيا وفارس (شطرى الوحدة الإسلامية) وذلك رغبة فى تمزيق هذه الوحدة الإسلامية الجامعة .

ولم تلبث تركيا أن سقطت فى براثن الاحتواء التعزيبى . فانفكت هذه الوحدة ، وسقطت أغلب البلاد العربية فى ايدى الفوذ الاجنبى ، حتى كان قد ذلك اسقاط الخلافة الإسلامية فى منتصف القرن الرابع عشر الهجرى ، ثم سقطت فلسطين ثم بيت المقدس فى ايدى الصهيونية ، فانبكشت التجربة التى ادخلها

النفوذ الاجنبى بواسطة أعوانه واتباعه عن فساد القول ، بأن فكر الغرب أو حضارته تستطيع أن تدفع المسلمين إلى التقدم والنهوض ، تبين بما لا مجال للتردد في قبوله أن الاصلالة الإسلامية والاستمداد من المنابع الأصلية هى وحدها مصدر النهوض ، وأن الاحتفاظ بالذاتية الإسلامية هى أعظم التحديات التى يجب أن يقف أمامها المسلمون مجاهدين ، بكل ما يملكون من قوة ، ومضحين في سبيلها بكل مظهر من مظاهر التقدم الخادعة .

ولقد أعطتنا حركة اليقظة الإسلامية منذ منتصف القرن الرابع عشر حقيقة أساسية هى : أن النفوذ الاجنبى قد قرر ، تأمرًا منذ وقت بعيد . أن يقضى على هذه الذاتية وصهر المسلمين وفكرهم في بوتقة الاممية والعالمية ، وذلك بأفساد مفاهيم الإسلام الأصلية ، وصب السموم على حقائق الإسلام المضيفة ، وذلك بأثارة الشبهات حول الحقائق الأساسية ، وخاصة ما يتعلق بالجهاد والتوحيد والفتح الإسلامى والشريعة الإسلامية .

وقد طرح الفكر الإسلامى في هذا المجال قضايا عدة محاولا أن يجعل الإسلام دين الله الحق مماثلا للتفسيرات التى كتبها الأحيار والرهبان ومن ذلك فكرة التطور فى الدين والأخلاق ، وفكرة التطور لا تسكون ألا بالنسبة للفكر البشرى الناقص الذى يحتاج إلى الاضافة والحذف . . . أما الإسلام الذى جاء أطارا مرنا قادرا على مواجهة مختلف البيئات والعصور ، فانه لا يخضع للتطور ولا يحتاج إليه : وأن لابد يستند بالأساليب الحديثة المتطورة فى إبلاغ دعوته .

التفسير المادى :

كذلك فقد آثاروا فكرة للعقل والعقلانية ، ولم يتبينوا أن العقل خادم لادعى ، وأن العقل وحده لا يستطيع أن يقدم شيئا محررا وكذلك الظن ، قسا أحد منهما ألا أثر للبيئة والقناة والوسط الذى يعيش فيه وليس العقل معصوما وإذا، تخلص العقل من أطار الدين وتخلص الظن من سيطرة الدين فانه قد يوحى بالفساد ولا ريب أن مفهوم الفكر الغربى القائم على تفسيرات المسيحية

(الصلب والخطيئة والتبليث من ناحية والفكر اليوناني الوثني من ناحية والقانون الروماني الذي يقر عبودية الإنسان المستعبد ، ولا يرى أنه يستطيع أن يكون سيدا حتى ولو تولى الملك ، هذا الفكر يختلف مع الفكر الإسلامي في أدق دقائقه ، واعمق أعماقه ، هذا الفكر القائم على التوحيد وتحرير العقل البشري من الوثنية ، وتحرير الإنسان من عبودية الإنسان ، والقائم على الاخاء البشري والرحمة والغيرة ، والحفاظ على العرض ومن هنا تختلف المقاييس والقوانين ولا تصلح مقاييس الغرب وقوانينه وخاصة مايسمونه التفسير المادى للتاريخ في الحكم على الاسلام وتأييده رقيقه .

والمستشرقون والمبشرون الغربيون لم يقبلوا على الفكر الاسلامى بروح التجرد أو الرغبة في فهم الاسلام لاعتناقه إذا كان الحق ، وإنما عمدوا على دراسته بعقائد مسبقة وفكرة سابقة ، ومن خلال هوى النفس والتعصب والاستعلاء العنصرى ، فكانت أحكامهم بعيدة عن الحق السلام والعلم وقد صور ذلك (فيليب حتى) حين قال : (لقد اقبل الأوروبي كقاعدة على دراسة الاسلام أما لتعصير المسلمين أو لخدمة المصالح الاستعمارية وكان لتعصب الغربيين اقومى ، وحاستهم الدينية وجهلهم المطبق ، أثره الفعالم أيضا . وكان استمرار تداول الاساطير الغربية عن النبي وعداء النصارى لديانة توسعية منافسة وما خلقتها الحروب الصليبية من ذكريات مريرة ، كل ذلك حال دون قيام دراسة موضوعية متحررة للاسلام .

واقد احتوت التلويدي الصهيونية الفكر الغربى في مطالع القرن التاسع عشر ، كمحاولة لإحتوائه وتوجيهية وجبتها ، ثم فرض هذه النفوذ على الفكر البشرى كله وعلى الفكر الإسلامى خاصة فكان أن طرح في أفق فكرنا الإسلامى الصافى الناصع نظريات مظلمة فقد حطم (داروين) حقيقة أن الانسان سيد الكون والخليفة ، وحطم (ماركس) مفهوم المعنويات وصير الانسان خاضعا لمعدته وحطم (فرويد) مفهوم العفة والعرض ، وضور الانسان بصورة

الحيوان أما (نذمه) فقد دعا إلى قتل العاجز أو تركه يموت دون العمل على شفاؤه وإبادة الضعفاء .

وكان من أخطر من ذلك كله نظرية (ديوى) فى التربية ، التى تقول أفعل ما تشاء ، التى تطلق حرية الأبناء فى التصرف دون توجيه أو رعاية من الآباء ، وواتجاه فاسد كشف الغرب أخيرا آثاره السوداء وإنحرفت به الحضارة ، ومرت به المجتمعات والاسرة .

ومع الاسف فان العالم الإسلامى بعد أن تحرر من احتلال الغرب العسكرى والسياسى ، تبين له أنه سقط تحت سيطرة فكره ومفاهيمه ، ليأخذوا من الغرب أسلوبه ومنهجه ، بينما كان الهدف أن يستكشفوا جوهر فكرهم (هذا الإنسان الغربى الضال من أفلاطون إلى ماركس) وأقد بذل المسلمون جهدا ضخما فى سبيل إنهاء السيطرة الغربية والحصول على الحرية السياسية ولكن تبين لهم أن الخطر الحقيقى ما زال موجودا فى معاهد التعليم وفى النظم الاقتصادية ومفاسد العائلية وشبهات الوجودية وسوم الماسونية .

ويرى كثير من المصلحين الاجتماعيين المسلمين ، أن المعنى الذى حاول الاستعمار ، أسقاطه من النفس الاسلاميه كعقيدة وتربية حيث لم يكن ابدا فى يوم من الايام راضيا بالذل ، ولا مساند للخضوع ولا معينا على العبودية . وقد بنى الإسلام معتنقيه على الاعتزاز بكرامتهم ورباهم على الإيمان بأنهم خلقوا ليقنعوا مكانهم تحت الشمس فلا يكونون عبدا ولا إذلة ، ولذلك فلم يكن الإسلام حليف الطغيان ولا حليف الظلم .

وفى العصر الحديث فان الإسلام هو الذى استطاع أن يحرر العرب والمسلمين من سيطرة دول الاستعمار ذات العدة والعدد ، رغم أنهم لم يكن لهم سند ولا مورد ، وأن قوتهم الأساسية التى واجهوا بها الاستعمار هو قوة الروح والفكر والعقيدة .

ولقد كان عليهم أن يتبوا الخطوة الثانية فإن الإسلام الذى حررهم قادر على أن يدفعهم إلى إنامة دولتهم ومجتمعهم وأن يكون عامل تقدم بعد أن كان عامل تحرر .

الفصل الثامن

في مواجهة النفوذ الاجنبي

لقد حرص النفوذ الاجنبي على استدامة وجوده في بلاد المسلمين ، وتلك محاولة ضخمة تطالبت منه أن يعمل للقضاء على روح السيادة والقوة والاعتزاز النفسى بالسكبان الحر المستقل بأساليب خادعة وماكرة ، وكان أخطارها هو تحطيم مفهوم الإسلام القائم في الحفاظ على الذات ومداغة العدو ، والاعداء بالةوة والمراطة في الثغور واستبقاء روح الجهاد قوية غالبة ، والحيلولة دون السقوط في حاة الترف والدعة وهى التى العمل على التحلل والضعف والاستكانة .

ولعل من أكبر المعانى التى حاول النفوذ الاجنبي إسقاطها من النفس الانسانية ، هو دور الإسلام كعقيدة وتربية حيث لم يكن الإسلام يوماً من الايام راضياً لاهله بالذل ولا مسانداً للخضوع ولا معيناً على العبودية . ولقد ربي الإسلام معتقيه على الاعتزاز العميق بكرامتهم .

ورباهم على الإيمان بأنهم خلقوا ليفرضوا وجودهم فوق هذه البسيطة ولينترعوا مكانهم تحت الشمس ، لا ليكونوا عبيداً ولسكن ليكونوا سادة .
ولذلك فإن الإسلام لم يكن حليف الطغيان ولا حليف الظلم .

وحق العصر الحديث فإن الإسلام هو الذى استطاع أن يحرر العرب والمسلمين من رق دول الاستعمار ذات العدة والعدد، رغم أن المسلمين لم يكن لهم سند ولا مودة وإن قوتهم الأساسية التى واجهوا بها الاستعمار لم تكن إلا قوة الروح والإيمان والفكر والعقيدة : ولقد كان الإسلام بعد أن حرر المسلمين من عبودية النفوذ الاجنبي أن يدفعهم إلى إقامة دولتهم ومجتمعهم وأن يكون عامل تقدم بعد أن كان عامل تحرر ،

ولذلك فإن المسلمين اليوم أن يحذروا من محاولات كثيرة لتمكين النفوذ الاجنبي من يستعيد سلطانه عليهم .

أولا : محاولة خداعهم بالأدعاء بالصلة بين الديمقراطية والإسلام ، أن الإسلام منهج رباني أصيل له طابعه المستقل عن هذه المذاهب البشرية ، وأبرز وجوه الخلاف أنه منهج جامع بينما هي انشطارية ، وله طابع الاستمرار فيما هي مؤقتة ، وله جوهره العالمي الصالح مختلف الحقب والعصور فيما هي مرحلية عن أن تتوآصل مع الازمات والبيئات الأبتعدلات وإضافات وحذف .

ثانيا : هناك محاولة ضرب الإسلام من الداخل عن طريق بعض الطوائف الدخيلة مثل القاديانية والبهائية والاغانية واليزيدية وكلها تلقى المعونة والتوجيه من المستعمرين والمبشرين اليهود وهم يدونها لما استموه و ضرب الإسلام بالإسلام ، هذه الطوائف تقدس زعمائها وترفعهم فوق مرتبة البشر وتشرع لإتباعها من الدين ما لم يأذن به الله مستغله اسم الإسلام لهدم الإسلام .

أن من أخطر محاذير النفوذ الاجنبي في مطالع القرن الخامس عشر التي تعوق حركة اليقظة من الدخول إلى مرحلة النهضة هي تلك التبعية الاقتصادية للشرق والغرب مما جعل المسلمين مجرد مستهلكين وليسوا منتجين

وأخطر من هذه تنازل المسلمين عن كثير من عاداتهم الإسلامية وفيهمهم وبتراثهم الخاصة تحت تأثير الضغط المادي وتحت اسم الانفتاح الذي لا ضابط له في حين أن امتلاكهم لمميزات ذاتيتهم الخاصة هو أكبر عوامل القوة والقدرة على بناء عصر النهضة الإسلامية .

ومن ذلك تضحيتنا بالنصاحة في اللغة وقبول الكلمات الأعجمية وتضحيتنا بأسلوبنا الإسلامي العربي في المعجم وفي المآكل والمشرب دون أى مبرر وقبول الترجمات للأدب الغربية والفكر الغربي دون ضابط ودون تعريف صحيح لمدى ضررها أو نفعها ودون تعريف القارئ المسلم بظروفها في مجتمعنا ، وأخطر

من ذلك كله النظر إلى هذا الفكر البشرى الوافد على أنه على المنهج مع أنه قائم على الهوى ، أو الإدعاء بأنه علم مسح أنه فروض قابلة للصحة والخطأ .

إن المترجم من الفلسفة اليونانية أو الفلسفة الحديثة يجب أن تكون له أصالته في تعريف الفوارق ، أما المترجم الخاضع للفكر الغربى فإنه لا يستطيع أن يقدم لنا ألا مزيجا من السموم والتفاهات .

إن علينا أن نحصى المسلم المعاصر من الانهيار النفسى والتبعية لحضارة طاغية دخلت مرحلة الانهيار وتبرأ منها أهلها .

ولا ريب أن اكتشافنا لمؤامرة د النفوذ الاجنبى ، بقواه الثلاث : غربية وماركسية وصهيونية يجب أن يجعلنا على يقظة تامة .

أن المؤامرة تستهدف تجريدنا من مصادر القوة فى نفوسنا وتحطيم إيماننا بقدراتنا الذاتية على التطور وقدرة حضارتنا الإسلامية على العطاء .

ولا ريب أن العودة إلى الأصالة وتعرف ذاتيتنا الإسلامية هو الحصن الحصين الذى يحمينا من الذربان فى أتون الحضارة العالمية وفى الأمية العلانية الضالة ، علينا أن نتعرف على حقائق تاريخنا وتراثنا التى ظللنا نجهلها القرون الطوال بحكم ظروف التخلف وبحكم الإستعمار ومن هذا يقول عالم جليل ، لقد عشنا فترة على موائد المستعمرين نتجرع سمومهم فتزداد كرها لانفسنا وحضارتنا فتقل بالتالى مقاومتنا ونهار إرادتنا فنوغل فى التقليد حتى نصبح دمية ممسوخة لغيرنا . إن بداية الانطلاق تكمن فى تحرير النفس من كل سلبات الماضى وتأكيد إيجابياته وذلك لا يتم إلا بمعرفة هذا الماضى والإيمان به قيمة عالية لها أثرها على حاضرنا . إن أخطر المخاطر هو خطر الذوبان أو الموت الحضارى .

أن علينا أن نعلم أن النفوذ الاجنبى كان فى الماضى سياسيا وعسكريا فكنا نقاومه لانه كان واضحا ومكشوفاً ، أما اليوم فقد تحول وتغنى ولبس أثواب

العلم والثقافة ودخل بسمومة إلى مفاهيم التربية والفكر يحاول أن يغير القيم الثابتة ويحتوى الصفحة البيضاء وتغير من جوهر التوحيد والجهاد والإيمان القائم على الأصرار بالمقاومة والدفاع عن الكيان .

وهكذا أخذ النفوذ الاجنبي صورة جديدة خادعة مأكرة ولكن علينا ألا نخدعنا وأن نكون على وعى بها .

أن النفوذ الاجنبي اليوم يتحول إلى ايدولوجيات تريد ان تقضى على ذاتيتنا وأن تصهرنا في بوتقة الامة وأن تميع كتماننا ووجودنا كله حتى نصبح من غشاء الامة ولكن إيماننا بالرسالة التي وضعها الحق نبارك وتعالى على عاتقنا والمسئولية التي يحملها أهل لا إله إلا الله في تبليغ كلمة الله إلى العالمين تدعونا إلى أن نحافظ على كياننا الإسلامي الخاص وذاتيتنا القرانية الصريحة حتى تكون مؤهلين لإداء الأمانة وتبليغ الرسالة وأقامة المجتمع الرباني في الأرض .

الفصل التاسع

مواجهة صريحة لتحرير الفكر الإسلامى

قال العلامة أبو الحسن الندوى أمام جمع من علماء المسلمين السيرة والسنة النبوية كلمة لعلماء قد اختصرت كل ما يحاول المسلمون أن يكتشفوه من أجل الإجابة عن التساؤل الصريح على أبواب القرن الخامس عشر فى محاولة استكشاف الذات ومعرفة الطريق الصحيح قال : ، أن دأبنا النفاق وليس الشرك أو الكفر هذا التناقض هو أن ندعو إلى الإسلام ولا نعمل به ، هذا التناقض هو الذى نحتاج على . ففتح القرن الخامس عشر أن نواجهه ، لنزيل هذا المحذور الخطير .

لقد تكشف للمساكين اليوم إبعاد الخطر الذى يحاول أن يقضى على ذاتيتهم الخاصة وشخصيتهم المميزة ، تلك المحاولة التى ترمى إلى احتوائهم وصهرهم فى بوتقة الأهمية العالمية حتى تزول تلك ، الشامة التى أشار إليها الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يروى من الأثر : أن المسلمين كالشامة بين الأمم ، مرجع هذا إلى علامة التوحيد الخالص التى يتميزون بها عن البشر كلهم اليوم ، وإذا كان اليهود والنصارى يؤمنون بالله إيماناً مشوباً بالشرك فهم يعبدون الأصنام ويرون أنها تقربهم إلى الله زلفى ، ولسكن الإسلام جاء بالتوحيد الخالص والإيمان بالله رباً خالقاً ورازقاً أو كما يقول أهل العقائد توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية ما تلخصه الآية النثرانية : ، إياك نعبد وإياك نستعين ، هذا الإيمان الذى يقوم على إسلام الوجه لله لا يحمل لواءه على الأرض غير هذه الأمة التى أختارها الحق تبارك وتعالى لحمل هذه الأمانة والتى يجب أن تعد نفسها لإداء هذه الرسالة فى مواجهة عالم مضطرب قد احاطت به الإلزامات ولم يعد أمامه طريق بعد أن جرب عشرات الأيديولوجيات والمذاهب ألا الإسلام .

ولسوف يبلغ هذا الدين مبلغ النجم من السماء فيدخل كل بيت حجر ومدر
يعز عزيزا ويدل ذليلا كما قال الصادق المصدوق ، وكما صور ذلك أحد الفاتحين

المسلمين حين قال : (لأن الله ابتعثنا لنخرج لناس من الظلمات إلى النور ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة ومن عبادة للعباد إلى عبادة الله) أن أخطر ما يواجه المسلمون اليوم : هو ، حب الدنيا وكرهية الموت ، ذلك المرض الخطير الذي يحول بينهم وبين أن يقدموا أرواحهم خالصة في سبيل إرضاء ربهم وتحقيق إقامة فريضة الجهاد المرابطة في الشغور .

ولم جوار ذلك نجد التناقض الواضح بين القول والعمل ، حيث يعلم المسلمون تماما اليوم تلك الأخطار التي تحيط بهم ولكنهم لا يعززون عزيمة الإرادة الصادقة لمواجهة الأخطار ، فإن هناك الشائبة الخطيرة في مجال التربية التعليم بين تعليم ديني وتعليم مادي ، ومن الضرورة أن تزال هذه الشائبة وتند هذه المفجوة ذلك أن التعليم جميعه يجب أن يكون في إطار الإسلام ، وأن يكون تدريس العلوم من منظور إسلامي وأن يقوم بناء المنهج العلمي الإسلامي على أساس مفهوم اللغة العربية وأن يتحرك في إطار التوحيد والعدل والرحمة والأخاء الإنساني .

كذلك فلا بد من تعميق دراسة الشبهات والسموم التي طرحها الفسك التلودي والشعوي والوثني في إطار الفكر الإسلامي ولا عبرة بما يقال من أن هذا عمل مما يضع لإسلام في قفص الإتهام وأن علينا أن لا نشغل أنفسنا بما يقول المستشرقون ، إذ كيف يمكن أن يسكت المسلمون عن شبهات توجه إلى فسكهم وتكتب بلغات أجنبية وتجري بين أيدي كثيرين من المسلمين الذين لا يعرفون العربية ويقولون باللغات الأجنبية إذ لابد أن توضع بين أيديهم حقائ الأمور .

وعلى المسلمين أن يحققوا ثلاثة أمور في مطالع هذا القرن :

١ - تطبيق الشريعة الإسلامية ووضع حد للرحلة المظلمة التي قضاها المجتمع الإسلامي مرغما في إطار القانون الوضعي .

٢ - إقامة المصرف الإسلامي وإقامة الإقتصاد الإسلامي وتحرير المجتمع الإسلامي من إمبراطورية الربا التلمودية عبادة العجل الذهبي .

(م ٢٦ - الصحوة الإسلامية)

٣ — تطبيق منهج التربية الإسلامية بدلا لمنهج التعليم الاجنبية والقضاء على العنصرية الخطيرة وآثارها البعيدة المدى .

ولا بد أن تقوم الأمة القرآنية فتبني المجتمع الرباني الصحيح على أرض الإسلام نبراسا للبشرية كلها المتطلعة إلى حل مشاكلها وأزماتها والتي تعيش اليوم أخطر التحديات من غربة وتمزق وانفصام بعد أن عجزت جميع الأيديولوجيات والمذاهب التي جربت بها من أن تحقق لها الأمن النفسي أو الطمأنينة الروحية فلم يعد أمامها من بعد إلا أن تعود هذا الدين الحق الذي هو بلسم البشرية ودواء دائها .

وإذا كان المسلمون اليوم قد عرفوا تلك المخططات التي أخفاها التغريب وكشفوا خلفياتها وأهدافها فإن هذه المعرفة وحدها لا تكفي إلا إذ صاحبها تحول واضح يقوم على إرادة قوية تستهدف تغيير الواقع المضطرب والفساد الذي تعيشه المجتمعات الإسلامية .

وإذا كان الغرب قد صدر لنا حضارته المادية فإننا قد عجزنا عن إلتقاء ما ينطعننا منها وما يضرنا وعجزنا عن أن نقف أمام أسلوب العيش العربي موقف الرافض لأن لنا أسلوب عيش إسلاميا أصيلا وم على خلاى الإسلامية .

ومن هنا فإننا يجب أن نقيم مفهوم التوحيد الخالص الذي يضيء كل معاني الحياة الاجتماعية والسياسية والتربوية والاقتصادية ويجعلها خالصة لله تبارك وتعالى الذي أهدى للإنسانية مفهوم وجودها وهدفها من هذه الحياة الدنيا بالمسؤولية الفردية والإلتزام الأخلاقى من أجل إقامة المجتمع الرباني .

وإذا كان هذا التحول نحو إقامة الاقتصاد الإسلامى وتطبيق الشريعة وتنفيذ منهج التربية الإسلامية فإننا لابد أن ننطلق من التوحيد الخالص إلى أخلاقيات الإسلام فإذا لم نستطيع أن نقيم منهج الأخلاق إلتراما بالحق والعدل والرحمة والخروج من أهواء النفس ومغريات الحياة فإننا لن نستطيع أن نقيم حضارة الإسلام أو بناء المجتمع الرباني الاصيل .

وأن يتحقق هذا إلا بالتربية وبناء الاجيال الجديدة على مفهوم التوحيد والأخلاق الإسلامية بالعزيمة والحشونة والإيمان بضرورة المراقبة الدائمة في

وجه خصوم الإسلام وهذا ما يعنى مراجعة خطر التحدى الذى يواجه المسلمين اليوم وهو حب الدنيا وكراهية الموت .

ولابد من إحياء فريضة الجهاد والمرابطة كحقيقة وائعية وتحرير المجتمعات الإسلامية من محنة الترف الشديد الذى هو قاصم الحضارات ومطمح المجتمعات .

هذا هو الطريق الصحيح لمواجهة تناقض المسلمين بين القول والعمل ، وثنائية مجتمعاتهم التى تستهدف الحيلولة دون إبقاء مجتمعاتهم قائما على فكر واحد .

هذه الثنائية تأتى نتيجة إختلاف مصادر الثقافات ونتيجة الإلتواء إلى نحل و فرق متعددة . والسبيل إلى الإلتقاء فى بؤرة الوحدة الفكرية القرآنية الأصلية هى الخروج من تنبعية إلى نحلة العقلانية أو نحلة الوجدانية الصوفية أو نحلة الفلسفية فهى التى قسمت المسلمين من قبل وأحدثت بينهم الصراع وتمزق اليوم يشير الاستشراق هذه النحل من جديد ويوظفها فى الدعوة إلى العقلانية والعلمانية أو الدعوة إلى ما يسمونه المعتزلة أو الفلاسفة أو التصوف الفلسفى ، فى محاولة لعزل هؤلاء عن مفهوم التوحيد الجامع الخالص الذى رسمه الإسلام ، متكاملا وقائما على أساس أن كل عناصر الفكر الإسلامى متصلة متكاملة لا تتعارض ولا تستقل بنفسها وكلها تعمل فى سبيل بناء الإنسان المسلم ولكننا نرى اليوم دعاة الأدب يحاولون الاستملاء بالأدب فيعلمون أنه أدب معاصر لا صلة له بالأدب العربى من ناحية ولا صلة له بالفكر الإسلامى وفى إطار هذه الدعوة الباطنة بيجز الأدباء لأنفسهم أن يخرجوا عن الأخلاق الإسلامية فى القصة وعن فصاحة اللغة العربية ، وأن يتحرروا من قيم والمفاهيم الإسلامية والحلول الإسلامية للمشاكل والقضايا هذه الأخطار كلها لا يمكن إحتواءها والقضاء عليها إلا بالإيمان بوحدة الفكر الإسلامى فى مفهومه الجامع ، والتحرر من النحل والمذاهب وأن يبدأ المسكرون المسلمون مفاهيمهم من الإسلام نفسه ، وليس من مذاهب هيجل وماركس وورويك وسارتر ودوركايم ، فليتحرك المسلمون من هذه المدارس الضالة وليتمسوا بالأصالة الإسلامية فإنها الطريق الوحيد .

الغزو الفكري مدخل إلى تغريب الإسلام

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحابه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين ونصتفتح بالذي هو خير ، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، نقول وبالله التوفيق .

مصطلح الغزو الفكري : مصطلح حديث الاستعمال يقصد به نوع من الغزو يختلف عن الغزو العسكري أو الغزو السياسي الذي عرفته البلاد العربية والاستعمارية في العصر الحديث في هذه المرحلة التي نمت فيها القوى الغربية وأخذت تسيطر على البلاد العربية والإسلامية من أندونيسيا إلى الهند إلى البلاد العربية .

وقد اتسع نطاق هذا الغزو فـ غزو غربي وغزو شيوعي وغزو صهيوني . ولما كانت الحرب العالمية الثانية (٣٩ - ١٩٤٥) قد أعلنت تصفية الاستعمار العسكري فقد بدت فكرة (إحتواء) البلاد المتخلفة (أو التي يطلق عليها التسمية تجاوزا) لتدور في فلك الأمم الكبرى فكانت فكرة الغزو الفكري (والغزو الفكري يشمل الغزو الثقافي والاجتماعي والتربوي والقانوني جميعا) وهي ترمي إلى تذليل هذه الأمم والسيطرة عليها وإخضاعها وذلك بتكوين أجيال جديدة في إطار ثقافتها الغربية ومفاهيمها بحيث لا ترى في الولاء مع الغرب أو مع السوفيت أو مع الصهيونية أي عدااء أو خصومة ، فهي بالغزو الفكري تتحول عن مفاهيمها العربية الإسلامية في كثير من الأمور وتقبل وجهة النظر الأخرى فترى مثلا أن النموذج الغربي في الحكم (النظام الديمقراطي ، والنظام الليبرالي) أو ترى في النظام الاشتراكي مثلا ، نموذجا صالحا للتطبيق فترى أن العلاقة بينها وبين الأمة العربية (أي أمة من أمم الغرب سواء أكانت فرنسا أم إنجلترا أم أمريكا) ليست علاقة سيطرة أو إحتواء وإنما هي علاقة صداقة على طريق منهج

فكرى (أيدلوجى) واحد ومن ثم تقبل بهذا الولاء باسم الالتقاء تحت مظلة ما يسمى [الفكر الديمقراطي] أو [الاشتراكي] ومن ثم يكون الغزو الفكرى قد عمل أثره البعيد في حجب المفهوم العربى الإسلامى الأصيل الذى طاشت عليه الأمم العربية الإسلامية منذ أربعة عشر قرناً وتقبل منها آخر وأفدأ سواء في نظام الاقتصاد، أو نظام السياسة أو نظام القرية أو نظام المجتمع .

وبذلك تضيق هوية الأمم العربية الإسلامية وتتهار مقومات شخصيتها الأساسية والخاصة والمتميزة التى كونها الإسلام خلال هذا الزمن الطويل .

ولا ريب أن الدعاة إلى (الغزو الفكرى) بهذه الصورة يهدفون إلى أن تكون علاقة السيطرة بين الأمم العربية والإسلامية ذات المصادر والخصامات والأيدى العاملة الرخيصة قابلة للسيطرة عليها تحت اسم التعاون والصداقة والالتقاء على منهج سياسى وإجتماعى واحد وهم لا يعلنون كلمة (الغزو الفكرى) ولكنهم يعلنون بدلاً منها كلمة وحدة الحضارة أو وحدة المنهج أو وحدة الأيدولوجيات ، ويدخلون إلى ذلك عن طريق ذى شقين (١) أن الأمم العربية الإسلامية متخلفة نتيجة منهجها وأن عليها لى تصل إلى القوة أن تعتنق مناهج الأمم القوية المسيطرة (٢) أن هذه الأمم حين تأخذ بأسلوب الغرب سواء كان ديمقراطياً أو اشتراكياً إنما تحاول تحقيق النهضة وليس في هذا شيء فإن الإسلام ليس في نظرهم إلا دين (ريلجون) بمعنى العلاقة بين الله والعبد ، ومن ثم فإن من حق الأمم أن تأخذ ما تشاء من المناهج السياسية والاجتماعية وأن الإسلام وتاريخه وحضارته ولغته ، مشوبة بشئ غير قليل من الجحود والتخلف والضعف والتعقيد وهذا هو السر في تخلف هذه الأمم أو أن الدين الذى اعتنقه هو دين جهراوى ، أو أنه دين مرهق حقق به مرحلة من مراحل القوة في التاريخ ثم انتهى أمره ، وكل هذه شبهات يثيرها الاستشراق ويقدمها التبشير لابنائنا في المدارس والجامعات والصحف والكتب عن طريق الثقافة وذلك لتوهين الإيمان بالمنهج الأساسى لهذه الأمة ورفعته واحتقاره وتقبل المنهج الغربى وبذلك تتم عملية الغزو الفكرى بسهولة ودون تعقيد وأن ذلك يجرى بالنسبة لشباب غرض لم يصل إلى قدر كاف من فهم حضارة الإسلام وثقافته ولذلك فهو يتقبله دون

مضاحنة وهذا مصدر الخطر .

ثانياً : ما هو الغزو الثقافي :

الغزو الفكرى قذيفة منسومة مسددة إلى قلب الفكر الإسلامى لتحقيق هدف واضح معروف هو : التغريب ، تغريب المجتمع الإسلامى وصهره فى بوتقة الحضارة العالمية والاممية ، بحيث يصبح المسلمون وقد فقدوا كل مميزاتهم الخاصة وذانياتهم التى بناها الإسلام فى قلوبهم وعقولهم خلال أربعة عشر قرناً والغزو فكرى وعقائدى والغزو العقائدى أخطر من الغزو الفكرى لأنه يحاول إثارة الشبهات حول عقيدة التوحيد .

وعملية الغزو هذه تجربة قديمة قامت بها قوى معادية للإسلام فى القرن الثالث الهجرى بعد ترجمة الفلسفات اليونانية والفارسية وقد واجهها علماء المسلمين مواجهة قوية واضحة ودحضوا زيفها وكشفوا سمومها وضربوها فى الصميم وتحروا من عوامل إفسادها وأقاموا مفهوم أهل السنة والجماعة فانصهرت فى إطار الاسلام جميع المعطيات الإيجابية المقولة والمقتبسة من الحضارات القديمة والوافدة .

وكان آية الأصالة وقوة الذاتية الاسلامية هى إنشاء المنهج العلمى التجريبى الذى كان من عطاء الاسلام والذى يختلف عن مناهج اليونان والفرس والرومان القديمة وهذا المنهج الإسلامى المستمد من القرآن الكريم هو الذى أقام الحضارة الحديثة .

(٣) تغريب الاسلام : أى إخراجهم من تميزه الخاص إلى أن يكون دنيا متغنياً مفروض عليه التفسيرات الغربية والماركسية ، المهدف إحتواء البلاد

الاسلامية والسيطرة عليها بقبولها فكرية الغرب فتكون قابلة للغرب منهجرة فيه ليس لها وجود ذاتي وبذلك يستديم الغرب السيطرة الاقتصادية والسياسية والعسكرية عليه وفي العصر الحديث انفقت القوى المسيطرة على العالم الاسلامي على مواجهة شاملة عن طريق الفكر ، بعد أن عجزت الحروب الصليبية عن هزيمة المسلمين ، وكانت الفكرة هي تحريف الاسلام واختراق قيمة وإفساد مضامينه ونزع مقوماته الأساسية التي مكنت المسلمين دائما من مقاومة الغزاة ومن حماية وجودهم ، وهي فريضة الجهاد الماضية والمرابطة في الثغور والبقعة في مواجهة العدو .

ومن ثم بدأت المحاولات لتزييف مفهوم الاسلام الاصيل وإثارة الشبهات حول عقيدته ونييه وتاريخه ولغته بقصد إزالة العوامل الأساسية التي تميز بها الاسلام والتي تشكل الشخصية الاسلامية الخاصة .

وعلى هذا قام الاستشراق الذي كان خاضعا لجهتين أساسيتين : وزارات الاستعمار في البلاد الغربية والكنيسة .

ثم كانت حركة التبشير التي استخدمت هذه المعطيات عن طريق التعليم والصحافة والثقافة وكثير من المؤسسات ذات المظاهر التبعية عن كل شبهة .

وقد رأينا في السنوات الأخيرة كيف وضع [[اليونسكو مجلدا ضخما عن الاسلام ملاء بالسموم والشبهات هذا بالإضافة إلى فساد مفاهيم (الاسلام - النبوة - الوحي - القرآن) في جميع دوائر المعارف الغربية البريطانية والأمريكية وموسوعة لاروس الفرنسية ، فضلا عن دائرة المعارف الاسلامية ، وقاموس المنجد ، والموسوعة العربية الميسرة حيث أنها كلها جميعا خاضعة لمفاهيم الاستشراق التي تنظر إلى الاسلام على أنه دين معادى للغرب والمسيحية .

(٤) إتجه أعداء الإسلام إلى الغزو العسكري لأنهم عجزوا عن مواجهة الإسلام في مفهومه الاصيل فعمدوا إلى تحريف هذا المفهوم ، وهناك نحل كثيرة تقوم اليوم على أساس الدعوة إلى وحدة الأديان ، وإلى إلغاء مفهوم الجهاد

أمثال البهائية والقاديانية .

(٥) الكتب التي تساهم في الغزو الفكري هي تلك المؤلفات التي كتبها رجال التغريب ، وقد كشف النقاب عن عدد كبير منها مؤلفات الدكتور طه حسين وعلى عبد الرازق وسلامه موسى وجرجي زيدان وزكي نجيب محمود .

فضلا عن كتب المستشرقين التي ترجمت إلى اللغة العربية وما ترجم من مؤلفات جولده زيهر ، ومرجليوت ، وجب وماسنيون وغيرهم .

(٦) يستطيع المسلمون أن يقرأوا لكتاب الأصالة وأصحاب المدرسة الإسلامية ومؤلفاتهم تزخر بها المكتبة الإسلامية وقد قدمت المدرسة الإسلامية في العقود الأخيرة عدداً من المؤلفين وعدداً من المؤلفات ولكن الأهم من ذلك كله أن نعرف مواقع الخطأ والفساد في المؤلفات المشهورة المتداولة ، والتي تخضع لنظريات الاستشراق في تفسير التاريخ الإسلامي أو تحاول أن تخدم أهداف الباطنية وإحياء الفرق القديمة التي انتهت .

ومن المعروف أن مؤتمراً عقد في بليتمور منذ سنوات حضره مجموعة من المستشرقين ركز على نشر عدد من المؤلفات التي تهدف إلى إثارة الشبهات في محيط الفكر الإسلامي والتاريخ الإسلامي وإعلاء شأن القرامطة وفتنة الزنج ، وكذلك المؤلفات التي ترمي إلى إعلاء الفكر الصوفي الفلسفي كأحياء الخلاج وابن عربي والسهروردي وغيرهم هذا فضلاً عن أحياء الشعر الاباحي القديم كأبي نواس وبشار وغيرهم .

ومن ذلك المترجمات الفاسدة كالفصوص الجنسي الغربي ، وكتب الوجودية وفلسفات فرويد ودوركايم ، فإن الأفكار المسمومة التي تحتويها هذه المؤلفات يمكن خطرها في أمرين :

الأول : أن يهتد القارئ أنها كتب علمية وأن ما تنشره هو علم صحيح ، بينما أنها تحمل مجموعة من النظريات والمروض التي كتبها فلاسفة ماديون ، وهذه المروض قابلة للخطأ وللصواب ، وأنها تمثل بيئة مختلفة عن بيئتنا .

الثاني : أن أخطر ما في هذه المؤلفات أن لا يتقدمها عرض كاشف للقارئ المسلم والعربي ليعرف في أى العصور صدرت وإزاء أى التحديات كتبت ، وماذا كان الموقف منها عند صدورهما في بلادها وما حاجتنا إليها ، وما موقف الفكر الإسلامى منها .

ذلك أننا نحن المسلمون نملك منها فكريا كاملا وجامعا ، تتميز بالأصالة والتنوع والمرونة ، ويشمل جميع مناهج الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتربوية .

وأن حاجتنا إلى المترجمات إنما تكون في مجال المقارنة بين ما عندنا وما عند غيرنا ، ولسكننا لسنا في حاجة إلى نقل مناهج ونظم ولكن كل حاجتنا إلى معرفة التجارب التى قامت بها الأمم الأخرى في مواجهة هذه القضايا مع الاحتفاظ الكامل بذاتيتنا ودون أن ننصر في بوتقة هذه الأمم والحضارات :

ثالثاً : كيف نواجه المحاولة :

هذه المحاولة الخطيرة : محاولة الغزو الفكرى ، : ترمى إلى إحتواء مشاعر وعواطف الأمم التى يرغب الغرب فى السيطرة عليها إقتصاديا بعد أن علت صيحات الحرية وتكشفت مخططات الغرب فى إستنزاف مقدرات الأمم وخاصة المواد الأولية التى يزخر بها عالم الشرق والتى تحتاج إليها مصانع الغرب فيرغبون إلى الوصول إليها بأقل التكاليف مع إستدامة السيطرة وهذا لا يتم إلا بقيام ولاء فكرى وثقافى عن طريق إخضاع هذه الأمم لفكر الغرب وثقافة الغرب ومفاهيم الغرب .

ولقد بدأت حركة التغريب قبل حركة الغزو الفكرى وسجلها المستشرقون هاملتون حب وزملانه فى كتابه [وجهة الإسلام] فكشفوا حقيقة هذه الوجهة وهى وجهة إخضاع الشرق والسيطرة عليه عن طريق تغيير معاملته العسكرية وإدخاله فيما أطلقوا عليه عالمية الحضارة أو عالمية الفكر ، وسيكون دخوله دخولا ذليلا لأنه الأضعف فلن يستطيع إبراز ذاتيته أو الحفاظ على شخصيته وبذلك

سيذوب في الآتون الواسع الذي سيصهره ويقضى على وجوده الخاص .

يجرى الغزو الفكري في ميادين متعددة :

ميدان التعليم والتربية : يفرض المناهج الغربية في مختلف المجالات الفكرية .

ميدان الاجتماع : يعرض أسلوب العيش الغربي بجميع سوءاته وعيوبه .

ميدان السياسة : يفرض انظم والأيديولوجيات الغربية أو الماركسية .

ميدان الاقتصاد : يفرض النظام الرأبى ومناهج الاقتصاد الغربية .

ويمكن دراسة كل ميدان من هذه الميادين بتوسع .

(مقاومة الغزو الفكري) عمل خطير ضرورى لحماية الأمة من الفناء أو الانصهار وأساسها هو أن هذه الأمة لها منهج حياة ونظام مجتمع أصيل جامع وأن هذا المنهج هو أصدق المناهج ، لأنه منهج ربانى مرن قابل للإستجابة في مختلف البيئات ومختلف العصور ومختلف التحديات :

(١) هذه السعوم التى تطرح في سبيل إنتقااص الشخصية الإسلامية العربية أو نقد الفكر الإسلامى يجب أن تواجه بقوة وثقة وكشف زيفها ، وهى تستهدف إزاحة المنهج الإسلامى من طريق التبعية للمنهج الغربى .

(٢) المنهج الغربى يختلف عن المنهج الإسلامى فى أنه إنشطارى : يقوم على المادية الخالصة بينما المنهج الإسلامى يجمع بين الروح والمادة فكيف يقبل المسلمون منهجا إنشطاريا بدلا من منهج جامع .

(٣) الحضارة الغربية المعروضة على المسلمين والغرب وصلت إلى مرحلة الانهيار ويكشف المجتمع الغربى عن هذه الأزمات الشديدة التى تواجه الإنسان المعاصر والأسرة والحياة الاجتماعية فكيف يقبل المسلمون حضارة منهارة .

(٤) فكرة إعلاء العنصر واللون الأبيض مرفوضة تماما فى ميزان الفكر الإسلامى وكذلك فكرة التفوق العنصرى .

(٥) التفرقة الواضحة بين العلم والثقافة فالمعرفة والعلم عالميان ولكن الثقافة قومية مرتبطة بالمقيدة والأخلاق والقيم لكل أمة ولذلك فإن العرب والمسلمون يستطيعون الاخذ من العلوم ولكن لا يأخذون الثقافات ولا أسلوب العيش لأمم أخرى .

(٦) الغرب إحتاج إلى أن ينشئ "أيديولوجيات في مجال السياسة والاجتماع والاقتصاد لأن عقيدته روحية محضة ، أما الإسلام فإنه دين ومنهج حياة ولذلك فهو يجمع بين الملامتين (بين الله والإنسان) و (بين الإنسان والمجتمع) .

أن صيحة أمتنا الحقيقية في هذا العصر : ليست هي السبق الحضارى أو إمتلاك الأدوات المادية وإنما هي (الأصالة) : إن طريقه الوحيد إلى النهضة باعتراف عشرات من المفكرين الغربيين انفسهم هو إمتلاك إرادتنا وتطبيق مناهجنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعربية التي بنيت شخصيتها عليها منذ قرون طويلة والتي لا تحقق النصر بعد موجات التخلف إلا بالتماسها والعودة إليها ، والحقيقة أن أمتنا تملك مناهج أصيلة في الاقتصاد والاجتماع والسياسة والتربية والقانون شهد بها أساطين الفكر وكشفوا عما فيها من ذخائر ومعطيات لرفع مستوى الإنسان ود . إلى الامام . أن حصولنا على أسلوب العيش الغربي واندماجنا في الحضارة الحديثة في هذه المرحلة لن يحقق لنا بناء عصر جديد بل بالعكس سيدفعنا إلى أن ننهار معها عند سقوطها ، لقد أدت الحضارة الغربية والأيديولوجيات الغربية دورها في فترة ما في أوطانها وأقطارها واليوم يسعى الغرب إلى أمرين (١) إلى نظام إقتصادي جديد بديل للنظامين .

(٢) إلى منهج حياة يتميز بالتسكامل بين الروح والمادة .

وتتطلع البشرية إلى الإسلام بعد أن جربت هذه المناهج والأيديولوجيات والمعروف :

أن الأمم التي تملك رصيдаً ضخماً لا تقترض . ونحن بشهادة المنصفين من مفكرى الغرب نملك ثروة تشريعية ضخمة ما زال الغرب يأخذ منها عن طريق

التقنين وتملك الثروة المادية والطاقة والتفوق البشري وتملك موقعا إستراتيجيا فريداً وتملك تاريخاً حافلاً بالبطولات والاقتضارات وتملك منهاجاً عليها تجريبياً هو أساس الحضارة الحديثة ونحن قدمنا الإنسانية خلال ألف سنة أعظم معطياتها في مجال الثقافة والاجتماع والاقتصاد والسياسة والتربية وهي المناهج التي لا تبنى عليها هذا النظام العالمي والحضارة الإنسانية قبل أن تنحرف إلى الاتجاه المادى الخالص .

فكيف يمكن لامة تملك كل ذلك أن تتسول أو تفترض أو تخضع أو تحتوى . أو تذوب في أتون الحضارات الواندة أو المناهج الوافدة تحت اسم الثقافة العالمية أو الحضارة العالمية ، لاتنا عشنا في فترة توقف فيها الفكر الإسلامى والحضارة لإسلامية عن الاطاء ونحن نجد اليوم تطلعا عالميا إلى منهج الإسلام لأنه وحده الذى سينتقد البشرية بعد أن فشلت الايدولوجيات خلال أكثر من أربعة قرون ومن هنا كان علينا أن نواجه الغزو الثقافى والتغريب باستمساك شديد بمنهجنا الإسلامى الاصيل .

رابعاً : ملاحظات عامة :

تتمثل صور الغزو الفكري في :

- (١) إعلاء شأن الحضارة الغربية .
- (٢) الدعوة إلى الفرعونية والافليمية .
- (٣) الغرض من قدر اعلام الإسلام والمصاحبة .
- (٤) محاولة تصوير الإسلام بصورة عدم القدرة على الاطاء أو إنتهاء رسالته أو أنه دين صحراوى .
- (٥) تمجيد الايدولوجيات الغربية وتاريخ الغرب وأعلام الغرب .
- (٦) إعلاء شأن العروبة علمه الإسلام واصطناع مفهوم القومية الغربى والمفرغ من المنهج الإسلامى .

(٧) تصور الإسلام على أنه دين عبادة ولاهوت وليس له صلة بشئون المجتمع وسياسة والاقتصاد ..

(٨) الدعوة إلى تطوير الإسلام بوصفه أيولوجية بشرية .

(٩) القضاء على الوجود العربي والثقافة العربية ذات الانتهاء الإسلامي ..

(١٠) الحيلولة دون تطبيق الشريعة الإسلامية ومهاجمة بدور الاقتصاد الإسلامي .

(١١) الفصل بين التعليم وبين التربية الإسلامية وقيام التعليم على منبر مفرغ من المنهج الإسلامي ..

(١٢) الدعوة إلى إخضاع الإسلام للعصر ومطالبة الإسلام بالتنازل عن حدوده وبريرا لفساد المجتمعات المعاصرة على أن هذا كله قد يأتي في أسلوب مآكر وخداع وعبارات ملتوية ولكنها لا تخفى على المتقن المسلم .

محاذير القراءة :

أولاً : الكاتب وتاريخه ووجهته وهدفه ، كل هذا من شأنه أن يبعث الظمأينة أو الحذر من كتاباته .

أن الإتيان بالله ورسوله وبالوحي والنبوة هي علامات على صحة الرأي المقدم ولقد استطاع الباحثون في العصر الحديث أن يكشفوا وجهة كل كاتب وغاياته ونشرت المجلات الإسلامية العديد من الأبحاث في هذا الصدد

ثانياً : سلامة القصد والوجهة الخاصة لصالح الإسلام .

ثالثاً : قراءة الكتابات الكاشفة من أهداف الاستشراق والتغريب والغزو الثقافي ، حيث نجد الآن أن عدداً كبيراً من كتاب التبعية يفتحمون على الدراسات الإسلامية بهدف تسميم أبارها وإسداها ، وإثارة الشبهات حول حقان الإسلام وخاصة (الشريعة الإسلامية) و (تاريخ الرسول والصحابة)

وهي محاولة قديمة تتجدد ، بهدف تزيف الصورة الإسلامية والتأثير النفسى على المؤمنين بحق الإسلام فى الوجود والراغبين فى قبوله كمنهج حياة يستهدف الغزو الثقافى .
تدليل الأمة الإسلامية لقبول دهمية الغرب والتخلص من ذاتيتها الإسلامية المتميزة بعده عوامل أساسية منها التوحيد والشورى والعدل الاجتماعى والرحمة والاءاء البشرى .

يعرف التغريبون ومن ورائهم أن الصورة الإسلامية خطوة أساسية على طريق إمتلاك الإرادة ولذلك فإن التغريب يضع مخططات جديدة لاحتواء هذه الصورة .

وذلك بدعوة العالم الإسلامى إلى قبول النظم الغربية ودخول الحوار الأوروبى الذى يهدف إلى إنصهار البلاد الإسلامية فى التكنولوجيا المعاصرة ، وبذلك تصبح مقدرات المسلمين داخلة فى إطار الحضارة الغربية بمفاهيمها التى تقوم على الاستعلاء العنصرى ، والسيطرة على الأمم الضعيفة ، وقبول مفاهيم الغرب فى المجتمعات والأقتصاد والسياسة وبذلك تنهار قيم الإسلام التى يجب أن يعمل المسلمون على بثها وتبليغها لإقامة المجتمع الربانى الذى يسلم وجهه لله تبارك وتعالى .
وهناك فوارق عديدة واسعة مفاهيم الإسلام ومفاهيم الغرب أهمها :

(١) الانشطارية وقيام الفلسفة المادية أساسا بينما يقوم الإسلام على الجمع بين المادة والروح .

(٢) فكرة التطور المطلق وخضوع الأخلاق للتطور ، بينما يقوم مفهوم الإسلام على ثوابت ومفاهيم .

(٣) فكرة التقدم المادى وحده بينما الإسلام يقرر مفهوما جامدا للتقدم ماديا ومعنويا وتقديم الأخلاق على الجمال .

(٤) فكرة حرية الجنس وتحلل وتعرف بينما يقوم الإسلام على الأخلاق .

(٥) فكرة المسئولية الجماعية بينما نقد الإسلام المسئولية الفردية .

ومعنى هذا أن منهج الإسلام يختلف اختلافا جذريا عن منهج الغرب الذى يريد الغزو الثقافى أن يفرضه علينا أو يحتوينا فى إطاره أو يصهر أمتنا فى داخله .
ولن ينصهر المسلمون .

تكشفت في السنوات الأخيرة مجموعة من الحقائق تحطم مخططات الغزو الثقافي
وهي :

(أولا) أخطاء مناهج التغريب الوافدة : وما تكشف فساد منها مفاهيم
سارتر وفرويد وديركايم وأصبحت للنظرية الماركسية إصابة مباشرة وعقد مؤتمرات
قررت أن نظريات هؤلاء جميعا مما مجرد فروض قابلة للخطأ والأصواب وليست
حقائق عليية وأنها عجزت عن الطء في مجتمعاتها وبيئتها .

(ثانيا) ظهر كتاب من أمثال بوكاي يكشفون عن إشارات وأخطاء كثيرة
في تفسيرات الكتب القديمة بما يوافق القرآن الكريم .

(ثالثا) ظهر كتاب من الغرب يردون للحضارة الإسلامية دينها بالاعتراف
يقضلها على حضارة الغرب أمثال جارودي وبرناردشو .

(رابعا) ظهرت كذبات كثيرة تعترف بخطأ التفسير المادي للتاريخ
الإسلامي ، وتعترف بعظمة سيدنا محمد ونصحه على رأس مائة من عظماء العالم ،
ونرى أنه حق ولم يحققه المصلحون وذلك بفضل رسالته الربانية .

(خامسا) عقدت عشرات المؤتمرات في الغرب التي اعترفت بعظمة الشريعة
الإسلامية واستقلاليتها وقدرها على الطاء .

(سادسا) أعلنت دوائر عالمية فساد النظامين للرأسمالي والاشتراكي وتطلع
للإشورية إلى نظام عادل رحيم وليس غير الإسلام .
هذا والله ترفيق .

هذا الكتاب

لأحصى ما كتب في العالم الخارجي في السنوات الأخيرة عن «الصحة الإسلامية» بلغ مبلغاً يتجاوز ما كتب عن تاريخ الإسلام في أى عصر من عصوره .. ذلك أن النفوذ الأجنبي بقواه الثلاث : الصليبية والماركسية والصهيونية .. يدهش اليوم وينزعج لمولد هذا العملاق الذي لا يحمل العداء لأحد ، والذي يرجو أن يقدم للبشرية النور الذي يخرجها من الظلمات التي ارتكست فيها .. وقد عمل منذ وقت بعيد على أن يظل سادراً في غفلته .. فحطم كل قيمة من شأنها أن تعيد بناء الأمة الإسلامية ، وحال دون كل إرادة لتحرير المجتمع الإسلامى ، وبذل كل مكروه وتأمرة وخداعه ليحول بين الحضارة الإسلامية وبين عودتها إلى العطاء ، كما كانت حين قدمت للإنسانية والعالمين على مدى ألف سنة النور الربانى من منطلق العدل والحرية ، والمساواة والإخاء البشرى من خلال دعوة التوحيد الخالص ، متمثلة في «رسالة الإسلام الخاتمة وكتابها» .. «القرآن الكريم» و«سنتها المطهرة» على يد الرسول الأمين . خاتم المرسلين ﷺ ...

واليوم تبرز هذه الحقيقة كضوء الشمس الساطع .. لاسيل إلى إنكارها أو تجاوزها أو إجهاضها بإذن الله تعالى .. تلك هي «الصحة الإسلامية» حلقة من حلقات حركة اليقظة الإسلامية التى قادها الأبرار والمصلحون ، والتي أعادت مفهوم الإسلام الأصيل ديناً ودولة ... ومنهج حياة ، ونظام مجتمع .. وقد كان الإسلام قادراً على الانبعاث من داخله إبان الأزمات ، ومن خلال التحديات لوضع أمته على الطريق الصحيح ..

أما كيف انطلقت الصحة الإسلامية ؟ وماهى مقدماتها وتطورها ، وتحدياتها ومستقبلها .. فهذا ما يتحدث عنه واحد من مؤرخى الدعوة الإسلامية في العصر الحديث هو الأستاذ / أنور الجندى الرجل الذى أثرى المكتبة الإسلامية بالعديد من هذا اللون الذى انتفع به الملايين من أبناء هذه الأمة .. فصحح كثيراً من المفاهيم ، وهدى كثيراً من الحيارى ، وأنقذ كثيراً من الذين كانوا قاب قوسين أو أدنى من السقوط وسط هجمتى الشرق والغرب معاً على تراثنا وأجدادنا وتاريخنا ...

وإن دار الاعتصام لتفخر وهى تقدم لهذا المؤرخ الإسلامى الكبير هذه الحلقة الجديدة فى سلسلة «موسوعة معالم التاريخ الإسلامى» لتتضم إلى شقيقاتها التى صدرت من قبل لتغطى رقعة واسعة من الأسواق العربية ...